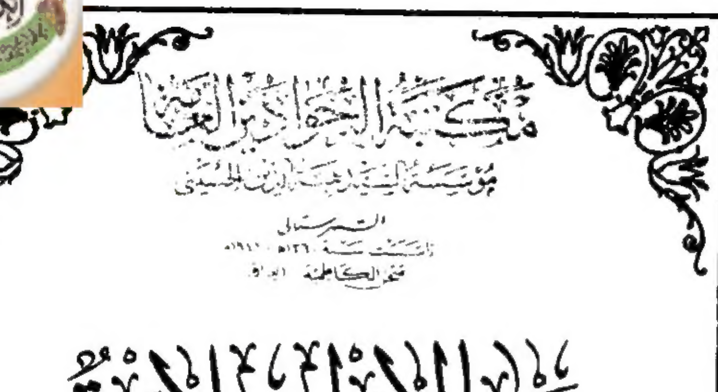
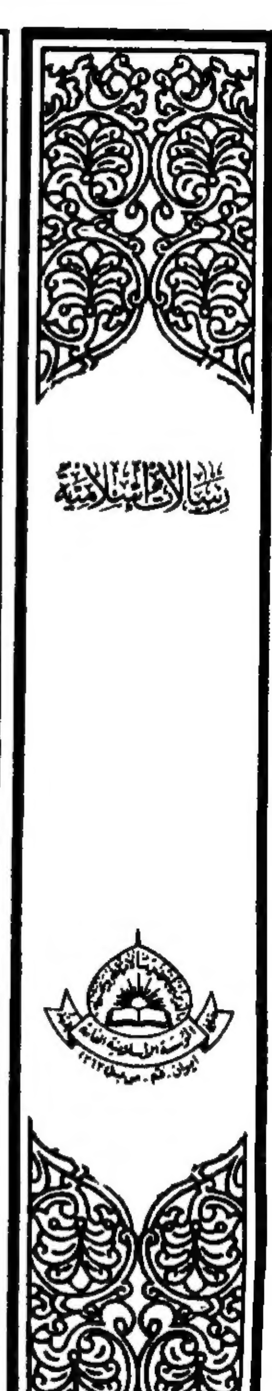

رسالات إسلامية
السيد عادل العلوي
عقائد
الجزء السادس
رسالات إسلامية
البارقة الحيدرية
قبسات الحق
الدر الثمين
نقطة الباء
فاطمة الزهراء
الدرة البيتية
الإمام الحسين









السيد عادل العلوي

ولائيات ٢



هوية الكتاب

الكتاب :.................. رسالات إسلامية (موسوعة)

المؤلف :.................. السيّد عادل العلوي

المجلّد :.................. السادس

الموضوع :.................. ولائيات (٢)

الصفحات :.................. ٥٧٦ صفحة

المطبعة :.................. النهضة ـ قم

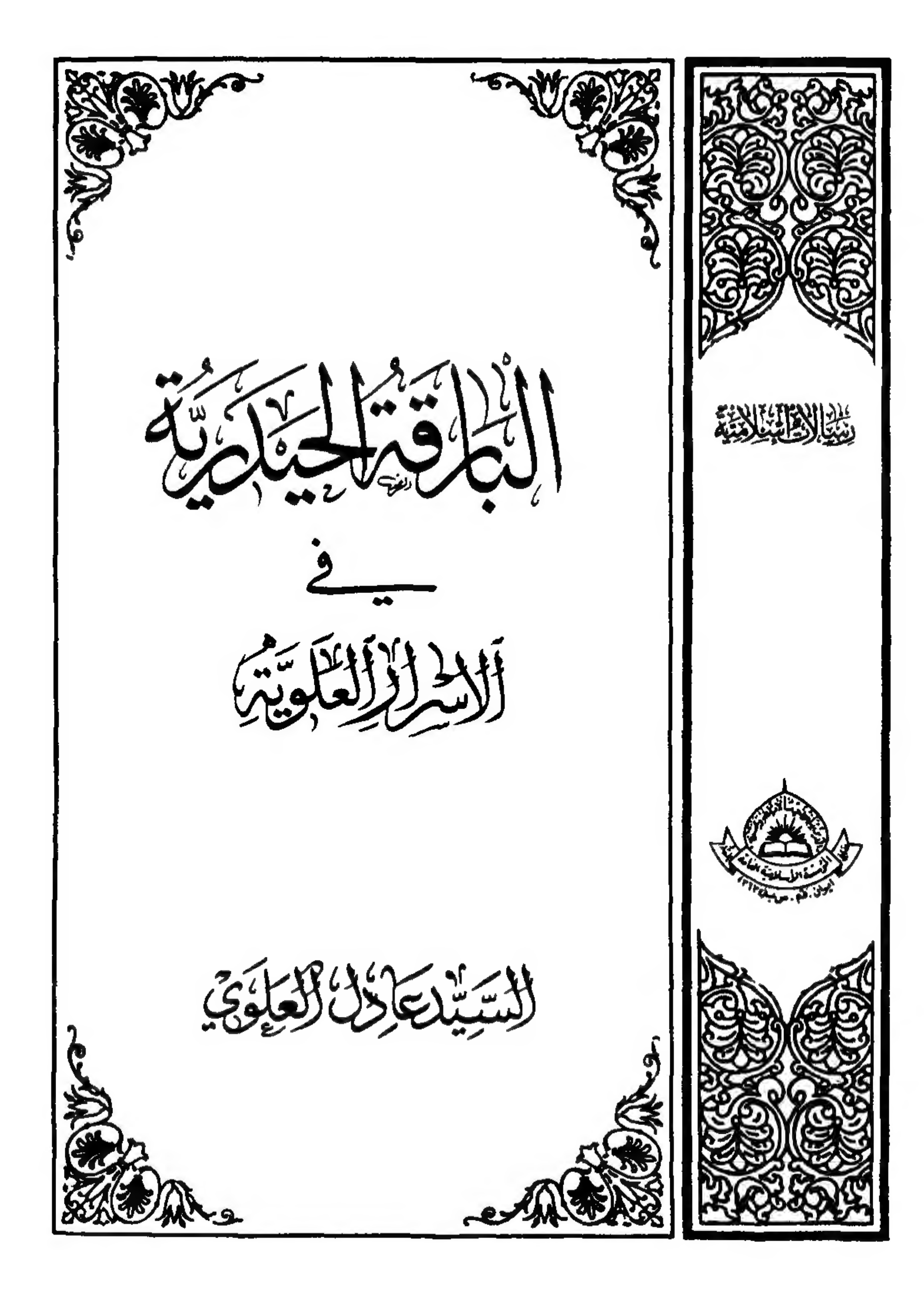
الطبعة :.................. الأولى

سنة الطبع :.................. ١٣٧٩ هـ ش = ١٤٢١ هـ ق = ٢٠٠٠ م

نشر :.................. المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد

الشابك :.................. شابك X ـ ١٨ ـ ٥٩١٥ ـ ٩٦٤ (دورة ١٠٠ جلد)

يحتوي المجلّد السادس على الرسائل والكتب التالية :



البارقة الحيدرية
في
الأسرار العلوية
السيد عادل العلوي
رسالات إسلامية

العلوی، عادل، ۱۹۵۵ ـ
البارقة الحيدرية في الأسرار العلوية / تأليف السيّد عادل العلوي. ـ قم : المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد، ١٤٢١ ق. = ٢٠٠٠ م. = ١٣٧٩.
٣٠ ص. ـ (موسوعة رسالات إسلامية)
ISBN 964 - 5915 - 45 - 7
فهرستنويسی بر اساس اطلاعات فيپا.
عنوان ديگر : رسالة البارقة الحيدرية في الأسرار العلويّة.
عربی.
كتابنامه به صورت زيرنويس.
١. علي بن أبي طالب (عليه السلام)، امام اول، ٢٣ قبل از هجرت ـ ٤٠ ق. ـ فضايل. ٢. غلاة شيعة.
الف. عنوان. ب. عنوان : رسالة البارقة الحيدرية في الأسرار العلويّة.
٢ ب ٧٧ ع / ٤ / BP ٣٧ ‏ ‏ ‏ ٢٩٧ / ٩٥١
كتابخانهٔ ملی ايران ‏ ‏ ‏ ٢٢٠٣١ ـ ٧٩ م

موسوعة

رسالات إسلامية

رسالة
البارقة الحيدريّة في الأسرار العلويّة
تأليف ـ السيّد عادل العلوي

نشر ـ المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد
إيران، قم، ص. ب ٣٦٣٤
الطبعة الأولى ـ ١٤٢١ هجري قمري
التنضيد والإخراج الكومبيوتري ـ حكمت، قم
المطبعة ـ النهضة، قم

شابك ٧ ـ ٤٥ ـ ٥٩١٥ ـ ٩٦٤ ‏ ‏ ISBN 964 - 5915 - 45 - 7
ای. ای. ان. ٩٧٨٩٦٤٥٩١٥٤٥٠ ‏ ‏ EAN 9789645915450
شابك X ـ ١٨ ـ ٥٩١٥ ـ ٩٦٤ (دورة ١٠٠ جلد) ‏ ‏ 964 - 5915 - 18 - X (100 - Vol. Set)

البارقة الحيدريّة[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمّد وآله الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم ومنكري فضائلهم من الآن إلى قيام الدين.

أمّا بعد:

فاعلم أنّ الحديث والكلام عن أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين أسد الله الغالب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام من الأمر الصعب المستصعب الذي لا يتحمّله إلّا ملك مقرّب أو نبيّ مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه بالإيمان، فإنّ ابن عمّ الرسول وزوج البتول إمام المتّقين ويعسوب الدين عليّ عليه السلام إنّما هو سرّ الله وسرّ الأسرار، وإنّه جوهرة الوجود قد صنعها الله سبحانه وتعالى بيدي العلم والقدرة، وصاغها النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله بروحه النوريّة ونفسه الملكوتية، بل

---

(١) هذه الرسالة مقدّمة لكتاب (الأسرار العلويّة) بقلم الشيخ محمّد فاضل المسعودي دام مجده.

المولى الأمير عليه السلام هو شجرة التوحيد[1] في دوحة الوجود، قد غرسها الله سبحانه بيد المجد والعظمة، وسقاها النبيّ المصطفى محمّد صلى الله عليه وآله بأنواره اللاهوتيّة وأسراره القدسيّة، وإنّ الخلق ليعجز عن جمال معرفته، وكشف سرّ من أسراره، أو بيان كنهه وحقيقته، فإنّه سرّ الوجود والموجود، بل سرّ السرّ الذي لا يقف على فتح كنوزه وخزائنه إلّا خالقه وربّه الذي فيه تجلّى وظهر، لا يعرفه حقّ المعرفة إلّا خاتم الأنبياء والمرسلين محمّد صلى الله عليه وآله، وقد اشتهر في الحديث النبويّ الشريف: «يا عليّ لا يعرفك إلّا الله وأنا» وما معرفة الخلق لعليّ إلّا كقطرة من بحار مواجّة ومتلاطمة، بل نداوة سحر على زهرة حمراء من محيط لا يدركه البصر.

فلو كانت السماوات والأرضين قراطيس، وكانت البحار مداداً، والأشجار أقلاماً، والملائكة والإنس والجنّ كُتّاباً، على أن يكتبوا فضائل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام لعجزوا عن ذلك، فكيف لو أرادوا أن يفتحوا سرّاً من حقيقته المكنونة وولايته العظمى؟! فإنّ الله سبحانه وتعالى هو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، لا ثاني له في مقام الواحديّة، ولا تركيب فيه في مقام الأحديّة، فإنّه ليس بجسم وإلّا للزم التركيب والاحتياج والإمكان الذي يتنافى مع كونه عزّ وجلّ واجب الوجود لذاته بذاته في ذاته، إلّا أنّه لو[2] كان لله عزّ وجلّ أن يتجسّد ولن يتجسّد، لتجسّد في مثل مولانا الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وقد ورد نظير هذا في إذن الدخول على الأئمة

---

(١) إشارة إلى الحديثين الشريفين: «لا إله إلّا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي» و «ولاية عليّ بن أبي طالب حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي»، ومع حذف الحدّ الوسط المتكرّر تكون النتيجة: كلمة التوحيد ولاية عليّ عليه السلام.

(٢) «لو» حرف امتناع، كما في النحويات والأدب العربي.

الأطهار عليهم السلام، كما أنّهم نور واحد وكلّهم محمّد كما ورد: «أوّلنا محمّد، أوسطنا محمّد، وآخرنا محمّد، كلّنا محمّد»[١] وقد ورد عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله: «عليّ منّي وأنا من عليّ» فكلاهما من شجرة واحدة ومن نور واحد[٢]، وهذا يعني أيضاً أنّ (أوّلهم عليّ، وأوسطهم عليّ، وآخرهم عليّ، وكلّهم عليّ)، كلّهم شؤونات متجلّية حسب الظروف والزمان للحقيقة المحمّدية الواحدة التي تجلّت في الأنبياء والأوصياء والأولياء.

وأمّا الذي ورد في إذن الدخول فإليك المقطع التالي شاهداً: «... والحمد لله الذي مَنَّ علينا بحكّام يقومون مقامه لو كان حاضراً في المكان ولا إله إلّا الله»[٣]، وفي الزيارة الرجبيّة عن مولانا صاحب الأمر عليه السلام: «المأمونون على سرّك... لا فرق بينك وبينهم إلّا أنّهم عبادك...»[٤].

هذا وربما يتبادر إلى ذهن بعض القرّاء أنّ مثل هذه المقولات، وكذلك ما يذكر من فضائل أهل البيت عليهم السلام ومقاماتهم القدسيّة وفيضهم الأقدس، إنّما هو من الغلوّ المنهيّ عنه.

فإنّه ورد عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «هلك فيَّ رجلان: محبٌّ غالٍ، ومبغضٌ قال»[٥].

---

(١) بحار الأنوار ٢٦ : ٣.

(٢) راجع إحقاق الحقّ وتعليقاته. فإنّ الروايات عن كتب العامّة فضلاً عن كتب أصحابنا الإماميّة.

(٣) مفاتيح الجنان لخاتم المحدّثين الشيخ عبّاس القمّي : ٣١٢.

(٤) مفاتيح الجنان : ١٣٤.

(٥) نهج البلاغة : الحكمة ١١٧.

وقال عليه السلام: «نحن النمرقة الوسطى[1]، بنا يلحق التالي، وإلينا يرجع الغالي»[2].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: صنفان من أُمّتي لا نصيب لهم في الإسلام: الناصب لأهل بيتي حرباً، وغالٍ في الدين مارقٍ منه[3].

وقال صلى الله عليه وآله مخاطباً أمير المؤمنين عليه السلام: يا عليّ مَثَلك في أُمّتي مثل المسيح ابن مريم، افترق قومه ثلاث فرق: فرقة مؤمنون وهم الحواريون، وفرقة عادوه وهم اليهود، وفرقة غلوا فيه فخرجوا عن الإيمان، وإنّ أُمّتي ستفترق فيك ثلاث فرق: ففرقة شيعتك وهم المؤمنون، وفرقة عدوّك وهم الشاكّون، وفرقة غلوا فيك وهم الجاحدون، وأنت في الجنّة يا عليّ وشيعتك ومحبّو شيعتك، وعدوّك والغالي في النار[4].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: اللهمّ إنّي بريء من الغلاة كبراءة عيسى بن مريم من النصارى، اللهمّ اخذلهم أبداً ولا تنصر منهم أحداً.

قال الصادق عليه السلام: احذروا على شبابكم الغلاة لا يفسدوهم، فإنّ الغلاة شرّ خلق الله يصغّرون عظمة الله ويدّعون الربوبية لعباد الله، والله إنّ الغلاة لشرّ من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا.

ثمّ قال عليه السلام: إلينا يرجع الغالي فلا نقبله، وبنا يلحق المقصّر فنقبله. فقيل

---

(١) النمرقة: الوسادة.

(٢) نهج البلاغة: الحكمة ١٠٩.

(٣) الوسائل ١٤: ٤٢٦.

(٤) البحار ٢٥: ٢٦٥.

له : كيف ذلك يا بن رسول الله ؟ قال عليه‌السلام : الغالي قد اعتاد ترك الصلاة والزكاة والصيام والحجّ، فلا يقدر على ترك عادته وعلى الرجوع إلى طاعة الله عزّ وجلّ أبداً، وإنّ المقصّر إذا عرف عمل وأطاع[1]... وهناك أحاديث كثيرة في هذا المضمار لم نتعرّض لها طلباً للاختصار.

ولكن لا بدّ لنا من توضيح معنى الغلوّ ومعرفة الغلاة ولو على نحو الإشارة والإجمال وبمقدار ما يناسب هذه العجالة، حتّى يتبيّن الحقّ، ويعلم أنّ ما يقال ونقول فيهم ليس إلّا قطرة من بحار مقاماتهم الشامخة، وإنّما هو بمقدار عقولنا ووجودنا، لا بمقدار ما هم عليه، فإنّه في عالم الإمكان والممكنات لا يقاس بهم أحد، وأنّهم دون الخالق وفوق المخلوق في كلّ عوالمهم ومعالمهم ومقاماتهم الرفيعة.

---

(١) المصدر ٢٥ : ٢٦٩.

ما هو الغلوّ ؟ ومن هم الغلاة ؟[1]

اعلم أنّ الغلاة فِرَق حُسبت على الشيعة في كتب الملل والنحل، وشيعة أهل البيت عليهم السلام ـ تبعاً لأئمتهم الأطهار عليهم السلام ـ براء منهم، والغلاة إنّما ظهرت في عصر الأئمة الأطهار عليهم السلام من أجل حبّ الجاه والمقام والإباحية ومآرب أُخرى، ثمّ حملت عقائد فاسدة من أُلوهية عليّ والأئمة الأطهار عليهم السلام أو نبوّتهم، أو نسبت الصفات الإلهية إليهم استقلالاً وبالذات، إلّا أنّ الأئمة عليهم السلام أنكروا عليهم ذلك غاية الإنكار، ولعنوهم أشدّ اللعن، وتبرّأوا منهم، وحذّروا الشيعة من مفاسدهم وخطرهم وألاعيبهم، ومن بعدهم عليهم السلام تصدّى علماؤنا الأعلام في مصنّفاتهم ومواقفهم الحاسمة ضدّ تيّارات الغلاة وإلى يومنا هذا.

ولا يخفى أنّ أساس الفِرَق كما هو مذكور في كتب الملل والنحل، إنّما يرجع إلى الجهل وحبّ الدنيا وزخارفها من حبّ الرئاسة والإطراء والسمعة وغير ذلك.

وقد ورد في الحديث النبويّ الشريف المشهور عند الفريقين السنّة والشيعة

---

(١) أشرت إلى ذلك بالتفصيل في رسالة (ماذا تعرف عن الغلوّ والغلاة ؟)، فراجع.

أنّه: «ستفترق أُمّتي ثلاث وسبعين فرقة، وكلّها هالكة إلاّ واحدة»، فعند العامّة: «ما عليه أنا وأصحابي»، وهذا مردود لاختلاف الأصحاب فيما بينهم، وكذلك ما ورد في بعض الأخبار: «ما عليه الجماعة»، فإنّهم لم يتّفقوا على كلمة واحدة، ولا يصحّ صحّة الروايات جميعاً لاختلافها، فيبقى ما ورد فيها كلمة «أهل البيت عليهم السلام»، وإنّ الداني والقاصي ليشهد بفضلهم ومقامهم السامي، كما يدلّ على صحّة ذلك العقل والنقل من الآيات القرآنية، كآية التطهير والولاية، وكذلك الأحاديث الثابتة المتواترة كحديث الثقلين والغدير والسفينة وغيرها.

ثمّ المراد من السبعين وما زاد ليس خصوص العدد، بل المراد الكثرة.

ومن الفرق الأساسية الشيعة، فمنهم من قسّمهم إلى الغالية والرافضة والزيدية، ومنهم إلى خمسة وعشرين فرقة، ومنهم من زاد حتّى أوصل فرق الغلاة إلى اثنتين وستّين، ومنهم إلى مئة فرقة، ومنهم من زاد. وإنّما تكثّرت فرق الغلاة لعلل وأسباب مذكورة في محلّها، وتسمّت بأسماء باعتبار عقائدها الفاسدة، أو أصحابها وروّادها الأوائل.

والغلوّ على وزن فعول مصدر (غلى يغلو)، وهو لغةً: بمعنى الإفراط والارتفاع وتجاوز الحدّ في كلّ شيء والخروج عن القصد، ولو زاد ثمن المتاع عن المتعارف في الأسواق فإنّه يُسمّى (غالياً)، وإن تجاوز العصير عند إسخانه عن حدّه يعبّر عنه بالغليان، والسهم الذي يتجاوز القوس يسمّى بالغَلو، ومنه (غلوة سَهم)، فتستعمل كلمة الغلوّ فيما يتجاوز عن حدّه مع الإفراط، وربما يستعمل مع التفريط أيضاً.

وقد ذكر الغلوّ في القرآن الكريم في أربع مواضع، في آيتين بمعنى الغلوّ في الدين، وفي آية بمعنى الفوران والغلي في وصف شجرة الزقّوم، واستعمل في

الروايات والأخبار بالمعنيين أيضاً.

والمراد من الغلوّ اصطلاحاً هو المروق والخروج عن الدين والانحراف عن مذهب الحقّ باعتقاد الإلوهيّة في شخص أو حلول الله فيه، ويسمّى بالغلوّ في الذات، أو اعتقاد من لم يكن نبيّاً أنّه نبيّ، أو نسبة الأوصاف الإلهية كالعلم الذاتي المطلق والخالقية والرازقية على نحو الاستقلال وبالذات لغير الله، ويسمّى: الغلوّ في الصفات.

فينقسم الغلوّ حينئذٍ إلى قسمين: الغلوّ في الذات والغلوّ في الصفات، وكان الغلوّ بقسميه في الأُمم السابقة قبل الإسلام كما كان بعده، فمن يرى الأُلوهيّة في شخص كالعزير بن الله عند اليهود، أو المسيح عيسى كما عند النصارى، أو عليّ بن أبي طالب كما عند الغلاة، فهذا من الغلوّ في الذات، ومن يرى الصفات الإلهيّة على نحو الاستقلال وبالذات لواحد من البشر، فهذا من الغلوّ في الصفات، ولكن من يرى ذلك لشخص في طول الله لا في عرضه حتّى يلزم الشرك، وأنّه بإذنه وبالتبع لإرادته سبحانه، كأن يخلق من الطين طيراً بإذن الله عزّ وجلّ، فهذا من الحقّ الحقيق ودونه من التقصير والتفريط. وما نقوله في أئمّتنا عليهم السلام إنّما هو من هذا الباب.

الغلوّ في الصفات

ثمّ الغلوّ في الصفات قد اختلف علماؤنا الأوائل في بطلانه، وفي بداية الغيبة الكبرى وقع نزاع بين مدرستين:

١ ـ المدرسة البغدادية: التي تتمثّل بالفقهاء الفطاحل والمحدّثين الكبار كالشيخ الكليني والشيخ المفيد وشيخ الطائفة وعلم الهدى عليهم الرحمة، وغيرهم، والتي كانت تجابه مدارس العامّة ومذاهبهم الذين انحرفوا بالانحراف التفريطي وقصّروا في حقّ أهل البيت عليهم السلام، حيث أزاحوهم عن مراتبهم الحقّة، وخلافتهم الصادقة.

٢ ـ المدرسة القمّية: والتي تتمثّل بالمحدّثين، ومنهم الشيخ الصدوق وشيخه ابن الوليد عليهم الرحمة، وقد ابتلوا آنذاك بالغلاة والانحراف الإفراطي.

ثمّ كان محور النزاع بين المدرستين حول علم الإمام وعصمته، وبعض مقاماته الغيبية.

فالشيخ الصدوق يرى من لم يعتقد بسهو النبيّ فهو من الغلاة، ومن يقول بالشهادة الثالثة في أذانه فهو من المفوّضة وهم طائفة من الغلاة، ولكنّ المدرسة البغدادية ترى القول بذلك من التقصير في الاعتقاد، بل يجوز عندهم كما هو

الحقّ، أن يقال في حقّ أئمة أهل البيت عليهم السلام كلّ شيء إلّا الربوبيّة، كما ورد عنهم عليهم السلام: «نزّلونا عن الربوبيّة وقولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوا»[١]، ففي علم الإمام تذهب المدرسة البغدادية إلى أنّه يعلم الإمام عليه السلام بما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة، إلّا أنّه لا على نحو الاستقلال وبالذات، بل بإذن من الله سبحانه، فعلمهم من العلم الإمكاني وإنّه رشحة من رشحات العلم الإلهي الوجوبي المطلق، فشذّ الشيخ الصدوق ببعض معتقداته، حتّى اشتهر بين علمائنا الأعلام خلال ألف عام، أنّ القول بسهو الصدوق في هذا الباب أولى من القول بسهو النبيّ صلى الله عليه وآله، فأمسى ما يعتقده الشيخ الصدوق عليه الرحمة في سهو النبيّ وفي الشهادة الثالثة من الشاذّ النادر، والنادر كالمعدوم لا وقع له.

---

(١) ذكرت تفصيل ذلك في رسالة (جلوة من ولاية أهل البيت عليهم السلام)، مطبوع في المجلّد الخامس من موسوعة (رسالات إسلامية)، فراجع.

وقفة مع بعض المنحرفين

لقد ذكرنا أنّ من فرق الغلاة (المفوّضة) القائلون بأنّ الله سبحانه قد فوّض الأمر والخلق إلى الأئمة الأطهار على نحو الاستقلاليّة وأوّلاً وبالذات، وكانت مدرستهم رائجة في إيران في عصر شيخنا الصدوق ﷺ، وقد انبرت المدرسة القمّية وعلى رأسها الشيخ الصدوق لمحاربة الغلاة بفرقها الضالّة، ومنهم المفوّضة آنذاك، وكان من شعارهم وجوب الشهادة الثالثة في الأذان والإقامة كما يظهر من ردّ الصدوق العنيف، ومن الواضح أنّ من يقول بالوجوب والجزئية آنذاك فإنّه قد خالف الإجماع وما عليه المشهور، والشيخ الصدوق يرى القول بالوجوب من مثل المفوّضة الغلاة بدعة وضلال، ويعلم أنّه إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه، فأنكر عليهم مذهبهم المنحرف غاية الإنكار، انطلاقاً من إنكار قولهم بالجزئية في الشهادة الثالثة بصورة خاصّة.

ثمّ علمائنا الأعلام تلامذة الصدوق ومن عصر شيخنا المفيد وشيخنا الطوسي شيخ الطائفة وسيّدنا علم الهدى السيّد المرتضى عليهم الرحمة، وإلى يومنا هذا ـ أي أكثر من ألف سنة ـ أجمعوا على صحّة الأذان والإقامة بالشهادة الثالثة، إلّا أنّه لا بقصد الجزئيّة، تمسّكاً بالأدلّة الفقهيّة العامّة الدالّة على ذلك، كما

هو ثابت في محلّه[1].

إلّا أنّه وللأسف الشديد أخيراً ظهرت بعض النعرات الضالّة والمضلّة من حناجر أصحاب النفوس الضعيفة، التي تحبّ الشهرة والظهور بين الناس ولو على حساب الدين والمذهب والمقدّسات ـ فكانوا كالذي أراد أن يشتهر بين الناس بأيّ ثمن كان، فأشاروا إليه ـ معذرةً ـ أن يبول في بئر زمزم، فإنّ هذا البئر مقدّس عند جميع المسلمين، ومن يفعل تلك الشنيعة فإنّه سرعان ما يشتهر بين الناس ـ

---

(١) جاء في كتاب (القطرة من بحار مناقب النبي والعترة) للعلّامة السيّد أحمد المستنبط، المجلّد الأوّل، الصفحة ٣٦٨: قال:

ثمّ إنّي أختم هذا الباب (الباب الثامن) بذكر تشهّد الصلاة للصادق عليه السلام حيث اشتهر في ألسنة بعض الناس إنكار الشهادة بالولاية في الأذان والإقامة مع ما ورد في خبر القاسم بن معاوية المروي عن احتجاج الطبرسي عن أبي عبد الله عليه السلام: «إذا قال أحدكم لا إله إلّا الله محمّد رسول الله فليقل عليّ أمير المؤمنين وليّ الله» غافلاً عن كونها جزءاً من الصلاة استحباباً على ما روي عن الصادق عليه السلام، وإنّما أورد الرواية لندرة وجودها وشرافة مضمونها، وكثرة فوائدها في زماننا هذا لمن تدبّر فيها، حتّى أنّ العلّامة النوري رحمه الله غفل عنها فلم ينقلها في المستدرك، والرواية مذكورة في رسالة معروفة بفقه المجلسي رحمه الله مطبوعة في صفحة (٢٩) ما هذا لفظه: ويستحبّ أن يزاد في التشهّد ما نقله أبو بصير عن الصادق عليه السلام وهو: (بسم الله وبالله والحمد لله وخير الأسماء كلّها لله أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، أرسله بالحقّ بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، وأشهد أنّ ربّي نعم الربّ، وأنّ محمّداً نعم الرسول، وأنّ عليّاً نعم الوصيّ ونعم الإمام، اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد وتقبّل شفاعته في أُمّته وارفع درجته، الحمد لله ربّ العالمين).

ولا يخفى أنّ علماءنا الأعلام قد صنّفوا وألّفوا في الشهادة الثالثة مؤلّفات كثيرة وبلغات مختلفة، وحتّى ذهب بعض إلى جزئيّتها في الأذان.

كذلك ضعاف النفوس ومن كان في قلبه مرض فزاده الله مرضاً، وأصحاب العقول الهزيلة، طلباً للشهرة ولما عندهم من العقد النفسيّة، والنفوس المريضة، اختاروا تهديم مقدّسات الأُمّة وعقائدهم الثابتة بنقدهم الهدّام وبالتشكيك والتضليل بتلاعب الألفاظ والتزوير واتّباع المتشابهات، ومنها مقولة الشيخ الصدوق عليه الرحمة، وهو يجهل تلك الظروف الخاصّة وشأن صدور تلك المقولة، وإنّي لأعلم أنّ بعض من يتمسّك بكلام الصدوق عليه الرحمة لا يؤمن بالشيخ نفسه أبداً، وإنّه يتغافل ـ لما في قلبه من مرض ـ عن الإجماع المحقّق بعد الشيخ وإلى يومنا هذا، فهو كالسامري سوّلت له نفسه ليضلّ الناس، فيتبجّح بمقولة الشيخ الصدوق في الشهادة الثالثة. فما الحيلة لمن كان قلبه مريضاً، وعقله سقيماً، وأساء السوء حتّى كذّب بآيات الله سبحانه، فيترك الأمر المحكم والبيّن الواضح كوضوح الشمس في رائعة النهار، ويختار المتشابه ليضلّ به البسطاء والسذّج من الناس. ولكن فليعلم أنّ الله لبالمرصاد، وأنّ الصبح لقريب، وأنّ الساعة لآتية لا ريب فيها، فيتميّز الخبيث من الطيّب، وأهل النار من أهل الجنّة.

وتبقى صرخة (أشهد أنّ عليّاً وأولاده المعصومين حجج الله) على المآذن في كلّ ربوع الأرض، رغماً على الأعداء والخصماء.

سيبقى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وصوته الحقّ واسمه المبارك يدوّي على المآذن في عالم الوجود وفي الكون الرحب الوسيع، وإنّ الله ليتمّ نوره، وهو عليّ ابن أبي طالب عليه السلام، ولو كره المشركون والمنحرفون.

واعلم أيّها الضالّ المنحرف عن الحقّ ـ عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ ـ إنّك لتحتاط جهلاً بعدم ذكر الشهادة الثالثة في أذانك وإقامتك، إلّا أنّ الأحوط عندنا في خلافه، فإنّ الشهادة الثالثة التي هي روح الأذان والإقامة، قد أصبحت شعاراً

للمؤمنين الموالين لمذهب أهل البيت عليهم السلام ، وإنّهم يـفدون الرقـاب من أجـل الولاية، وهيهات هيهات أن تمحو ـأنت ومن مثلك وفي خطّك ـ اسمه الشريف ولو كان بعضكم لبعضٍ ظهيراً، فإنّ الله ليتمّ نوره، ولو كره الضالّون والمضلّون.

وإنّي لأترفّع أن أقصد بكلامي هذا شخص خاصّ، بل مقصودي بيان الحقّ الحقيق وإنارة الطريق، ودعوة الناس جميعاً إلى أن يعرفوا الحقّ بالحقّ، ويعرفوا الرجال بالحقّ، لا الحقّ بالرجال، فاعرف الحقّ تعرف أهله، والذين جاهدوا في الله خالصاً، فإنّه سيهديهم السُّبل والصراط المستقيم.

اهدنا الصراط المستقيم

قد ورد في الصحيح عند الفريقين ـ السنّة والشيعة[1] ـ أنّ الصراط المستقيم هو ولاية أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام. والمؤمن في كلّ صلاة وفي فاتحة الكتاب يدعو ويطلب من ربّه أن يهديه الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين.

﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً ﴾[2].

والصراط يتمثّل في عبادة الله أيضاً فإنّه من مصاديقه:

﴿ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾[3].

كما يطلق على الدين الإسلامي الحنيف:

---

(١) راجع في ذلك كتاب (إحقاق الحقّ وتعليقاته) لسيّدنا الأُستاذ السيّد النجفي المرعشي قدس سره ٧: ١١٤ ـ ١٢٥، وكتاب بحار الأنوار لشيخنا العلّامة المجلسي قدس سره ٢٤: ٩ ـ ٢٥.

(٢) النساء: ٦٩.

(٣) يس: ٦١.

﴿ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً ﴾[1].

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[2].

وبالصراط المستقيم يصل العبد إلى سعادة الدارين :

﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ ﴾[3].

ولا يخفى أنّ الصراط صراطان : صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة، وأحدهما يعبّر عن الآخر، وبينهما تلازم في العلم والعمل.

عن المفضّل بن عمر قال : «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الصراط فقال : هو الطريق إلى معرفة الله عزّ وجلّ، وهما صراطان : صراط في الدنيا وصراط في الآخرة، فأمّا الصراط الذي في الدنيا فهو الإمام المفروض الطاعة، من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مرّ على الصراط الذي هو جسر جهنّم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلّت قدمه عن الصراط في الآخرة فتردّى في نار جهنّم»[4].

والإمام السجّاد يعرّف المصداق الأتمّ للصراط المستقيم في قوله عليه السلام : «ليس بين الله وحجّته ستر، نحن أبواب الله، ونحن الصراط المستقيم، ونحن عيبة علمه، ونحن تراجمة وحيه، وأركان توحيده، وموضع سرّه»[5].

عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : سألته عن قول الله

---

(١) الأنعام : ١٦١.

(٢) آل عمران : ٨٥.

(٣) الأنعام : ١٥٣.

(٤) البحار ٨ : ٦٦.

(٥) البحار ٨ : ٧٠.

عزّ وجلّ: ﴿ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾[١]، قال: والله عليّ عليه السلام هو والله الميزان والصراط المستقيم[٢].

عن أبي عبد الله في حديث، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى لو شاء لعرّف العباد نفسه، ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله والوجه الذي يؤتى منه، فمن عدل عن ولايتنا، أو فضّل علينا غيرنا فإنّهم عن الصراط لناكبون[٣].

﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَإِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ﴾[٤].

ومن نكب عن الصراط المستقيم فإنّه في جهنّم داخراً وبئس المهاد.

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: الصراط الذي قال إبليس (لأقعدنّ لهم الصراط المستقيم)، فهو عليّ عليه السلام[٥].

فالشيطان منذ اليوم الأوّل أقسم بعزّة الله سبحانه أنّه يغوي ويضلّ الناس جميعاً إلّا عباد الله المخلصين، وقليل من عباد الله المخلصين، فارتدّ الناس بعد رسول الله عن ولاية أمير المؤمنين ويعسوب الدين أسد الله الغالب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلّا القليل، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله في ولايته وحقّه: «فوعزّة ربّي

---

(١) الحجر: ٤١.

(٢) تفسير البرهان ٢: ٣٤٤.

(٣) الكافي ١: ١٨٤.

(٤) المؤمنون: ٧٣ـ ٧٤.

(٥) شواهد التنزيل ١: ٦١.

وجلاله إنّه لباب الله الذي لا يؤتى إلّا منه، وإنّه الصراط المستقيم، وإنّه الذي يسأل الله عن ولايته يوم القيامة»(١).

وقال ﷺ: أتاني جبرئيل عليه السلام فقال: أُبشّرك يا محمّد بما تجوز على الصراط؟ قال: قلت: بلى، قال: تجوز بنور الله، ويجوز عليّ بنورك، ونورك من نور الله، وتجوز أُمّتك بنور عليّ، ونور عليّ من نورك ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلْ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾(٢).

وقال ﷺ: إذا كان يوم القيامة ونصب الصراط على جهنّم لم يجز عليه إلّا من كان معه جواز فيه ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وذلك قوله تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾(٣)، يعني عن ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام(٤).

وقال ﷺ: إذا جمع الله الأوّلين والآخرين يوم القيامة ونصب الصراط على جسر جهنّم لم يجز بها أحد إلّا من كانت معه براءة بولاية عليّ ابن أبي طالب عليه السلام(٥).

وفي حديث وكيع، قال أبو سعيد: يا رسول الله، ما معنى براءة عليّ عليه السلام؟ قال: لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، عليّ وليّ الله(٦).

---

(١) المصدر ١ : ٥٩.

(٢) النور : ٤٠.

(٣) الصافّات : ٢٤.

(٤) البحار ٨ : ٦٩.

(٥) فرائد السمطين ١ : ٢٩٨.

(٦) مناقب آل أبي طالب ٢ : ١٥٦.

وقال ﷺ في حديث طويل: وإنّ ربّي عزّ وجلّ أقسم بعزّته أنّه لا يجوز عقبة الصراط إلّا من معه براءة بولايتك وولاية الأئمة من ولدك.

وعنه ﷺ: إذا كان يوم القيامة يقعد عليّ بن أبي طالب على الفردوس ـ وهو جبل قد علا على الجنّة فوقه عرش ربّ العالمين، ومن سفحه تنفجر أنهار الجنّة وتتفرّق في الجنان ـ وهو جالس على كرسي من نور يجري بين يديه التسنيم، لا يجوز أحد الصراط إلّا ومعه براءة بولايته وولاية أهل بيته، يشرف على الجنّة فيدخل محبّيه الجنّة ومبغضيه النار[1].

عن أبي عبد الله عليه السلام: (ربّنا آمنّا واتّبعنا مولانا ووليّنا وهادينا وداعينا وداعي الأنام وصراطك المستقيم السويّ، وحجّتك وسبيلك الداعي إليك على بصيرة هو ومن اتّبعه، سبحان الله عمّا يشركون بولايته وبما يلحدون باتّخاذ الولائج دونه، فاشهد يا إلهي أنّه الإمام الهادي المرشد الرشيد عليّ أمير المؤمنين الذي ذكرته في كتابك وقلت: ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[2] لا أُشركه إماماً ولا أتّخذ من دونه وليجة)[3].

فحقيقة الصراط المستقيم وسرّه هو ولاية أمير المؤمنين عليّ وأولاده الأئمة المعصومين الأحد عشر عليهم السلام، وولايتهم تمثّل ولاية الرسول الأعظم خاتم الأنبياء محمّد ﷺ، وإنّ ولايتهم جميعاً تمثّل ولاية الله العظمى جلّ جلاله، وبهذه الولاية وتجلّياتها وظهوراتها وشؤونها يصل الإنسان إلى سعادة الدارين.

---

(١) فرائد السمطين ١ : ٢٩٢.

(٢) الزخرف : ٤.

(٣) البحار ٢٤ : ٢٣.

قال الإمام الصادق عليه السلام: الصراط المستقيم أمير المؤمنين عليه السلام.

وقال أمير المؤمنين مولانا الإمام عليّ عليه السلام: أنا الصراط الممدود بين الجنّة والنار، وأنا الميزان.

فسلام الله أبد الآبدين على الصراط المستقيم والميزان القويم، مولانا أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، الذي أخذ الله ميثاق النبيّين والوصيّين والأولياء الصالحين على ولايته وولاية أولاده الأئمة الطاهرين عليهم السلام.

أمير المؤمنين عليّ عليه السلام سرّ النبوّة

عن أبي الحسن عليه السلام قال: ولاية عليّ عليه السلام مكتوبة في جميع صحف الأنبياء، ولن يبعث الله نبيّاً إلّا بنبوّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وولاية وصيّه عليّ عليه السلام.

فلا تتمّ النبوّة لنبيّ من آدم وما دونه إلّا أن يقرّ بنبوّة خاتم الأنبياء والمرسلين محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وولاية وصيّه وخليفته بلا فصل أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين عليّ عليه السلام.

وفي حديث المعراج قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لمّا أُسري بي في ليلة المعراج واجتمع عليّ الأنبياء في السماء، أوحى الله تعالى إليّ: سلهم يا محمّد، بماذا بعثتم؟ فقالوا: بعثنا على شهادة أن لا إله إلّا الله وحده، وعلى الإقرار بنبوّتك، والولاية لعليّ عليه السلام[1].

وفي حديث آخر عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لمّا أُسري بي إلى السماء إذا ملك قد أتاني فقال لي: يا محمّد ﴿ وَاَسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا ﴾[2] على ما بعثوا؟ قلت: يا معاشر الرسل والنبيّين، على ما بعثكم الله؟

---

(١) ينابيع المودّة ٢ : ٦٢

(٢) الزخرف : ٤٥.

قالوا : على ولايتك وولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام[١].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ما تكاملت النبوّة لنبيّ في الأظلّة حتّى عرضت عليه ولايتي وولاية أهل بيتي ومثلوا له فأُمروا بطاعتهم وولايتهم.

قال أبو جعفر عليه السلام : ولايتنا ولاية الله التي لم يبعث نبيّاً قط إلّا بها[٢].

وستقف أيّها القارئ الكريم على بعض معارف هذه الأحاديث الشريفة من خلال الكتاب القيّم (الأسرار العلويّة) وأنّه كيف كان أمير المؤمنين عليّ عليه السلام مع الأنبياء سرّاً ومع خاتمهم النبيّ المصطفى محمّد صلى الله عليه وآله جهراً.

واعلم أنّ ولايته عرضت على الخلق كلّه، على السماوات وما فيها، وعلى الأرض ومن عليها، فمنهم من قبل وآمن فتقرّب من الله، وكان من أهل الجنّة في مقعد صدق. ومنهم من أنكر وكفر كما كفر بالله وبرسوله الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله[٣]، فكان وقوداً لجهنّم وبئس المصير.

أجل إنّ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام قد اشتقّ اسمه المبارك من العليّ الأعلى سبحانه وتعالى، وقد تجلّى ربّه فيه، وظهرت أسماؤه الحسنى وصفاته العليا في وجوده المبارك، فكان خليفة الله في الأرض وفي عالم الوجود بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو سرّ الله في الكون.

ومن الجهل أن يُعرف ونثبت إمامته في مثل يوم الغدير فحسب، حتّى تنكر في مثل السقيفة الطاغية الظالمة. بل الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام إمام الخلق

---

(١) تأريخ دمشق ٢ : ٩٧.

(٢) بصائر الدرجات : ٨٥.

(٣) ذكرت تفصيل ذلك في كتاب (هذه هي الولاية) المجلّد الخامس من رسالات إسلامية، مطبوع، فراجع.

قبل خلق الخلق، وإنّه إمام الكلّ بالكلّ، وافتقار الكلّ إليه وغناه عن الكلّ بعد رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله، لدليل واضح وبرهان قاطع على أنّه إمام الكلّ بالكلّ. وهذه سنّة تكوينية ثابتة منذ بدء الخلق، ولن تجد لسنّة الله تبديلاً ولا تحويلاً، كما أنّها فريضة تشريعيّة بنصٍّ من الله ورسوله.

وفي حديث طويل عن الإمام الرضا عليه السلام في معرفة الإمام وأنّ اختياره بيد الله وبالنصّ[1]، قال: إنّ الإمامة هي منزلة الأنبياء وإرث الأوصياء، إنّ الإمامة خلافة الله وخلافة الرسول صلى الله عليه وآله ومقام أمير المؤمنين عليه السلام وميراث الحسن والحسين عليهما السلام، إنّ الإمامة زمام الدين ونظام المسلمين وصلاح الدنيا وعزّ المؤمنين، إنّ الإمامة أُسّ الإسلام النامي وفرعه السامي، بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحجّ والجهاد وتوفير الفيء والصدقات وإمضاء الحدود والأحكام ومنع الثغور والأطراف. الإمام يحلّ حلال الله ويحرّم حرام الله ويقيم حدود الله ويذبّ عن دين الله، ويدعو إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة والحجّة البالغة. الإمام كالشمس الطالعة المجلّلة بنورها للعالم وهي في الأُفق بحيث لا تنالها الأيدي والأبصار.

الإمام البدر المنير والسراج الزاهر والنور الساطع والنجم الهادي في غياهب الدجى وأجواز البلدان والقفار ولجج البحار. الإمام الماء العذب على الظماء والدالّ على الهدى والمنجي من الردى... الإمام المطهّر من الذنوب والمبرّأ عن العيوب، المخصوص بالعلم الموسوم بالحلم، نظام الدين وعزّ المسلمين وغيظ المنافقين وبوار الكافرين، الإمام واحد دهره لا يدانيه أحد، ولا يعادله عالم، ولا يوجد منه بدل ولا له مثل ولا نظير، مخصوص بالفضل كلّه من غير

---

(١) الكافي ١ : ٢٠٠.

طلب منه له ولا اكتساب، بل اختصاص من المفضّل الوهّاب.

فمن الذي يبلغ معرفة الإمام أو يمكنه اختياره، هيهات هيهات، ضلّت العقول وتاهت الحلوم وحارت الألباب وخسئت العيون وتصاغرت العظماء وتحيّر الحكماء وتقاصرت الحلماء وحصرت الخطباء وجهلت الألبّاء وكلّت الشعراء وعجزت الأُدباء وعييت البلغاء عن وصف شأن من شأنه، أو فضيلةٍ من فضائله، وأقرّت بالعجز والتقصير، وكيف يوصف بكلّه، أو ينعت بكنهه، أو يفهم شيء من أمره، أو يوجد من يقوم مقامه ويغني غناه. لا وكيف وأنّى ؟ وهو بحيث النجم من يد المتناولين ووصف الواصفين، فأين الاختيار من هذا ؟ وأين العقول عن هذا ؟ وأين يوجد مثل هذا ؟

أجل، سيّدي ومولاي هيهات هيهات للبشرية جمعاء أن تصف شأن من شأنكم ومن شأن جدّكم أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، أو فضيلة من فضلكم، أو يدرك شيء من أمركم وأسراركم كما هي ؟ لا كيف وأنّى وأنتم كواكب الوجود ونجوم الكون، وأين العقول عن هذا ؟ وأين يوجد مثل هذا ؟ ! !

سيّدي ومولاي، أيّها الإمام المفترض الطاعة والولاية، يا ثامن الحجج عليّ بن موسى الرضا عليك صلوات الله أبد الآبدين، كلّما نقول أو يقال من فضائلكم ومقاماتكم الشامخة، فإنّما هو معشار عشر، وواحد من مئة، وقطرة من بحار، ولمعة من شمس وضّاءة، وهل يمكن للبشر أن يكشف سرّ من أسراركم ؟ ! هيهات هيهات...

إلّا أنّه سيّدي ومولاي ووليّ نعمتنا، إذا كتبنا شيئاً فهو منكم وإليكم، وما الأسرار الفاطمية والعلوية وتتلوها المحمّدية والحسنية والحسينية وبقيّة الأئمة الأطهار عليهم السلام إن شاء الله، إلّا لطف من ألطافكم وكأس ماء من بحار علومكم ومعارفكم، وإنّها كلمات قد صاغتها يراع موالٍ ومتفانٍ في حبّكم ومودّتكم...

ختاماً

وما أسعدني أن أرى مرّة أُخرى أنّ الجهود قد أثمرت، حينما يفوح الولاء الخالص من يراع ولدنا قرّة العين فضيلة الأُستاذ الفاضل سماحة الحجّة الشيخ محمّد فاضل المسعودي دام موفّقاً، ودامت إفاضاته العلمية والعملية، ليتحف العالم الإسلامي والمكتبة العربية مرّةً أُخرى بكتاب بديع وقيّم، وقد قرأته بتمامه، وأبديت بعض التعليقات، ووجدته يحمل بين طيّاته الحبّ الخالص والولاء المتسامي لأهل البيت عليهم‌السلام، وفي طليعتهم مولانا وإمامنا أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين عليّ بن أبي طالب عليه‌السلام.

فما أسعدك أيّها المسعودي، فإنّك بالأمس جئتنا بكتاب قيّم قد فتح طريقه ليدخل في قلوب المؤمنين رغم الحسّاد والأعداء، وما أروع اسمه المبارك (الأسرار الفاطميّة) متحدّثاً عن نبذة من أسرار أُمّنا المظلومة الشهيدة سيّدة النساء فاطمة الزهراء عليها‌السلام، واليوم تقدّم كتاباً آخر باسم (الأسرار العلويّة) لتحدّثنا مرّةً أُخرى عن بعض أسرار سيّد المظلومين أمير المؤمنين عليّ عليه‌السلام، بمقدار وسعك وطاقتك البشرية، وإنّه لعمري ينبئ عن ودّك الشامخ وعطشك للولاء، فسقاك الله

من الرحيق المختوم، ومن حوض الكوثر، من يد جدّنا الأطهر أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين عليّ عليه السلام، وإنّي بكلّ خضوع وأدب أطلب منك الشفاعة لي ولإخوانك في الدين في ذلك اليوم العصيب، بما حباك الله من العلم النافع والرائع، وأعطاك من السريرة الطاهرة من أبوين كريمين.

وما أروع ما يقوله الوزير الصاحب بن عبّاد:

لا عذّب الله أُمّي إنّها شربتْ ... حبَّ الوصيّ وغذّتنيهِ باللَّبَنِ

وكان لي والدٌ يهوى أبا حسنٍ ... فَصِرتُ من ذي وذا أهوى أبا حسنِ

وأخيراً:

نادِ علياً مظهر العجائب[1] ... تجده عوناً لكَ في النوائب

كلّ همٍّ وغمٍّ سينجلي ... بولايتك يا علي يا علي يا علي

ثبّتني الله وإيّاك وجميع المؤمنين والمؤمنات بالقول الثابت، والتمسّك

---

(١) مظهر العجائب إمّا أن يقرأ (مُظهِر) ـ بضمّ الميم وكسر الهاء ـ أي الذي يُظهر العجائب في كلّ أبعاده الوجودية كقضاياه عليه السلام المشهورة في القضاء والحكم، أو (مَظْهَر) ـ بفتح الميم وفتح الهاء ـ كما هو المشهور بمعنى الذي ظهرت العجائب عليه كما ترى ذلك بوضوح في هذا الكتاب القيّم (الأسرار العلويّة) وربما بعض مباحثه يثقل فهمه على عامّة الناس، فالمفروض من أهل العلم والفضيلة شرح وتبسيط ذلك للناس، ولا بدّ من توعيتهم ورفع مستوى الثقافة الجماهيرية في المجتمع الشيعي الإسلامي، فإنّه ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «يأتي في آخر الزمان أقوام يتعمّقون»، وما في هذا الكتاب إنّما هو من المطالب العميقة والدقيقة، فلا بدّ من التأمّل والتدبّر وشرح وبيان ذلك لعامّة الناس، وجزاكم الله عن أهل البيت عليهم السلام خير الجزاء. العلوي.

بولاية أمير المؤمنين وأهل بيته الطاهرين، وجعل محيانا محياهم، ومماتنا مماتهم، وخلّقنا بأخلاقهم وآدابهم، ورزقنا الشهادة في سبيل ولائهم والبراءة من أعدائهم، وحشرنا في زمرة محمّد وآله، ورزقنا شفاعتهم آمين آمين لا أرضى بواحدةٍ حتّى يضاف إليه ألف آميناً، ورحم الله عبداً قال: آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

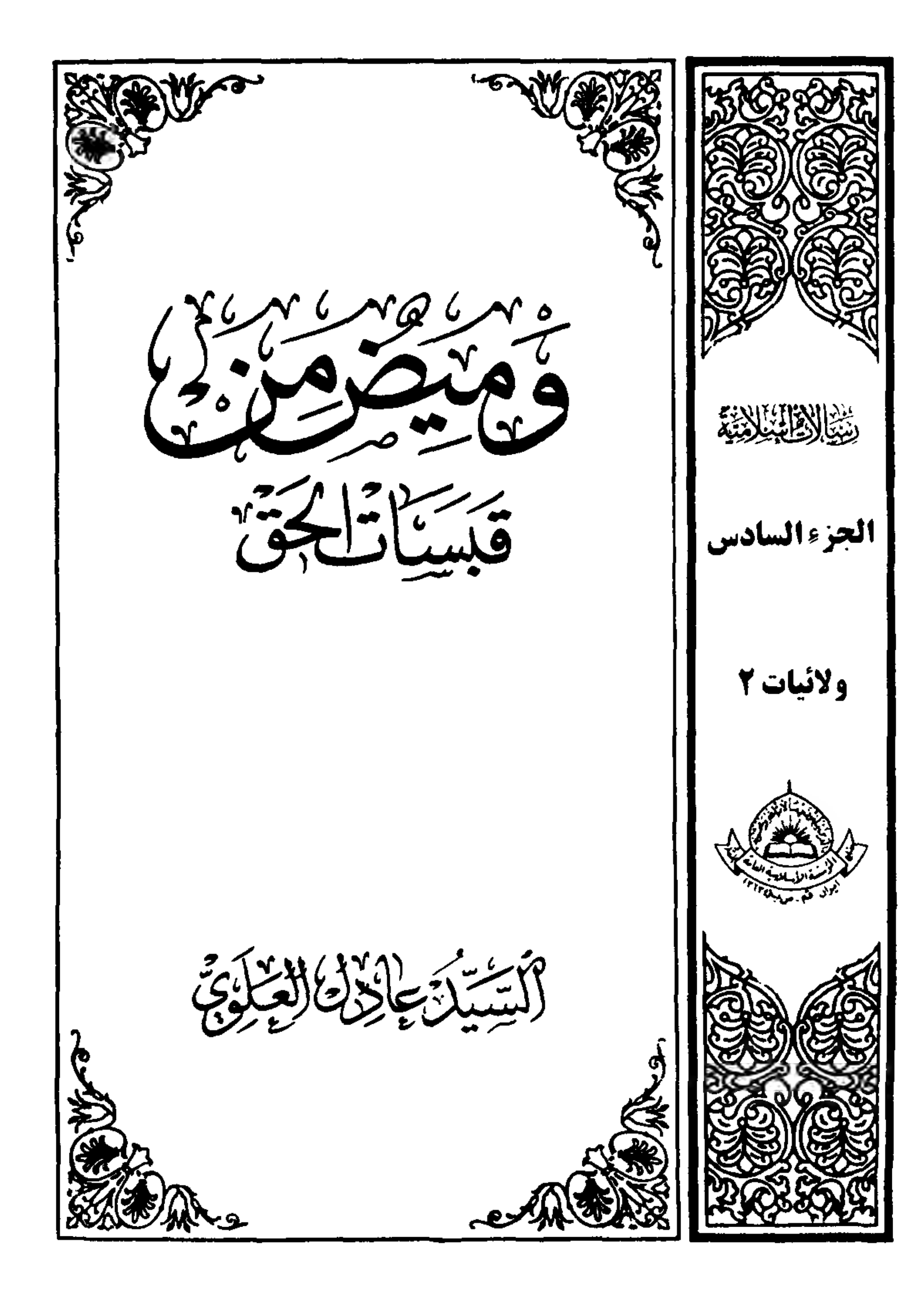
العبد

عادل العلوي

الحوزة العلمية ـ قم المقدّسة

٢٣ شعبان المعظّم ١٤٢١ هـ

فهرس المحتويات



وميض من
قبسات الحق
السيد عادل العلوي
رسالات إسلامية
الجزء السادس
ولائيات ٢

علوی، عادل، ١٩٥٥ ــ
وميض من قبسات الحقّ / تأليف السيّد عادل العلوي. ــ قم : المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد، ١٤٢٠ ق. = ١٣٧٨.
١٦ ص. ــ (موسوعة رسالات إسلامية)
ISBN 964 - 5915 - 11 - 2
فهرستنويسى بر اساس اطلاعات فيپا.
عنوان ديگر : رسالة وميض من قبسات الحقّ.
عربى.
كتابنامه به صورت زيرنويس.
١. على بن ابى طالب (ع)، امام اول، ٢٣ قبل از هجرت ـ ٤٠ ق. ــ اثبات خلافت. الف. عنوان ب.
عنوان : رسالة وميض من قبسات الحقّ.
٢٩٧ / ٤٥٢ BP ٢٢٣ / ٥ / ٨ و ٨٢ع
كتابخانة ملى ايران ٢٤٧٤٩ ــ ٧٨ م

موسوعة

رسالات إسلامية

***
***

رسالة

وميض من قبسات الحقّ

تأليف ـ السيّد عادل العلوي

نشر ـ المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد
إيران، قم، ص. ب ٣٦٣٤
الطبعة الثانية ـ ١٤٢٠ هجري قمري
المطبعة ـ النهضة، قم

شابك ٢ ـ ١١ ـ ٥٩١٥ ـ ٩٦٤ ISBN 964 - 5915 - 11 - 2
اى. اى. ان. ٩٧٨٩٦٤٥٩١٥١١٥ EAN 9789645915115
شابك X ـ ١٨ ـ ٥٩١٥ ـ ٩٦٤ (دوره ١٠٠ جلد) 964 - 5915 - 18 - X (100 - Vol. Set)

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة على سيّد الأنبياء والمرسلين محمّد وآله الطيّبين الطاهرين.

الإمامة أصلٌ من أُصول الدين الإسلامي المحمّدي الأصيل، وهي رئاسة وولاية عامّة في أُمور الدين والدنيا لشخص من الأشخاص نيابةً وخلافةً عن الرسول المختار، خاتم النبيّين وسيّد المرسلين محمّد ﷺ. فمستحقّها يعهد إليه الإمامة والخلافة والوصاية والولاية بنصّ جلي من الله العليّ ورسوله الأكرم لحفظ الشريعة، وبقائها، وديمومتها، ونشرها، وترويجها، وبثّها، وتبليغها، وبيانها.

ونعتقد بوجوبها عقلاً لما فيها من اللطف الواجب على الله سبحانه وتعالى، واللطف بمعنى ما يقرّب العبد إلى الطاعة ويُبعّده عن المعصية، إذ الوجدان السليم، والضمير الواعي، والعلم البديهي يقضي بأنّ العقلاء متى كان لهم أمير ورئيس يصدّهم عن الانحراف والضلال والظلم والجور والتجاوز، ويمنعهم عن المعاصي

---

(١) طبعت هذه الرسالة سنة ١٤١٠ هـ مقدّمةً لكتاب (عليّ عليه السلام في الكتاب والسنّة / المجلّد الأوّل) بقلم الحاجّ حسين الشاكري.

والذنوب والآثام والمنكرات والفساد، ويحثّهم على فعل الطاعات والعدل والإحسان، ويحرّضهم على التناصف وروح التعاون والعدالة الاجتماعيّة، ويحملهم على الوظائف الدينية والقواعد العقليّة، ويردعهم عن ما يوجب الاختلال في حياتهم، والويل والوبال في معادهم، فمتى كان لهم رئيس يهديهم إلى الصراط المستقيم، ويبشّرهم بالخير، ويحذّرهم من الشرّ، كانوا إلى الصلاح والطاعة أقرب، ومن الفساد والمعصية أبعد.

وهذا هو اللطف بعينه الواجب على الله سبحانه، وبه نقول بلزوم إرسال الرسل، وإنزال الكتب، والعدل الإلهي وكثير من المسائل والمفاهيم العقائديّة الإسلاميّة.

وكلّ ما دلّ على وجوب النبوّة فهو دالّ على وجوب وضرورة الإمامة، إذ هي فرع النبوّة، وخلافة عنها، وولاية بعدها قائمة مقامها، إلّا في شيء واحد، وهو تلقّي الوحي بلا واسطة.

فكما أنّ النبوّة واجبة على الله تعالى بالأدلّة العقليّة والنقليّة في الحكمة الإلهيّة القدسيّة، فكذلك الإمامة.

ولا يفوّض عهد الإمامة وأمر الخلافة إلى الناس، لما فيه من الاختلاف والضرر والتناحر والانقلاب على الأعقاب، وكلٌّ يجرّ النار إلى قرصته، ويقول: منكم أمير، ومنّا أمير، وتنتهي الإمارة والرئاسة إلى من كان أكثر نفراً وقوّة وبطشاً وجوراً وظلماً ودهاءً، وعنده العدّة والعدد.

فعلى الله ورسوله أن ينصّبا الإمام المعصوم، إذ لا بدّ أن يكون الإمام معصوماً كما كان النبيّ، ليحصل الوثوق بقوله، فيحصل الغرض من الإمامة، وإلّا يلزم نقض الغرض من البعثة والإمامة لو جوّزنا الكذب وعدم العصمة، فيلزم عدم الاتباع

والطاعة، وحاشا لله الحكيم القادر العليم أن ينقض غرضه، ويفعل ما ينافي غرض البعثة والإمامة.

ولو فعل الإمام المعصية ـ والعياذ بالله ـ فكيف ينكر عليه؟ ويلزم سقوطه من القلوب، وإن لم ينكر عليه لزم الإخلال بأمر النهي عن المنكر العامّ الذي يعمّ الإمام والمأموم.

كما يجب في النبيّ والإمام المعصومين كمال العقل، والذكاء، والفطنة، وقوّة الرأي، وعدم السهو والغفلة، وكلّما ينفر منه من دناءة الآباء، وعهر الأُمّهات، والغلظة، والغضاضة، وعن الأمراض المنفّرة، وكثير من المباحات الصارفة عن القبول منه، القادحة في تعظيمه.

فهو أفضل أهل زمانه، يجمع الصفات الحميدة، والسجايا الجيدة، ومكارم الأخلاق على نحوٍ أتمّ واكمل.

فهو أفضل الرعيّة مطلقاً، لأنّه مقدّم على الكلّ، واحتياج الكلّ إليه دليل على أنّه إمام الكلّ.

ولو كان في خلق الله سبحانه من هو أفضل منه، للزم تقديم المفضول على الفاضل، وهو قبيح عقلاً، إذ كيف يقدّم المبتدئ في علم المنطق مثلاً على المعلّم الأوّل أرسطو، كما هو قبيح سمعاً لقوله تعالى:

﴿ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلى الحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لا يَهِدِّي إلّا أَنْ يُهْدى ﴾[1].

فلا ينال عهد الإمامة من كان ظالماً، لم يكن فيه هذه الصفات والشرائط.

«الإمام زمام الدين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا، وعزّ الإسلام وأساسه

---

(١) يونس: ٣٥.

وفرعه السامي، وبالإمامة تمام الصلاة والزكاة والصيام والحجّ والجهاد، وأمر الإمامة من تمام الدين»[١].

هذا وقد تمثّلت الإمامة والخلافة الحقّة من بعد النبيّ الأعظم محمّد ﷺ في أمير المؤمنين، وسيّد الوصيّين، وإمام المتّقين، وقائد الغرّ المحجّلين، أسد الله الغالب عليّ ابن أبي طالب عليه‌السلام والأئمة الأحد عشر من ولده، كلّهم من قريش.

وذلك للنصّ المتواتر من النبيّ المصطفى ﷺ، ولأنّهم أفضل أهل زمانهم، ولعصمتهم، وظهور الكرامات والمعاجز على أيديهم مع ادّعائهم الإمامة.

والعلماء العباقرة منذ فجر الإسلام حتّى زماننا هذا صنّفوا وألّفوا مصنّفات قيّمة في مباحث الإمامة.

والدلالة الواضحة على إمامة عليّ عليه‌السلام أكثر من أن تحصى، فإنّ المحقّق الأكبر العلّامة الحلّي وضع كتاباً في الإمامة، وسمّاه كتاب (الألفين).

وما أروع ما قاله محمّد بن إدريس ـ إمام الشافعيّة ـ:

«عجبت لرجلٍ كتم أعداؤه فضائله حسداً، وكتمها محبّوه خوفاً، وخرج ما بين ذين ما طبق الخافقين»[٢].

وحسبنا البلاغ المبين بلسان النبيّ الأعظم محمّد ﷺ:

«عنوان صحيفة المؤمن: حبّ عليّ بن أبي طالب»[٣].

«مَن سرّه أن يحيى حياتي ويموت مماتي، ويسكن جنّة عدن غرسها ربّي،

---

(١) من كلام مولانا الإمام الرضا عليه‌السلام كما في كتاب الكافي المجلّد الأوّل.

(٢) من كتاب (ثمّ اهتديت)، الصفحة ١٤١.

(٣) أخرجه الحافظ الخطيب البغدادي في تأريخه ٤: ٤١٠.

فليوال علياً من بعدي، وليوالِ وليّه، وليقتد بالأئمة من بعدي، فإنّهم عترتي، خلقوا من طينتي، رزقوا فهماً وعلماً، وويل للمكذّبين بفضلهم من أُمّتي، القاطعين فيهم صلاتي، لا أنالهم الله شفاعتي»[1].

وقال ﷺ:

«لا يعذّب الله هذا الخلق إلّا بذنوب العلماء، الذين يكتمون الحقّ من فضائل عليّ وعترته عليهم السلام، ألا إنّه لم يمشِ فوق الأرض بعد النبيّين والمرسلين أفضل من شيعة عليّ بن أبي طالب، الذين يظهرون أمره وينشرون فضله، أُولئك تغشاهم الرحمة، وتستغفر لهم الملائكة، الويل كلّ الويل لمن يكتم فضله»[2].

وقال عليه الصلاة والسلام:

«إنّ الله جعل لأخي عليّ فضائل لا تحصى كثرة، فمن ذكر فضيلة من فضائله مقرّاً بها غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، ومن كتب فضيلة من فضائله لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي لذلك المكتوب رسم، ومن استمع إلى فضيلة من فضائله غفر الله له ذنوبه التي اكتسبها بالاستماع، ومن نظر إلى كتاب في فضائله غفر الله له ذنوبه التي اكتسبها بالنظر»[3].

وحقّاً من قال:

إنّ الباحث عن شخصيّة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام الفذّة، والمتعمّق في فضائله، والغائص في بحار مناقبه والعترة الهادية، مهما جدّ واجتهد وبذل ما في وسعه وطاقته

---

(١) أخرجه الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء ١ : ٨٦.

(٢) الدمعة الساكبة : ٨٢.

(٣) مناقب الخوارزمي : ٢، كفاية الطالب : ٢٥٢، فرائد السمطين ١ : ١٩.

في اكتناه عظمته ومقامه الشامخ، فإنّه لا يبلغ إلّا حدّ ما تيسّر له، دون ما ينبغي لمقامه الأسنى والأعلى صلوات الله عليه، ومتى حاول العقل البشري أن يستعرف مجده التليد، فإنّه لا بقدر على ذلك إلّا الاعتراف بالعجز عن الوصول إلى مقامه العظيم، لكون شخصيّته القدسيّة خارقة، ارتفعت عن مستوى العقول الرشيدة، وسمت وعلت عن مدى نفاذ البصيرة، والمتوقّع من كلّ من تصدّى لبيان الموضوع أن يأتي بما هو في سعته، وعلى مقدار جهده، لا ما هو حقّه.

الحديث عن أهل البيت ـ لا سيّما سيّدهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام روحي فداه ـ كالحديث عن نور الشمس، فبأيّ أُسلوب، وبأيّ تعبير، وبأيّ لفظ، وبأيّ كلمة يعبّر عنه؟ هيهات هيهات أن نبلغ ذلك، فإنّ كلمة عليّ وحدها كفاك في ترسيم كلّ الفضائل والسجايا الإنسانيّة أمام عينيك، فإنّه اشتقّ من العليّ الأعلى.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«لو أنّ الرياض أقلام، والبحر مداد، والجنّ حسّاب، والإنس كتّاب، ما أحصوا فضائل عليّ بن أبي طالب»[1].

وما أروع ما قاله الصاحب بن عبّاد:

وقالوا: عليٌّ علا، قلت: لا فإنّ العلا بعليٍّ علا

وما أسمى الحبّ الأعظم الفارق بين الكفر والإيمان: ألا وهو حبّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فإنّه حسنة لا تضرّ معها السيّئة، وحبّه إيمان، وبغضه كفر، فهو الفاروق الأعظم.

---

(١) البحار ٣٨: ١٩٧.

قال معاوية لعديّ بن حاتم: فكيف صبرك عنه ـ عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ـ؟

قال: كصبر من ذبح ولدها في حجرها، لا ترقأ دمعتها ولا تسكن عبرتها[1].

وما أعظم الإطاعة، إطاعة عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

قال عمرو بن الحمق لأمير المؤمنين عليه السلام:

والله، لو كلّفتني نقل الجبال الرواسي، ونزع البحور الطوامي أبداً حتّى يأتي عليّ يومي وفي يدي سيفي أهزم به عدوّك، وأُقوّي به وليّك، ما ظننت أنّي أدّيت من حقّك كلّ الحقّ الذي يجب لك عليّ[2].

وما أجمل تفاني شهداء الفضيلة والولاية:

قال حجر بن عدي رضي الله عنه لقاتله: إن كنت أُمرت بقتل ولدي فقدّمه، فقدّمه فضرب عنقه، فقيل: تعجّلت الثكل!

فقال: خفت أن يرى هول السيف على عنقي فيرجع عن ولاية عليّ، فلا نجتمع في دار المقامة التي وعدها الله الصابرين[3].

فعليّ نفس النبيّ صلى الله عليه وآله، والشاعر الفارسي في مدحه يقول:

بلغ العلى بكماله   كشف الدجى بجماله
حسنت جميع خصاله   صلّوا عليه وآله

---

(١) سفينة البحار ٢: ١٧٠.

(٢) الاختصاص: ١١.

(٣) المجالس السنيّة ٣: ٨٦.

فليست شخصيّة أمير المؤمنين عليه‌السلام شخصية عارية ساذجة، يسهل ويمكن للباحث عرفانها والوصول إلى كنهها ومبلغها، بل هي شخصيّة فوق الشموخ، قاب قوسين أو أدنى، علت في سماء العظمة وعلياء المجد، وهو بحيث النجم الزاهر، ترفّع عن أيدي المتناولين، وتسمو بحقيقتها وعظمتها عن وصف الواصفين، ونعت الناعتين، وثناء المادحين.

وكما جاء في الخبر:

ضلّت العقول، وتاهت الحلوم، وحسرت الخطباء، وعييت الأُدباء عن وصف شأنٍ من شأنه.

كيف وعليّ جعله النبيّ كنفسه، أو منه بمنزلة هارون من موسى، وباب مدينة علمه، وسيّد الأوصياء، وإمام الأتقياء، وعبّر عنه الرسول الأكرم بحبل الله المتين وصراطه المستقيم، وجعل لحمه كلحمه، ودمه كدمه، وحربه كحربه، وسلمه كسلمه، وولايته كولايته... وإلى أمثالها الكثير الطيّب.

هذا والعلماء صنّفوا وألّفوا منذ فجر الإسلام إلى يومنا هذا كتباً قيّمة، ومصنّفات جليلة في مباحث الإمامة، وفضائل الأئمة الأطهار عليهم‌السلام، ومن أحسن ما أُلّف في هذا المجال كتاب (إحقاق الحقّ وإزهاق الباطل).

ويقول السيّد الأُستاذ[1] في مقدّمة الكتاب بعد الحمد والصلاة:

إنّ أثمن المطالب وأغلاها، وأرفع المآرب وأعلاها، وأهنأ المشارب وأحلاها، وأعذب المناهل وأصفاها هو العلم بالمعارف الحقّة الإلهيّة، والأُصول الدينيّة الاعتقاديّة المتّخذة من الأدلّة الصحيحة السمعيّة والبراهين العقليّة

---

(١) آية الله العظمى السيّد شهاب الدين المرعشي النجفي قدس‌سره.

السليمة الفطريّة، إذ به تنال السعادة العظمى، والكرامة الكبرى في الآخرة والأُولى.

وقد شمّر الذيول علماء الإسلام، وكشفوا عن ساق الجدّ والجهد في تصنيف الكتب والرسائل في هذا الشأن.

ومن أحسن ما دوّن في هذا الموضوع كتاب (إحقاق الحقّ وإزهاق الباطل) للسيّد الشريف العلّامة، فخر آل الرسول، وشرف بني الزهراء البتول، السيف الشاهر المنتضى على مبغضي أهل البيت، الإمام الهمام، القدوة في المفاخر والكلام، السعيد الشهيد، سيّدنا ومولانا القاضي نور الله الحسيني المرعشي التستري، ثمّ الهندي.

وأيم الله، وربّ الراقصات، وداحي المدحوّات، إنّي مع سعة بحثي وكدّي، وكثرة تنقيبي في الكتب الكلاميّة لم أرَ مثله، لا في المطوّلات، ولا في المختصرات، تفرّد بين أمثاله بذكر الأدلّة القويّة، وإقامة الحجج الباهرة في كلّ من الأقسام الثلاثة: الاعتقاديّات والفقهيّات وأُصولها، وتعرّضه لكلّ ما قيل، أو خطر، أو يمكن أن يقال أو يخطر في المسائل المذكورة، مع التصدّي لدفعها ببيان شافٍ وتحريرٍ كافٍ، حاز السبق في المضمار، فأصبح قدوة لأترابه، إماماً يُقتدى به في محرابه.

أماط كلّ ريب وأزاح العلل، أتمّ الحجّة، وأبان عن المحجّة، سيّما في المسائل التي تتعلّق بصفات الباري تعالى شأنه العزيز...

فللّه درّه بهذا الكتاب الذي رفع به أعلام الحقّ وأحيى معالم الصدق، وبالجملة يقصر عن وصفه القول، وإن كان بالغاً، ويتقلّص عنه ذيله وإن كان سابغاً، وفيه لمن رام الوقوف على الواقع مقنع وبلاغ، وعمّا عداه من جميع الكتب الكلاميّة

غنية وفراغ.

وبالجملة من سبر وأجال البصر في مطاوي هذا الكتاب الشريف، يرى أنّ ناسق تلك الدرر آية من آيات الله، قلّ ما ترى سطراً من سطوره عرياً من اقتباس آية من الكتاب، أو حديث من السنّة، أو أثر، أو مثل، أو شعر معروف، مضافاً إلى تبحّره وإحاطته بكلمات القوم في المسائل الاعتقاديّة والفروع الفقهيّة وأُصولها، مع التعرّض لكلّ شبهة من الشبهات التي خطرت ببال القوم، أو أمكن أن يخطر، وتصدّى لدفعها بحيث أزاح العلل، وأزال الغيوم عن وجه شمس الحقّ، بمثابة لا تبق للناظر فيها شبهة ولا ارتياب لو كان من أهل الإنصاف، متجنّباً عن الاعتساف.

وكتاب (إحقاق الحقّ) ردّ على القاضي الفضل بن روزبهان الحنفي الشيرازي، كان من علماء الشافعيّة في عصره، له تآليف وتصانيف: أشهرها الردّ على (نهج الحقّ) فرغ من تصنيفه سنة (٩٠٩) في مدينة قاسان، بما وراء النهر، وسمّاه بإبطال نهج الباطل.

وهو في ردّ كتاب (نهج الحقّ) للعلّامة الحلّي، قدوة علماء الإسلام جمال الدين أبي منصور الحسن بن يوسف الحلّي المشتهر بالعلّامة، اعترف بفضله المخالف والمؤالف، وأورده أرباب التراجم من الفريقين في معاجمهم مع الثناء الجميل عليه. هو العلّامة على الإطلاق الذي طار صيته في الآفاق، بزغ شمسه في المعقول والمنقول، وتقدّم وهو في عصر الصبى على العلماء والفحول، مكارمه في الكثرة خرجت عن الإحصاء والبيان عجزاً عن تحرير مناقبه.

له تصانيف كثيرة، وعن بعض الأفاضل أنّه وجد بخطّه خمسمائة مجلّد من مصنّفاته، وعن بعض شرّاح التجريد: إنّ للعلّامة نحواً من ألف مصنّف.

وقيل: وزّعت تصانيف العلّامة على أيام عمره من ولادته إلى موته، فكان قسط كلّ يوم كرّاساً، مع ما كان عليه من الاشتغال بالإفادة، والاستفادة، والتدريس، والأسفار والأُمور الاجتماعيّة والعرفيّة، والقيام بالعبادة، وقد صنّف في علوم شتّى عشرات الكتب في كلّ فنّ. ومن كتبه الكلاميّة: (كشف الحقّ ونهج الصدق) الذي صنّفه باستدعاء السلطان المؤيّد الجايتو محمّد شاه المشتهر بخدا بنده ـ أي عبد الله ـ وفّقه الله للاستبصار باختياره بعد ملاحظة أدلّة فرق الإسلام وحجج المذاهب، وكان استبصاره ببركة العلّامة الحلّي وعلى يديه الشريفة، كما جاء في كتاب منتخب التواريخ، وفي مقدّمة إحقاق الحقّ، وكان على هذه العقيدة الحقّة إلى أن توفّي ﷺ.

ولمّا ردّ الفضل بن روزبهان كتاب العلّامة قيّض الله سبحانه الإمام المتبحّر النحرير خرّيت المناظرة والكلام السيّد نور الله ضياء الدين أبو المجد المشتهر بالأمير سيّد علي الحسيني المرعشي التستري الشهيد ـ حشره الله مع سيّد الشهداء في أعلى علّيّين ـ فردّه في كتابه (إحقاق الحقّ).

ولد المؤلّف في خوزستان سنة (٩٥٦ هـ) وبها نشأ وتربّى، ثمّ هاجر إلى بلاد الهند لدعوة الناس إلى الإسلام، وكان تأليف الكتاب المزبور في سبعة أشهر في الغربة، والبعد عن الأهل والوطن، وغيبة الكتب، محصوراً بحصار التقيّة.

وجعل الكلام فيه ثلاثة أقسام: أوّلها: قال المصنّف رفعه الله، وثانيها: قال الناصب خفضه الله، وثالثها: صورة ردّه. شكر الله سعيه على ما ذكره الناصب المذكور. وهو من أحسن الكتب المصنّفة في الردّ على علماء الجمهور.

أقول: ثمّ الكتاب القيّم اُلحق بملحقات وتعليقات نافعة تزيد على الأصل بكثير للمرجع الديني الآية العظمى السيّد الأُستاذ أبي المعالي شهاب الدين الحسيني

المرعشي النجفي.

قد ولد الأُستاذ عام (١٣١٥ هـ) واشتغل بالتعليقات عام (١٣٧٧ هـ) وقد تمّ الكتاب في (٣٣ مجلّداً) وحقّاً إنّه الموسوعة الكبرى في المعارف الإلهيّة والعلوم الربّانيّة، وهي أكبر موسوعة في فضائل أهل البيت الأطهار، عترة الرسول المختار عليهم السلام، تضمّ بين دفّتيها ما ورد من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، اجتمعت موادّها طوال سنين متمادية من كتب العامّة وطرقهم، وقد بلغت مصادر الموسوعة القيّمة إلى أكثر من ألفين كتاب مطبوع ومخطوط، وقد وضع للكتاب فهرس حسب الموادّ للكلمات المهمّة في الأحاديث، وبهذا الفهرس عبّد الطريق لمن أراد التحقيق في فضائل أهل البيت عليهم السلام.

وما يلفت النظر ويزيد الإعجاب ويوجب التقدير هو ما يظهر واضحاً للمطالع الكريم والغوّاص في بحار هذه الموسوعة، من صبر السيّد الأُستاذ وعنايته في البحث والتقصّي، ذلك الصبر الجميل، والجلد العظيم، والدأب المتواصل الذي جعل الموسوعة تتّسع بسعة السماء والأرض، فضمّن كلّ جزء من الأجزاء، أبحاثاً دينيّة وتأريخيّة وعلميّة وأدبيّة ورجاليّة لا غنى لكلّ باحث عن الواقع والحقيقة عن الإلمام بها ودراستها.

إنّها وربّ الكعبة لموسوعة العلم والدين والتأريخ والحقيقة، فإنّها مجموعة قيّمة حافلة تحتوي دراسات علميّة لنظريّة الإماميّة حول مناقب العترة الطاهرة على ضوء المنهج العلمي العقلي والنقلي والتأريخي والأدبي. بذل المؤلف والمعلّق جهده الجهيد في استقصاء الكلام بحيث لا يدع في هذا المضمار لأي سابق وراء سبقه مجالاً، وقصد أن لا يترك لأيّ متكلّم وراء تنقيبه مقالاً، فأراد السير على أضواء الحقّ، واتّباع الأثر المتّفق، ولم يذكر ما لا دليل ولا نصّ عليه، ولم يرم الكلام

على عواهنه، وأخيراً جاء بكتاب مستدلّ قلّ نظيره، ينفع القارئ الكريم في الدارين:

﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤولون ﴾.

وإنّما يُسألون عن الولاية.

وأخيراً ـ وليس بآخر إن شاء الله تعالى ـ قد وفّق الله الكريم جلّ جلاله رجل التجارة، ومحبّ العلم والعمل الصالح، وناشر فضائل أهل البيت ومناقبهم، المؤيّد، المسدّد، الموفّق، الممجّد، الألمعيّ الوجيه، فضيلة الحاجّ (حسين الشاكري) النجفي شكر الله سعيه، في بذل الجهد وانتقاء الجواهر النضيدة واللآلي المتلألئة بانوار الولاية بعد غوصه في تلك البحار المموّاجة، والموسوعة الوهّاجة، والجوامع والمصادر الكثيرة من الكتب المعتمدة عند الفريقين، فجاءنا بقبسات من الحقّ لينير الدرب لمن أراد الهداية وسلك الصراط المستقيم.

وجادت يراعه الكريمة بكتابه القيّم: (عليّ في الكتاب والسنّة) بجزئيه[1].

الأوّل: يتضمّن بعض الآيات النازلة بشأن عليّ أمير المؤمنين عليه السلام، مبوّبة بمائة وعشرة أبواب على عدد اسمه الشريف (علي) بحساب الجمل، وأردفها بأربعة عشر مورداً من الآيات النازلة بشأن أهل البيت عليهم السلام تيمّناً بعدد المعصومين.

الثاني: الأحاديث النبويّة الشريفة المنتخبة في مناقب عليّ أمير المؤمنين عليه السلام في معظم مراحل حياته الشريفة منذ أوّل الدعوة في يوم الدار إلى آخر ساعة من حياته صلى الله عليه وآله وارتحاله إلى الرفيق الأعلى.

---

(١) أضاف عليهما جزءين آخرين وسمّاه (عليّ في الكتاب والسنّة والأدب العربي).

فجزاه الله خير الجزاء، وأحسن العطاء، وأجمل الثناء، وجعلنا الله وإيّاكم من المتمسّكين بولاية عليّ أمير المؤمنين وأولاده المعصومين الطاهرين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وعجّل الله فرج مولانا المنتظر الحجّة الثاني عشر صاحب الزمان، أرواح العالمين له الفداء، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، جعلنا الله من خُلّص شيعته وأنصاره وأعوانه، والمستشهدين بين يديه، وأن يقبلنا بقبول حسن، آمين، آمين، لا أرضى بواحدةٍ حتّى يضاف إليه ألف آميناً، ورحم الله عبداً قال: آميناً.

العبد

عادل العلوي

١ / شعبان / ١٤١٠

الدر الثمين في عظمة أمير المؤمنين عليه السلام

السيد عادل العلوي



علوی، عادل، ۱۹۵۵ ــ
الدرّ الثمین في عظمة أمیر المؤمنین علیه السلام / تألیف السیّد عادل العلوي. ــ قم: المؤسسة الإسلامیة العامة للتبلیغ والإرشاد، ۱٤۲۰ ق. = ۱۳۷۸.
ج.
ISBN 964 - 5915 - 09 - 0 (ج. ۲)
فهرستنویسی بر اساس اطلاعات فیپا.
عنوان دیگر: رسالة الدرّ الثمین في عظمة أمیر المؤمنین علیه السلام.
عربی.
کتابنامه.
۱. علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت ـ ٤۰ ق. الف. عنوان. ب. عنوان: رسالة الدرّ الثمین في عظمة أمیر المؤمنین علیه السلام.
BP ۳۷ / ۳۵ / ۸۵ع ٤ د ۲۹۷ / ۹۵۱
کتابخانهٔ ملی ایران ۷۸ ــ ۲٤۷٤۷ م

موسوعة

رسالات إسلامية

***
***

رسالة

الدرّ الثمين في عظمة أمير المؤمنين عليه السلام

تأليف ـ السيّد عادل العلوي

نشر ـ المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد
إيران، قم، ص. ب ٣٦٣٤
الطبعة الثانية ـ ١٤٢٠ هجري قمري
المطبعة ـ النهضة، قم

شابك ٠ ـ ٠٩ ـ ٥٩١٥ ـ ٩٦٤ ISBN 964 - 5915 - 09 - 0
ای. ای ان. ٩٧٨٩٦٤٥٩١٥٠٩٢ EAN 9789645915092
شابك X ـ ١٨ ـ ٥٩١٥ ـ ٩٦٤ (دوره ١٠٠ جلد) 964 - 5915 - 18 - X (100 - Vol. Set)

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

الحمد لله الذي جعل الإنسان الكامل معلّم المَلَك، وأدار بـولايته طـبقات الفُلك.

والصلاة والسلام على أشرف خلق الله، هادي الورى، محمّد المصطفى، سيّد المرسلين وخاتم النبيّين.

وعلى وصيّه وخليفته وأخيه وابن عمّه وزوج ابنته أمـير المـؤمنين وسـيّد الموحّدين وإمام المتّقين أسد الله الغالب الإمام عليّ بن أبي طالب، روحي وأرواح العالمين له الفداء.

وعلى آلهما الطيّبين الأئمة الهداة الميامين.

واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

أمّا بعد:

فقد قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم:

---

(١) طبعت هذه الرسالة سنة ١٤١٥ هـ مقدّمةً لكتاب (عظمة أمير المؤمنين عليه السلام) بقلم الأُستاذ فاضل الفراتي.

﴿ إنّما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾[١].

باتّفاق المفسّرين أنّها نزلت في أمير المؤمنين عليّ عليه السلام.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«لو أنّ الغياض أقلام والبحر مداد والجنّ حسّاب والإنس كتّاب، ما أحصوا فضائل عليّ بن أبي طالب».

«إنّ الله جعل لأخي عليّ فضائل لا تحصى»[٢].

«لولا أن تقول فيك طوائف من أُمّتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم لقلت فيك اليوم مقالاً لا تمرّ بملأ من المسلمين إلّا وأخذوا تراب نعليك وفضل طهورك ويستشفون به»[٣].

يقول الخليل بن أحمد البصري ـ المتوفّى سنة ١٧٥ هـ ـ واضع علم العروض ومعلّم سيبويه في حقّ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

«إنّ احتياج الكلّ إليه واستغناؤه عن الكلّ، دليلٌ على أنّه إمام الكلّ».

وسئل أيضاً: ما هو الدليل على أنّ عليّاً عليه السلام إمام الكلّ في الكلّ؟ فقال: احتياج الكلّ إليه وغناه عن الكلّ.

يقول الفخر الرازي ـ المتوفّى سنة ٦٠٦ هـ ـ في تفسيره[٤] في تفسير سورة

---

(١) المائدة: ٥٥.

(٢) المناقب: ٢.

(٣) المناقب: ٧٦.

(٤) مفاتيح الغيب ١: ١٦١.

الفاتحة وقوله بالجهر وإقامة الأدلّة على ذلك :

« فالدليل السابع : أنّ الدلائل العقليّة موافقة لنا، وعمل عليّ بن أبي طالب عليه السلام معنا، ومن اتّخذ عليّاً إماماً لدينه فقد استمسك بالعروة الوثقى في دينه ».

يقول الشيخ محيي الدين بن عربي ـ المتوفّى سنة ٦٣٨ هـ ـ :

« فلم يكن أقرب قبولاً في ذلك الهباء إلّا حقيقة محمّد صلى الله عليه وآله المسمّاة بالعقل، وأقرب الناس إليه عليّ بن أبي طالب عليه السلام، إمام العالم وسرّ الأنبياء المرسلين »[1].

قال ابن أبي الحديد المعتزلي ـ المتوفّى سنة ٦٥٥ هـ ـ في شرح قول[2] أمير المؤمنين عليه السلام حول التمسّك بالأئمّة الأطهار من آل محمّد صلوات الله عليهم : « بل كيف تعمهون وبينكم عترة نبيّكم وهم أزمّة الحقّ وأعلام الدين وألسنة الصدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن وردوهم ورود الهيم العطاش... ».

فقال ابن أبي الحديد :

« (فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن) تحته سرّ عظيم، وذلك أنّه أمر المكلّفين بأن يجروا العترة في إجلالها وإعظامها والانقياد لها والطاعة لأوامرها مجرى القرآن. قال : فإن قلت : فهذا القول منه يشعر بأنّ العترة معصومة، فما قول أصحابكم في ذلك ؟ قلت : نصّ أبو محمّد بن متنويه في كتاب الكفاية على أنّ عليّاً معصوم، وأدلّة النصوص قد دلّت على عصمته وأنّ ذلك أمر اختصّ هو به دون غيره من الصحابة ».

---

(١) الفتوحات المكّية ١ : ١٣٢، الباب السادس.

(٢) نهج البلاغة : شرح الخطبة ١٨٥.

هذه بعض النصوص الدالّة على عظمة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ وعلوّ مقامه وشموخه.

هذا وقيمة المرء ما يحسنه من المعرفة، وأعلى المعارف وأزكاها معرفة الله بأن يعرف الإنسان ربّه، وأنفعها معرفة النفس، فمن عرف نفسه فقد عرف ربّه.

فالمعرفة نور القلب وبنيان النبل وبرهان الفضل والفوز بالقدس والحكمة والخير الكثير وميراث التقوى وثمرة الصدق، ومن عرف دلّته معرفته على العمل، وأفضلكم أفضلكم معرفة[1].

فقيمة الإنسان في الدنيا والآخرة إنّما هي بمقدار معرفته، والمعرفة كلّي مشكّك له مراتب طوليّة وعرضيّة، وقد قسّموها إلى ثلاث:

١ ـ المعرفة البرهانيّة: والتي تكون بالدليل العقلي.

٢ ـ المعرفة الايمانيّة: والتي تكون بالدليل النقلي من الكتاب والسنّة.

٣ ـ المعرفة الشهوديّة: والتي تكون بالإشراق والكشف والشهود بالقلب.

وبنظري هناك تقسيم آخر للمعرفة، وهو:

١ ـ المعرفة الجلاليّة: وهي تعني معرفة الشيء في حدوده وشكله الهندسي كمعرفة الجبل من بعيد.

٢ ـ المعرفة الجماليّة: وهي تعني معرفة الشيء في باطنه وجوهره، كمعرفة الجبل من قريب.

٣ ـ المعرفة الكماليّة: وهي تعني الوقوف على هدف الشيء وغايته، كمعرفة الجبل لمن كان في قمّته.

---

(١) هذه النصوص وردت في الروايات، راجع ميزان الحكمة ٦: ١٣٠.

وهذه الأقسام جارية في كلّ شيء، حتّى معرفة الله سبحانه وشريعته السمحاء.

فمن الناس من يعرف الله في جلاله، كنفي صفات النقص عنه كالجهل والعجز.

ومنهم من يعرف الله في جماله، وفي صفاته الثبوتيّة كالعلم والقدرة.

ولا يعرف الله في كماله إلّا رسول الله وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما أبد الآبدين، كما قال رسول الله ﷺ لعليّ عليه السلام:

«ما عرف الله إلّا أنا وأنت».

وأمّا معرفة الشريعة:

فتارةً يعرفها الإنسان في حدودها وأحكامها، فهذه معرفة بجلال الشريعة.

وأُخرى يقف على أسرارها وحِكَمها، فهذه من المعرفة بجمال الشريعة.

وثالثةً يقف على كُنهها وغاياتها، فهذه من المعرفة بكمال الشريعة.

وهذا جارٍ في معرفة أهل البيت عليهم السلام وسيّدهم أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، فكلّ الناس يعرفونهم بمعرفة جلاليّة، كما ورد في زيارة الجامعة الكبيرة عن الإمام الهادي عليه السلام:

«فبلغ الله بكم أشرف محلّ المكرمين وأعلى منازل المقرّبين، وأرفع درجات المرسلين، حيث لا يلحقه لاحق ولا يفوقه فائق، ولا يسبقه سابق، ولا يطمع في إدراكه طامع، حتّى لا يبقى ملكٌ مقرّب ولا نبيّ مرسل ولا صدّيق ولا شهيد ولا عالم ولا جاهل ولا دنيّ ولا فاضل ولا مؤمن ولا صالح ولا فاجر طالح ولا جبّار عنيد ولا شيطان مريد ولا خلق فيما بين ذلك شهيد إلّا عرّفهم جلالة أمركم وعظم خطركم وكبر شأنكم وتمام نوركم وصدق مقاعدكم وثبات مقامكم وشرف محلّكم

ومنزلتكم عنده وكرامتكم عليه وخاصّتكم لديه وقرب منزلتكم منه»[١].

فما من عالم ولا جاهل ولا دنيّ ووضيع ولا فاضل وشريف ولا مؤمن صالح ولا فاجر طالح إلّا وعرف الأئمّة الأطهار عليهم السلام بمعرفةٍ جلاليّة، بأنّهم الصفوة وأنّهم يجلّون عن الشين والنقائص، ولا يقاس بهم أحد.

وهذا يقرّ به الموافق والمخالف، والفضل ما شهدت به الأعداء، فأعداؤهم يشهدون بعلوّ درجاتهم وشموخ مقامهم وأنّهم يمتازون عن باقي البشر في تجلّي أسماء الله فيهم.

وهناك معرفة جماليّة لأهل البيت عليهم السلام، يقف عليها أمثال سلمان المحمّدي رضوان الله عليه، فإنّه يعرف من جمال أمير المؤمنين ما لا يعرفه أبو ذرّ، مع أنّ التفاوت بينهما في الإيمان بدرجةٍ واحدة، فعند سلمان عشر درجات، ولكن مع هذا لو علم أبو ذرّ ما في قلب سلمان لكفّره ولقال رحم الله قاتل سلمان، فالدرجة الواحدة سعتها ما بين الكفر والإيمان، ما بين السماوات والأرض.

وأمّا المعرفة الكماليّة لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام فيدلّ عليه ما يقال عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله:

«يا عليّ لم يعرفك إلّا الله وأنا».

فلا يعرف إلّا الله ورسوله سرّ السرّ في أسرار سرّ الوجود وقطب دائرة الإمكان، ونقطة باء البسملة، ومركز العوالم بعد رسول الله، الذي اشتُقّ اسمه المبارك من العليّ الأعلى، ونوره الأقدس من النور المحمّدي الأنور، فبلغ العلى بكماله، وكشف الدجى بجماله، حسُنت جميع خصاله، فهدى الورى بجلاله، صلّوا عليه وعلى

---

(١) مفاتيح الجنان: ٥٤٧، زيارة الجامعة الكبيرة.

ابن عمّه وآله.

فعليّ عليه السلام بشر، لكن تجلّى فيه ربّه وظهر، ومن أبى فقد كفر، فإنّه الإنسان الكامل الذي تجلّت فيه أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، فكان مظهراً للتوحيد، كما كان فيه خلاصة النبوّة وعصارة الولاية، وكلّ ما يقال في فضائله ومكارمه وعلوّ مقاماته فإنّه لم يبلغ عشر المعشار.

فعليٌّ وليّ الله وحجّته على خلقه وخليفة رسوله وسيّد أوصيائه، تجلّت فيه أسماء ربّه، وحمل جميع أوصاف النبيّ صلى الله عليه وآله من علومه ومعارفه وأسراره المودعة فيه سوى النبوّة والرسالة، فهو الداعي والهادي إلى سواء السبيل، وهو الواسطة المختارة بعد رسول الله في إيصال الفيض الإلهي إلى العباد، وهو النهج المستقيم والمنهاج القويم والنبأ العظيم، عنده علم الكتاب وفصل الخطاب:

﴿ فاسألوا أهلَ الذكرِ إنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمون ﴾[1].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى يحيى بن زكريا في زهده، وإلى موسى بن عمران في بطشه، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب»[2].

فأمير المؤمنين عليه السلام يمثّل الأنبياء في علومهم وصفاتهم كما هو مظهر أسماء الله وصفاته، وأنّه جامع الفضائل والمكارم ولا يمكن لأحد سوى الله ورسوله أن يحصي فضائله ومناقبه وآثاره.

---

(١) النحل: ٤٣.

(٢) تأريخ ابن عساكر ٢: ٢٨٠.

وأنّ الأعداء قد كتموا فضائله حنقاً وبغضاً، والأحبّاء أخفوها خوفاً وتقيّةً، ومع هذا فقد ملأت فضائله الخافقين.

وسعادة الدنيا والآخرة والنجاة إنّما يكون في متابعته وقبول ولايته العظمى، فهو الصراط المستقيم:

﴿ وَالَّذينَ لا يُؤْمِنونَ بِالآخِرَةِ عَنِ الصِّراطِ لَناكِبون ﴾[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إنّ أئمتكم قادتكم إلى الله، فانظروا بمن تقتدون في دينكم وصلاتكم»[2].

قال تعالى:

﴿ يَوْمَ نَدْعو كُلَّ أُناسٍ بِإمامِهِم ﴾[3].

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

«إذا كان يوم القيامة يأتي النداء من عند الله جلّ جلاله: ألا من ائتمّ بإمام في دار الدنيا فليتبعه إلى حيث شاء ويذهب به، فحينئذٍ يتبرّأ الذين اتُّبِعو من الذين اتَّبَعوا»[4].

وقال الإمام الحسين عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَدْعو كُلَّ أُناسٍ بِإمامِهِم ﴾:

إمام دعى إلى هدى فأجابوه إليه، وإمام دعى إلى ضلالة فأجابوه إليها، هؤلاء في الجنّة وهؤلاء في النار، وهو قوله تعالى: ﴿ فَريقٌ في الجَنَّةِ وَفَريقٌ

---

(١) المؤمنون: ٧٤.

(٢) البحار ٢٥: ١١٠.

(٣) الإسراء: ٧١.

(٤) البحار ٨: ٨٦٧.

في السَّعير ﴾[١].

وقال رسول الله ﷺ :

«من مات وهو لا يعرف إمامه، مات ميتةً جاهليّة»[٢]، متّفق عليه عند الفريقين.

فعلى كلّ مسلم إلى يوم القيامة أن يعرف إمام زمانه حقّ المعرفة.

والإمامة الحقّة والوصاية الصحيحة والحاكميّة الثابتة إنّما هي بنصّ من الله ورسوله، ولا مجال للناس فيها أبداً ـ كما هو ثابت في محلّه[٣] ـ ومن هذا المنطلق نصّ الله في كتابه الكريم ورسوله في مواطن كثيرة على الأئمة الأطهار والخلفاء الأخيار من بعده كما في حديث الثقلين والسفينة والدار وغيرها المئات والألوف، وكما في آية المودّة والولاية والتطهير والمباهلة وغيرها العشرات والمئات، وهل بعد الحقّ إلّا الضلال.

وقد صنّف العلماء الأعلام من كلّ الفرق والمذاهب وبلغات كثيرة على مرّ العصور والأحقاب في فضائل أهل البيت عليهم السلام وسيرتهم الطيّبة، ولا سيّما في مناقب وعظمة أمير المؤمنين وإمام المتّقين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وأخيراً ـ وليس بآخر إن شاء الله تعالى ـ قام الشابّ المهذّب الكامل ثقة الإسلام الشيخ فاضل الفراتي (دام مجده) بجهدٍ مبرورٍ وسعيٍ مشكور، بتحرير

---

(١) نور الثقلين ٣ : ١٩٢.

(٢) البحار ٢٣ : ٧٧.

(٣) ذكرت تفصيل ذلك في كتاب (أهل البيت عليهم السلام سفينة النجاة)، و (دروس اليقين في معرفة أُصول الدين) ـ وهما مطبوعان ـ، و (هذه هي الولاية)، فراجع.

صفحات ولائيّة، ومقتطفات علويّة، في بيان عظمة أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين عليّ عليه السلام من كتب القوم، لتكون الحجّة أبلغ والبرهان أتمّ، فجاء بأُسلوب جديد وأُطروحة جميلة وتأليف ظريف، يتبع باكورة أعماله (عظمة الصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام)، فللّه درّه، وعليه أجره، سائلاً المولى القدير أن يهنأه بالكأس الأوفى شربةً لا ظمأ بعدها أبداً، وأن يكثّر في شباب عصرنا أمثاله ويوفّر أضرابه، وأن يغفر لي وله وللمؤمنين والمؤمنات وشيعة أمير المؤمنين عليه السلام.

والسلام على من اتّبع الهدى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

العبد

عادل العلوي

حوزة قم العلميّة

عليٌّ المرتضى

نقطة باء البسملة

بقلم

السيد عادل العلوي



***
***

رسالة
علي المرتضىٰ عليه السلام نقطة باء البسملة
تأليف ـ السيّد عادل العلوي

نشر ـ المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد
إيران، قم، ص. ب ٣٦٣٤
الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٦ هجري قمري
الكمية المطبوعة ـ ١٠٠٠ نسخة

الصفّ والإخراج الكامبيوتري ـ محمّد خازن
الزنك والألواح الحساسة ـ مطبعة أهل البيت عليهم السلام، قم
توزيع ـ مكتبة بصيرتي، قم، شارع إرم

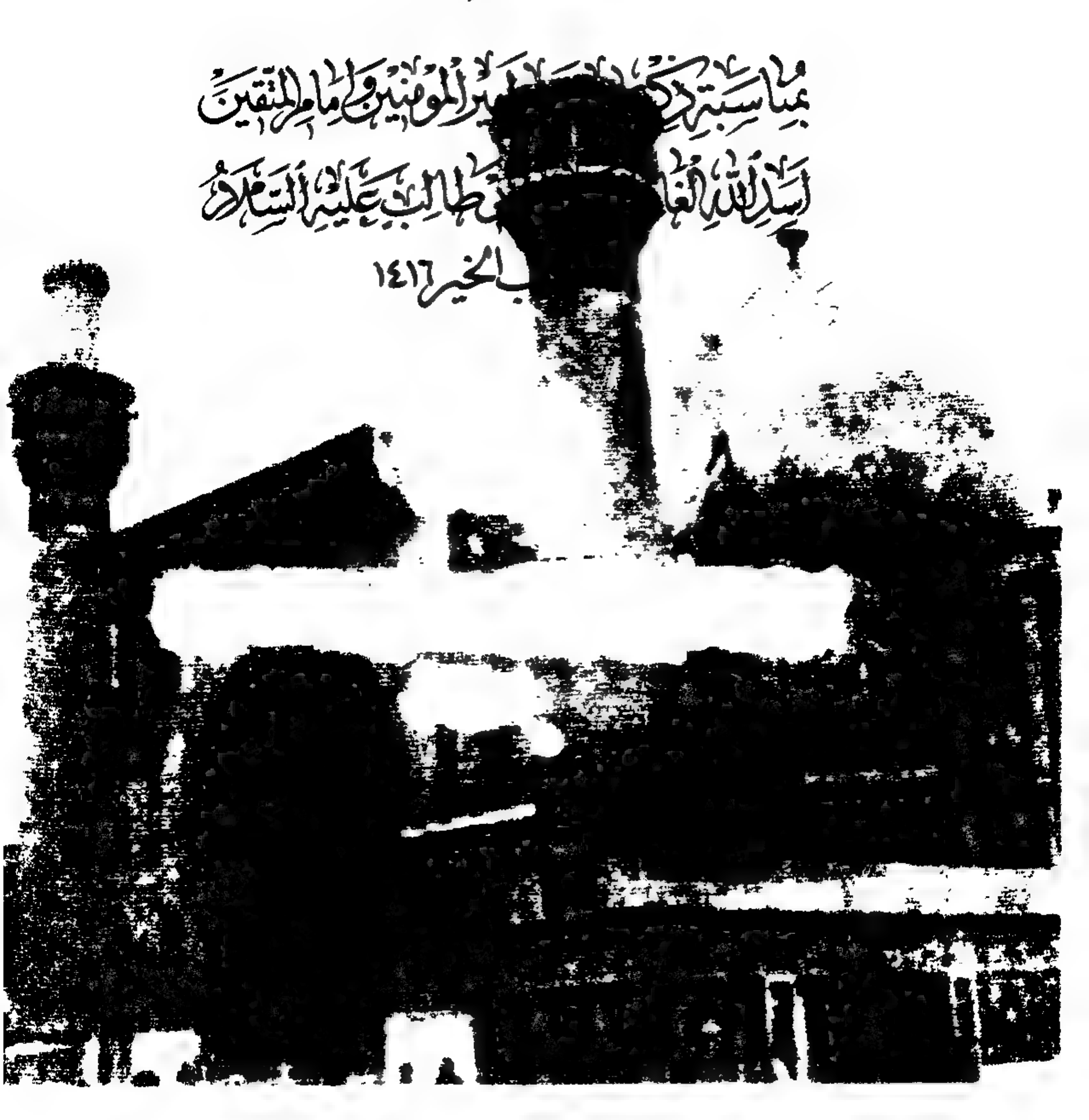
***
***

قال رسول الله

من کنت مولاه فهذا علی مولاه اللهم وال من والاه و عاد من عاداه



هدية علوية


بمناسبة
المؤمنين وإمام المتقين
أسد الله
طالب عليه السلام
الخير ١٤١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

عصر الذرّة أو حديث النقطة

ما لَنا ولحديث النقطة في عصر الذرّة ؟ !

قالوا :

عصرنا الراهن والعالم المتحضّر ـ في يومنا هذا ـ، قد شقّ الشعرة وفلق الذرّة، وجمع العلوم في صفحة الحاسوب (ديسك الكومبيوتر)، وجعل ربوع الأرض الرحبة كقرية صغيرة في دنيا الارتباطات، ووصلت التكنولوجيا إلىٰ ذروتها، يكفي البشرية أن يُضغط علىٰ زرّ صغير لكي تتلاشى الكرة الأرضية بمن فيها، وأمريكا تخطّط للعالم الثالث لمئة عام، وتريد أن تغزو العالم وتبسط أُخطبوطها في كلّ بقاع الأرض، وتسيطر على الشعوب وتسود الدنيا بأسلحتها المخيفة والمدمّرة، والاضطرابات والمظاهرات وتحرّر الشعوب والنهضات الجماهيرية، لا سيما المسلمة في كلّ العالم تملأ الصحف والإذاعات والإعلام العالمي... و و...

وفي مثل هذه الأمواج المتلاطمة، والعالم المتكهرب، والفوضى العالمية، والتقدم الصناعي، وتسخير الفضاء، وحرب النجوم، والألعاب السياسية المحيّرة والمذهلة للعقول، والصراعات والتكالب بأنياب ضارية على الحكم والسلطة والقدرة في كلّ الميادين، السياسية والاقتصادية والثقافية والتسلح العسكري...

وفي مثل هذه الأجواء المحمومة والملغومة، وإذا بكاتب إسلامي من مهد العلم والأدب والقيادة الرشيدة، من حوزة قم العلمية المباركة، يكتب عن نقطة البـاء، ويثير ما كان مدفوناً في خزائن الكتب ورفوف المكتبات، وكأنّه جاهلاً عمّا يدور حوله، أو يتجاهل بما يجري في بلده أو البلاد الإسلامية، وما يقع في العالم من الحوادث الغريبة والوقائع العجيبة.

فما هذا التأخّر والانحطاط الفكري.

وهل من الضرورة إثارة مثل هذه المواضيع الحساسة، والتي أكل الدهر عليها وشرب ؟ !

ولكن حجتي وبرهاني في العمل والكتابة، إنّما هو انطلاقاً من النقاط التالية :

أوّلاً ـ قال أمير المؤمنين علي عليه السلام في نهجه البليغ : «العاقل الذي يضع الأشياء في مواضعها»[1].

فمن كان يمثّل الأنبياء في هداية الناس وسعادتهم، ويجذبهم إلى الخير والصلاح والإصلاح، إنّما مقصوده ورسالته الدينية، تحتّم عليه أن يحذو حذوهم، وأن يبذل جهده، ويضحّي بالنفس والنفيس من أجل سعادة الناس وهدايتهم إلىٰ سبيل اللّه وصراطه المستقيم، لا أن يخترع القنبلة الذرية، أو يصنع الطائرة النفّاثة، أو يشتغل في المصانع وينتج المنتوجات الراقية، أو يتخصّص في أمراض الدماغ والعملية الجراحية المتطوّرة للقلب، أو غير ذلك من الحِرَف والمهن والصناعات. بل لكلّ علم وفنّ رجاله وأصحابه، ومن الحماقة أن نطلب من رجل الدين أن يفكّر في تطوير الحاسوب، أو يخترع صناعة جديدة متطوّرة تواكب الزمن

---

(١) نهج البلاغة، محمد عبده ٢ : ٢٠٥، الكلمات القصار : ٢٣٥.

أو تسبقه، فإنّ العاقل الذي يضع الأشياء في مواضعها، والرجل الديني إنّما رسالته وشغله وهدفه هدف الأنبياء ورسالتهم في إرشاد الناس وقيادتهم إلىٰ وادي السعادة، وسَوقهم إلىٰ شاطىء السلام، وذلك بتهذيب النفوس وزرع الإيمان الراسخ في القلوب، وتربية من يفلق الذرّة بالزهد، وأن يجعل اللّه بين عينيه، ويلاحظ ربّه السميع البصير في عمله، وأن يكون علمه في خدمة الناس، لا أن يستغلّه الطغاة والجبابرة بتطميعه واستثماره بالمال والجاه والمقام، حتىٰ يؤول أمره إلىٰ أن يصنع القنبلة الذرّية التي تدمّر العالم في ثوانٍ.

فمقصود رجال العلم والدين هو: تهذيب الناس وهدايتهم، وعلاج الأمراض الروحية، الاجتماعية والفردية.

وعلينا أن نحكّم ضمائرنا، ونطلب من كلّ واحد ما يختصّ به، فليس من العقل والانصاف أن نطالب الطبيب بالحلاقة، كما لا نطلب من الحلّاق أن يعالج أمراضنا الجسدية.

نعم، نطلب من كلّ واحد أن يخلص في علمه وعمله، وفنّه ومهنته...

وثانياً ـ روىٰ شيخنا الكليني ﷺ بإسناده، عن أبي الحسن موسىٰ عليه السلام، قال: «دخل رسول اللّه ﷺ المسجد، فإذا جماعة قد أطافوا برجلٍ، فقال: ما هذا؟ فقيل: علّامة، فقال: وما العلّامة؟ فقالوا له: أعلم الناس بأنساب العرب ووقائعها وأيام الجاهلية والأشعار العربية، قال: فقال النبي ﷺ: ذاك علمٌ لا يضرّ مَن جَهَله، ولا ينفع مَن عَلمه، ثمّ قال النبيّ ﷺ: إنّما العلم ثلاثة: آية محكمة، أو فريضة عادلة، أو سنّة قائمة، وما خلاهنّ فهو فضل»[1].

---

(١) الكافي ١: ٣٢.

من الدلالات الواضحة في هذا الخبر النبويّ الشريف، أنّ العلم النافع في الدنيا والآخرة ـ بنظر الشارع المقدّس ـ إنّما هو عبارة عن العلوم الثلاثة التالية:

١ ـ علم العقائد الصحيحة، المشار إليه في قوله: «آية محكمة»؛ فإنّ علم الكلام إنّما يستدلّ علىٰ صحّته وما جاء فيه من العقائد بالآيات المحكمة والبراهين المستحكمة، ولا يجوز فيها التقليد.

٢ ـ علم الفقه، الذي هو عبارة عن أحكام أفعال المكلّفين من الواجبات والمحرّمات ولواحقها، وأُشير إليه في قوله: «فريضة عادلة»؛ فإنّ الفقه مجموعة فرائض تخبر عن المصالح والمفاسد بصيغ الأوامر والنواهي وتوابعها.

٣ ـ علم الأخلاق، فهو عبارة عن كسب الآداب والسنن، وتخلية النفس والقلب من الصفات الذميمة، وتحليتها بالأخلاق الطيبة والسنن القائمة، المشار إليها في قوله: «سنّة قائمة» في نفس الإنسان والتي تكون ملكة راسخة في وجوده.

ولمّا كان الإنسان ذا أبعاد ثلاثة: العقل والجسد والروح، فمربّي عقله هو العقائد السليمة، ومربّي الجسد: التكاليف الشرعية، ومعلّم الروح: الأخلاق الحسنة[1].

---

(١) يقول صاحب (جامع السعادات ١: ١١٧) المولىٰ محمد مهدي النراقي: العلم كلّه وإن كان كمالاً للنفس وسعادة، إلّا أنّ فنونه متفاوتة في الشرافة والجمال ووجوب التحصيل وعدمه، فإنّ بعضها، كالطبّ والهندسة والعروض والموسيقىٰ وأمثالها، ممّا ترجع جلّ فائدته إلى الدنيا، ولا يحصل لها مزيد بهجة وسعادة في العقبىٰ، ولذا عدّت من علوم الدنيا دون الآخرة، وربّما وجب تحصيل بعضها كفاية... وما هو علم الآخرة الواجب تحصيله، وأشرف العلوم وأحسنها، هو العلم الإلهي المعرّف لأُصول الدين، وعلم الأخلاق المعرّف

لمنجيات النفس ومهلكاتها، وعلم الفقه المعرّف لكيفية العبادات والمعاملات، والعلوم التي مقدمات لهذه الثلاثة، كالعربية والمنطق وغيرهما، يتّصف بالحسن ووجوب التحصيل من باب المقدّمة.

وهذه العلوم الثلاثة وإن وجب أخذها إجمالاً، إلّا أنّها في كيفية الأخذ مختلفة. فعلم الأخلاق يجب أخذه عيناً علىٰ كلّ أحد، علىٰ ما بيّنته الشريعة وأوضحه علماء الأخلاق، وعلم الفقه يجب أخذ بعضه عيناً، إمّا بالدليل أو بالتقليد من مجتهد حيّ، والتارك للطريقين غير معذور، ولذا ورد الحثّ الأكيد على التفقّه في الدين. قال الصادق عليه السلام: «عليكم بالتفقّه في دين اللّه ولا تكونوا أعراباً، فإنّه مَن لم يتفقّه في دين اللّه لم ينظر إليه يوم القيامة ولم يزكّ له عملاً». وقال: «ليت السياط علىٰ رؤوس أصحابي حتّىٰ يتفقّهوا في الحلال والحرام». وقال عليه السلام: «إنّ آية الكذّاب أن يخبرك خبر السماء والأرض والمشرق والمغرب، فإذا سألته عن حرام اللّه وحلاله لم يكن عنده شيء».

وأمّا أُصول العقائد فيجب أخذها عيناً من الشرع والعقل، وهما متلازمان لا يتخلّف مقتضىٰ أحدهما عن مقتضى الآخر، إذ العقل هو حجّة اللّه الواجب امتثاله والحاكم العدل الذي تطابق أحكامه الواقع ونفس الأمر، فلا يردّ حكمه، ولولاه لما عرف الشرع، ولذا ورد: (أنّه ما أدّى العبد فرائض اللّه حتّىٰ عقل عنه، ولا بلغ جميع العابدين في فضل عبادتهم ما بلغ العاقل)، فهما متعاضدان ومتظاهران، وما يحكم به أحدهما يحكم به الآخر أيضاً، وكيف يكون مقتضى الشرع مخالفاً لمقتضىٰ ما هو حجّة قاطعة وأحكامه للواقع مطابقة، فالعقل هو الشرع الباطن والنور الداخل، والشرع هو العقل الظاهر والنور الخارج، وما يتراءى في بعض المواضع من التخالف بينهما، إنّما هو لقصور العقل، أو لعدم ثبوت ما ينسب إلى الشرع منه، فإنّ كلّ عقل ليس تاماً، وكلّما ينسب إلى الشرع ليس ثابتاً منه، فالمناط هو العقل الصحيح وما ثبت قطعاً من الشريعة، وأصحّ العقول وأقواها وأمتنها

ثمّ، موضوع علم العقائد هو المبدأ والمعاد وما بينهما من النبوّة والإمامة، والبحث عن أحوال الأئمة الأطهار ومقاماتهم الشامخة وفضلهم ومناقبهم إنّما هو من أُصول الدين وأساسه، فمعرفتهم لازمة وواجبة علىٰ كلّ مكلّف، وعلىٰ كلّ مَن يبحث عن الحقيقة ويطلب سعادته ويبغي نجاته في الدارَين ويتطلّع إلىٰ قائد يقتدي به وأُسوة صالحة يتمسّك بها ويهتدي بأقوالها وأفعالها، والقدوة الصالحة والأُسوة الحسنة لكلّ مَن أراد أن يسعد في حياته وينجو بعد مماته هم الأنبياء والأوصياء والأئمة الأطهار ومن يحذو حذوهم من العلماء الصالحين، فقدوتنا هم الأئمة الأبرار من أهل بيت النبي المختار عليهم السلام، وبهم يعرف اللّه كما عرفت النبوّة، ولولا الحجّة لساخت الأرض، ولَضلّ الإنسان وهلك كما ورد في دعاء الغيبة: «اللّهم عرّفني حجّتك، فإنّك إن لم تعرّفني حجّتك ضللت عن ديني»، وعاقبة أمره أن يموت على الجاهلية، وفي النبوي الشريف: «مَن لم يعرف إمام زمانه مات ميتة الجاهلية ـ متّفق عليه عند الفريقين». فمن وظائف العلماء ومسؤولياتهم الدينية، تعريف الناس بأئمة الهدىٰ، وأنّهم القدوة الصالحة والحسنة بعد رسول اللّه صلى الله عليه وآله.

وثالثاً ـ روىٰ شيخنا الكليني رحمه الله بإسناده، عن عاصم بن حميد، قال: «سُئل علي بن الحسين عليه السلام عن التوحيد؟ فقال: إنّ اللّه عزّ وجلّ علم أنّه يكون في آخر الزمان أقوام متعمّقون، فأنزل اللّه تعالىٰ: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّـهُ أَحَدٌ ﴾ ـ أي: سورة التوحيد ـ، والآيات من سورة الحديد إلىٰ قوله: ﴿ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ

وأصفاها هو عقل صاحب الوحي، ولذا يدرك بنوريّته ما لا سبيل لأمثال عقولنا إلىٰ دركه، كتفاصيل أحوال نشأة الآخرة، فاللازم في مثله أن نأخذه منه إذعاناً، وإن لم نعرف مأخذه العقلي. انتهىٰ كلامه رفع اللّه مقامه.

الصُّدُورِ ﴾، فَمَن رام وراء ذلك فقد هلك»[1].

أجل، مثل هذه الروايات الشريفة تفتح لنا آفاقاً جديدة في العلم الإلهي، وإنّها إخبار بالغيب يدلّ علىٰ صدق قائلها، فإنّ عقل الإنسان في آخر الزمان يتكامل، لعدم محدودية العلم والقدرة والحياة؛ فإنّها من صفات اللّه الذاتية، فلا بدّ من تكامل البشر حتّىٰ نشاهد في مجالاته الدنيوية، يصنع ما يكاد أن يكون بحكم المستحيل، لا سيا عند القدماء، فإذا كان قساوسة النصارىٰ وكنائس المسيحيين تحاكم جاليلو لاعتقاده بكروية الأرض، فما بالهم لو سمعوا أنّ الإنسان قد صعد إلى القمر، وكيف كان حالهم لو عاينوا الاختراعات الحديثة المدهشة التي لا تصدّق لولا أن نراها بالعين ؟ ! !

فأقوام تعمّقوا في العلوم الدنيوية، ومن العدل الإلهي ولطف اللّه أن يكون أقوام يتعمّقون في العلوم الأُخروية (علوم العقائد والفقه والأخلاق) التي فيها سعادة الدارين ونجاة الإنسانية من براثن الجهل.

فديتك نفسي وأهلي يا ابن رسول اللّه، فما أروع كلامك الحقّ الذي يخرج من معادن العلم الإلهي، وخزائن الوحي والرسالة السماوية السمحاء.

«يكون في آخر الزمان أقوام يتعمّقون»، ومن ثمّ أنزل اللّه سبحانه بلطفه سورة التوحيد من أجلهم.

وليس ذلك في التوحيد وحسب، بل في النبوّة والإمامة كذلك، فإنّ النبوّة خلاصة التوحيد، والإمامة امتداد للنبوّة وخلاصتها، فهناك آيات وروايات نزلت وصدرت لأُولئك الأقوام المتعمّقين...

---

(١) الكافي ١ : ٩١، باب النسبة، الحديث ٣.

سيدي، وتصديقاً لمقولتك الإلهية، نرى اليوم أمثال شيخنا الأُستاذ[1] آية اللّه الشيخ حسن حسن زاده الآملي دام ظلّه يكتب رسالة يذكر فيها واحداً وتسعين وجهاً ومعنىً وبياناً للحديث النبوي الشريف: «مَن عرف نفسه فقد عرف ربّه»[2].

ولا عجب في ذلك، بل وسيأتي أقوام يتعمّقون أكثر فأكثر في المعارف الإلهية والعلوم النبوية والولوية.

وإذا كان للقرآن الكريم سبعون[3] بطناً، كما ورد في الخبر الشريف، فكذلك أحاديث أهل البيت عليهم السلام، ولا يكون أتباعهم فقهاء علماء حتىٰ يعرفوا معاريض كلامهم ونكاته ولطائفه ووجوهه وبطونه.

روىٰ شيخنا العلّامة المجلسي قدس سره بإسناده، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «حديث تدريه خير من ألف حديث ترويه، ولا يكون الرجل منكم فقيهاً حتىٰ يعرف معاريض كلامنا، وإنّ الكلمة من كلامنا لتنصرف علىٰ سبعين وجهاً، لنا من جميعها المخرج»[4].

فأحاديث النبي الأعظم وعترته الأئمة المعصومين الأطهار عليهم السلام مفسّرة للقرآن الكريم، ولها وجوه كثيرة كالقرآن، فبطونها عديدة، ولكلّ بطن بطون،

---

(١) حضرت عنده دام ظلّه سنة ١٤١٠ دروس في علم الفلك، فجزاه اللّه خيراً.

(٢) الرسالة مذكورة في مجلة (ميراث جاويدان) التابعة لمنظمة الأُوقاف في إيران، العدد ٤، السنة الأُولىٰ ١٣٧٣ هـ ش، الصفحة ٦٠.

(٣) المراد من السبعين هو الكثرة، لا خصوص السبعين.

(٤) بحار الأنوار ٢ : ١٨٤، الباب ٣٦، إنّ حديثهم صعب مستصعب، وإنّ كلامهم ذو وجوه كثيرة، وفضل التدبّر في أخبارهم عليهم السلام، وفيه ١١٦ حديثاً.

وينفتح من كلّ باب ألف باب، ولا يعلمها إلّا الراسخون في العلم، ولا يُلقّاها إلّا ذو حظٍّ عظيم.

فلا بدّ من التعمّق في أحاديث الرسول وأهل بيته الأبرار لاستخراج الكنوز والذخائر من تراثهم المبارك، ومن اللّه العون والتوفيق والسداد. ثمّ كثرة الروايات في موضوع واحد، لازمها التواتر المعنوي أو الإجمالي، فلا مجال للإشكال حينئذٍ في سند بعض الروايات، وأنّها ضعيفة السند، بل لما ينقل عشرات الروايات في موضوعٍ ما، فإنّه نقطع إجمالاً أنّ واحد منها لا أقلّ صدرت عن المعصوم عليه السلام، كما أنّها مطابقة للقرآن الكريم والعقل السليم والفطرة المستقيمة، كما لازمها التواتر المعنوي، فيكون الموضوع حينئذٍ من الحقّ الحقيق الذي لا ريب فيه هدىً للمتّقين، فتدبّر جيداً.

ورابعاً ـ روى العلّامة المجلسي عن (الخصال) بإسناده: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إيّاكم والغلوّ فينا. قولوا: إنّا عبيد مربوبون، وقولوا في فضلنا ما شئتم»[1].

وقال عليه السلام: «لا تتجاوزوا بنا العبودية، ثمّ قولوا ما شئتم، ولن تبلغوا».

قوله عليه السلام: «ولن تبلغوا»، أي بعد ما أثبتم لنا العبودية ـ بأنّهم عباد اللّه مكرمون ـ، فكلّ ما قلتم في وصفنا، كنتم مقصّرين في حقّنا، ولن تبلغوا ما نستحقّه من التوصيف[2].

وقال عليه السلام: «وإنّما أنا عبد من عبيد اللّه، لا تسمّونا أرباباً، وقولوا ـ سلمان

---

(١) بحار الأنوار ٢٥ : ٢٧٠.

(٢) لقد ذكرت تفصيل هذا المعنىٰ في رسالة (جلوة من ولاية أهل البيت عليهم السلام)، فراجع.

وجندب ـ في فضلنا ما شئتم فإنّكم لن تبلغوا من فضلنا كـنه مـا جـعله اللّـه لنـا ولا معشار العشر»(١).

ومثل هذا الكلام الصريح والنصّ الواضح يدلّ علىٰ أنّ الإنسان مـهما قـال في فضائل أهل البيت عليهم السلام ومناقبهم وعلوّ مقاماتهم وشموخ مراتـبهم، التي هـي دون الخـالق وفـوق المخـلوق، فـإنّه لم يـبلغ المـنتهى، بـل ولن يـبلغ جـزءاً ممّـا يستحقّونه ـ و (لن) كما في اللغة تفيد نـفي التأبـيد ـ أي أبـداً لا يمكـن للـبشر أن يبلغ نهاية المطاف، بل ولا معشار العشر.

وما نصل إليه ونبلغه، إنّما هو منهم وإليهم، فمنهم العلم الإلهي، وهـم أساس المعارف، وبهم فتح اللّه وبهم يختم، ولولاهم لما عرفناهم حتىٰ هذه المعرفة الضئيلة، والعلم القليل.

أجل، بالأمس نطق أُناس بجزء من ألف باء معرفة أهل البيت عليهم السلام، إلّا أنّهم اتّهموا من قبل بعض حسّادهم بالغلوّ والكفر، فإنّ العقول آنذاك لم تصل إلىٰ حـدّ بلوغها ونضوجها، لتتعمّق في المعارف وكلمات أئمـة الحـقّ عليهم السلام وآيـات القـرآن الكريم، فكان من يتكلّم أو يكتب في معرفتهم، ليرفع جانباً من الستار ليكشـف عن صفحة من جمالهم وكمالهم، سرعان ما كان يلقىٰ بحجر الغـلوّ وسهـام مـروقه عن الدين.

ولكن اليوم أعلامنا الأعاظم، جهابذة الفكر والعلم والسـياسة والعـرفان، وأساطين الفقه والأُصول والكلام ـ أمـثال السـيد الإمـام الخـميني قدس سره ـ يكـتب في تعريف الحقيقة المحمدية والحقيقة العلوية، ويتحدّث عن نقطة باء البسملة.

---

(١) بحار الأنوار ٢٦ : ٦.

ولن يبلغ القائل مهما تحدّث في عظمة أهل البيت عليهم السلام ومقامهم الشامخ ومرتبتهم الرفعية.

إلّا أنّه إذا لم نتمكّن من سحب وشرب ماء البحار، فلا بدّ أن نغترف منها بمقدار ما يرفع العطش ويروي الظمأ ويشفي الغليل.

وعسىٰ أن أفتح الطريق برسالتي وبضاعتي المزجاة هذه، لأُولئك الذين يتعمّقون، ورُبّ حامل فقهٍ إلىٰ من هو أفقه منه.

خامساً ـ روى العلّامة المجلسي في الأربعمائة، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «خالطوا الناس بما يعرفون ودعوهم ممّا ينكرون، ولا تحملوهم علىٰ أنفسكم وعلينا، إنّ أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلّا ملك مقرّب أو نبيّ مرسل أو عبد قد امتحن اللّه قلبه للإيمان»(١).

فأمر الولاية وأحاديث أسرارهم، وحقيقة خلقتهم وبواطنهم، من الصعب المستصعب، الذي لا يتحمّله من الناس، إلّا من كان مؤمناً حقاً، قد امتحن اللّه قلبه بالايمان، ومن الطبيعي أنّ الناس أعداء ما جهلوا، ومن لم يكن مؤمناً، وكان في قلبه مرض، وفي نطفته خلل وشبهة، فإنّه ينكر فضائل أهل البيت عليهم السلام، ويرمي ذاكرها بالزندقة والغلوّ، ويضرب بمثل ما في يديه عرض الجدار، ويتّهم كاتبه بما يحاسب عليه يوم القيامة، فإنّه ما يلفظ من قول إلّا لديه عتيد رقيب.

وقد أدّبنا الأئمة عليهم السلام بآداب القرآن الكريم، فعن مولانا أبي عبد اللّه الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ اللّه تبارك وتعالىٰ حصّن عباده بآيتين من كتابه: أن لا يقولوا حتّىٰ يعلموا، ولا يردّوا ما لم يعلموا. إنّ اللّه تبارك وتعالىٰ يقول:

---

(١) بحار الأنوار ٢: ١٨٣.

﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الكِتَابِ أَنْ لا يَقُولُوا عَلَىٰ اللّٰهِ إِلّا الحَقَّ ﴾، وقال: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾».

وعن أبي جعفر عليه السلام، قال: «أما واللّه إنّ أحبّ أصحابي إليّ أورعهم وأفقههم وأكتمهم لحديثنا، وإنّ أسوأهم عندي حالاً وأمقتهم إليّ الذي إذا سمع الحديث ينسب إلينا ويروىٰ عنّا فلم يعقله ولم يقبله، إشمأزّ منه وجحده، وكفر بمن دان به، وهو لا يدري لعلّ الحديث من عندنا خرج وإلينا أُسند، فيكون بذلك خارجاً من ولايتنا»[١].

فالحذار الحذار لأُولئك الذين لا يعقلون بعض الحقائق في معرفة الأئمة الأطهار أن ينكروها ويُعادوها.

فعن أبي عبد اللّه عليه السلام، قال: «لا تكذبوا بحديث آتاكم أحد، فإنّكم لا تدرون لعلّه من الحقّ فتكذّبوا اللّه فوق عرشه».

بل إنّما نتخلّق بأخلاقهم الحسنة، ونردّ ما تضيق به الصدور، ولا تتحمّله العقول الضعيفة إليهم عليهم السلام، فعن سفيان بن السمط، قال: «قلت لأبي عبد اللّه عليه السلام: جعلت فداك إنّ الرجل ليأتينا من قبلك فيخبرنا عنك بالعظيم من الأمر فيضيق بذلك صدورنا حتّىٰ نكذّبه، قال: فقال أبو عبد اللّه عليه السلام: أليس عنّي يحدّثكم؟ قال: قلت: بلىٰ، قال: فيقول للّيل إنّه نهار، وللنهار إنّه ليل؟ قال: فقلت له: لا، قال: فقال: ردّه إلينا، فإنّك إن كذّبت فإنّما تكذّبنا»[٢].

ومن المعلوم أنّ تكذيبهم تكذيب للّه فوق عرشه كما مرّ، ويكون كافراً به

---

(١) المصدر: ١٨٦.

(٢) المصدر: ١٨٧.

سبحانه ـ والعياذ بالله ـ وهو لا يدري ويحسب أنّه يحسن صنعاً، وأنّه يدافع عن العقل وحكومته، وأنّه من الدعاة إلى الحضارة والتمدّن والتحرّر، إلّا أنّه ضلّ وأضلّ...

وأخيراً وليس بآخر: لقد اشتهر بين الناس أنّ (من صَنّف استُهدِف)، وإنّ الله سبحانه يقول: ﴿ وَخَلَقْناكُمْ أطْواراً ﴾، وإنّ أذواق الناس مختلفة، ولولا اختلاف الأذواق لبارت السلع في الأسواق، واختلاف الآراء والأفكار بعدد الناس، وليس كلّ من كتب وصنّف رضي عنه الجميع.

إلّا أنّي أتقرّب إلى الله في عملي، وإنّما كتبت لآخرتي، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلّا من أتى الله بقلبٍ سليم، ومن الواضح أن يكون حينئذٍ مدح الناس وقدحهم على حدٍّ سواء، ولكن بكلّ رحابة صدر أتقبّل النقد البنّاء، فغير المعصوم غير معصوم، وإنّ الإنسان قد ابتلي بالنسيان، وإنّه معرّض للخطأ والاشتباه، فأعتذر مقدّماً من هفوة القلم وزلّة القدم، وأسأل الله السداد والرشاد والإخلاص، فعليه أتوكّل وبه أستعين، ومنه التوفيق وإليه أنيب وإيّاه أعبد، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه الذي جعل الكائنات مظهراً لأسمائه، والحمد جامعاً لكتابه، والبسملة مفتاحاً لحمده، والنقطة منطلقاً لبسملته.

البسملة: مصدر انتزاعي من قوله تعالىٰ: ﴿ بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾، كالحوقلة من: ﴿ لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلّا بِاللّهِ العَلِيّ العَظِيمِ ﴾.

وممّا تعارف عليه الناس أنّهم في بداية أعمالهم ربما يقرأونها باسم عزيزٍ من أعزّائهم أو كبيرٍ من كبرائهم، ليكون ذلك العمل مباركاً متشرّفاً باسمهم، كما يفعلون ذلك في التسمية، فربما يسمّي الولد باسم الوالد أو يكنّىٰ به ـ كما يستحبّ ذلك ـ ليحييٰ ذكر الوالد ولا ينسىٰ، وقد جرىٰ كلام اللّه في البسملة هذا المجرىٰ فابتدأ كلامه المقدّس باسمه جلّ وعلا، ليكون ما فيه اسمه متعلّقاً به، ويتأدّب عباده بأدبه، فيبدأون باسمه في أفعالهم وأعمالهم، حتّىٰ لا تكون مبتورة ومقطوعة من البركة والخير المستمرّ الثابت، ولا تكون هالكة باطلة؛ لأنّها باسم اللّه الذي لا يهلك ولا يزول، فهو السرمدي الأبدي. وكلّ ما ليس لوجهه الكريم فهو هالك وباطل ويكون هباءاً منثوراً، وإنّما يبقى اللّه وما فيه اسم اللّه.

وفي الخبر المشهور عند الفريقين، عن رسول اللّه ﷺ، قال: «كلّ أمر

ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر»، والأبتر هو المنقطع الآخر الذي لا بقاء فيه فهو هالك وزائل لا محالة.

والله: اسم الجلالة علم للذات الواجب الوجود لذاته المستجمع لجميع الصفات الكمالية والجلالية.

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «الله: معناه المعبود الذي يأله فيه الخلق ويؤله إليه، والله هو المستور عن درك الأبصار، المحجوب عن الأوهام والخطرات».

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «معناه: المعبود الذي أله الخلق عن درك ماهيّته والإحاطة بكيفيّته».

وقال الإمام الكاظم عليه السلام: «معناه: استولىٰ علىٰ ما دقّ وجلّ».

وقال الإمام العسكري عليه السلام: «هو الذي يتألّه إليه عند الحوائج والشدائد كلّ مخلوق عند انقطاع الرجاء من كلّ من دونه»[١].

ويقول العلّامة الطباطبائي في تفسيره القيّم (الميزان): «وأمّا لفظ الجلالة، فالله أصله الإله حذفت الهمزة لكثرة الاستعمال، وإله من أله الرجل يأله بمعنىٰ عبد، أو من أله الرجل أو وله الرجل أي تحيّر، فهو فِعال ـ بكسر الفاء ـ بمعنى المفعول، ككتاب بمعنى المكتوب، سمّي إلهاً لأنّه معبود أو لأنّه ممّا تحيّرت في ذاته العقول، والظاهر أنّه عَلَم بالغلبة، وقد كان مستعملاً دائراً في الألسن قبل نزول القرآن يعرفه العرب الجاهلي، كما يشعر به قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾[٢]،

---

(١) الروايات من ميزان الحكمة ١: ١٣٢.

(٢) سورة الزخرف، الآية ٨٧.

وقوله تعالىٰ: ﴿ فَقالُوا هٰذا لِلّٰهِ وَهٰذا لِشُرَكائِنا ﴾[1]، وممّا يدلّ علىٰ كونه عَلَماً أنّه يوصف بجميع الأسماء الحسنىٰ وسائر أفعاله المأخوذة من تلك الأسماء من غير عكس، فيقال: اللّه الرحمن الرحيم، ويقال: رحم اللّه وعلم اللّه ورزق اللّه، ولا يقع لفظ الجلالة صفة لشيء منها، ولا يؤخذ منه ما يوصف به شيء منها.

ولمّا كان وجوده سبحانه وهو إله كلّ شيء، يهدي إلى اتّصافه بجميع الصفات الكمالية، كانت الجميع مدلولاً عليها به بالالتزام، وصحّ ما قيل: أنّ لفظ الجلالة اسم للذات الواجب الوجود المستجمع لجميع صفات الكمال، وإلّا فهو عَلَم بالغلبة لم تعمل فيه عناية غير ما يدلّ عليه مادّة إله.

وأمّا الوصفان الرحمن الرحيم: فهما من الرحمة وهي وصف انفعالي وتأثّر خاصّ يلمّ بالقلب عند المشاهدة من يفقد أو يحتاج إلىٰ ما يتمّ به أمره، فيبعث الإنسان إلىٰ تتميم نقصه ورفع حاجته، إلّا أنّ هذا المعنىٰ يرجع بحسب التحليل إلى الاعطاء والإفاضة لرفع الحاجة، وبهذا المعنىٰ يتّصف سبحانه بالرحمة. والرحمن فعلان صيغة مبالغة تدلّ على الكثرة، والرحيم فعيل صفة مشبّهة تدلّ على الثبات والبقاء، ولذلك ناسب الرحمن أن يدلّ على الرحمة الكثيرة المفاضة على المؤمن والكافر، وهو الرحمة العامة، وعلىٰ هذا المعنىٰ يستعمل كثيراً في القرآن، قال تعالىٰ: ﴿ الرَّحْمٰنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوىٰ ﴾[2]، وقال: ﴿ قُلْ مَنْ كانَ في الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمٰنُ مَدّاً ﴾[3]، إلىٰ غير ذلك، ولذلك أيضاً ناسب الرحيم أن

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١٣٦.

(٢) سورة طٰه، الآية ٥.

(٣) سورة مريم، الآية ٧٥.

يدلّ على النعمة الدائمة والرحمة الثابتة الباقية التي تفاض على المؤمن كما قال تعالىٰ: ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً ﴾[١]، وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾[٢] إلىٰ غير ذلك، ولذلك قيل: إنّ الرحمن عام للمؤمن والكافر ـ في الدنيا ـ، والرحيم[٣] خاص بالمؤمن ـ في الدنيا والآخرة ـ»[٤].

وقال في معنى الإسم: وأمّا الإسم: فهو اللفظ الدالّ على المسمّىٰ مشتقّ من السمة بمعنى العلامة، أو من السموّ بمعنى الرفعة ـ والعلوّ[٥] ـ، وكيف كان

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٤٣.

(٢) سورة التوبة، الآية ١١٧.

(٣) في النهاية: في أسماء اللّه تعالىٰ (الرحمن الرحيم): وهما اسمان مشتقّان من الرحمة، مثل ندمان ونديم، وهما من أبنية المبالغة، ورحمان أبلغ من الرحيم، والرحمن خاص للّه لا يسمّىٰ به غيره ولا يوصف، والرحيم يوصف به غير اللّه تعالىٰ، فيقال: رجل رحيم، ولا يقال: رحمن.

وقيل: الرحمة علىٰ قسمين: امتنانية ووجوبية، فالامتنانية هي الرحمة المفيضة للنعم السابقة على العمل، وهي التي وسعت كلّ شيء، وأمّا الوجوبية فهي الموعودة للمتّقين والمحسنين في قوله تعالىٰ: ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾، ﴿ إِنَّ رَحْمَةَ اللّٰهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾، وهي داخلة في الامتنانية أيضاً؛ لأنّ الوعد بها على العمل محض المنّة، وتقديم الرحمن على الرحيم من تقديم العامّ على الخاصّ.

(٤) الميزان ١: ١٦.

(٥) الإسم مشتقّ من السموّ بمعنى العلوّ والرفعة عند البصريين، ومن الوسم بمعنى العلامة والدلالة عند الكوفيين، ولكلّ منهما وجه، وقيل: الأنسب بالساحة الأُلوهية هو الأوّل.

وأمّا حذف الألف لفظاً عند دخول الباء فلكونها همزة وصل، وهي لا تثبت في الدرج، وحذفت خطاً لكثرة الاستعمال وأُبدلت منها لطول البسملة، وقيل: إنّما تسقط الألف خطّاً

فالذي يعرفه منه اللغة هو اللفظ الدالّ، ويستلزم ذلك أن يكون غير المسمّىٰ، وأمّا الاسم بمعنى الذات مأخوذاً بوصف من أوصافه، فهو من الأعيان لا من الألفاظ، وهو مسمّى الاسم بالمعنى الأوّل، كما أنّ لفظ العالم (من أسماء اللّه تعالىٰ) اسم يدلّ على مسماّه وهو الذات مأخوذة بوصف العلم، وهو بعينه اسم بالنسبة إلى الذات الذي لا خبر عنه إلّا بوصف من أوصافه ونعت من نعوته، والسبب في ذلك أنّهم وجدوا لفظ الاسم موضوعاً للدالّ على المسمّىٰ من الألفاظ، ثمّ وجدوا أنّ الأوصاف المأخوذة علىٰ وجه تحكي عن الذات وتدلّ عليه حالها حال اللفظ المسمّىٰ بالاسم في أنّها تدلّ علىٰ ذوات خارجية، فسمّوا هذه الأوصاف الدالّة على الذوات أيضاً أسماء، فأنتج ذلك أنّ الاسم كما يكون أمراً لفظياً كذلك يكون أمراً عينياً، ثمّ وجدوا أنّ الدالّ على الذات القريب منه هم الاسم بالمعنى الثاني المأخوذ بالتحليل، وأنّ الاسم بالمعنى الأوّل إنّما يدلّ على الذات بواسطته، ولذلك سمّوا الذي بالمعنى الثاني إسماً، والذي بالمعنى الأوّل اسم الاسم، هذا ولكن هذا كلّه أمر أدّىٰ إليه التحليل النظري ولا ينبغي أن يحمل على اللغة، فالاسم بحسب اللغة ما ذكرناه.

وقد شاع النزاع بين المتكلّمين في الصدر الأوّل من الإسلام في أنّ الإسم عين المسمّىٰ أو غيره، وطالت المشاجرات فيه، ولكنّ هذا النوع من المسائل قد اتّضحت اليوم اتّضاحاً يبلغ حدّ الضرورة، ولا يجوز الاشتغال بها بذكر ما قيل

لا لفظاً من البسملة بشرطين :

الأوّل : إذا أُضيف إلىٰ لفظ (اللّه) ولهذا ثبتت في (باسم ربّك) .

والثاني : أن تكون قبلها الباء، ولمثلها حذفت في (بسم اللّه) .

أو ما يقال فيها، والعناية بإبطال ما هو الباطل وإحقاق ما هو الحقّ فيها، فالصفح عن ذلك أولىٰ.

وجاء في جامع الجوامع[1]: أصل الاسم سموٌ، لأنّ جمعه أسماء، وتصغيره سميّ. (اللّه) أصله (إله) فحذفت الهمزة وعوّض عنها حرف التعريف، ولذلك قيل في النداء: (يا أللّه) بقطع الهمزة، كما يقال: (يا إله)، ومعناه أنّه الذي يحقّ له العبادة، وإنّما حقّت له العبادة لقدرته علىٰ أُصول النعم، فهذا الاسم مختصّ بالمعبود الحقّ، لا يطلق علىٰ غيره، وهو اسم غير صفة؛ لأنّك تصفه فتقول (إله واحد)، ولا تصف به، فلا تقول: (شيء إله). و (الرحمن) فعلان من رحم، كغضبان. و (الرحيم) فعيل منه كعليم، وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم، ولذلك قيل: الرحمن بجميع الخلق، والرحيم بالمؤمنين خاصة، ورووا عن الصادق عليه السلام أنّه قال: الرحمن اسم خاصّ بصفة عامة والرحيم اسم عامّ بصفة خاصة. وتعلّقت الباء في (بسم اللّه) بمحذوف تقديره: بسم اللّه أقرأ؛ ليختصّ اللّه بالابتداء به، كما يقال للمُعرس (بالين والبركة) بمعنىٰ أعرست، وإنّما قدّر المحذوف متأخّراً؛ لأنّهم يبتدئون بالأهمّ عندهم، ويدلّ علىٰ ذلك قوله: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ﴾.

وجاء في مجد البيان في تفسير القرآن[2]: وأمّا (اللّه)، ففي الرواية السابقة بطرقها (واللّه إله كلّ شيء). وفي التوحيد عن الإمام العسكري عليه السلام، عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنّ رجلاً قام إليه فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن

---

(١) جامع الجوامع ١ : ١٥.

(٢) مجد البيان في تفسير القرآن : ٢٢٨، بحث حول لفظة الجلالة.

﴿ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾، ما معناه ؟ فقال : إنّ قولك (اللّـه) أعظم اسم من أسماء اللّه عزّ وجلّ، وهو الاسم الذي لا ينبغي أن يسمّىٰ به غير اللّه، ولم يتسمّ به مخلوق. فقال الرجل : فما تفسير قوله (اللّه) ؟ قال عليه السلام : هو الذي يتألّـه إليه عند الحوائج والشدائد كلّ مخلوق عند انقطاع الأسباب من كلّ مَن سواه. ثمّ قال : وذلك أنّ كلّ مترئّس في هذه الدنيا ومتعظّم فيها، وإن عظم غنائه وطغيانه، وكثرت حوائج مَن دونه إليه، فإنّهم سيحتاجون حوائج لا يقدر عليها، فينقطع إلى اللّه عند ضرورته وفاقته، حتّىٰ إذا كفي همّه عاد إلىٰ شركه، أما تسمع اللّه عزّ وجلّ يقول : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتاكُمْ عَذابُ اللّٰهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللّٰهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ بَلْ إِيّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ ما تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شاءَ وَتَنْسَوْنَ ما تُشْرِكُونَ ﴾.

وفيه أيضاً في حديث، أنّه قال أمير المؤمنين عليه السلام : «اللّه، معناه : المعبود الذي يأله فيه الخلق، ويؤله إليه، واللّه هو المستور عن درك الأبصار، المحجوب عن الأوهام والخطرات».

ثمّ قال : قال الباقر عليه السلام : «اللّه، معناه : المعبود الذي أله الخلق عن درك ماهيّته والإحاطة بكيفيته، ويقول العرب : أله الرجل؛ إذا تحيّر في الشيء فلم يحط به علماً، ووله : إذا فزع إلىٰ شيء ممّا يحذره ويخافه، والإله هو المستور عن حواسّ الخلق».

وفي مجمع البحرين : أنّ في الحديث : «اللّـه، معنىٰ يدلّ بهذه الأسماء، وكلّها غيره».

وفي التوحيد، بإسناده، عن الصادق عليه السلام : «اللّـه مشتقّ عن أله، وإله يقتضي مألوهاً».

وفي خطبة الرضا عليه السلام : «له معنى الربوبية إذ لا مربوب، وحقيقة الإلهية

إذ لا مألوه».

ثمّ يقول في اشتقاق كلمة الجلالة وعلميتها وأنّ أصلها ما هو ؟ : إعلم أنّه لا خلاف في أنّ الألف واللام في لفظ الجلالة حرف تعريف في الأصل لا من أصل الكلمة، كما مرّ علىٰ ما صرّح به بعضهم، وذهب الأكثر إلىٰ أنّ أصله (الإلاه). وجوّز سيبويه أن يكون أصله لاهاً من لاه يليه : تستّر واحتجب، وقيل : بمعنىٰ ارتفع، ويبعده كثرة دوران إله في الكلام، واستعمال إله في المعبود، وإطلاقه على اللّه، فهو حينئذٍ كلفظ الناس حيث أنّ أصله (الأُناس) فحذف منه الهمزة وعوّض منه الألف واللام، كما عن أبي علي النحوي، أو من دون تعويض كما ذكره غيره.

والإله مشتقّ من أله ـ بالفتح ـ إلاهة، أي : عبد عبادةً، علىٰ ما ذكره الجوهري ووافقه جماعة.

وعن المصباح : أله يأله ـ من باب تعب ـ إلهة، بمعنىٰ عبد عبادة، وتألّه تعبّد، والإلاه المعبود، وهو اللّه سبحانه ثمّ استعاره المشركون لما عبد من دونه.

وأجود منه ما ذكره الجوهري من تعليل تسمية الأصنام بالإلهة، باعتقادهم أنّ العبادة تحقّ لها، وأسمائهم تتبع اعتقاداتهم، لا ما عليه الشيء في نفسه.

قيل : اتّفق القائلون بالاشتقاق على اشتقاقه ممّا ذكر، وأنّه اسم جنس كالرجل والفرس يقع علىٰ كلّ معبود بحقّ أو باطل، ثمّ غلب على المعبود بحقّ، كما أنّ النجم اسم لكلّ كوكب ثمّ غلب على الثريا. وكذا السنة علىٰ عام القحط، والبيت على الكعبة، والكتاب علىٰ كتاب سيبويه. وأمّا اللّه بحذف الهمزة فمختصّ بالمعبود وبالحقّ، لم يطلق علىٰ غيره، انتهىٰ.

وقيل : (من أله ـ بالكسر ـ، أي : تحيّر). وذكر الجوهري أنّ أصله الوله،

وردّ بمخالفته لكثيرٍ من كلام أهل اللغة، والمناسبة ظاهر، إذ تحيّرت الأوهام وغمضت مداخل الفكر وعجزت العقول عن إدراكه.

وقيل: (من ألهت إلىٰ فلان، أي: سكنت إليه). فالنفوس لا تسكن إلّا إليه، والعقول لا تقف إلّا لديه، ﴿ ألا بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ ﴾[1].

وقيل: (من الوله، وهو ذهاب العقل، سواء فيه الواصلون إلىٰ ساحل بحر العرفان، والواقفون في ظلمات الجهالة وتيه الخذلان).

وقيل: (من أله الفصيل، إذا أُولع بأُمّه؛ لأنّ العبادة تتضرّع إليه في البليّات).

وعن الخليل ومتابعيه وأكثر الأُصوليين والفقهاء من العامة، أنّ: اسم الجلالة ليس بمشتقّ، واسم علم له سبحانه، واحتجّ لذلك بأنّه: لو كان مشتقّاً لكان معناه كلّياً لا يمنع نفس تصوّره عن وقوع الشركة فيه، فلا يكون (إلّا اللّه) موجباً للتوحيد المحض، وبأنّ: الترتيب العقلي ذكر الذات ثمّ نعته بالصفات، وإنّا نقول: اللّه الرحمن الرحيم العالم القادر، ولا نقول العكس، فدلّ علىٰ أنّه اسم علم، وبأنّه لو كان صفة وسائر أسمائه صفات لم يكن للباري تعالىٰ اسم، ولم يبق العرب شيئاً من الأشياء إلّا سمّته، فكيف لم تسمّ خالق الأشياء ومبدعها، فهذا محال.

أقول: يظهر لي في المقام أنّ الإله الذي هو الأصل في (اللّه) علىٰ ما عرفت وصرّح به في الرواية المتقدّمة، ويظهر من سائر الروايات أيضاً هو: فعال بمعنىٰ مفعول، كالكتاب بمعنى المكتوب، من أله بمعنىٰ عبد، كما صرّح به جماعة، وأصل العبودية الخضوع والذلّ، كما صرّح به الجوهري، وربما فسّر بغاية التذلّل، ولعلّه لانصراف اللفظ إلى الفرد الكامل، فيكون الإله هو: المعبود الذي لأجله

---

(١) سورة الرعد، الآية ٢٨.

يقع الخضوع والتذلّل الكامل، انتهىٰ كلامه رفع اللّه مقامه.

ثمّ يذكر المصنّف القدير مطالب قيّمة وثقيلة ملؤها العلم والمعرفة في هذا الباب، لولا الخوف من الإطالة لتعرّضت إليها، إلّا أنّ المقصود الاختصار، وغير هذا فأُوصي القرّاء الكرام بمطالعة هذا التفسير القيّم، ومن اللّه التوفيق.

ثمّ يقول تحت عنوان: (في حقيقة العبودية، وأنّ كلمة الجلالة مستجمع لجميع الصفات الكمالية): ثمّ إنّ التذلّل والخضوع لمعبوده لذاته وصفاته، فيكون المعبود مستحقّاً للخضوع له بذاته وصفاته، والعبد مستحقاً للاتصاف به لذاته، وهذا حقيقة العبادة، فإذا عرف ذاته بخواصّ الامكان ونقصانه، وعرف الحقّ باستجماعه لجميع الصفات الكمالية، انبعث له حال الخضوع قلباً، والطاعة له جوارحاً، وبهذه الملاحظة فاللّه هو الذات المستجمعة لجميع الصفات الكمالية، إذ لو فقد منها شيئاً لم يكن معبوداً بقولٍ مطلق. ومن جملتها أن يكون مرتفعاً عن الخلق وعن مبلغ مداركهم، بحيث يحتجب عنها بغير حجاب، ومستوراً عن درك الأبصار، ومحجوباً عن الأوهام والخطرات، فيأله الخلق عن إدراك حقيقته، فيناسب جملة من مبادي الاشتقاق السابقة، ويوافق جملة من الروايات المتقدمة، ـ ثمّ يذكر المصنّف وجه ذلك ومطالب أُخرىٰ: ثمّ يقول قدّس سرّه الشريف ـ: ومن هنا يتبين وجه التعميم في الحاجة والمحتاج في الرواية الأُولىٰ، وتفصيله بإثبات انحصاره فيه سبحانه، وأنّ مَن سواه لا يقدر على الكلّ وإن قدر علىٰ بعض، بل هو محتاج أيضاً، والمعبود في كلّ جهة لا بدّ وأن يكون غنياً من كلّ جهة؛ إذ عبادة المحتاج للمحتاج سفاهة، وهذا بحسب ظاهر النظر، وإلّا فالمحتاج إليه عند العارف ليس إلّا الحقّ سبحانه، وهو من دونهم وليّ الإعطاء والمنع، وجميع ما سواه يلتجأ به، إمّا دائماً كالعارف، وإمّا عند الحاجة كالمؤمنين،

وإمّا عند الاضطرار كالكفّار، كما يشهد له الآية والرواية، وما رواه في التوحيد بعد ما قدّمناه في صدر ترجمة البسملة قال: (وهو ما قال رجل للصادق عليه السلام: يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله، دلّني على الله ما هو؟ فقد أكثر عليّ المجادلون وحيّروني. فقال له: يا عبد الله، هل ركبت سفينة قطّ؟ قال: نعم. قال: فهل كسر بك حيث لا سفينة تنجيك ولا سباحة تغنيك؟ قال: نعم. قال: فهل تعلّق قلبك هنالك أنّ شيئاً من الأشياء قادر علىٰ أن يخلّصك من ورطتك؟ قال: نعم. قال الصادق عليه السلام: فذلك الشيء هو الله القادر على الانجاء حيث لا منجي، وعلى الإغاثة حيث لا مغيث).

والظاهر أنّ السبب في ذلك رجوع الكافر حال اضطراره إلىٰ نظرته المحجوبة، وظهور تلك المعرفة وفعليته.

ولا يخفىٰ عليك أنّ الالتجاء والاستغاثة والسؤال والفزع كلّها من شؤون العبودية والخضوع والتذلّل، بل هي تذلّلات وخضوعات حالية، كما أنّ الاطاعة بالجوارح عبودية، بل أغلب النفوس لا تخضع ولا تتذلّل إلّا عند الحاجة ﴿ إِنَّ الإِنْسانَ لَيَطْغَىٰ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴾.

فالعبودية أصلها الخضوع والتذلّل، ولها أغصان وفروع وآثار يصحّ إطلاق العبودية علىٰ كلّ منها أيضاً. ألا ترىٰ أنّ السجدة عبادة جوارحية، ولها معنىً قلبيّ هو السجدة القلبية؟

وبما فصّلنا يتّضح أنّ الله هو أعظم اسم من أسماء الله سبحانه، الحاكية عن صفات الذات وصفات الأفعال في مقام الظهور، باعتبار دلالته على المعبودية المطلقة المشتملة علىٰ جميع شؤونها من صفات الذات وصفات الأفعال، والعبودية مساوقة لعالم الإمكان، وكلّ حادث عبد ﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالأَرْضِ

إلّا آتي الرَّحْمٰنَ عَبْداً ﴾، والعبودية وجهة العبد إلىٰ سيّده، والعابد إلىٰ معبوده، والرابطة والوسيلة، واللّه سبحانه معبود بذاته وصفاته وأفعاله وآثاره، ولو أغمض النظر عن واحد منها لم يكن معبوداً مطلقاً، فلو خرج عن مدلول كلمة الجلالة اسم من أسمائه الظاهرة لم يكن باعتباره معبوداً، فخرج مظاهر ذلك الاسم عن دائرة العبودية من حيث كونها مظاهر له، والمعبود المطلق مَن كان كاملاً في ذاته وصفاته، باستجماعه جميع الصفات الجمالية والكمالية، الذاتية والفعلية، مرجواً عند كلّ ما يرجىٰ، مخوفاً عند كلّ ما يخاف، مستحقاً للمحبوبية بجميع الوجوه والحيثيات، وللحياء منه بجميع الشؤون الموجبة لاستحقاق الحياء منه، متوحّداً في جميع ذلك، لا يشاركه في شيء منها غيره. فمدلول هذه الكلمة (اللّـه) شاملة لمدلول كلّ اسم من الأسماء الظاهرة، فهو أعظم منها وأعمّ.

ومن هنا يتبيّن أنّه المقدّم عليها معنىً، فهو المستحقّ للتقديم لفظاً يوصف بها، ولا يجري وصفاً لشيء منها.

ثمّ يقول رحمه الله: وممّا ذكرنا ظهر فساد الاستدلال علىٰ أنّه اسم للذات، فيذكر وجه ذلك. وممّا فصّلنا ظهر اندراج سائر الاحتمالات في المشتقّ منه تحت ما ذكرنا، علىٰ وجه يظهر للمتأمّل فيما ذكر، فلا نطيل ببيانها، ووجه الجمع بين الأخبار الواردة في ذلك، وانطباقها على القواعد اللفظية، فلا تغفل.

ثمّ له بحث قيّم حول تفسير كلمة الجلالة باعتبار حروفها، مبتدأً بقوله: وأمّا شرح الكلمة باعتبار حروفه، ففي التوحيد، بإسناده، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، بعد السؤال عن تفسير (اللّه) في ضمن تفسير البسملة، قال: الألف آلاء اللّـه علىٰ خلقه من النعيم بولايتنا، واللام إلزام اللّه خلقه ولايتنا، قلت: فالهاء؟ قال: هوانٌ لمن خالف محمّداً وآل محمد صلوات اللّه عليهم، الحديث. ولعلّه أسقط منه

الألف واللام لخروجها عن جوهر الكلام، أو أخذ اللام المشدّدة واحدة وأسقط الألف المتأخّرة عنه... ثمّ له بحث حول كلمتي الرحمن الرحيم مفصّلاً، وأنّ مرتبة الرحمة متأخّرة عن مرتبة الأُلوهية، وأنّ الرحمن اسم خاصّ لصفة عامة، والرحيم اسم عام لصفة خاصة، وغير ذلك من المباحث النافعة والمفيدة، فراجع.

من معالم سورة الحمد

سورة الحمد تسمّىٰ بالسبع المثاني، قال اللّه تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِيَ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمِ ﴾[1]، باعتبار آياتها سبعة مع البسملة، وأنّها نزلت مرّتين فهي مكّية نزلت عند وجوب الفريضة، ومدنية نزلت عند تحوّل القبلة من البيت المقدّس إلى الكعبة المشرّفة[2].

والروايات الواردة عن الرسول الأكرم وأهل بيته الأطهار عليهم السلام في فضائلها وخواصّها أكثر منها في غيرها من السور القرآنية.

روى الشيخ الصدوق عليه الرحمة في كتابه (معاني الأخبار)، بإسناده، عن جابر بن عبد اللّه، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: مَنَّ عليّ ربّي وقال لي: يا محمد، أرسلتك إلىٰ كلّ أحمر وأسود، ونصرتك بالرعب، وأحللت لك الغنيمة، وأعطيتك لك ولاُمّتك كنزاً من كنوز عرشي: فاتحة الكتاب وخاتمة سورة البقرة.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: لو قرأت الحمد علىٰ ميّت سبعين مرّة ثمّ ردّت

---

(١) سورة الحجر، الآية ٧٥.

(٢) تفسير البصائر ١: ١١ و ٢٥. وقد ثبت في الأخبار: أنّ السبع المثاني هي سورة الحمد، ومعنى المثاني: أنّها تثنىٰ وتعاد في كلّ صلاة تقرأ فيها، وجاء في تفسير الكاشف (١: ٣١): اختلفوا في مكان نزولها فقيل: في مكة المكرمة، وقيل: بل في المدينة، وقال ثالث: نزلت مرّتين، في مكة أوّلاً وفي المدينة ثانية تأكيداً لأهميتها ومبالغة في تشريفها، وأكثر المفسرين علىٰ أنّها نزلت في مكة. وهذا خلاف عقيم لا فائدة له، لأنّ هذه السورة الكريمة لا تحتوي علىٰ آية يختلف معناها باختلاف النزول.

الروح، ما كان عجباً.

وفي جامع الأخبار للشيخ الصدوق، بإسناده، عن رسول اللّه، أنّه قال: مَن قرأ فاتحة الكتاب اعطاه اللّه بعدد كلّ آية نزلت من السماء فيجزىٰ بها ثوابها.

وروى البخاري، عن أبي سعيد بن المعلّىٰ، قال: كنت أصلّي، فدعاني النبيّ ﷺ، فلم أُجبه، ثمّ قلت: يا رسول اللّه، إنّي كنت أُصلّي. قال: ألم يقل اللّه ﴿ اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ ﴾[1]، ثمّ قال: ألا أُعلّمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد؟ فأخذ بيدي، فلمّا أردنا أن نخرج قلت: يا رسول اللّه، إنّك قلت: ألا أُعلّمك أعظم سورة في القرآن؟ قال: الحمد للّه ربّ العالمين، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أُوتيته.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: اسم اللّه الأعظم مقطّع في أُمّ الكتاب.

فسورة الحمد تسمّىٰ بأُمّ الكتاب[2]؛ لوجوه، أشهرها: إنّها جامعة لأُصول وأهداف القرآن الكريم ومقاصده المقدّسة، فتضمّ رؤوس المطالب والمعارف، والعرب يسمّون ما يجمع أشياء متعدّدة (أُمّاً)، كما يسمّون الجلدة الجامعة للدماغ

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٢٤.

(٢) لسورة الحمد أسماء بلغت (٢٥) اسماً، أشهرها: ١ ـ الفاتحة؛ لأنّها أوّل سورة في كتابة المصاحف ولوجوب قراءتها في أوّل الصلاة. ٢ ـ الحمد؛ لأنّه أوّل لفظها. ٣ ـ أُمّ الكتاب وأُمّ القرآن؛ لأنّها متقدمة علىٰ غيرها من السور ولو كتابة تقدّم الأُمّ علىٰ أبنائها، ولأنّها اشتملت علىٰ أصلين: ذكر الربوبية والعبودية، وعليهما ترتكز تعاليم القرآن. ٤ ـ السبع المثاني؛ لأنّها سبع آيات وبقراءتها يثنىٰ في الصلاة، أو لأنّها جمعت بين ذكر الربوبيه والعبودية. ومهما يكن فإنّ التسمية تصحّ لأدنىٰ شبه. (الكاشف ١: ٣٢).

(أُمّ الرأس). ففي الفاتحة إجمال ما فصّل في الكتاب المجيد، فكان الكتاب نشأ من هذه السورة بالتفصيل بعد الاجمال، كما سمّيت مكة المكرمة بـأُمّ القرىٰ؛ لأنّ الأرض دحيت منها.

كما إنّ الاُمّ بمعنى المقصود وما يقصده الإنسان، فأَمَّهُ أي: قَصَدَه. وفي هذه السورة مقصود الكتاب، وهي أوّل سورة يفتتح بها، فهي أصل الكتاب ومن ثمّ تضاف إليه، ويقال: فاتحة الكتاب.

فكلّ ما جاء في القرآن الكريم إنّما هو في سورة الحمد، فإنّها براعة استهلال رائعة للقرآن الكريم، فهي تحتوي علىٰ أُصول الدين وفروعه، فالحمد للّه: إنّما يدلّ علىٰ إثبات الصانع، وربّ العالمين: علىٰ صفاته. والرحمن الرحيم: علىٰ عدله، ومالك يوم الدين: علىٰ إثبات المعاد، والصراط المستقيم: على السعادة الدنيوية والأُخروية من الأعمال الصالحة والعبادات الصحيحة، وأنعمت عليهم: يدلّ على النبوّة والإمامة؛ فإنّ اللّه أنعم علىٰ الأنبياء والأولياء والشهداء والصالحين، وغير المغضوب عليهم ولا الضالّين: إنّما يدلّان على المنحرفين وأصل الضلال والغضب والشقاوة في الدنيا والآخرة، وإشارة إلىٰ قصص الأنبياء وأُممهم السالفة.

ففي السورة تقرير الحمد للّه عزّ وجلّ وربوبيته للعالمين، فالإله الذي يؤمن به المسلمون إله واحد لا شريك له هو ربّ العالمين، ويجب عليهم حمده والثناء عليه، فإنّه الرحمن في الدنيا للمؤمن والكافر، فساواهما في الرزق والهداية والرحمة العامة، وجعل الإنسان مختاراً، فإمّا شاكراً وإمّا كفوراً، ثمّ خصّ رحمته بالمؤمنين الذين استجابوا للّه ولرسوله ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾[1]،

(١) سورة الأعراف، الآية ١٥٦.

وفي السورة تعليم وتربية للإنسان أنّه إنّما يعبد اللّه وحده ويستعين به لا بغيره ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين ﴾، فقلب المؤمن يكون حرم اللّه وعرشه، فيدعو اللّه أن يهديه الطريق القويم والصراط المستقيم، وذلك صراط الذين أنعم اللّه عليهم من أنبيائه وأوليائه، كما يدعو أن يقيه عن الضلال وطريق المغضوب عليهم، فلكلّ واحد في الحياة طريقان: طريق الهداية وطريق الضلال، سبيل الحقّ وسبيل الباطل، طريق النور والجنّة، وطريق الظلمة والنار.

روى الشيخ الصدوق في (عيون الأخبار) و (علل الشرائع) بإسناده، عن الفضل بن شاذان، عن الإمام الرضا عليه السلام، أنّه قال: فلِمَ أُمروا بالقراءة في الصلاة؟ لئلّا يكون القرآن مهجوراً مضيّعاً، وليكون محفوظاً مدروساً، فلا يضمحلّ ولا يجهل. فإن قال: فلِمَ بدىء بالحمد في كلّ قراءة دون سائر السور؟ قيل: لأنّه ليس شيء من القرآن والكلام جمع فيه من جوامع الخير والحكمة ما جمع في سورة الحمد.

وذلك أنّ قوله: ﴿ الحَمْدُ لِلّهِ ﴾ إنّما هو أداء لما أوجب اللّه تعالىٰ علىٰ خلقه من الشكر، وشكر لما وفّق عبده للخير.

﴿ رَبِّ العالَمِين ﴾: تمجيد له وتحميد وإقرار بأنّه هو الخالق المالك لا غيره.

﴿ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾: استعطاف وذكر لآلائه ونعمائه علىٰ جميع خلقه.

﴿ مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾: إقرار بالبعث والحساب والمجازاة وإيجاب له ملك الآخرة كما أوجب له ملك الدنيا.

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾: رغبة وتقرّب إلى اللّه عزّ وجلّ وإخلاص بالعمل له دون غيره.

﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾: استزادة من توفيقه وعبادته واستدامة لما أنعم عليه

ونصره.

﴿ إهْدِنا الصِّراطَ المُسْتَقِيم ﴾: استرشاد به واعتصام بحبله واستزادة في المعرفة بربّه وبعظمته وبكبريائه.

﴿ صِراطَ الذِّينَ أنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾: توكيد في السؤال والرغبة، وذكر لما تقدّم من نعمه علىٰ أوليائه، ورغبة في مثل تلك النِعَم.

﴿ غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾: استعاذة من أن يكون من المعاندين الكافرين المستخفّين به وبأمره ونهيه.

﴿ وَلا الضَّالِّينَ ﴾: اعتصام من أن يكون من الضالّين الذين ضلّوا عن سبيله من غير معرفة وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً. فقد اجتمع فيه من جوامع الخير والحكمة في أمر الآخرة والدنيا ما لا يجمعه شيء من الأشياء.

وروىٰ شيخنا الصدوق عليه الرحمة في (عيون الأخبار) و (الأمالي)، بإسناده، عن يوسف بن محمد بن زياد، وعلي بن محمد بن سيار، عن أبويهما، عن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسىٰ بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب، عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله تبارك وتعالىٰ: قسّمت فاتحة الكتاب بيني وبين عبدي، فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل، إذا قال العبد: ﴿ بِسْمِ اللّٰـهِ الرَّحْمٰـنِ الرَّحِيمِ ﴾، قال الله جلّ جلاله: بدأ عبدي باسمي وحقّ عليّ أن أتمّم له أموره وأُبارك له في أحواله. فإذا قال: ﴿ الحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ العالَمِين ﴾، قال الله جلّ جلاله: حمدني عبدي وعلم أنّ النعمة التي له من عندي وأنّ البلايا التي إن دفعت عنه فبسطوتي، أُشهدكم أنّي أُضيف له إلىٰ نعم الدنيا نعم الآخرة، وأرفع عنه بلايا الآخرة كما دفعت عنه بلايا الدنيا، فإذا قال: ﴿ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمِ ﴾، قال اللّٰه جلّ

جلاله : شهد لي بأنّي الرحمن الرحيم، أُشهدكم لأُوفّرنّ من رحمتي حظّه، ولأُجزلنّ من عطائي نصيبه.

فإذا قال : ﴿ مالِكِ يَوْمِ الدِّين ﴾، قال اللّه عزّ وجلّ : أُشهدكم كما اعترف أنّي أنا مالك يوم الدين، لأُسهلن يوم الحساب حسابه، ولأتقبّلن حسناته ولأتجاوزنّ عن سيّئاته. فإذا قال : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾، قال اللّه عزّ وجلّ : صدق عبدي، إيّاي يعبد، أُشهدكم لأثيبنّه علىٰ عبادته ثواباً يغبطه كلّ مَن خالفه في عبادته. فإذا قال : ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين ﴾، قال اللّه عزّ وجلّ : بي استعان والتجأ، أُشهدكم لأُعيننّه علىٰ أمره، ولأُغيثنّه في شدائده، ولآخذنّ بيده يوم نوائبه. فإذا قال : ﴿ اهْدِنا الصِّراطَ المُسْتَقِيم ﴾ إلىٰ آخر السورة، قال اللّه جلّ جلاله، هذا لعبدي ولعبدي ما سأل، قد استجبت لعبدي وأعطينه ما أمل وآمنته ممّا منه وجل.

عزيزي القارىء : ليست هذه المقامات لكلّ من يقرأ الحمد حتّىٰ ولو كان فاسد العقيدة، بل بشرطها وشروطها، ومن أهمّ شرائطها كما يدلّ عليه الخبر الشريف نفسه، أن يكون العبد عبد اللّه، لا عبد الهوىٰ والنفس، ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ ﴾، وعبد الدنيا والدينار والجاه والمقام، ويطيع الطواغيت والجبابرة والظالمين، فليس لمثل هذا الذي يتولّىٰ عدوّ اللّه وأئمة الضلال إلّا النار، حتىٰ ولو قرأ الحمد ليل نهار.

فعلينا أن نقرأ الحمد بإيمان كامل وعقيدة صحيحة وعمل صالح وعلم نافع، فإنّ في الحمد كلّ المعارف القرآنية، فإنّه علىٰ عظمته وشموخه في معارفه السامية وما يتفرّع عليها من الفروع والأحكام في العبادات والمعاملات والسياسات والأخلاق والآداب والسنن، ومن الوعد والوعيد والقصص والحكم والأمثال

وغير ذلك، كلّها ترجع إلىٰ أُصولها الثلاثة: التوحيد والمعاد والنبوّة وما يتعلّق بها، وإلىٰ هداية الناس إلىٰ ما فيه الخير والصلاح والسعادة في الدنيا والآخرة، وهذه السورة المقدّسة علىٰ اختصارها وقلّة كلماتها تحتوي علىٰ جميعها في أوجز لفظ وأوضح معنىٰ، والغرض الأساسي من الوحي والدين هو حفظ أُصوله، ثمّ فروعه ومعارفه.

وأوّل المعرفة وأوّل العلم معرفة اللّه جلّ جلاله، وتوحيده في الذات والصفات والأفعال، ثمّ المعرفة بصفاته وأفعاله، ثمّ معرفة يوم الدين، يوم جزاء المؤمن علىٰ طاعته والكافر علىٰ معصيته وكفره، وأنّ اللّه مالك ذلك اليوم وإليه الحساب، ومَن عرف المعاد صلح في عمله، فإنّ معرفة المعاد والإيمان به تحثّ المكلّف على الطاعة والعمل الصالح، وأفضل الأعمال العبادة، فهي فلسفة الحياة، وسرّ الخليقة، وإنّما يستحقّ العبادة ربّ العالمين؛ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾، ولا تكون إلّا إذا وثق العبد بربّه وتوكّل عليه واستعان به؛ ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾، إنّما تنقاد النفس إلى الطاعة بلطف من اللّه وعنايته فندعو اللّه؛ ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾، صراط محمد وآله، فيحتاج الإنسان إلىٰ من يبيّن هذا الصراط، فلا بدّ من النبوّة والإمامة، وأشار بقوله: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾، وأنّ الناس في المعرفة باللّه والإيمان والعمل علىٰ طوائف ثلاثة: فمنهم: مَن وصل إلىٰ ساحل المعرفة وعصر النور الذي يسعىٰ بين أيديهم، فاستغرقوا في الطاعة والعمل، ومنهم: مَن عاند واستخفّ بأوامر اللّه ونواهيه وأعرض عن المعرفة، فغضب اللّه عليه، ومنهم: من تاه في الجهالة وبقي حيران في وادي الظلمات وظلّ الطريق. فالطائفة الأُولىٰ: الذين أنعم اللّه عليهم، والثانية: المغضوب عليهم، والثالثة: الضالّين، كما كانت هذه الطوائف في الأُمم السالفة.

فهذه السورة الشريفة تحتوي رموزاً لكلّ ما جاء في القرآن الكريم من المعارف والعلوم، ويجب علىٰ كلّ مسلم مكلّف في كلّ يوم وليلة أن يتلوها عشر مرّات في أهمّ أركان دينه وعموده، وهي الصلاة، ليعرف أُصوله وفروعه وحقائقه، ويعرف طريق الهدىٰ والصراط المستقيم، ليهتدي ويسعد في الدارين، كما يعرف طريق الضلال والغضب ليتجنّبه وينجو من الشقاء والنار والخزي في الدنيا والآخرة.

«ومَن تتبّع آي الذكر الحكيم، وتدبّر معانيها، يجد وراءها مقسماً مشتركاً وإطاراً عاماً يربط بين جميع قواعده ومبادئه وسوره وآياته، وهذا الرابط هو الدعوة إلىٰ أن يحيا الناس ـ كلّ الناس ـ حياة طيّبة يسودها الأمن والعدل ويغمرها الخصب والسلام: ﴿ يا أيّها الذّينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلّهِ وَلِلْرَسُولِ إذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ ﴾[1]»[2].

ومن فضائل سورة الحمد: ما قاله رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «أيّما مسلم قرأ فاتحة الكتاب، أُعطي من الأجر كأنّما قرأ ثلثي القرآن، وأُعطي من الأجر كأنّما تصدّق علىٰ كلّ مؤمن ومؤمنة»[3].

وعن جابر بن عبد اللّه، عنه صلى الله عليه وآله، قال: «هي شفاء من كلّ داء إلّا السامّ، والسامّ الموت»[4].

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٢٣.

(٢) تفسير الكاشف ١ : ١٠.

(٣) جامع الجوامع ١ : ١٥.

(٤) جامع الجوامع ١ : ١٥.

وهناك روايات كثيرة في بيان فضائل سورة الحمد، كما أنّ الحديث حـولها في علم التفسير والحديث واستخراج المعارف منها لكثير جداً، لم نطرق أبـوابهـا طلباً للاختصار، وإنّ المقصود بيان نقطة باء البسملة، فتدبّر.

من معالم البسملة

لقد وردت في أخبارنا المروية عن النبي الأكرم وأهل بيته الأطهار عليهم السلام أنّه : «لا صلاة إلّا بفاتحة الكتاب»، كما أنّ البسملة من الفاتحة، هذا ما اتّفق عليه المسلمون.

روى الصدوق، بإسناده، في أماليه والعيون، عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، أنّه قال : «إنّ بسم اللّه الرحمن الرحيم آية من فاتحة الكتاب، وهي سبع آيات، تمامها ببسم اللّه الرحمن الرحيم، سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله يقول : إنّ اللّه عزّ وجلّ قال لي : يا محمد ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾، فأفرد الامتنان عليّ بفاتحة الكتاب وجعلها بإزاء القرآن العظيم، وإنّ فاتحة الكتاب أشرف ما في كنوز العرش، وإنّ اللّه عزّ وجلّ خصّ محمداً وشرّفه بها، ولم يشرك معه فيها أحداً من أنبيائه ما خلا سليمان، فإنّه أعطاه منها بسم اللّه الرحمن الرحيم، ألا تراه يحكي عن بلقيس حين قالت : ﴿ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾، ألا فمن قرأها معتقداً لموالاة محمد وآله الطيبين، منقاداً لأمرهما، مؤمناً بظاهرهما وباطنهما، أعطاه اللّه عزّ وجلّ بكلّ حرف منها حسنة، كلّ واحدة منها أفضل له من الدنيا بما فيها من أصناف أموالها وخيراتها، ومن استمع إلىٰ قارىءٍ يقرأها كان له قدر ثلث ما للقارىء، فليستكثر أحدكم من هذا الخير المعرض لكم، فإنّه غنيمة لا يذهبنّ أوانه فتبقىٰ في قلوبكم الحسرة».

وروى القمّي في تفسيره، عن ابن أُذينة، قال : قال أبو عبد اللّه الإمام الصادق عليه السلام : بسم اللّه الرحمن الرحيم، أحقّ ما أجهر به، وهي الآية التي قال

اللّه عزّ وجلّ: ﴿ وَإِذا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي القُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبارِهِمْ نُفُوراً ﴾[1].

وقد أفتى الفقهاء باستحباب الجهر بالبسملة في الصلاة الاخفاتية ووجوبه في الجهرية، وقيل بوجوبه مطلقاً، والجهر بها في غيرها، وفيها: من علامات المؤمن، كما ورد في الخبر الشريف.

فالبسملة جزء من فاتحة الكتاب، هذا ما اتّفق عليه أهل القبلة، وأمّا في غيرها من السور إلّا سورة البراءة فإنّها عند الشيعة الإمامية جزء من كلّ سورة، كما ورد في الروايات. وقال الشيخ الطوسي في تفسيره (التبيان): «عندنا بسم اللّه آية من الحمد ومن كلّ سورة». وقال الطبرسي في تفسيره (مجمع البيان): «اتّفق أصحابنا أنّها آية من سورة الحمد ومن كلّ سورة، وإنّ من تركها في الصلاة بطلت صلاته، سواء كانت الصلاة فرضاً أو نفلاً، وأنّه يجب الجهر بها فيما يجهر فيه بالقراءة، ويستحبّ الجهر فيما يخافت فيه بالقراءة».

روى العياشي في تفسيره، عن علي عليه السلام أنّه بلغه أنّ أُناساً ينزعون بسم اللّه الرحمن الرحيم، فقال: هي آية من كتاب اللّه أنساهم إيّاها الشيطان.

وبإسناده، عن أبي جعفر الإمام الباقر عليه السلام، قال: سرقوا أكرم آية في كتاب اللّه: ﴿ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾.

فأبناء العامة لا يقرأون البسملة في حمدهم في الصلاة، علىٰ أنّهم يقرأونها بنيّة الدعاء، زاعمين أنّها تشتمل علىٰ ذلك، وبعضهم يخفت فيها.

ثمّ في معنىٰ باء البسملة، أقوال:

١ ـ للاستعانة، كما هو المشهور، أي: ﴿ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ أقرأ

(١) سورة الإسراء، الآية ٤٦.

أو أكتب وأعمل وأُريد وأقول وغير ذلك من الأُمور مستعيناً به عزّ وجلّ. وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ أي: أستعين علىٰ أُموري كلّها باللّه.

٢ ـ للإلصاق، علىٰ أنّ المقصود من العلوم كلّها هو وصول العبد إلىٰ ربّه، وأنّ العلوم في القرآن الكريم، وما في القرآن إنّما هو في الفاتحة، وعلومها مندرجة في البسملة، وما فيها في بائها، فالعبد بها يصل إلىٰ ربّه، وهو نهاية المنىٰ.

٣ ـ للمصاحبة والملابسة، أي كلّ ما أفعله إنّما هو ملابساً بسم اللّه الرحمن الرحيم.

وفي لفظ الجلالة (اللّه) أقوال:

١ ـ إنّه ليس بمشتقّ، وإنّما هو اسم للذات الواجب الوجود المستجمع لجميع صفات الكمال، وهو المشهور، وقد مرّ علينا بعض التحقيق في هذا الباب.

٢ ـ عن ابن عباس: هو الذي يألهه كلّ شيء، ويعبده كلّ خلق، وهو ذو الأُلوهية والمعبودية على الخلق أجمعين، بناءً على اشتقاقه من أله بمعنىٰ: عبد.

٣ ـ عن المبرّد: إنّه مشتقّ من أله بمعنىٰ: سكن، فإنّ النفوس لا تسكن إلّا إليه، وإنّ العقول لا تقف إلّا لديه، ألا بذكر اللّه تطمئنّ القلوب.

٤ ـ إنّه مشتقّ من وله، وهو ذهاب العقل وتحيّره في كنه ذاته وجلاله وعظمته.

٥ ـ إنّه مشتقّ من لاه بمعنىٰ: ارتفع؛ لأنّه جلّ وعلا ارتفع عن مشابهة كلّ شيء سواه.

٦ ـ إنّه مشتقّ من لاه بمعنىٰ: احتجب؛ لأنّه تعالىٰ بكنه صمديته محتجب عن العقول لكمال ظهوره.

٧ ـ إنّه مشتقّ من أله الفصيل إذا ولع بأُمّه؛ فإنّ العباد إذا مسّهم الضرّ

مولعون منيبون بالتضرّع إليه، وهناك أقوال أُخرىٰ بعيدة[1]، وذكرنا ما قاله العلّامة الطباطبائي في تفسيره حول الاسم واسم الجلالة والرحمن الرحيم، وفيها أقوال أُخرىٰ لم نتعرّض لها طلباً للاختصار.

واعلم أنّ البسملة من كلمات اللّه المقدّسة وأذكاره الروحانية التي لها آثار وخواصّ في تربية النفوس البشرية من التزكية والفلاح والصلاح، ويطرد بها الشيطان الرحيم والنفاق، وإنّ اسم اللّه الأعظم أقرب إليها من سواد العين إلىٰ بياضها، فهي شعار المسلمين وكلمة المعتصمين ومقالة المتحرّزين، يستفتحون بها أقوالهم وأعمالهم ويتبرّكون بها في سائر أفعالهم، وإنّها من سنّة الأنبياء ولا سيما خاتم المرسلين والنبيّين محمد صلى الله عليه وآله، بها تفتح سور القرآن، وتكون الأعمال مباركة لو قرنت بالبسملة، بل لو لم يذكر اسم اللّه على الذبيحة فإنّها تكون ميتة ويحرم أكلها، فما لم يذكر عليه اسم اللّه يكون بحكم الميتة يضرّ الروح والجسد، وعند أهل المعرفة وأولياء اللّه كلّ شيء لم يذكر عليه اسم اللّه، فإنّه يضرّ بالروح ويكون لها بحكم الميتة، والإمام السجّاد يستغفر اللّه من كلّ لذّة ليس فيها اسم اللّه ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴾[2].

فنستعين عند افتتاح كلّ أمر صغير أو كبير باللّه الذي وسعت رحمته كلّ شيء، حتّى الكافر في الدنيا، وخصّت رحمته بالمؤمنين المتّقين المحسنين في الدنيا والآخرة.

قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: إنّ اللّه منّ عليّ بفاتحة الكتاب من كنز الجنّة فيها:

---

(١) تفسير البصائر ١ : ١١٩.

(٢) سورة الأعلىٰ، الآية ١٤ ـ ١٥.

﴿ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾، الآية التي يقول فيها: ﴿ وَإِذا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي القُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلىٰ أَدْبارِهِمْ نُفُوراً ﴾.

وفي توحيد الشيخ الصدوق، بإسناده، عن الحسن بن محمد عليه السلام، في قول اللّه عزّ وجلّ ﴿ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾، فقال: اللّه هو الذي يتألّه إليه عند الحوائج والشدائد كلّ مخلوق عند انقطاع الرجاء من كلّ مَن دونه وتقطّع الأسباب عن جميع ما سواه، يقول: بسم اللّه أي أستعين علىٰ أُموري كلّها باللّه الذي لا يحقّ العبادة إلّا له المغيث إذا استُغيث، المجيب إذا دُعي.

قام رجل إلىٰ عليّ بن الحسين عليه السلام، فقال: أخبرني ما معنىٰ ﴿ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾؟ فقال الإمام علي بن الحسين: حدّثني أبي، عن أخيه الحسن، عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام أنّ رجلاً قام إليه فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن ﴿ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ ما معناه؟ فقال: إنّ قولك (اللّه) أعظم اسم من أسماء اللّه عزّ وجلّ، وهو الاسم الذي لا ينبغي أن يسمّىٰ به غير اللّه، ولم يتسمّ به مخلوق، فقال الرجل: فما تفسير قوله (اللّه)؟ فقال: هو الذي يتألّه عند الحوائج والشدائد كلّ مخلوق عند انقطاع الرجاء من جميع مَن دونه وتقطّع الأسباب من كلّ ما سواه. وذلك أنّ كلّ مترأّس في هذه الدنيا ومتعظّم فيها، وإن عظم غناؤه وطغيانه وكثرت حوائج مَن دونه إليه، فإنّهم سيحتاجون حوائج لا يقدر عليها هذا المتعاظم، وكذلك هذا المتعاظم يحتاج حوائج لا يقدر عليها، فينقطع إلىٰ اللّه عند ضرورته وفاقته، حتّىٰ إذا كفىٰ همّه عاد إلىٰ شركه. أما تسمع اللّه عزّ وجلّ: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتاكُمْ عَذابُ اللّٰهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السّاعَةُ أَغَيْرَ اللّٰهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ بَلْ إِيّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ ما تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شاءَ وَتَنْسَوْنَ ما تُشْرِكُونَ ﴾، فقال اللّه جلّ جلاله لعباده: أيّها الفقراء إلىٰ رحمتي، إنّي قد ألزمتكم الحاجة إليّ في كلّ حال،

وذلّة العبودية في كلّ وقت، فإليّ فافزعوا في كلّ أمر تأخذون فيه وترجون تمامه وبلوغ غايته، فإنّي إن أردت أن أُعطيكم لم يقدر غيري علىٰ منعكم، وإن أردت أن أمنعكم لم يقدر غيري علىٰ إعطائكم، فأنا أحقّ مَن سئل، وأولىٰ مَن تضرّع إليه. فقولوا عند افتتاح كلّ أمر صغير أو عظيم: ﴿ بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾، أي أستعين علىٰ هذا الأمر بالله الذي لا تحقّ العبادة لغيره، المغيث: إذا استغيث، المجيب: إذا دُعي، الرحمن: الذي يرحم، يبسط الرزق علينا، الرحيم بنا في أدياننا ودنيانا وآخرتنا، وخفّف علينا الدين، وجعله سهلاً خفيفاً، وهو يرحمنا.

ثمّ وردت روايات كثيرة تدلّ علىٰ فضل البسملة وعظمتها عند الله وآثارها في الدنيا والآخرة، فروى شيخنا الصدوق عليه الرحمة في عيون الأخبار بإسناده، عن محمد بن سنان، عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ أقرب إلىٰ اسم الله الأعظم من سواد العين إلىٰ بياضها.

وعن ابن مسعود، عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، من أراد أن ينجيه من الزبانية فليقرأ: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ تسعة عشر حرفاً ليجعل الله كلّ حرف منها جُنّة من واحد منها.

في الكافي، بسنده، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: سمعته يقول: أوّل كتاب نزل من السماء ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾، فإذا قرأت ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ فلا تبالي أن لا تستعيذ، وإذا قرأت ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ سترتك فيما بين السماوات والأرض[1].

وأيضاً بسنده، عن جميل بن درّاج، قال: قال أبو عبد اللّه عليه السلام: لا تدع

---

(١) تفسير نور الثقلين ١: ٦.

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ وإن كان بعده شعر.

قال أبو عبد اللّه عليه السلام : اكتب ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ من أجود كتابك، ولا تمدّ الباء حتّىٰ ترفع السين.

وقال عليه السلام : احتجبوا من الناس كلّهم بـ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾، و بـ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾، اقرأها عن يمينك وعن شمالك ومن بين يديك ومن خلفك ومن فوقك ومن تحتك، وإذا دخلت علىٰ سلطان جائر فاقرأها حين تنظر إليه ثلاث مرّات واعقد بيدك اليسرىٰ ثمّ لا تفارقها حتّىٰ تخرج من عنده.

وقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله : من حزنه عن أمر يتعاطاه فقال : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ وهو يخلص للّه ويُقبل بقلبه إليه، لم ينفكّ من إحدىٰ اثنتين : إمّا بلوغ حاجته في الدنيا، وإمّا تعدّ له عند ربّه وتدّخر لديه، وما عند اللّه خير وأبقىٰ للمؤمنين.

وعن الإمام الصادق عليه السلام، في حديث طويل، قال : لربما ترك بعض شيعتنا في افتتاح أمره ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾، فيمتحنه اللّه عزّ وجلّ بمكروه ينبّهه علىٰ شكر اللّه تبارك وتعالىٰ والثناء عليه ويمحق عنه وصمة تقصيره عند تركه قول ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾.

وعنه عليه السلام : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ : اسم اللّه الأكبر ـ أو قال : ـ الأعظم.

وفي (تهذيب الأحكام) بسنده، عن محمد بن مسلم، قال : سألت أبا عبد اللّه عليه السلام عن السبع المثاني والقرآن العظيم هي الفاتحة ؟ قال : نعم، قلت : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ من السبع المثاني ؟ قال : نعم، هي أفضلهنّ.

وعن عبد اللّه بن سنان، قال : سألت أبا عبد اللّه عليه السلام عن ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ

الرَّحِيمِ ﴾ ؟ فقال : الباء بهاء اللّه ، والسين سناء اللّه ، والميم مجد اللّه ، وروىٰ بعضهم ملك اللّه ، واللّه إله كلّ شيء ، والرحمن بجميع خلقه ، والرحيم بالمؤمنين خاصّة[١].

وعن النبيّ الأكرم محمد صلى الله عليه وآله ، قال : من قرأ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ كتب اللّه له بكلّ حرف أربعة آلاف حسنة ، ومحىٰ عنه أربعة آلاف سيئة ، ورفع له أربعة آلاف درجة.

وقال : إذا قال العبد عند منامه : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ ، يقول اللّه : ملائكتي اكتبوا نَفَسَهُ إلى الصباح.

وسئل النبي : هل يأكل الشيطان مع الإنسان ؟ فقال : نعم ، كلّ مائدة لم يذكر بسم اللّه عليها يأكل الشيطان معهم ، ويرفع اللّه البركة عنها ، ونهىٰ عن أكل ما لم يذكر عليه بسم اللّه ، كما قال اللّه تعالىٰ في سورة الأنعام : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ .

في لطائف الإشارات : إنّ شجرة الوجود تضرّعت عن البسملة والعالم كلّه قائم بها.

في رواية ، عن جعفر بن محمد عليهما السلام ، قال : إنّ البسملة في كتاب اللّه تعالىٰ كالمفتاح للأبواب ، فكما لا يمكن فتح القفل إلّا بالمفتاح ، كذلك البسملة لا يدخل في قراءة كلام اللّه المجيد إلّا بها ، ثمّ قال :

بسم اللّه مفتتح الكلام   وبسم اللّه شافية السقام

في إحقاق الحقّ ، عن الإمام الصادق عليه السلام ، قال : البسملة تيجان السور.

في الدرّ المنثور ، عن أبي مالك ، قال : كان النبي صلى الله عليه وآله يكتب : باسمك اللّهم ،

---

(١) الروايات من تفسير نور الثقلين ١ : ٧ ـ ١٢.

فلمّا نزلت: ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾، كتب ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، عن الله تعالىٰ: كلّ أمرٍ ذي بال ما لم يذكر فيه بسم الله فهو أبتر[1].

وروى الكليني في الكافي، بإسناده، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: إذا وضعت المائدة حفّتها أربعة آلاف ملك، فإذا قال العبد: بسم الله، قالت الملائكة: بارك اللّه عليكم في طعامكم، ثمّ يقولون للشيطان: أُخرج يا فاسق، لا سلطان لك عليهم، فإذا فرغوا فقالوا: الحمد للّه، قالت الملائكة: قوم أنعم اللّه عليهم فأدّوا شكر ربّهم، وإذا لم يسمّوا قالت الملائكة للشيطان: أُدنُ يا فاسق فكل معهم، فإذا رفعت المائدة ولم يذكروا اسم اللّه عليها قالت الملائكة: قوم أنعم اللّه عليهم فنسوا ربّهم عزّ وجلّ.

وبإسناده، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: ما من رجل يجمع عياله ويضع مائدة بين يديه ويسمّي ويسمّون في أوّل الطعام ويحمدون في آخره فترفع المائدة، حتّىٰ يغفر لهم.

وروى الحميري في (قرب الإسناد)، بإسناده، عن الإمام الباقر عليه السلام: أنّ علياً عليه السلام كان يقول: مَن أكل طعاماً فسمّىٰ اللّه علىٰ أوّله وحمد اللّه علىٰ آخره لم يُسئل عن نعيم ذلك الطعام كائناً ما كان ـ أي قليلاً كان أو كثيراً، لذيذاً أم غيره ـ.

وفي (الخصال)، بإسناده، عن علي عليه السلام، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله:

---

(١) الروايات من تفسير البصائر ١ : ٢٢٣.

الطعام إذا جمع أربع خصال فقد تمّ: إذا كان من حلال، وكثرت الأيدي عليه، وسمّي اللّه تبارك وتعالىٰ في أوّله، وحمد في آخره.

وفي (المحاسن)، عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، أنّه قال: ضمنت لمن سمّى اللّه تعالىٰ علىٰ طعامه أن لا يشتكي منه، فقال ابن الكوّاء ـ وكان من المنافقين ـ: يا أمير المؤمنين، لقد أكلت البارحة طعاماً فسمّيت عليه فآذاني، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أكلت ألواناً فسمّيت علىٰ بعضها ولم تسمّ علىٰ كلّ لون يا لكع. ـ اللكع: أي اللئيم والعبد والأحمق ومَن لا يتّجه لمنطق وغيره ـ.

وفي (الدرّ المنثور)، عن ابن عبّاس، عن النبيّ، قال: قال إبليس: يا ربّ، كلّ خلقك بيّنت رزقه، ففيم رزقي؟ قال: فيما لم يذكر اسمي عليه.

وروى البرقي في محاسنه، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، قال: إذا توضّأ أحدكم ولم يسمّ كان للشيطان في وضوئه شرك، وإن أكل أو شرب أو لبس، وكلّ شيء صنعه ينبغي أن يسمّي عليه، فإن لم يفعل كان للشيطان فيه شرك.

فينبغي لكلّ مسلم في كلّ عمل وفعل وحركة وسكون وقول وكلام أن يبدأ بالبسملة لطرد الشيطان وحزبه ووسوسته، فإنّ ما يذكر عليه اسم اللّه يكون مصوناً من شراك الشيطان الرجيم الذي أقسم بعزّة اللّه في إغواء البشرية ﴿ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾، وقال اللّه تعالىٰ: ﴿ وَاسْتَفْزِزْ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَاجْلُبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشارِكْهُمْ فِي الأَمْوالِ وَالأَوْلادِ ﴾[1].

وقد ورد في الأحاديث الشريفة أنّه مَن لم يسمّ باللّه عند المقاربة والجماع

(١) سورة الإسراء، الآية ٦٤.

فإنّ الشيطان يشاركه في الولد[١]، يعني أنّ الولد يكون فيه الشيطنة وعمل السوء وربما يكون من الجناة العصاة. ومن لم يذكر اللّه علىٰ كلّ حال فإنّ له عواقب سيئة، واللّه سبحانه يقول: ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطاناً فَهُوَ لَهُ قَرِين وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيل ﴾[٢].

فكيف يسعد من كان الشيطان صاحبه وقرينه؟ وكيف يصدر منه الخير والشيطان يوحي إليه الشرور ﴿ إِنَّما الشَّياطِينُ يُوحُونَ إِلىٰ أَوْلِيائِهِمْ ﴾، وكيف تكون له حياة طيبة وعيشة راضية مرضية واللّه يقول: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً ﴾[٣].

وقال الرسول الأكرم محمد ﷺ: «كلّ أمرٍ ذي بال لم يبدأ بالبسملة فهو أبتر»؛ أي: مقطوع الأثر لا بركة فيه ولا خير مستمرّ ومستقرّ.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: بسم اللّه فاتقة للرتوق، مسهّلة للوعور، مجنّبة للشرور، وشفاء لما في الصدور.

ومن المتعارف عند الناس أنّ الخادم لو اشترىٰ شيئاً من الخيل والحمير

---

(١) في الرواية: قال رسول اللّه ﷺ: إذا توضّأت فقل: بسم اللّه؛ فإنّ حفظتك لا تبرح أن تكتب لك الحسنات حتىٰ تفرغ، وإذا غشيت أهلك فقل: بسم اللّه؛ فإنّ حفظتك يكتبون لك الحسنات حتىٰ تغتسل من الجنابة، فإن حصل من تلك الواقعة ولد، كتب لك من الحسنات بعدد نفس ذلك الولد، وبعدد أنفاس أعقابه إن كان له عقب حتىٰ لا يبقىٰ منهم أحد. وإذا ركبت دابّة فقل: بسم اللّه والحمد للّه يكتب لك الحسنات بعدد كلّ خطوة. وإذا ركبت السفينة فقل: بسم اللّه والحمد للّه يكتب لك الحسنات حتىٰ تخرج منها.

(٢) سورة الزخرف، الآية ٣٦.

(٣) سورة طه، الآية ١٢٤.

يضع عليها سمة سيده؛ لئلّا يطمع فيها الأعداء. والإنسان له عدوّ لدود وهو الشيطان، فكلّ ما ليس عليه سمة سيد الإنسان وربّه ـ وهو اللّه سبحانه ـ فإنّ الشيطان يطمع فيه، فإذا أخذت بعمل فاجعل عليه اسم اللّه وسمته، وقل بسم اللّه الرحمن الرحيم؛ حتّىٰ لا يطمع فيك عدوّك الشيطان.

وفي تفسير فخر الرازي: مرض موسىٰ عليه السلام واشتدّ وجع بطنه، فشكىٰ إلى اللّه تعالىٰ، فدلّه علىٰ عشب في المفازة، فأكل منه، فعوفي بإذن اللّه تعالىٰ، ثمّ عاوده ذلك المرض في وقت آخر، فأكل ذلك العشب، فازداد مرضه، فقال: يا رب، أكلته أوّلاً فانتفعت به وأكلته ثانياً فازداد مرضي! فقال: لأنّك في المرّة الأُولىٰ ذهبت منّي إلى الكلأ فحصل فيه الشفاء، وفي المرّة الثانية ذهبت منك إلى الكلأ فازداد المرض، أما علمت أنّ الدنيا كلّها سمّ قاتل وترياقها اسمي.

وفي رواية: أنّ قيصر الروم ابتلي بالصرع، فعجز الأطباء عن معالجته، فكتب إلىٰ أمير المؤمنين علي عليه السلام، فأرسل علي عليه السلام طاقية، وقال: لا بدّ وأن تضع هذه علىٰ رأسه فيشفىٰ، فلمّا وضعها القيصر علىٰ رأسه شُفي، فتعجّب من ذلك وأمر بشقّها فرأىٰ فيها قرطاساً كتب فيه: ﴿ بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾، فعلم أنّ الشفاء ببركة البسملة.

إنّ اللّه أمر عباده أن يذكروه علىٰ كلّ حال، فإنّ ذكره حسن يوجب الفلاح والصلاح والتقوىٰ وسعادة الدارين ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّـهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[1]، ومَن يذكر اللّه يحصل له حالة الفناء في اللّه، ثمّ البقاء بعد الفناء، والصحو بعد المحو.

وما أروع ما يقوله الإمام السجّاد عليه السلام في مناجاته (مناجاة الذاكرين):

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٤٥.

«إلهي لولا الواجب من قبول أمرك لنزّهتك من ذكري إيّاك علىٰ أنّ ذكري لك بقدري لا بقدرك، وما عسىٰ أن يبلغ مقداري حتّىٰ أُجعل محلاً لتقديسك، ومن أعظم النعم علينا جريان ذكرك علىٰ ألسنتنا وإذنك لنا بدعائك وتنزيهك وتسبيحك، إلهي فألهمنا ذكرك في الخلاء والملاء والليل والنهار والإعلان والإسرار وفي السرّاء والضرّاء، وآنِسنا بالذكر الخفي، واستعملنا بالعمل الذكي والسعي المرضيّ، وجازنا بالميزان الوفي، إلهي بك هامت القلوب الوالهة، وعلىٰ معرفتك جمعت العقول المتباينة، فلا تطمئنّ القلوب إلّا بذكراك، ولا تسكن النفوس إلّا عند رؤياك. أنت المسبّح في كلّ مكان، والمعبود في كلّ زمان، والموجود في كلّ أوان، والمدعوّ بكلّ لسان، والمعظّم في كلّ جنان. وأستغفرك من كلّ لذّة بغير ذكرك، ومن كلّ راحة بغير أُنسك، ومن كلّ سرور بغير قربك، ومن كلّ شغل بغير طاعتك. إلهي أنت قلت ـ وقولك الحقّ ـ: ﴿ يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللّٰهَ كَثِيراً وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾، وقلت ـ وقولك الحقّ ـ: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾، فأمرتنا بذكرك ووعدتنا عليه أن تذكرنا تشريفاً لنا وتفخيماً وإعظاماً، وها نحن ذاكروك كما أمرتنا فأنجز لنا ما وعدتنا يا ذاكر الذاكرين، ويا أرحم الراحمين».

نعم، إنّ اللّٰه سبحانه يريد بالإنسان تفخيماً له، ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ ﴾، وتكريماً لمقامه، فإنّ فيه من روحه، ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾، يريد بنا أن نذكره دائماً وعلىٰ كلّ حال، حتّىٰ تحلّق أرواحنا بالملأ الأعلىٰ، وتتّصل أعمالنا بالملكوت، فتستسقي من الينابيع الإلهية الفيّاضة جميع الكمالات والفضائل والمكارم، التي يكون الإنسان بها إنساناً كاملاً، يدنو من ربّه دنوّاً وقرباً معنوياً قاب قوسين أو أدنىٰ.

فمن يذكر اللّٰه بإخلاص ينجذب إلىٰ ربّه، ويتعلّق به، وتكون الرابطة المعنوية

الروحية القلبية بين العبد والمعبود، يشعر به من اتّخذ التقوىٰ شعاراً له، ولم يفتر عن ذكر اللّه بلسانه وجوانحه وجوارحه، فينشرح صدره بنور الإيمان الذي يمنّ اللّه به علىٰ من يذكره، ولم يقسّ قلبه بالآثام والمعاصي والذنوب، كما قال سبحانه:

﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلىٰ نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولٰئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾[1].

﴿ لِيَجْعَلَ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالقاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وانَّ الظّالِمِينَ لَفِي شِقاقٍ بَعِيدٍ ﴾[2].

فمن يبتعد عن ذكر اللّه ونسىٰ اللّه فإنّه يغفل عن نفسه وينسىٰ نفسه: ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْساهُمْ أَنْفُسَهُمْ ﴾، فيُبتلىٰ بالمعاصي والذنوب ويقسو قلبه ويكون كالحجارة أو أشدّ قسوة، قال تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ فَهِيَ كَالحِجارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَة ﴾[3].

فعلينا أن نذكر اللّه علىٰ كلّ حال وفي جميع الأحوال، وإنّ من أفضل الذكر: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾.

وقال رسول اللّه ﷺ: «لولا أنّ الشياطين يحومون علىٰ قلوب بني آدم لنظروا إلىٰ ملكوت السماوات والأرض». وقال: «لولا هيام الشياطين علىٰ قلوبكم لسمعتم ما أسمع ولرأيتم ما أرىٰ».

وليس للشيطان سبيل على الذاكرين المتوكّلين العابدين، قال اللّه تعالىٰ:

---

(١) سورة الزمر، الآية ٢٢.

(٢) سورة الحجّ، الآية ٥٣.

(٣) سورة البقرة، الآية ٧٤.

﴿ فَإِذا قَرَأْتَ القُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطانٌ عَلىٰ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّما سُلْطانُهُ عَلىٰ الَّذِين يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾[1].

﴿ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطانُ لَهُ قَرِيناً فَساءَ قَرِيناً ﴾[2]، ومن يعش عن ذكر اللّه يقيّض له شيطاناً فهو له قرين، ويصدّنه عن السبيل وعن ذكر اللّه، فلا يرى الحقّ ولا يؤمن باللّه ورسله وكتبه واليوم الآخر وساء مصيراً.

فالشيطان عدوّ الإنسان بصريح القرآن، والذي يخلّصنا من شرّه وكيده وحزبه وأعوانه ومكره وحيله هو ذكر اللّه وإطاعته، فإياك نعبد وإياك نستعين، وشعارنا ودثارنا في كلّ حال ﴿ بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾، وآخر دعوانا أن الحمد للّه ربّ العالمين.

قال العلّامة الشيخ محمد جواد مغنية في تفسيره[3]: بسم اللّه الرحمن الرحيم: هذه الكلمة المقدّسة شعار مختصّ بالمسلمين، يستفتحون بها أقوالهم وأعمالهم، وتأتي من حيث الدلالة على الإسلام بالمرتبة الثانية من كلمة الشهادتين: لا إله إلّا اللّه، محمد رسول اللّه. أمّا غير المسلمين فيستفتحون باسمك اللّهمّ، وباسمه تعالىٰ، أو باسم المبدىء المعيد، أو باسم الأب والإبن وروح القدس، ونحو ذلك. وتحذف الهمزة من لفظة (بسم) نطقاً وخطاً في البسملة لكثرة الاستعمال، وتحذف الهمزة نطقاً لا خطاً في غير البسملة نحو سبّح باسم ربّك الأعلىٰ. ولفظ الجلالة (اللّه) علم للمعبود والذي يوصف بجميع صفات الجلال والكمال،

---

(١) سورة النحل، الآيات ٩٨ ـ ١٠٠.

(٢) سورة النساء، الآية ٣٨.

(٣) الكاشف ١ : ٢٤.

ولا يوصف به شيء، وقيل: إنّ للّه إسماً هو الاسم الأعظم وإنّ الذي يعرفه تفيض عليه الخيرات، وتقع علىٰ يده المعجزات. ونحن نؤمن ونعتقد بأنّ كلّ اسم للّه هو الاسم الأعظم؛ لأنّه كلّه عظيم، لأنّ التفضيل لا يصحّ إطلاقاً، لعدم وجود طرف ثانٍ تسوغ معه المفاضلة... وبكلمة إنّ المفاضلة تستدعي المشاركة وزيادة... والذي ليس كمثله شيء لا يشاركه أحد في شيء.

ولكن ربما نقول جواباً بأنّ التفضيل ليس باعتبار المسمّىٰ، إنّما هو باعتبار الاسم ولفظة الجلالة (اللّه) أعظم من بقية أسماء اللّه؛ لأنّه يدلّ على الذات المستجمع لجميع الصفات الكمالية كالعلم والقدرة والحياة، بخلاف اسم العالم فإنّه يدلّ على الذات ولكن باعتبار العلم، والذي ليس كمثله شيء لا يشاركه أحد في شيء إنّما هو في ذاته وواجب وجوده لذاته، فتأمّل.

ثمّ قال: والرحمن في الأصل وصف مشتقّ من الرحمة، ومعناها بالنسبة إليه تعالىٰ الاحسان، وبالنسبة إلىٰ غيره معناها رقة القلب، ثمّ شاع استعمال الرحمن في الذات القدسية حتّىٰ صار من أسماء اللّه الحسنىٰ. قال تعالىٰ: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ الرَّحْمٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنىٰ ﴾، وعلىٰ هذا فلك أن تعرب لفظة الرحمن صفة للّه بالنظر إلى الأصل، ولك أن تجعلها بدلاً بالنظر إلى النقل.

الرحيم أيضاً وصف مشتقّ من الرحمة بمعنى الاحسان بالنسبة إليه جلّ وعزّ، وفرّق أكثر المفسّرين أو الكثير منهم بين لفظة الرحمن ولفظة الرحيم بأنّ الرحمن مشتقّ من الرحمة الشاملة للمؤمن والكافر، والرحيم من الرحمة الخاصة بالمؤمن، وفرّعوا علىٰ ذلك أن تقول: يا رحمن الدنيا والآخرة، وأن تقول: يا رحيم الآخرة فقط دون الدنيا... أمّا أنا فأقول: يا رحمن يا رحيم الدنيا والآخرة ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ

رَحْمَةَ رَبِّكَ ﴾[1].

ولكن نقول للشيخ: إنّ القرآن يفسّر بعضه بعضه، كما إنّ الروايات ترجمان القرآن، وهذا التقسيم في الرحمة العامة والخاصة إنّما هو باعتبار المؤمن والكافر لا باعتبار الدنيا والآخرة، نعم، إنّما يرحم اللّه عباده برحمته العامة الشاملة للمؤمن والكافر في الدنيا، فإنّ الكافر بعيد عن رحمة اللّه وإنّ له عذاب وبئس المصير، وأمّا المؤمن المتّقي والمحسن فإنّ رحمة اللّه الخاصة قريب منه في الدنيا والآخرة، فاللّه سبحانه رحمن رحيم في الدنيا والآخرة للمؤمنين كما ورد في الدعاء الشريف: يا رحمن يا رحيم الدنيا والآخرة، كما إنّ هذا التقسيم ورد في رواياتنا أيضاً، فتأمّل.

ثمّ قال: ومعنى ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ بجملة أنّك قد ابتدأت عملك مستعيناً باللّه الذي وسعت رحمته كلّ شيء مسجّلاً علىٰ نفسك أنّ ما تفعله هو باسم اللّه لا باسمك أنت، ولا باسم أحد سواه، تماماً كما يقول موظف الدولة للرعايا: باسم الدولة عليكم كذا وكذا... وإنّ عملك الذي باشرت هو حلال لا شائبة فيه لما حرّم اللّه... فإن كان حراماً، وفعلته باسم اللّه فقد عصيت مرتين في آن واحد، وفعل واحد: مرّة لأنّه حرام بذاته، ومرّة لأنّك كذبت في نسبته إلى اللّه تعالىٰ علوّاً كبيراً.

والبسملة جزء من السورة عند الشيعة الإمامية... وقد أوجبوا الجهر بها فيما يجب الجهر فيه بالقراءة كصلاة الصبح وأُوليي المغرب والعشاء، ويستحبّ الجهر بها فيما يخافت فيه بالقراءة، كأُوليي الظهر والعصر ويجوز الاخفات.

---

(١) سورة الزخرف، الآية ٣٢.

وقال الحنفية والمالكية: يجوز ترك البسملة في الصلاة كلّية، لأنّها ليست جزءاً من السورة... وقال الشافعية والحنابلة: بل هي جزء لا تترك بحال، سوىٰ أنّ الحنابلة قالوا: يُخفت بها إطلاقاً، وقال الشافعية: يجهر بها في الصبح وأُوليي العشائين وما عدا ذلك إخفات... ويتّفق قول الشافعية والحنابلة مع قول الإمامية.

وتجمل الإشارة إلىٰ أنّ اسم اللّه سبحانه وصفاته تتألّف من هذه الحروف وتلفظ وتكتب كغيرها من الكلمات، ومع هذا لها قدسية وأحكام خاصّة بها، فلا يجوز أن يكتب شيء منها علىٰ ورق أو غيره أو بمداد أو قلم نجس، وأيضاً لا يجوز مسّها إلّا للمطهّرين.

وقال قائل: إنّ سورة الفاتحة تضمّنت جميع معاني القرآن دون استثناء، وإنّ البسملة تضمّنت جميع معاني الفاتحة، وإنّ الباء من البسملة تضمّنت جميع معاني البسملة، وبالتالي تكون الباء من ﴿ بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ فيها معاني القرآن بكامله. وهذا القائل أشبه بمن يحاول أن يدخل الكون بأرضه وسمائه في البيضة دون أن تكبر البيضة أو يصغر الكون...

والعجب من الشيخ كيف يعجب من ذلك، وإذا لم يكن من أهل هذا المعنىٰ ولم يتحمّله، فإنّه من الأمر الصعب المستصعب، فلماذا هكذا ينكره، أما كان الأولىٰ أن يرجع علمه إلىٰ أهله.

أليس هو القائل في وجه تسمية سورة الحمد بأُمّ الكتاب: «... ولأنّها اشتملت علىٰ أصلين: ذكر الربوبية والعبودية، وعليهما ترتكز تعاليم القرآن»[1]،

---

(١) الصفحة: ٣٢.

فكلّ ما في القرآن إنّما يدور حول ركيزته، وهي الربوبية والعبودية، وهما في البسملة، فاسم الجلالة إشارة إلى الربوبية، والرحمن الرحيم بعباده إشارة إلى العبودية.

أليس أمير المؤمنين علي عليه السلام حدّث ابن عبّاس عن حرف واحد ساعة تامة؟ فماذا يوجد في الحرف الواحد من كلام لمدة ساعة واحدة؟

ثمّ لماذا يستبعد أن يكون الكون في بيضة من دون أن يصغر الكون ولا تكبر البيضة؟ أما قرأ هذا الحديث الشريف:

«روى الشيخ الصدوق[1]، بإسناده: جاء رجل إلى الإمام الرضا عليه السلام، فقال: هل يقدر ربّك أن يجعل السماوات والأرض وما بينهما في بيضة؟ قال: نعم، وفي أصغر من البيضة، قد جعلها في عينك، وهي أقلّ من البيضة؛ لأنّك إذا فتحتها عاينت السماء والأرض وما بينهما، ولو شاء لأعماك عنها.

كما سُئل أمير المؤمنين عليه السلام هذا السؤال، فأجاب بهذا الجواب، كما سُئل الإمام الصادق عليه السلام في قصة عبد الله الديصاني وهشام بن الحكم[2]، وأصل الإشكال إنّما هو من الشيطان حيث أشكل هذا الإشكال على المسيح عيسى ابن مريم فأجابه[3].

ولا أدري من أراد أن يكتب للمثقفين وبلغة عصرية، هل يعني أنّه ينكر

---

(١) التوحيد: ١٣٠.

(٢) راجع التوحيد: ١٢٢.

(٣) ذكرت تفصيل هذا البحث في كتاب (دروس اليقين في معرفة أُصول الدين): ١٣٨، فراجع.

ما لا يستوعبه من المعارف الحقّة، أو يمرّ بها مستخفّاً ومستهزءاً، ويوحي إلى القارىء من حيث لا يشعر أنّ هذا من أساطير الأوّلين بقوله: «قال قائل»، والحال كثير من المفسّرين الذين رجعت إلىٰ تفاسيرهم يذكرون هذا المعنىٰ بأنّ القرآن جمعت معارفه في سورة الحمد، حتّى الكاتب اعترف بذلك كما ذكرته لك.

ثمّ قال في تحديد الإسلام بكلمة واحدة، وكيف يحدّد الإسلام بكلمة واحدة ولا يكون أشبه بمن يحاول أن يدخل الكون بأرضه وسمائه في البيضة دون أن تكبر البيضة أو يصغر الكون؟ ثمّ كيف يحدّد الاسلام بالاستقامة، والقرآن لا يحدّد به؟ والحال أنّ القرآن هو كتاب الإسلام ومصدر تشريعه الأوّل، وهناك الجناح الثاني والثقل الآخر للإسلام، وهو السنّة المتمثّلة بقول المعصوم عليه السلام وفعله وتقريره، فكيف يحدّد الإسلام ـ الكتاب والسنّة ـ بكلمة واحدة ولا يحدّد جزئه بكلمة واحدة؟ أليس هذا من التهافت؟ ولو كان ما قاله صلى الله عليه وآله من عند الله، لما كان فيه اختلافاً، فإنّ الحقيقة نقطة كثّرها الجاهلون، وعلىٰ كلّ حال فيقول في تحديد الإسلام بكلمة واحدة.

قرأت في جريدة الجمهورية المصرية ـ تأريخ ٢١ نيسان سنة ١٩٦٧ ـ كلمة قال كاتبها ضياء الريّس: إنّه قرأ مقالاً في مجلة أدبية لكاتب عربي شهير، قال فيه: إنّه ـ أي الكاتب ـ حين كان عضواً في البعثة العلمية بإنكلترا اشتبك في نقاش حادّ مع انكليزية مثقفة حول الإسلام والمسيحية، فقالت الانكليزية ـ متحدية جميع المسلمين بشخص الكاتب المسلم ـ إنّي أُلخّص مبادىء المسيحية كلّها بكلمة واحدة، وهي المحبّة، فهل تستطيع أنت ـ أيّها المسلم ـ أن تأتي بكلمة تجمع مبادىء الإسلام؟ فأجابها الكاتب المسلم: أجل إنّها كلمة التوحيد.

وبعد أن نقل الرئيس هذا الحوار قال: لم يكن الجواب موفّقاً، وذكر أسباباً وجيهة وصحيحة تدعم حكمه على الكاتب بعدم التوفيق، وبعد أن انتهى الرئيس من حكمه وأسبابه الموجبة، قال: لو وجّه إليّ هذا السؤال لأجبت بأنّ هذه الكلمة هي الرحمة، واستدلّ علىٰ صحّة جوابه هذا بالعديد من الآيات والروايات مبتدئاً بـ﴿ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾، إلىٰ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾... الخ. وصدق الرئيس في قوله: إنّ الكاتب لم يكن موفّقاً في جوابه. ولكن الرئيس أيضاً لم يكن موفّقاً في اختياره كلمة الرحمة، لأنّه لم يزد شيئاً علىٰ ما قالته الإنكليزية، حيث أخذ كلمة المحبّة منها، وترجمها إلىٰ كلمة الرحمة، وعلىٰ هذا لا يكون للإسلام أية ميزة على المسيحية.

ولو كنت حاضراً مع البعثة العلمية بإنگلترا لأجبت بكلمة (الاستقامة)؛ فإنّها الكلمة الجامعة المانعة الشاملة للاستقامة في العقيدة بما فيها التوحيد والتنزيه عن الشبيه، وأيضاً تشمل الاستقامة في الأعمال والأخلاق والأحكام وجميع التعاليم بما فيها الرحمة والمحبّة والتعاون، إنّ الرحمة من مبادىء الإسلام وليست الإسلام بكامله، كما إنّ التوحيد أصل من أُصوله لا أُصوله بأجمعها.

وبما أنّ الاستقامة تجمع المحبّة والرحمة والتوحيد وسائر الأُصول الحقّة والأعمال الخيرية والأخلاق الكريمة المستقيمة...

يعتقد الكاتب أنّ الاستقامة هي الكلمة الجامعة المانعة، فكأنّما أراد أن يعرّف الإسلام بتمام ماهيته وذاتياته بالاستقامة التي تكون جامعة لمفاهيم الإسلام ومانعة من غيرها، والحال إنّما عرف الإسلام بلازمه، وهذا من الرسم الناقص وليس تعريفاً تاماً، بل بنظري الكلمة الجامعة لمفاهيم الاسلام هو (التسليم)، التسليم في توحيد اللّٰه والتسليم للنبوّة والإمامة والمعاد والأخلاق وكلّ ما يقوله

الإسلام وما جاء في مدارك أحكامه وقوانينه أي القرآن الكريم والسنّة الشريفة.

ثمّ كلمة التوحيد لو كانت تامة وبشرطها وشروطها ومنها النبوّة والإمامة وما صدر عنهما فإنّه تمام الإسلام أيضاً، كما قال ذلك الكاتب المسلم في جواب المثقفة المسيحية، بل الإسلام هو الرحمة الإلهية واللطف الإلهي، فكلّ ما فيه إنّما منشأه الرحمة الرحمانية والرحيمية، وبهذا الاعتبار يكون الإسلام عبارة عن الرحمة كما قالها كاتب المقالة.

إلّا أنّ حقيقة الإسلام وماهيته وذاتياته إنّما هو التسليم كما قال ذلك جدّي أمير المؤمنين علي عليه السلام: «لأنسبنّ الإسلام نسبة لم ينسبه أحد قبلي ولا ينسبه أحد بعدي: الإسلام هو التسليم، والتسليم هو التصديق، والتصديق هو اليقين، واليقين هو الأداء، والأداء هو العمل».

وقال عليه السلام: غاية الإسلام التسليم، وغاية التسليم الفوز بدار النعيم.

وقال الرسول الأكرم: الإسلام أن تسلّم وجهك لله عزّ وجلّ، وأن تشهد أن لا إله إلّا الله[1].

وقال صلى الله عليه وآله: الإسلام حسن الخلق.

وهذا يعني أنّ الإسلام هو الرحمة والاستقامة وكلمة التوحيد، والجامع لكلّ مفاهيم الإسلام هو التسليم. وإذا كان الإسلام يجمعه ويحدّده كلمة واحدة، فلماذا لا يكون كلّ القرآن في فاتحته، وكلّ ما في الحمد وأُمّ الكتاب في البسملة، وكلّ ما فيها في بائها، والإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام نقطة باء البسملة.

عزيزي القارىء:

---

(١) المصدر، عن كنز العمّال، خ ٣٩.

ربما من خلال هذه المناقشة مع الشيخ المغنية ﷺ أحسست بفتور وتضجّر، وتراها من الحشو والذي لا طائل تحته، ومن القيل والقال الذي يبغضه اللّه سبحانه، كما ورد في الخبر الرضوي الشريف: «إنّ اللّه يبغض القيل والقال».

فتعال معي لنحلّق في آفاق عرفانية مرّة أُخرىٰ، ونعيش في سماء معالم سورة الحمد والبسملة، ونصغي إلىٰ ما يقوله السيد الإمام الخميني ﷺ في كتابه القيّم (سرّ الصلاة) في الفصل السابع في القراءة (إشارة إجمالية إلىٰ بعض أسرار سورة الحمد)، فقال:

إعلم أنّ أهل المعرفة يعتبرون (بسم اللّه) بسملة كلّ سورة متعلّقة بالسورة نفسها، وعليه يكون لبسملة كلّ سورة معنىً غير ما لها للسورة الأُخرىٰ، بل إنّ بسملة كلّ قائل تختلف عن غيرها في كلّ قول وفعل.

وتوضيح هذا المطلب علىٰ نحو الإجمال هو: إنّه قد ثبت ـ تحقيقياً ـ أنّ كلّ دار التحقّق من الغاية القصوىٰ للعقول المهيمنة القادسة إلىٰ منتهى النهاية لحذاء العالم الهيولاني والطبيعة، هو ظهور اسم اللّه الأعظم، ومظهر تجلّي المشيئة المطلقة وهي أمّ الأسماء الفعلية كما قالوا: (ظهر الوجود ببسم اللّه الرحمن الرحيم)، فإذا لاحظنا كثرة المظاهر والتعيّنات، فإنّ كلّ اسم عبارة عن ظهور ذلك الفعل أو القول الذي يقع بعده.

والخطوة الأُولىٰ لسير السالك إلى اللّه هو أن يفهم قلبه أنّ جميع التعيّنات ظاهرة باسم اللّه، بل إنّها جميعاً اسم اللّه، وفي هذه المشاهدة تختلف الأسماء وتتبع كلّ اسمٍ وضيقه وإحاطته وعدم إحاطته، والمظهر والمرآة التي يظهر فيها.

واسم اللّه وإن كان مقدماً ـ بحسب أصل التحقّق ـ على المظاهر وهو مقوّمها وقيّومها، ولكنّه بحسب التعيّن متأخّراً عنها ـ كما هو مقرّر في محلّه ـ فإذا أسقط السالك الإضافات ورفض التعيّنات ووصل إلىٰ بداية التوحيد الفعلي، تكون

جميع السور والأقوال والأفعال (بسم اللّه) واحدة، ويكون للجميع معنىً واحد.

وبحسب الاعتبار الأوّل، ليس هناك اسم أكثر جامعية وإحاطة من (بسم اللّه) في سورة الحمد، كما يظهر من الحديث المشهور المنسوب إلىٰ مولى الموالي، ذلك لأنّ متعلّقه أكثر إحاطة من سائر المتعلّقات، مثلما يقول أهل المعارف من أنّ (الحمد) إشارة إلى العوالم الغيبية العقلية، وهي صرف الحمد للّه ومحامده، ولسان حمدها لسان الذات؛ وأنّ (ربِّ العالمين) إشارة إلىٰ ظهور اسم اللّه في مرآة الطبيعة بما يناسب مقام الربوبية حيث رجع النقص إلى الكمال والملك إلى الملكوت، وهذا مختصّ بجوهر عالم الملك.

والرحمانية والرحيمية من صفات الربوبية، و (مالك يوم الدين) إشارة إلى الرجوع المطلق والقيامة الكبرىٰ، فإذا طلع صبح الأزل، وتجلّىٰ نور الظهور الأحدي لقلب العارف في طلوع شمس يوم القيامة، يحصل للسالك الحضور المطلق، فيصدع بالمخاطبة الحضورية في محفل الأنس ومقام المقدس بـ(إيّاك نعبد وإيّاك نستعين).

فإذا صحا من الجذبة الأحدية وحصل «الصحو بعد المحو» يطلب ـ عندها ـ مقام الهداية في هذا السير إلى اللّه له ولمرافقيه.

إذن، فسورة (الحمد) هي سلسلة الوجود بكاملها، عيناً وعلماً وتحقّقاً وسلوكاً ومحواً وصحواً وإرشاداً وهداية.

والإسم المظهر لها هو اسم اللّه الأعظم والمشيئة المطلقة «فهو مفتاح الكتاب ومختامه (مختمه) وفاتحته وختامه» مثلما أنّ اسم اللّه هو الظهور والبطون والمفتاح والمختم ﴿ اللّهُ نُورُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ ﴾.

فتفسير هذه السورة علىٰ ذوق (مسلك) أهل المعرفة هو بهذه الصورة:

بظهور اسم (اللّه) وهو مقام المشيئة المطلقة. والإسم الإلهي الأعظم والذي له مقام المشيئة الرحمانية ـ وهو بسط الوجود المطلق ـ والمشيئة الرحيمية ـ وهو بسط كمال الوجود (بظهور هذا الإسم) يكون «للّه» عالم الحمد المطلق وأصل المحامد ـ وهي من حضرة التعيّن الغيبي الأوّل إلىٰ نهاية أُفق عالم المثال والبرزخ الأوّل ـ أي أنّه ثابت لمقام الاسم الجامع وهو (اللّه) وله مقام الربوبية وتربية العالمين وهو مقام السوائية وظهور الطبيعة.

ومقام الربوبية ظاهر بالرحمانية والرحيمية، والرحيمية هي الربوبية، حيث تبسط الفيض بالرحمانية في الموادّ المستعدّة، وتربّيها بظهور الرحيمية في المهد الهيولي وتوصلها إلىٰ مقامها الخاصّ بها.

وذاك «مالك يوم الدين» الذي يقبض جميع ذرّات الوجود بقبضة المالكية، ويرجعها إلىٰ مقام الغيب ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾[1]، وهذا هو تمام دائرة الوجود المذكور في ﴿ بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ علىٰ نحو الإجمال، وفي «الحمد» بطريق التفصيل حيث هي خالصة للحقّ إلىٰ ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ كما ورد في الحديث.

فإذا شاهد العبد السالك إلى اللّه برقاة «إقرأ وارقَ»[2]، والعارج بمعراج «الصلاة معراج المؤمن» رجوع جميع الموجودات وفناء دار التحقّق في الحقّ، وتجلّىٰ له الحقّ بالوحدانية، يقول عندئذٍ بلسان فطرة التوحيد ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾.

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٢٩.

(٢) أُصول الكافي ٤ : ٤٠٨، كتاب فضل القرآن، باب فضل حامل القرآن، الحديث العاشر.

ولأنّ نور فطرة الإنسان الكامل محيط بجميع الأنوار الجزئية؛ وعبادته وتوجّهه هو توجّه دار التحقّق يقول ذلك بصيغة الجمع «سبّحنا فسبّحت الملائكة، وقدّسنا فقدّست الملائكة، ولولانا ما سبّحت الملائكة»[1].

وإذا قدّم السالك نفسه وإنّيته وأنانيّته بصورة كاملة للذات المقدّسة، ومحا ومحق كلّ ما عدا الحقّ، تشمله الألطاف الأزلية لمقام الغيب الأحديّ بالفيض الأقدس، وترجعه إلىٰ نفسه، فيحصل له الصحو بعد المحو والرجع إلىٰ مملكة نفسه بالوجود الحقّاني.

ولكونه وقع في الكثرة، يصبح خائفاً من الفراق والنفاق، فيطلب لنفسه الهداية، وهي الهداية المطلقة (لأنّ سائر الموجودات هي من أوراق وأغصان الشجرة المباركة للإنسان الكامل) إلىٰ صراط الإنسانية المستقيم ـ وهو السير إلىٰ الإسم الجامع والرجوع إلىٰ حضرة اسم اللّه الأعظم ـ الخارج عن حدّي الإفراط والتفريط (المغضوب عليهم) و(الضالّين)، أو أن يطلب الهداية إلىٰ مقام البرزخيّة وهو مقام عدم غلبة الوحدة على الكثرة ولا الكثرة على الوحدة، وهو الحدّ الوسط بين الاحتجاب عن الوحدة بحجاب الكثرة وهي مرتبة (المغضوب عليهم) وبين الاحتجاب عن الكثرة بالوحدة، وهو مقام (الضالّين) والمتحيّرين في جلال الكبرياء.

وصل:

روي في التوحيد عن الرضا عليه السلام حين سُئل عن تفسير البسملة، أنّه قال:

---

(١) عوالي اللآلي ٤: ١٢٢، عيون أخبار الرضا ١: ٢٦٢، بحار الأنوار ٢٥: ١، كتاب الإمامة، روايات الباب الأوّل منه، أبواب خلقهم وطينتهم وأرواحهم.

«معنىٰ قول القائل (بسم اللّه) أي: أَسِمُ علىٰ نفسي سمة من سمات اللّه وهي العبادة».

قال الراوي: فقلت له: ما السمة؟! قال: «العلامة»[١].

ويظهر من هذا الحديث الشريف أنّ على السالك أن يتحقّق مقام اسم اللّه في العبادة، والتحقّق بهذا المقام هو حقيقة العبودية حيث الفناء في حضرة الربوبية.

وما دام (السالك) في حجاب الإنّية والأنانية، فهو ليس في لباس العبودية، بل هو مريد لنفسه، عابد لها، ومعبوده هو أهواؤه النفسانية ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ ﴾[٢]، ونظره هو نظر إبليس اللعين الذي رأىٰ نفسه وآدم عليه‌السلام في حجاب الأنانية، ففضّل نفسه عليه وقال: ﴿ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾[٣]، فطرد من الساحة القدسية لمقرّبي الحضرة.

فإذا جعل القائل (بسم اللّه) نفسه متّصفة بـ(سمة اللّه) و(علامة اللّه) ووصل هو نفسه إلىٰ مقام الإسمية، وأصبح نظره نظر آدم عليه‌السلام الذي رأىٰ عالم التحقّق ـ والذي كان هو نفسه خلاصة له ـ أنّه «اسم اللّه» ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْماءَ كُلَّها ﴾[٤]، ففي هذه الحالة تكون تسميته تسمية حقيقية، ويكون هو متحقّقاً بمقام العبادة (وهو مقام) التخلّي عن (الأنا) وعبادتها، والتعلّق بعزّ القدس والانقطاع إلى اللّه تحقيقاً لما ورد في ذيل حديث رزّام، عن الإمام جعفر الصادق، حيث

---

(١) التوحيد: ٢٢٩، الباب ٣١، الحديث ١.

(٢) سورة الفرقان، الآية ٤٣.

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٢.

(٤) سورة البقرة، الآية ٣١.

يقول عليه السلام: «يقطع علائق الاهتمام بغير من له قصد وإليه رفد ومنه استرفد... الخ».

فـإذا تحـقّق للسـالك مـقام الاسمـية، رأىٰ نـفسه مسـتغرقاً في الأُلوهـية «العبودية جوهرة كنهها الربوبية»[1]، ورأىٰ نفسه اسم اللّه وعـلامة اللّـه وفـانياً في اللّه، ورأىٰ سائر الموجودات علىٰ هذه الحالة.

وإذا أصبح الوليّ كاملاً أصبح متحقّقاً بالاسم المطلق ووصـل إلى التـحقّق بالعبودية المطلقة فصار عبداً حقيقياً للّه.

ويمكن أن يكون استخدام وصف (العـبد) في الآيـة الكـريمة ﴿ سُبْحانَ الَّذي أَسْرىٰ بِعَبْدِهِ ﴾[2]، ناشئاً من كونه عروجاً ـ إلىٰ معراج القرب وأُفق القـدس ومحفل الأُنس ـ (وذلك) بقدم العبودية والافتقار وإزاحة غبار (الإنّية) و (الأنا) والاستقلال.

(كما أنّ) الشهادة بالرسالة للنبيّ في التشهّد وبعد الشهادة بعبوديّته له صلى الله عليه وآله هي لكون العبودية مرقاة الرسالة.

والصلاة ـ هي معراج المؤمنين ومظهر معراج النبوّة ـ يكون البدء بها بـعد رفع الحجب بـ(بسم اللّه) وذاك هو حقيقة العبودية (فسبحان الذي أسرىٰ بـنبيّه بمرقاة العبودية المطلقة) حيث جذبه (الحقّ) بـقدم العـبودية إلىٰ أُفـق الأحـدية، وحرّره من مملكة الملك والملكوت، ومملكة الجبروت واللاهـوت، وأُصـل سـائر العباد ـ المستظلّين بظلّ ذلك النـور الطـاهر (النـبيّ) ـ إلىٰ مـعراج القـرب بسـمة من سمات اللّه وبمرقاة التحقّق باسم اللّه حيث إنّ باطن ذلك هو العبودية.

---

(١) مصباح الشريعة، الباب ١٠٠.

(٢) سورة الإسراء، الآية ١.

وإذا رأى السالك بقدر قدمه في السلوك أنّ دائرة الوجود هـي اسم اللّـه، أمكنه عندئذٍ أن يرد في فاتحة كتاب اللّه ويكون مفتاح كنز اللّه، وحينئذٍ يـرجـع كلّ ثناء وكلّ المحامد إلى الحقّ بمقام الاسم الجامع، فلا يرىٰ لأيّ من المـوجودات فضلاً ولا فضيلة، لأنّ إثبات فضيلة أو كـمال لمـوجود ـ سـوى الحـقّ ـ يـناقض رؤية «الإسمية».

وإذا قال: (بسم اللّه) على الحـقيقة (بـصدقٍ)، أمكـنه عـندئذٍ أن يـقول: (الحمد للّه) على الحقيقة (بصدق أيضاً).

أمّا اذا ظلّ محجوباً عن (مقام الإسم) وكـان ـ مـثل إبـليس ـ في حـجاب (الخلق) فلا يمكنه ـ والحال هذه ـ أن يُرجع المحامد للحقّ.

وما دام في حجاب الأنانية، فهو محجوب عن العبودية و (مقام) الإسمـية، وما دام محروماً من هذا المقام، فلن يصل إلىٰ مقام (الحامدية).

وإذا وصل إلىٰ مقام (الحامدية) بقدم العبودية وحقيقة الإسمية، عرف حينئذٍ أنّ صفة الحامدية ثابتة للحقّ أيضاً، فيعتبر ويرىٰ أنّ الحقّ هو الحامد وهو المحمود.

ولكنّه ما دام يرىٰ نفسه الحامد، والحقّ هو المحمود، فليس هو حامد للحقّ، وإنّما حامد للحقّ والخلق، بل إنّه حامد لنفسه فقط، ومحجوب عن الحقّ وحمده.

وإذا وصل إلىٰ مقام (الحامدية)، كان عندئذٍ قوله: (أنت كما أثـنيت عـلىٰ نفسك)، فيخرج من حجاب (الحـامدية) المـقرون بـالجدال، والمـلازم لإثـبات (المحمودية)، وحينئذٍ تكون مقالة السالك في هـذا المـقام هـي عـلىٰ هـذا النـحو (باسمه الحمد له، منه الحمد وله الحمد).

وهذه هي ثمرة التقرّب بـالنوافـل، وقـد وردت إشـارة إليهـا في الحـديث (القدسي) الشريف: «فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ولسانه... الخ».

(ربّ العالمين) إذا كان (العالمون) هم صور الأسماء، وهي الأعيان الثابتة، فإنّ الربوبية تكون ذاتية، وتكون راجعة إلىٰ مقام (الأُلوهية الذاتية) حيث اسم اللّه الأعظم، وذلك لأنّ الأعيان الثابتة إنّما تحققت ـ بالتحقّق العلمي ـ من خلال التجلّي الذاتي في مقام (الواحدية) تبعاً للاسم الجامع المتعيّن بتجلّي الفيض الأقدس.

ومعنى الربوبية في ذلك المقام المقدّس هو: التجلّي بمقام الأُلوهية، وبهذا التجلّي يكون تعيّن جميع الأسماء، فتتعيّن أوّلاً العين الثابتة للإنسان الكامل، ثمّ تكون الأعيان الأُخرىٰ في ظلّه.

و (بـ) الرحمانية والرحيمية يكون إظهار هذه الأعيان من غيب الهوية إلىٰ أُفق الشهادة المطلقة، و (بهما يكون) إيداع فطرة العشق والمحبّة للكمال المطلق في خميرة تلك الأعيان.

وبتلك الفطرة العشقية السابقة، وبتلك الجذبة القهرية المالكة التي تأخذ بناصيتها (الأعيان)، فتصل إلىٰ مقام (الجزاء المطلق)، حيث الاستغراق في بحر كمال الواحدية ﴿ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾[1].

وبهذه الطريقة تكون الذات المقدّسة هي غاية آمال الموجودات ونهاية تحرّكها، ومنتهىٰ مختلف أشكال اشتياقها ومرجعها، ومعشوقة الكائنات ومحبوبة العشّاق ومطلب المجذوبين، حتّىٰ إنّهم وإن كانوا محجوبين عن هذا المطلوب، ويرون أنفسهم عبّاداً وعشّاقاً وطلّاباً ومجذوبين لأُمورٍ أُخرىٰ.

وهذا هو حجاب الفطرة الأكبر، الذي يجب على السالك إلى اللّه أن يخرقه بقدم معرفته، وما دام لم يصل إلىٰ هذا المقام، فلا يحقّ له أن يقول: «إيّاك نعبد»،

---

(١) سورة الشورىٰ، الآية ٥٣.

يعني (لا نطلب إلّا إيّاك)، ولا نبحث عن سواك، ولا نريد غيرك، ولا نثني علىٰ سواك، ولا نستعين إلّا بك في جميع الأُمور.

إنّنا جميعاً ـ سلسلة الموجودات وذرّات الكائنات، من أدنىٰ مرتبة سفلية المادة، إلىٰ أعلىٰ مرتبة غيب الأعيان الثابتة ـ طلّاباً للحقّ وباحثون عنه (وكلّ منّا وفي كلّ مطلوب، إنّما يطلبه هو وإنّما يتأجّج عشقاً له مع أي محبوب ﴿ فِطْرَةَ اللّٰـهِ الّتي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها ﴾[1]، ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ ما في السَّماواتِ وَالأَرْضِ ﴾.

فإذا حصلت للسالك هذه المشاهدة، ورأىٰ جميع كيانه وأجزائه الوجودية ـ من القوى الملكية إلى السرائر الغيبية ـ بل رأىٰ جميع سلسلة الوجود، عاشقةً للحقّ طالبة له، وأظهر هذا العشق والمحبّة، عندها يستعين بالحقّ للوصول، ويطلب منه الهداية إلى الصراط المستقيم، وهو صراط ربّ الإنسان ﴿ إنَّ رَبِّي عَلىٰ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[2]، وهذا هو صراط (المنعم عليهم) من الأنبياء الكمّل والصدّيقين، وهو عبارة عن (صراط) رجوع العين الثابتة إلىٰ مقام اللّه والفناء فيه. وليس الفناء في الأسماء الأُخرىٰ الواقعة في حدود القصور والتقصير، وينسب إلى الرسول الأكرم أنّه قال: «كان أخي موسىٰ عينه اليمنىٰ عمياء، وأخي عيسىٰ عينه اليسرىٰ عمياء، وأنا ذو العينين». فالتكثّرات كانت غالبة على الوحدة لدى موسىٰ عليه السلام، فيما الوحدة كانت غالبة على التكثّر لدىٰ عيسىٰ عليه السلام، أمّا الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله، فلقد كان له مقام البرزخية الكبرىٰ، وهو الحدّ الوسط والصراط المستقيم.

---

(١) سورة الروم، الآية ٣٠.

(٢) سورة هود، الآية ٥٤.

وإلىٰ هنا، فإنّ تفسير السورة مستند إلى القول بأنّ (العالمين) هم حضرات الأعيان.

أمّا إذا كان (العالمون) هم حضرات الأسماء الذاتية، أو الأسماء الصفاتية، أو الأسماء الفعلية، أو العوالم المجرّدة، أو العوالم المادّية، أو كليهما أو جميعها، فإنّ تفسير السورة يختلف تبعاً لذلك عمّا تقدّم.

كما أنّه لو كان (اسم اللّه) في الآية الكريمة ﴿ بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ غير مقام المشيئة، مقام آخر من (مقامات) الأسماء الذاتية وغيره من الأعيان الثابتة أو الأعيان الموجودة أو العوالم الغيبية أو الشهادتية أو الإنسان الكامل، فإنّ تفسير كامل السورة يختلف أيضاً، كما يختلف (تفسير الآية) أيضاً إذا كان (اللّه) هو (مقام) الأُلوهية الذاتية أو الظهورية، وفيما إذا كان (الرحمن الرحيم) في البسملة صفتين متعلّقتين بـ(اللّه) أو بالإسم، كما يظهر الكثير من الفروق (في تفسير الآية) إذا كانت (الباء) في البسملة هي للاستعانة عمّا إذا كانت للملابسة أو فيما إذا كانت متعلّقة بـ(ظهر) عمّا إذا كانت متعلّقة بالسورة نفسها أو أيّ من أجزائها.

كما إنّه سيختلف تفسير الآية بحسب مقامات القارئين من الوقوع في حجاب الكثرة أو غلبة الوحدة أو الصحو بعد المحو أو المقامات الأُخرىٰ التي تقدّم ذكرها.

والإحاطة بجميع ذلك وبالتفسير الحقيقي للقرآن ـ وهو الكلام الإلهي الجامع ـ خارج عن وسع أمثال الكاتب «إنّما يعرف القرآن من خوطب به»[1]، وما ذكر هو علىٰ سبيل الاحتمال واللّه الهادي.

---

(١) بحار الأنوار ٤٦ : ٣٤٩، تأريخ الإمام محمد الباقر، الباب ٢٠، الحديث ٢.

نقطة باء البسملة

جاء في كتاب (مدارك التنزيل) أنّ الكتب التي أنزلها اللّه من السماء إلى الدنيا لهداية الناس وإرشادهم إلى السعادة الأبدية، إنّما هي مئة وأربعة كتب : صحف شيت عليه‌السلام ستّون، وصحف إبراهيم عليه‌السلام ثلاثون، وصحف موسىٰ قبل التوراة عشرة، والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان. ومعاني كلّ الكتب مجموعة في الفرقان، ومعاني كلّ الفرقان ـ أي : القرآن الكريم ـ مجموعة في الفاتحة، ومعاني الفاتحة مجموعة في البسملة، ومعاني البسملة مجموعة في بائها، ومعاني الباء في نقطتها[1].

وروى الشعراني : عن الإمام علي بن أبي طالب رضي اللّه تعالىٰ عنه وكرّم وجهه أنّه كان يقول : لو شئت لأوقرت لكم ثمانين بعيراً من معنىٰ (الباء)[2].

وروى القندوزي الحنفي في (ينابيع المودّة) ما لفظه : وفي الدرّ المنظم : إعلم أنّ جميع أسرار الكتب السماوية في القرآن، وجميع ما في القرآن في الفاتحة، وجميع ما في الفاتحة في البسملة، وجميع ما في البسملة في باء البسملة، وجميع ما في باء البسملة في النقطة التي تحت الباء، قال الإمام علي كرّم اللّه وجهه : أنا النقطة التي تحت الباء.

وقال أيضاً : العلم نقطة كثّرها الجاهلون، والألف وحدة عرفها الراسخون[3].

---

(١) تفسير البصائر ١ : ٢٤.

(٢) لطائف المنن ١ : ١٧١، طبعة مصر.

(٣) ينابيع المودّة : ٦٩ و ٤٠٨، طبعة إسلامبول.

وعن ابن الآلوسي البغدادي في جلاء العينين ما لفظه: في حقّ علي عليه السلام، هو باب العلم والنقطة تحت الباء.

ويروي لنا ابن عبّاس، حبر الأمّة وتلميذ أمير المؤمنين علي عليه السلام في التفسير أنّه: أخذ بيدي علي عليه السلام ليلة، فخرج بي إلىٰ البقيع، وقال: إقرأ يا ابن عباس، فقرأت: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾، فتكلّم في أسرار الباء إلىٰ بزوغ الفجر[١].

وقال أيضاً: يشرح لنا علي عليه السلام نقطة الباء من ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ ليلة، فانفلق عمود الصبح وهو بعد لم يفرغ، فرأيت نفسي في جنبه كالفوّارة في جنب البحر المتلاطم[٢].

وجاء في مطالب السؤول ما لفظه: قال علي عليه السلام مرّة: لو شئت لأوقرت بعيراً من تفسير ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾[٣].

روى النبهاني في الشرف المؤبد عن ابن عباس، قال: قال لي علي عليه السلام: يا بن عباس، إذا صلّيت العشاء الآخرة فالحق الجبانة، قال: فصلّيت ولحقته، وكانت ليلة مقمرة، قال: فقال لي: ما تفسير الألف من الحمد؟ قلت: لا أعلم، فتكلّم فيها ساعة تامة، ثمّ قال: ما تفسير الميم من الحمد؟ قال: قلت: لا أعلم، قال: فتكلّم في تفسيرها ساعة كاملة، قال: فما تفسير الدال من الحمد؟ قال: قلت: لا أدري، فتكلّم فيها إلىٰ أن بزغ عمود الفجر، قال: وقال لي: قم يا بن عباس إلىٰ منزلك فتأهّب لغرضك، فقمت وقد وعيت ما قال. ثمّ تفكّرت فإذا علمي

---

(١) ينابيع المودّة: ٤٠٨.

(٢) الحنفي في أرجح المطالب: ١١٣، طبعة لاهور.

(٣) محمد بن طلحة الشافعي في مطالب السؤول: ٢٦، طبعة طهران.

بالقرآن في علم علي كالقرارة في المثعنجر. قال: القرارة: الغدير الصغير. والمثعنجر: البحر[١].

روى الحافظ ابن عبد البرّ، بإسناده، عن عبد اللّه بن عباس، قال: واللّه لقد أُعطي علي بن أبي طالب تسعة أعشار العلم، وأيم اللّه لقد شارككم في العُشر العاشر[٢].

هذا من طرق العامة، وهناك أيضاً المئات من الروايات والأخبار التي تشير إلىٰ أنّ أمير المؤمنين علي عليه السلام هو أعلم خلق اللّه بعد رسول اللّه محمد، وأنّه عنده علم الكتاب، وهو القرآن الناطق وترجمانه، وهو القائل عليه السلام: سلوني قبل أن تفقدوني فإنّي أعلم بطرق السماء من علمكم بطرق الأرض، وقال: يا معشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني، هذا سفط العلم، هذا لعاب رسول اللّه، هذا ما زقّني رسول اللّه زقّاً زقّاً، سلوني فإنّ عندي علم الأوّلين والآخرين، أما واللّه لو ثنيت لي الوسادة فجلست عليها لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم حتّىٰ تنطق التوراة فتقول: صدق علي ما كذب لقد أفتاكم بما أنزل اللّه فيّ، وأفتيت أهل الإنجيل بإنجيلهم حتّىٰ ينطق الإنجيل فيقول: صدق عليّ ما كذب لقد أفتاكم بما أنزل اللّه فيّ. وأفتيت أهل القرآن بقرآنهم حتّىٰ ينطق القرآن فيقول: صدق عليّ ما كذب لقد أفتاكم بما أُنزل فيّ. وأنتم تتلون القرآن ليلاً ونهاراً، فهل فيكم أحد يعلم ما نزل فيه، ولولا آية في كتاب اللّه عزّ وجلّ لأخبرتكم بما كان وبما يكون

---

(١) الشرف المؤبد: ٥٨، طبعة مصر.

(٢) الاستيعاب ٢: ٤٦٢، طبعة حيدر آباد، كما رواه الطبري في كتابه ذخائر العقبىٰ، وابن الأثير في أُسد الغابة، والسيوطي في تأريخ الخلفاء، والخوارزمي في المناقب، وغيرهم.

وبما هو كائن إلىٰ يوم القيامة، وهي هذه الآية: ﴿ يَمْحُو اللَّهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتاب ﴾، ثمّ قال عليه السلام: سلوني قبل أن تفقدوني فوالذي خلق الحبّة وبرء النسمة لو سألتموني عن آية آية في ليلة نزلت، أو في نهار اُنزلت، مكيّها ومدنيّها، سفريها وحضريّها، ناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وتأويلها وتنزيلها، إلّا أخبرتكم. فقام إليه رجل يقال له: ذعلب، وكان ذرب اللسان بليغاً في الخطب شجاع القلب، فقال: لقد ارتقىٰ ابن أبي طالب مرقاة صعبة لاُخجلنّه اليوم لكم في مسألتي إيّاه، فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربّك؟ فقال عليه السلام: ويلك يا ذعلب لم أكن بالذي عبد ربّاً لم أره، قال: فكيف رأيته؟ صفه لنا؟ قال: ويلك لم تره العيون بمشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان. ويلك يا ذعلب، إنّ ربّي لا يوصف بالبُعد ولا بالحركة ولا بالسكون ولا بقيامٍ قيامَ انتصاب ولا بجيئة ولا بذهاب، لطيف اللطافة لا يوصف باللطف، عظيم العظمة لا يوصف بالعظم، كبير الكبر لا يوصف بالكبر، جليل الجلالة لا يوصف بالغلظ، رؤوف الرحمة لا يوصف بالرقّة، مؤمن لا بعبادة، مدرك لا بمجسّة، قائل لا بلفظ، هو في الأشياء علىٰ غير ممازجة، خارج منها علىٰ غير مباينة، فوق كلّ شيء ولا يقال شيء فوقه، أمام كلّ شيء ولا يقال له أمام، داخل في الأشياء لا كشيء في شيء داخل، وخارج منها لا كشيء من شيء خارج، فخرّ عليه ذعلب مغشياً عليه، ثمّ قال: تاللّه ما سمعت بمثل هذا الجواب، واللّه لا عدتُ إلىٰ مثلها[1].

---

(١) تفسير البصائر ١: ١٨٧، عن أمالي الصدوق، بإسناده، عن الأصبغ بن نباتة، قال: لمّا جلس علي عليه السلام في الخلافة وبايعه الناس، خرج إلى المسجد متعمّماً بعمامة رسول اللّه، لابساً بردة رسول اللّه، متنعلاً نعل رسول اللّه، متقلّداً سيف رسول اللّه، فصعد المنبر، فجلس عليه متحنّكاً، ثمّ شبك بين أصابعه فوضعها أسفل بطنه، ثمّ قال: يا معشر الناس ... الحديث.

فعلي عليه‌السلام وأهل بيته الأئمة الأطهار عليهم‌السلام هم صراط اللّه الأقوم وسفينة النجاة، مَن ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق وهوىٰ، كما ورد في الخبر المتواتر عند الفريقين ـ السنّة والشيعة ـ فما بعد الحقّ إلّا الضلال.

وكلّ ما في القرآن الكريم إنّما هو عند أهل البيت عليهم‌السلام بصريح ما جاء في حديث الثقلين المتواتر عند الفريقين لقوله صلى‌الله‌عليه‌وآله : «لن يفترقا»، ولن للتأبيد بمعنىٰ أنّه أبداً في كلّ شيء لن يفترقا إلىٰ يوم القيامة، فلا نقول كما قال الرجل : حسبنا كتاب اللّه، ولا نقول كما قالوا حسبنا أهل البيت، بل نتمسّك بهما معاً.

ثمّ كلّ ما في القرآن هو في حمده، وكلّ ما في سورة الحمد في البسملة، وكلّ ما في البسملة في بائها، وعلي عليه‌السلام هو نقطة الباء، كما ذكرنا لك الروايات من طرق العامة.

وأمّا عند الخاصّة :

فقد جاء ذلك أيضاً في كتاب (الأنوار النعمانية)[١] عندما يتحدّث الكاتب آية اللّه العظمى السيد نعمة اللّه الجزائري المتوفّىٰ سنة ١١١٢ هـ عن فضائل أمير المؤمنين وأنّه أفضل خلق اللّه بعد رسوله محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله ، فقال : وأمّا قوله : ومنها علم التفسير ـ أي : أنّه عليه‌السلام أعلم الناس بعلم التفسير ـ إلىٰ آخره، فقد تحقّق في الأخبار من العامة والخاصة أنّ قوله تعالىٰ : ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ ، المراد به علي بن أبي طالب عليه‌السلام ، وهو الذي فسّر الباء من ﴿ بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ لابن عبّاس فقال : يا ابن عباس لو طال الليل لطلناه.

وفي الروايات الخاصّة ـ أقول : بل العامّة، كما مرّ ـ عنه عليه‌السلام أنّه قال :

---

(١) الأنوار النعمانية ١ : ٤٧.

«علم ما كان وما يكون كلّه في القرآن الكريم، وعلم القرآن كلّه في سورة الفاتحة، وعلم الفاتحة كلّه في البسملة منها، وعلم البسملة كلّه في بائها، وأنا النقطة تحت الباء». وهذا الحديث من مشكلات الأخبار، وأكثر الإشكال إنّما هو في قوله: «وأنا النقطة تحت الباء»، ويحتمل أن يكون معناه أنّي أُبيّن علوم القرآن وأُوضح مجملاتها، كما أنّ نقطة الباء توضّحه وتميّز عمّا يشاركه في الصورة كالتاء المثناة والثاء المثلثة، ويحتمل معانٍ كثيرة لا يخفىٰ بعضها علىٰ أُولي الألباب. والحاصل أنّ العلوم كلّها تنتهي إليه ولم يؤخذ علم إلّا منه، والعلماء كلّهم تلاميذه... ثمّ يذكر تفصيل ذلك، فراجع.

وقد رأيت الحديث الشريف في كتاب (مشارق أنوار اليقين في حقائق أسرار أمير المؤمنين)[1] للحافظ الشيخ رضي الدين رجب البرسي، وقد عدّه بعض علمائنا

---

(١) قال الحافظ رجب البرسي الحلي في كتابه مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام:

وأمّا علم النقط والدوائر فهو من أجلّ العلوم وغوامض الأسرار، لأنّ منتهى الكلام إلى الحروف ومنتهىٰ الحروف إلى الألف ومنتهى الألف إلى النقطة، والنقطة عندهم عبارة عن نزول الوجود المطلق الظاهر بالباطن، ومن الابتداء بالانتهاء يعني ظهور الهوية التي هي مبدأ الوجود التي لا عبارة لها ولا إشارة ـ الصفحة ٢٥.

وسرّ اللّه مودع في كتبه وسرّ الكتب في القرآن، لأنّه الجامع المانع، وفيه تبيان كلّ شيء، وسرّ القرآن في الحروف المقطّعة في أوائل السور، وعلم الحروف في لام ألف، وهو الألف المعطوف المحتوي علىٰ سرّ الظاهر والباطن، وعلم اللام ألف في الألف، وعلم الألف في النقطة، وعلم النقطة في المعرفة الأصلية، وسرّ القرآن في الفاتحة، وسرّ الفاتحة في مفتاحها، وهي بسم اللّه، وسرّ البسملة في الباء، وسرّ الباء في النقطة ـ الصفحة ٢٧.

والفاتحة هي سورة الحمد وأُمّ الكتاب، وقد شرّفها اللّه تعالىٰ في الذكر فأفردها وأضاف

القرآن إليها، فقال عزّ اسمه : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ ، فذكرها إجمالاً وإفراداً، وذلك لتشرّفها، وهذا مثل قوله : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ ﴾ ، أدخلها إجمالاً وأفردها إجلالاً.

وسورة الحمد فيها اسم اللّه الأعظم عن يقين، وعدد آياتها (٧) وهي العدد الكامل، ومن العدد الكامل يظهر جذر العشرة، وهو ضرب السنة في أيّام الأسبوع ومبلغه (٢٥٢٠)، وهو عدد له نصف وثلث وربع وخمس وسدس وسبع وثمن وتسع وعشر، وعدد كلمات أُمّ الكتاب مع البسملة (٢٩) كلمة، وعدد السور المتوجة بالحروف المقطّعة (٢٩) سورة، وعدد أيام الشهر (٢٩) يوماً، فأخذ منها الألف كانت (٢٨) بعدد منازل القمر، وإذا قسمت كان منها للأفلاك (٩) وللبروج (١٢) وللعناصر (٤) وللمواليد (٣) فهذه ثمانية وعشرون بعدد حروف المعجم، وعدد حروف الفاتحة (٣٢٤) وأعداد حروفها (٩٣٦١) وسائر أعدادها تنقسم إلى الفردانية، وتشير إليها وتنقسم بأعداد الاسم الأعظم قسمين ظاهر وباطن.

نهاية الحروف النقطة، فتناهت الأشياء بأسرها إلى النقطة ودلّت عليها، ودلّت النقطة على الذات، وهذه النقطة هي الفيض الأوّل الصادر عن ذي الجلال المسمّىٰ في أُفق العظمة والجمال بالعقل الفعّال وذلك هو الحضرة المحمدية، فالنقطة هي نور الأنوار وسرّ الأسرار، كما قال أهل الفلسفة : النقطة هي الأصل والجسم حجاب والصورة حجاب الجسم والحجاب غير الجسد الناسوتي، دليله : من صريح الآيات قوله : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ ﴾ معناه منوّر السماوات، فاللّه اسم للذات والنور من صفات الذات والحضرة المحمدية صفة اللّه وصفوته، صفته في عالم النور وصفوته في عالم الظهور، فهي النور الأوّل الإسم البديع الفتّاح ﴿ قَوْلُهُ الْحَقُّ ﴾ أوّل ما خلق اللّه نوري (وقوله) أنا اللّه وكلّ منّي. وقوله (ممّا رواه أحمد ابن حنبل) : كنت وعلي نوراً بين يدي الرحمن قبل أن يخلق عرشه بأربع عشر سنة فمحمد

وعلي حجاب الحضرة الإلهية ونوّابها وخزّان أسرار الربوبية وبابها...

فإذا استقرينا الموجودات فإنّها تنتهي إلى النقطة الواحدة التي صفة الذات وعلّة الموجودات ولها في التسمية عبارات فهي العقل من قوله: «أوّل ما خلق اللّه العقل»، وهي الحضرة المحمدية من قوله: «أوّل ما خلق اللّه نوري»، ومن حيث إنّها أوّل الموجودات صادرة عن اللّه تعالىٰ بغير واسطة سمّيت العقل الأوّل، ومن حيث إنّ الأشياء تجد منه قوّة التعقيل سمّي العقل الفعّال، ومن حيث إنّ العقل فاض منه إلىٰ جميع الموجودات فأدركت به حقائق الأشياء سمّي عقل الكلّ، فعلم بواضح البرهان أنّ الحضرة المحمدية هي نقطة النور وأوّل الظهور وحقيقة الكائنات ومبدأ الموجودات وقطب الدائرات، فظاهرها صفة اللّه وباطنها غيب اللّه، فهي ظاهر الاسم الأعظم وصورة سائر العالم وعليها مدار من كفر وأسلم، فروحه نسخة الأحدية في اللاهوت وجسده صورة معاني الملك والملكوت، وقلبه خزانة الحيّ الذي لا يموت، وذلك لأنّ اللّه تعالىٰ تكلّم في الأوّل بكلمة فصارت كلمته ونوره وروحه وحجابه، وسريانها في العالم كسريان النقطة في الحروف والأجسام وسريان الواحد في الأعداد وسريان الألف في الكلام وسريان الإسم المقدّس في الأسماء فهي مبدأ الكلّ وحقيقة الكلّ، فكلّ ناطق بلسان الحال والمقال فإنّه شاهد للّه بالوحدانية الأوّلية ولمحمد وعلي بالأُبوّة والملكية، دليله قوله ﷺ: أنا وعلي أبوا هذه الأمّة...

فعلم أنّ الفيض الأوّل عن حضرة الأحدية هي النقطة الواحدة وعنها ظهر الف الغيب (القلب خ ل) وامتدّ حتّىٰ صار خطه وهو مركب من ثلاث نقط... قال ﷺ: عن الباء ظهر الوجود وبالنقطة تبين العابد عن المعبود، وقال حكيم: بالباء عرفه العارفون...

وإلىٰ هذا السرّ إشارة من كلامه البليغ في نهج البلاغة فقال: «وهو يعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرحىٰ»، وهذه إشارة إلىٰ أنّه ﷺ غاية الفخار ومنتهى الشرف وذروة العزّ وقطب الوجود وعين الوجود وصاحب الدهر ووجه الخلق وجنب العلىٰ فهو القطب الذي

من الغلاة، إلّا أنّ العلّامة الأميني تَتُّ يدافع عنه ويرفع هذه التهمة عن ساحته في كتابه القيّم[١]، فقال: الحافظ الشيخ رضي الدين رجب بن محمد بن رجب البرسي الحلّي، من عرفاء علماء الإمامية وفقهائها المشاركين في العلوم، علىٰ فضله الواضح في فنّ الحديث وتقدّمه في الأدب وقرض الشعر وإجادته وتضلّعه من علم الحروف وأسرارها واستخراج فوائدها، وبذلك كلّه تجد كتبه طافحة بالتحقيق ودقّة النظر، وله في العرفان والحروف مسالك خاصّة، كما أنّ له في ولاء أئمّة الدين عليهم السلام آراء ونظريات لا يرتضيها لفيف من الناس، ولذلك رموه بالغلوّ والارتفاع، غير أنّ الحقّ أنّ جميع ما يثبته المترجم لهم عليهم السلام من الشؤون هي دون مرتبة الغلوّ وغير درجة النبوّة، وقد جاء عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قوله: إيّاكم والغلوّ فينا، قولوا: إنّا عبيد مربوبون وقولوا في فضلنا ما شئتم، وقال الإمام الصادق عليه السلام: إجعل لنا ربّاً نؤوب إليه وقولوا فينا ما شئتم. وقال عليه السلام: إجعلونا مخلوقين وقولوا فينا ما شئتم فلن تبلغوا[٢].

وأنّىٰ لنا البلاغ مدية ما منحهم المولىٰ سبحانه من فضائل ومآثر؟ وأنّىٰ لنا الوقوف علىٰ غاية ما شرّفهم اللّه به من ملكات فاضلة ونفسيّات نفيسة وروحيات قدسية وخلائق كريمة ومكارم ومحامد؟ فمن ذا الذي يبلغ معرفة الإمام؟ أو يمكنه

دار به كلّ دائر وسار به كلّ سائر لأنّ سريان الوليّ في العالم كسريان الحقّ في العالم... والنقطة التي أُدير عليها بركار النبوّة فهي حقيقة كلّ موجود فهي باطن الدائرة والنقطة السارية السائرة التي بها ارتباط سائر العوامل...

(١) الغدير ٧: ٣٣.

(٢) لقد ذكرت براهين صحّة هذا المعنىٰ في (جلوة من ولاية أهل البيت عليهم السلام)، فراجع.

اختياره ؟ هيهات هيهات، ضلّت العقول، وتاهت الحلوم، وحارت الألباب، وخسئت العيون، وتصاغرت العظماء، وتحيّرت الحكماء، وتقاصرت الحلماء، وحضرت الخطباء، وجهلت الألبّاء، وكلّت الشعراء، وعجزت الأُدباء، وعييت البلغاء عن وصف شأن من شأنه، وفضيلة من فضائله، وأقرّت بالعجز والتقصير، فكيف يوصف بكلّه ؟ أو ينعت بكنهه ؟ أو يفهم شيء من أمره ؟ أو يوجد من يقوم مقامه ويغني غناه ؟ لا كيف ؟ وأنّىٰ ؟ فهو بحيث النجم من يد المتناولين ووصف الواصفين، فأين الاختيار من هذا ؟ وأين العقول عن هذا ؟ وأين يوجد مثل هذا ؟

ولذلك تجد كثيراً من علمائنا المحققين في المعرفة بالأسرار يثبتون لأئمة الهدىٰ صلوات الله عليهم كلّ هاتيك الشؤون وغيرها ممّا لا يتحمّله غيرهم، وكان في علماء قم من يرمي بالغلوّ كلّ من روىٰ شيئاً من تلكم الأسرار حتّىٰ قال قائلهم : إنّ أوّل مراتب الغلوّ نفي السهو عن النبي صلى الله عليه وآله، إلىٰ أن جاء بعدهم المحقّقون وعرفوا الحقيقة، فلم يقيموا لكثير من تلكم التضعيفات وزناً، وهذه بليّة مُني بها كثيرون من أهل الحقائق والعرفان ومنهم المترجم، ولم تزل الفئتان علىٰ طرفي نقيض وقد تقوم الحرب بينهما علىٰ أشدّها، والصلح خير.

وفذلكة المقام : أنّ النفوس تتفاوت حسب جبلّاتها واستعداداتها في تلقّي الحقائق الراهنة، فمنها ما تبهظه المعضلات والأسرار، ومنها ما ينبسط لها فيبسط إليها ذراعاً ويمدّ لها باعاً، وبطبع الحال إنّ الفئة الأُولىٰ لا يسعها الرضوخ لما لا يعلمون، كما إنّ الآخرين لا تبيح لهم المعرفة أن يذروا ما حقّقوه في مدحرة البطلان، فهنالك تثور المنافرة وتحتدم الضغائن، ونحن نقدّر للفريقين مسعاهم لما نعلم من نواياهم الحسنة وسلوكهم جدد السبيل في طلب الحقّ، ونقول :

علىٰ المرء أن يسعىٰ بمقدار جهده ... وليس عليه أن يكون موفّقاً

إلّا أنّ الناس معادن، كمعادن الذهب والفضّة، وقد تواتر عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام : أنّ أمرنا ـ أو : حديثنا ـ صعب مستصعب لا يتحمّله إلّا نبيّ مرسل أو مَلَك مقرّب أو مؤمن امتحن اللّه قلبه بالإيمان. إذن فلا نتحرّىٰ وقيعة في علماء الدين، ولا نمسّ كرامة العارفين، ولا ننقم من أحدٍ عدم بلوغه إلىٰ مرتبة من هو أرقىٰ منه، إذ لا يكلّف اللّه نفساً إلّا وسعها، وقال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام : لو جلست أُحدّثكم ما سمعت من فم أبي القاسم صلى الله عليه وآله لخرجتم من عندي وأنتم تقولون : إنّ عليّاً من أكذب الكاذبين.

وقال إمامنا السيد السجّاد عليه السلام : لو علم أبو ذرّ ما في قلب سلمان لقتله، ولقد آخا رسول اللّه صلى الله عليه وآله بينهما، فما ظنّكم بسائر الخلق، وكلّاً وَعَدَ اللّه الحسنىٰ، وفضّل اللّه المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً.

ثمّ يذكر العلّامة الأميني ما قاله السيد الأمين في أعيان الشيعة من إنكاره الحافظ البرسي وأنّه من الغلاة، فيناقشه، ثمّ يذكر مؤلّفات الحافظ وجملة من شعره الرائق في مدح أهل البيت عليهم السلام ، فراجع.

فكما إنّ الإيمان درجات، وفي بعض الروايات تبلغ إلىٰ أربعمائة درجة، كذلك المعرفة باللّه ورسوله وأهل بيته، فإنّ المعرفة من الكلّي المشكّك له مراتب في القوّة والضعف، ولو علم أبو ذرّ ما في قلب سلمان من المعارف الحقّة والأنوار القدسية في عظمة أهل البيت وأسرار أمير المؤمنين لقتله، أو قال رحم اللّه قاتل سلمان. وقد آخا بينهما رسول اللّه فما ظنّكم بسائر الناس.

فإذا اعتقدنا أنّ أمير المؤمنين علي عليه السلام عنده علم الأوّلين والآخرين بعد رسول اللّه، وذلك بعناية من ربّه، فإنّه عيبة علمه، فهو يعلم كلّ ما في القرآن الكريم، وهو نقطة باء البسملة، فليس ذلك من الغلوّ، بل هذا من أدنى المعرفة

بأسرار أمير المؤمنين، وما عرفه إلّا اللّه ورسوله، كما قاله النبيّ الأكرم محمد صلى الله عليه وآله، فحديث النقطة جاء في كتاب الحافظ البرسي (مشارق أنوار اليقين) كما جاء في غيره.

أجل:

حديث النقطة يعدّ من الأحاديث الصعبة المستصعبة التي لا يتحمّلها إلّا مَلَك مقرّب أو نبيّ مرسل أو مؤمن امتحن اللّه قلبه بالإيمان، فإنّه يعتبر من أسرار آل محمد عليهم السلام، وإنّه رشحة من رشحات سرّ الولاية العلوية، ولاية أمير المؤمنين أسد اللّه الغالب علي بن أبي طالب عليه السلام، حصن اللّه الحصين الذي مَن دخله كان آمناً، كما مَن دخل حصن التوحيد وكلمة (لا إله إلّا اللّه) كان آمناً من عذاب اللّه سبحانه وخزي الدنيا والآخرة، ومن كلّ شين وألم وسقم وأمراض روحية، ومن الصفات الرذيلة والأخلاق المذمومة.

فحديث النقطة بحر زاخر متلاطم الأمواج، وقمر زاهر متلألىء الأفواج، وشمس مضيئة، وكواكب زاهية في سماء العلم والفضيلة، يعجز القلم عن بيانه ويكلّ اللسان عن تبيانه.

ولكنّ ما لا يدرك كلّه لا يترك جلّه، والميسور لا يسقط بالمعسور، وبداية مسيرة ألف ميل خطوة، فلنغترف من عذب مناهل حديث النقطة غرفة، عسىٰ أن نروي أكباداً حرّىٰ ونفوساً متعطّشة لمعرفة الحقائق وكسب المعارف الإلهية.

فالروايات ـ من السنّة والشيعة ـ التي تشير إلىٰ أنّ كلّ العلوم والفنون والمعارف والحقائق من الأوّلين والآخرين، وأسرار الكون، وعلم اللّه سبحانه بعد الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله، إنّما هي عند مولى الموحّدين، وإمام المتّقين، وأمير المؤمنين، وقائد الغرّ الميامين، وسيد الأوصياء المنتجبين، أخ الرسول،

وزوج البتول، وأبي السبطين: الحسن والحسين، ذلك أسد اللّه ورسوله وخليفته ووصيّه، مولانا وطبيب نفوسنا وحبيب قلوبنا، إمام الهدىٰ، علي بن أبي طالب المرتضىٰ، عليه وعلىٰ ابن عمّه رسول اللّه وأهل بيتهم أفضل صلوات المصلّين.

فلا رطبٍ ولا يابس إلّا في كتابٍ مبين، أي إمام حقٍّ ظاهر البرهان وتامّ البيان، وقد علّمه اللّه سبحانه علم ما كان وعلم ما يكون وما هو كائن، وقد زقّه النبيّ ذلك العلم زقّاً، وعلّمه ألف باب من العلم ينفتح من كلّ باب ألف باب.

ثمّ العلم والخير والحقّ كلّه في القرآن الكريم، وكلّ ما في القرآن هو في سورة الحمد ـ كما مرّ بيان ذلك إجمالاً ـ، وكلّ ما في الحمد إنّما هو في البسملة، وكلّ ما في البسملة إنّما هو في الباء، وأمير المؤمنين علي عليه السلام وروحي فداه هو نقطة باء البسملة.

وأمّا بيان ذلك فنشير إلىٰ بعض الوجوه علىٰ نحو الاجمال والإشارة ـ والحرّ اللبيب تكفيه الإشارة ـ وربّما بعض النفوس لقصورها أو تقصيرها لا تستوعب ذلك فتتنكر تلك المعاني السامية وربّما تعاديها ـ فإنّ الناس أعداء ما جهلوا ـ، ولكنّ المنصف العاقل يستمع القول فيتّبع أحسنه، وما لا يستوعبه يردّه إلىٰ أهله...

الأوّل ـ قال اللّه تعالىٰ في كتابه الكريم: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلىٰ شَهِدْنا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنّا كُنّا عَنْ هٰذا غافِلِينَ ﴾[1].

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٧٢.

الآية الشريفة وما بعدها تذكر الميثاق من بني آدم على الربوبية، وهي من أدقّ الآيات القرآنية معنىً وأعجبها نظماً.

وقد تعرّض كثير من العلماء الأعلام إلىٰ تفسيرها وبيانها، وللعلّامة الطباطبائي في تفسيره القيّم (الميزان) تحقيق ظريف ومطالب قيّمة في هذا الباب[١].

وجاء فيه: قوله: ﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ ينبيء عن فعل آخر إلهيّ تعلّق بهم بعد ما أخذ بعضهم من بعض وفصل بين كلّ واحد منهم وغيره، وهو إشهادهم علىٰ أنفسهم. والإشهاد على الشيء هو إحضار الشاهد عنده وإراءته حقيقته، ليتحمّله علماً تحمّلاً شهودياً، فإشهادهم علىٰ أنفسهم هو إراءتهم حقيقة أنفسهم ليتحمّلوا ما أُريد تحمّلهم من أمرها، ثمّ يؤدّوا ما تحمّلوه إذا سُئلوا.

ثمّ يقول: فالإنسان في أي منزل من منازل الانسانية نزل، يشاهد من نفسه أنّ له ربّاً يملكه ويدبّر أمره، وكيف لا يشاهد ربّه وهو يشاهد حاجته الذاتية؟ وكيف يتصوّر وقوع الشعور بالحاجة من غير شعور بالذي يحتاج إليه؟ فقوله: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ بيان ما أُشهد عليه، وقوله: ﴿ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴾ اعتراف منهم بوقوع الشهادة وما شهدوه، ولذا قيل: إنّ الآية تشير إلىٰ ما يشاهده الإنسان في حياته الدنيا أنّه محتاج في جميع جهات حياته من وجوده وما يتعلّق به وجوده من اللوازم والأحكام، ومعنى الآية: أنّا خلقنا بني آدم في الأرض وفرّقناهم وميّزنا بعضهم من بعض بالتناسل والتوالد، وأوقفناهم علىٰ احتياجهم ومربوبيتهم لنا فاعترفوا بذلك قائلين: بلىٰ شهدنا أنّك ربّنا.

ثمّ يقول ﷺ: وقد طرح القوم عدّة من الروايات تدلّ علىٰ أنّ الآيتين

---

(١) راجع الميزان ٩: ٣٠٦ ـ ٣٣١.

تدلّان علىٰ عالم الذرّ، وأنّ اللّه أخرج ذرية آدم من ظهره، فخرجوا كالذرّ، فأشهدهم علىٰ أنفسهم، وعرّفهم نفسه، وأخذ منهم الميثاق علىٰ ربوبيته، فتمّت بذلك الحجّة عليهم يوم القيامة. وقد ذكروا وجوهاً في إبطال دلالة الآيتين عليه، وطرح الروايات بمخالفتها لظاهر الكتاب.

فيذكر السيد وجوهاً ستة، ثمّ يقول: هذه جملة ما أوردوه علىٰ دلالة الآية وحجية الروايات، وقد زيّفها المثبتون لنشأة الذرّ، وهم عامة أهل الحديث وجمع من غيرهم من المفسّرين بأجوبة.

فيذكر أجوبة الوجوه الستة، ويقول: هذا ملخّص ما جرىٰ بينهم من البحث في ما استفيد من الآية من حديث عالم الذرّ إثباتاً ونفياً، واعتراضاً وجواباً، واستيفاء التدبّر في الآية والروايات، والتأمّل فيما يرومه المثبتون بإثباتهم ويدفعه المنكرون بإنكارهم يوجب توجيه البحث إلىٰ جهة أُخرىٰ غير ما تشاجر فيه الفريقان بإثباتهم ونفيهم.

فيذكر العلّامة وجهاً ثالثاً بقريحته العرفانية اللطيفة بعد أن يشكل إشكالات عديدة علىٰ من يقول بعالم الذرّ كما عند المشهور، كما يشكل على النافين له، ويقول: ومقتضىٰ هذه الآيات أنّ للعالم الإنساني ـ علىٰ ما له من السعة ـ وجوداً جميعاً عند اللّه سبحانه، وهو الذي يلي جهته تعالىٰ ويفيضه علىٰ أفراده، لا يغيب فيها بعضهم عن بعض، ولا يغيبون عن صانعه، وهذا هو الذي يسمّيه اللّه سبحانه بالملكوت، ويقول: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيَ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾[1]، ويشير إليه بقوله: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ

---

(١) سورة الأنعام، الآية ٧٥.

الجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ اليَقِينِ ﴾[١].

وأمّا هذا الوجه الدنيوي الذي نشاهده نحن من العالم الإنساني، وهو الذي يفرّق بين الآحاد، ويشتّت الأموال والأعمال بتوزيعها علىٰ قطعات الزمان، وتطبيقها علىٰ مرّ الليالي والأيّام ويحجب الإنسان عن ربّه بصرف وجهه إلىٰ التمتّعات المادية الأرضية واللذائذ الحسية، فهو متفرّع على الوجه السابق متأخّر عنه، وموقع تلك النشأة وهذه النشأة في تفرّعها عليها موقعاً كن ويكون في قوله تعالىٰ: ﴿ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون ﴾[٢].

ويتبيّن بذلك أنّ هذه النشأة الإنسانية الدنيوية مسبوقة بنشأة أُخرىٰ إنسانية هي هي بعينها، غير أنّ الآحاد موجودون فيها غير محجوبين عن ربّهم، يشاهدون فيها وحدانيّته تعالىٰ في الربوبية بمشاهدة أنفسهم لا من طريق الاستدلال، بل لأنّهم لا ينقطعون عنه ولا يفقدونه، ويعترفون به وبكلّ حقّ من قبله، وأمّا قذارة الشرك وألواث المعاصي، فهو من أحكام هذه النشأة الدنيوية دون تلك النشأة، التي ليس فيها إلّا فعله تعالى القائم به، فافهم ذلك.

وأنت إذا تدبّرت هذه الآيات ثمّ راجعت قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ الآية، وأجدت التدبّر فيها وجدتها تشير إلىٰ تفصيل أمر تشير هذه الآيات إلىٰ إجماله، فهي تشير إلىٰ نشأة إنسانية سابقة فرق اللّه فيها بين أفراد هذا النوع، وميّز بينهم ﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴾.

---

(١) سورة التكاثر، الآية ٧.

(٢) سورة يس، الآية ٨٢.

ولا يرد عليه ما أُورد علىٰ قول المثبتين في تفسير الآية علىٰ ما فهموه من معنىٰ عالم الذرّ من الروايات علىٰ ما تقدّم، فإنّ هذا المعنى المستفاد من سائر الآيات والنشأة السابقة التي تثبته لا تفارق هذه النشأة الإنسانية الدنيوية زماناً، بل هي معها محيطة بها، لكنّها سابقة عليها السبق الذي في قوله تعالىٰ: ﴿ كُنْ فَيَكُون ﴾، ولا يرد عليه شيء من المحاذير المذكورة.

ثمّ يقول: وأمّا الروايات، فسيأتي أنّ بعضها يدلّ علىٰ أصل تحقّق هذه النشأة الإنسانية كالآية، وبعضها يذكر أنّ اللّه كشف لآدم عليه السلام عن هذه النشأة الإنسانية، وأراه هذا العالم الذي هو ملكوت العالم الإنساني، وما وقع فيه من الإشهاد وأخذ الميثاق، كما أرىٰ إبراهيم عليه السلام ملكوت السماوات والأرض.

ثمّ في بحثه الروائي (الصفحة ٣٢٣)، يذكر روايات عديدة تدلّ علىٰ عالم الذرّ، نكتفي بثلاثة منها، فقال: في الكافي، بإسناده، عن زرارة، عن حمران، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: إنّ اللّه تبارك وتعالىٰ حيث خلق الخلق، خلق ماءً عذباً وماءً مالحاً أُجاجاً، فامتزج الماءان، فأخذ طيناً من أديم الأرض، فعركه عركاً شديداً، فقال لأصحاب اليمين وهم كالذرّ يدبّون: إلى الجنّة ولا أُبالي، وقال لأصحاب الشمال: إلى النار ولا أُبالي، ثمّ قال: ألست بربّكم ؟ قالوا: بلىٰ شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنّا كنّا عن هذا غافلين.

وفيه، بإسناده، عن عبد اللّه بن سنان، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، قال: سألته عن قول اللّه عزّ وجلّ: ﴿ فِطْرَةَ اللّهِ الّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها ﴾، ما تلك الفطرة ؟ قال: هي الإسلام، فطرهم اللّه حين أخذ ميثاقهم على التوحيد، قال: ألست بربّكم ؟ وفيه المؤمن والكافر.

وفي تفسير العياشي، وخصائص السيد الرضي، عن الأصبغ بن نباتة،

عن علي عليه السلام، قال: أتاه ابن الكوّاء، فقال: أخبرني يا أمير المؤمنين عن اللّه تبارك وتعالى، هل كلّم أحداً من ولد آدم قبل موسىٰ؟ فقال علي عليه السلام: قد كلّم اللّه جميع خلقه برّهم وفاجرهم، وردّوا عليه الجواب، فثقل ذلك علىٰ ابن الكوّاء ولم يعرفه، فقال له: كيف كان ذلك يا أمير المؤمنين؟ فقال له: أو ما تقرأ كتاب اللّه إذ يقول لنبيّه: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلىٰ ﴾، فقد أسمعهم كلامه وردّوا عليه الجواب، كما تسمع في قول اللّه يا ابن الكوّاء ﴿ قالُوا بَلىٰ ﴾، فقال لهم: إنّي أنا اللّه لا إله إلّا أنا وأنا الرحمن الرحيم، فأقرّوا له بالطاعة والربوبية، وميّز الرسل والأنبياء والأوصياء، وأمر الخلق بطاعتهم، فأقرّوا بذلك في الميثاق، فقالت الملائكة عند إقرارهم بذلك: شهدنا عليكم يا بني آدم أن تقولوا يوم القيامة: إنّا كنّا عن هذا غافلين.

أقول: والرواية كما تقدّم، وبعض ما يأتي من الروايات، يذكر مطلق أخذ الميثاق من بني آدم من غير ذكر إخراجهم من صلب آدم وإراءتهم إيّاه، وكان تشبيههم بالذرّ كما في كثير من الروايات تمثيل لكثرتهم كالذرّ لا لصغرهم جسماً أو غير ذلك، ولكثرة ورود هذا التعبير في الروايات سمّيت هذه النشأة بعالم الذرّ.

وفي الرواية دلالة ظاهرة علىٰ أنّ هذا التكليم كان تكليماً حقيقياً لا مجرّد دلالة الحال على المعنىٰ. وفيها دلالة علىٰ أنّ الميثاق لم يؤخذ على الربوبية فحسب، بل على النبوّة (والإمامة) وغير ذلك، وفي كلّ ذلك تأييد لما قدّمناه.

ثمّ يذكر الروايات الأُخرىٰ من الشيعة والسنّة في هذا الباب، فراجع، وقال قدس سره: وليس من البعيد أن يدّعىٰ تواتره المعنوي (الصفحة ٣٢٩).

وقال: وفي الدرّ المنثور أيضاً أخرج ابن سعد وأحمد، عن عبد الرحمان ابن قتادة السلمي، وكان من أصحاب رسول اللّه ﷺ، قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: إنّ اللّه تبارك وتعالىٰ خلق آدم ثمّ أخذ الخلق من ظهره، فقال: هؤلاء في الجنّة ولا أُبالي، وهؤلاء في النار ولا أُبالي، فقال رجل: يا رسول اللّه فعلىٰ ماذا نعمل؟ قال: علىٰ مواقع القدر.

أقول: القول في ذيل الرواية نظير القول في ذيل رواية أبي أُمامة المتقدّمة، وقد فهم الرجل من قوله «هؤلاء في الجنّة ولا أُبالي، وهؤلاء في النار ولا أُبالي» سقوط الاختيار، فأجابه ﷺ: بأنّ هذا قدر منه تعالىٰ وأنّ أعمالنا في عين أنّا نعملها وهي منسوبة إلينا تقع علىٰ ما يقع عليه القدر فتنطبق على القدر وينطبق هو عليها، وذلك أنّ اللّه قدّر ما قدّر من طريق اختيارنا فنعمل نحن باختيارنا، ويقع مع ذلك ما قدّره اللّه سبحانه، لا أنّه تعالىٰ أبطل بالقدر اختيارنا، ونفي تأثير إرادتنا، والروايات بهذا المعنىٰ كثيرة ـ انتهىٰ كلامه رفع اللّه مقامه ـ.

فكما قال الإمام الصادق عليه السلام: «لا جبر ولا تفويض، بل أمر بين الأمرين»، وكما نقول عند قيامنا من السجود: «بحَول اللّه وقوّته أقوم وأقعد»[1].

هذا إجمال ما أردت بيانه حول عالم الذرّ، وفي كتاب (التأويلات النجمية) أنّ الباء من الحروف الشفوية، وكان أوّل انفتاح فمّ الذرة الإنسانية في عهد ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ بالجواب بكلمة ﴿ بَلَىٰ ﴾، فأوّل حرف نطقت به فم الذرة الإنسانية هو حرف الباء، فاختصّت بهذه الاختصاصات الربّانية، وجعلها اللّه تعالىٰ مفتاح كتابه ومبدأ كلامه وبداية خطابه، فقال عزّ من قائل: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ

---

(١) لقد ذكرت مسألة الجبر والتفويض في كتابنا (الحقّ والحقيقة بين الجبر والتفويض)، فراجع.

﴿الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾، فكلّ ما في البسملة إنّما تبدأ بالباء والباء بالنقطة، إذ النقطة منتهى الخطّ وبدايته، فمَن أراد أن يبدأ بكتابة الحروف أو رسم الأشكال إنّما يبدأ بالنقطة.

والنقطة بين الحروف والأعداد والأشكال لا نظير لها، وكلّها تحصل وتوجد وتتكوّن منها، فإنّ الألف أو الواحد من الأعداد إنّما هو الخطّ المستقيم الذي هو أقصر الخطوط ويتولّد من نقطتين، فبداية الحروف في كلّ اللغات وبداية الأعداد بين جميع الناس ونهايتها هي النقطة.

كما أنّ النقطة في علم الهندسة والأشكال مركز الدائرة، والدائرة ـ كما هو ثابت في محلّه ـ أبسط الأشكال، فهي مرجع كلّ الأشكال، كالمربّع والمستطيل والمثلث وغير ذلك، كما أنّ الألف مرجع الحروف، وأنّ العدد الواحد مرجع كلّ الأعداد.

وأمير المؤمنين علي عليه السلام نوره المبارك من نور الله سبحانه، واتّحد نوره مع نور النبيّ الأعظم محمد، فهما من شجرة واحدة ونور واحد، كما اتّحد نور الأئمة بنورهما، فكلّهم نور واحد، وجعلهم اللّه أنوار بعرشه محدقين، وهم عليهم السلام أفضل جميع الممكنات وأشرف خلق اللّه ـ للأدلة العقلية، كقاعدة الأشرف، كما في الفلسفة. وللأدلة النقلية من الكتاب والسنّة ـ، وليس لهم نظير في عالم الإمكان، فهم العلّة بأقسامها للممكنات ـ كما جاء في حديث المعراج عن اللّه سبحانه: يا أحمد لولاك لما خلقت الأفلاك، ولولا عليّ لما خلقتك، ولولا فاطمة لما خلقتكما[1] ـ، وأوّل ما خلق اللّه ـ كما ورد في الحديث الشريف ـ

---

(١) شرحت هذا الحديث الشريف في رسالة (فاطمة ليلة القدر)، فراجع.

نور محمد ﷺ، وفي الخبر الشريف: أوّلنا محمد وأوسطنا محمد وآخرنا محمد وكلّنا محمد، كما أوّلهم علي وأوسطهم علي وآخرهم علي وكلّهم علي، ونورهم من نور اللّه سبحانه وعلمهم من علمه وقدرتهم من قدرته، فهم مظهر أسمائه وصفاته.

وعلي عليه السلام نقطة دائرة الإمكان ومركزها ومحورها وقطب حركتها، فهو قلب العالم وسلطانه، والحافظ والواسطة في الفيوضات الإلهية على الممكنات والخلائق من بعد رسول اللّه ﷺ، فهو الصادر الأوّل بعد النبيّ المختار، وهو إمام الكلّ في الكلّ لاحتياج الكلّ إليه، وهو باب اللّه المبتلىٰ به الناس، مَن أتاه نجىٰ ومن تخلّف عنه غرق وهوىٰ، فهو مفتاح مشيّة اللّه واستفاضة فيضه المطلق بعد نبيّه الأكرم، وبيُمنه رزق الورىٰ، وبوجوده ثبتت الأرض والسماء، فإنّه لولا الحجة لساخت الأرض بأهلها، فهو حجة اللّه الأعظم، فهو الأوّل في المخلوقات بعد الرسول، وهو الآخر في الغايات، وهو الظاهر في فضائله، وهو الباطن في أسراره، فهو نقطة الوجود وسرّ المعبود، وهو الشاهد والمشهود.

أجل: قالت البشرية في عالم الذرّ في قوله تعالىٰ: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾، ولم يقولوا نعم، فلولا المولىٰ عليه السلام لما أمكنهم قول بلىٰ، فإنّ نقطة تعين المتكلّم علىٰ قوله (بلىٰ)، وذرية بني آدم لولا النقطة لتلجلجوا من اليوم الأوّل في توحيدهم، وعلي عليه السلام هو النقطة.

فمثل علي عليه السلام يكون قطب عالم الإمكان، وقد أشار إلىٰ ذلك في نهجه، في الخطبة الشقشقية، قائلاً: «وإنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرحىٰ، ينحدر عنّي السيل، ولا يرقىٰ إليّ الطير»[1].

---

(١) نهج البلاغة، صبحي الصالح، الخطبة الثالثة: ٤٨.

«فهو قطب الولاية ونقطة الهداية وخطة البداية والنهاية، يشهد بذاك أهل العناية، وينكره أهل الجهالة والعماية، وقد ضمّنه أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً في قوله: كالجبل ينحدر عنّي السيل ولا يرقىٰ إليّ الطير، وهذا رمز شريف لأنّه شبّه العالم في خروجهم من كتم العدم بالسيل وشبّه ارتفاعهم في ترقّيهم بالطير، لأنّ الأوّل ينحدر من الأعلىٰ إلى الأدنىٰ، والثاني يرتفع من الأدنىٰ إلى الأعلىٰ، فقوله: «ينحدر عنّي السيل» إشارة إلىٰ أنّه باطن النقطة التي عنها ظهرت الموجودات ولأجلها تكوّنت الكائنات، وقوله: «ولا يرقىٰ إليّ الطير»، إشارة إلىٰ أنّه أعلى الموجودات مقاماً ولسائر البريّات إماماً، ولهم في الحشر قائداً وقسّاماً، فهو قسيم نور الحضرة النبوية المحمدية، صاحب الولاية الإلهية، فهو الكلمة الربانية، ومولىٰ سائر البرية، ولقد أحسن ابن أبي الحديد إذ فوق سهم التوفيق رامياً لهذا المرمى الدقيق عن قوس التحقيق، فقال:

والله لولا حيدر ما كانت ... الدنيا ولا جمع البرية مجمع
وإليه في يوم المعاد حسابنا ... وهو الملاذ لنا غداً والمفزع»[1]

الثاني ـ لا يخفىٰ أنّ النقطة مركز الدائرة، وأمير المؤمنين علي هو مركز الحقّ وقطبه ومحوره، كما قال النبي ـ في الخبر المتواتر عند الفريقين السنّة والشيعة ـ عليّ مع الحقّ، والحقّ معه يدور حيثما دار.

فمن كان من شيعته ومواليه، كان مع الحقّ، وإنّه قد ركب سفينة النجاة، ومن تخلّف عنه غرق وهوىٰ، وأمّه هاوية نار حامية.

فمولى الموحّدين أمير المؤمنين هو نقطة عالم الوجود والنور والحقّ،

---

(١) مشارق أنوار اليقين: ٥١.

يدور الحقّ معه أينما دار، فهو قطب الرحىٰ.

روى الحاكم النيسابوري والخوارزمي، بإسنادهما، قال رسول اللّٰه: رحم اللّٰه علياً، اللّهم أدر الحقّ معه حيثما دار. وروى الحمويني، بإسناده، قال رسول اللّٰه: الحقّ مع علي بن أبي طالب حيث دار. وقال ﷺ: عليّ مع الحقّ والحقّ مع علي، ولن يفترقا حتّىٰ يردا عليّ الحوض يوم القيامة. وقال: يا علي إنّ الحقّ معك، والحقّ علىٰ لسانك وفي قلبك وفي عينك. وقال: سيكون بين الساعة فرق واختلاف، فيكون هذا ـ مشيراً إلىٰ علي بن أبي طالب وأصحابه ـ على الحقّ. وقال: ستكون بعدي فِتَن، فإذا كان ذلك فالزموا علي بن أبي طالب، فإنّه فاروق بين الحقّ والباطل. وعن عائشة، قال: الحقّ مع علي وعلي مع الحق، لن يفترقا حتّىٰ يردا عليّ الحوض. وعن أُمّ سلمة: كان علي على الحقّ، مَن اتّبعه اتّبع الحقّ، ومن تركه ترك الحقّ، عهداً معهوداً قبل هذا اليوم. وروى الخوارزمي، عن علقمة والأسود، قالا: سمعت أبا أيّوب الأنصاري يقول: سمعت النبيّ يقول لعمّار بن ياسر: تقتلك الفئة الباغية، وأنت مع الحقّ والحقّ معك، يا عمّار، إذا رأيت علياً سلك وادياً وسلك الناس وادياً غيره، فاسلك مع عليّ ودع الناس، فإنّه لن يدخلك في أذىٰ ولن يخرجك من الهدىٰ... وهناك عشرات الروايات الأُخرىٰ بهذا المضمون في كتب أبناء العامة فضلاً عن الشيعة[1].

الثالث ـ مرجع الحروف ومآلها هي النقطة، وظهور العلوم والفنون إنّما هي بالحروف، فمرجع المعارف الإلهية ومآل العلوم والفنون والفضائل والمكارم والآداب هو علي عليه السلام، فهو مرجع حساب الخلائق، وبصكّ منه يعبر المؤمن

---

(١) نقلت الروايات من كتاب (قادتنا كيف نعرفهم) ٢: ٤٧٥ ـ ٤٨٠، فراجع.

على الصراط، كما ورد في الخبر الشريف عند الفريقين.

فظهور العلوم البشرية، كعلم الأديان وعلم الأبدان، والعلوم العقلية والنقلية إنّما هي من الحروف، وتركيب الحروف من النقطة، وهو النقطة عليه السلام، فهو أساس العلوم وعنده علم الأوّلين والآخرين، كما في الأخبار الشريفة.

الرابع ـ النقطة ميزان في العلوم والفنون، وامير المؤمنين علي عليه السلام ميزان الأعمال، كما نقرأ في زيارته: «السلام عليك يا ميزان الأعمال»، فهو الميزان القويم بين الحقّ والباطل، وبه تقاس الأعمال وتقوّم، فهو الفاروق الأعظم والصراط المستقيم، وصراط علي حقّ نمسكه، ومن لم يتمسّك بحبل اللّه ويعتصم بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام فهو من الخاسرين في الدنيا والآخرة، ومأواه جهنم، وبئس المصير.

فتشخيص حرف الباء من التاء والثاء بالنقطة، وعلي عليه السلام هو النقطة المميّزة بين الحقّ والباطل والأُمور المتشابهة، فهو المحكم من الآيات.

الخامس ـ من النقطة تعرف أسرار الحروف والأعداد، ومن إمام المتّقين علي عليه السلام تعرف أسرار المعارف الحقّة والأحكام المستحكمة، فهو الهادي ولكلّ قومٍ هاد، وهو سرّ اللّه وآيته ومظهر لأسمائه وصفاته، فهو يد اللّه وعينه ـ كما قالها عمر بن الخطّاب في قصة الرجل الذي كان ينظر إلىٰ امرأة أجنبية في حرم النبيّ، فصفعه أمير المؤمنين علي علىٰ وجهه فاحمرّ وجهه، فجاء إلىٰ عمر يطالب بالقصاص، فأجابه: عين اللّه رأت ويد اللّه ضربت ـ وهذه معرفة عمرية عاميّة، فكيف بالمعرفة العلوية الشيعية، فتدبّر.

وقد ورد في الحديث النبوي الشريف عند الفريقين في صحاحهم: يتقرّب العبد إليّ بالنوافل حتىٰ أُحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره

الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده الذي يأخذ بـه[١]، وأمـير المـؤمنين سيد المتقرّبين، فيده يد اللّه، ويد اللّه فوق أيديهم[٢].

السادس ـ قالوا: إنّ للنقطة باعتبار اختفائها بالصورة الألفية ـ فإنّ حرف الألف مركّب من نقاط متوالية متلاحقة والحروف مركّبة من الألف ـ وظهور النقطة بها لها مراحل ومراتب:

الأُولىٰ: قبل الامتداد ـ فـإنّ النـقطة عـندما تـمتدّ يـتكوّن الألف ـ، وهـي المرتبة الاجمالية الاتّحادية، وهـي مـرتبة لا يـظهر أعـيانها، وهـي عـبارة عـن المرتبة النورانية الثابتة للإمام علي عليه السلام، علىٰ ما هي مذكورة في الأخبار والآثار.

الثانية: ابتداء النفس بإيجاد وأعيان الحروف حال تـعيّناتها في مخـارجـها، وهذا تشبيه لكون الإمام عليه السلام واسطة بين الخالق والمخـلوق في جـميع الفـيوضات الربّانية، وكونه عليه السلام حافظاً للشريعة السماوية السمحاء، وهادياً للأُمّة البـشرية، وقلبه عبارة عن المشكاة التي فيها مصباح، كما جـاء في تـفسير آخـر للـمصباح

---

(١) الآداب المعنوية للصلاة: ٣٥٤.

(٢) يقول السيد الإمام الخميني قدس سره في آداب الصلاة: «الإنسـان يسـتطيع أن يكـون مـظهراً لأسماء اللّه، والآية الكبرى الإلهية بالارتباطات القلبية، ويكون وجـوده وجـوداً ربّـانياً، ويكون المتصرّف في مملكته يد الجمال والجلال الإلهي. وفي الحديث ما يقرب من هذا المعنىٰ من أنّ: (روح المؤمن أشدّ اتّصالاً باللّه تعالىٰ من اتّصال الشمس بها أو بنورها)، وفي الحديث الصحيح: (لا يزال يتقرّب إليّ عبدي بالنوافل حتىٰ أُحبّه، فإذا أحـببته كـنت سمـعه الذي يسمع به...)، وفي الحديث: (علي عين اللّه ويـد اللّـه)، إلىٰ غـير ذلك... وفي الحـديث: (نحن أسماؤه الحسنىٰ)، والشواهد العقلية والنقلية في هذا بخصوصه كثيرة.

في آية النور[1].

وقال عليه السلام: نحن أوعية مشيّة اللّه، إذا شئنا شاء اللّه، ولا نشاء إلّا أن يشاء اللّه، وفي الزيارة الجامعة الكبيرة: «السلام علىٰ محالّ مشيّة اللّه». والسرّ في المعنىٰ المذكور ظاهر، فإنّ تلك التعيّنات إشارة إلىٰ مقام إقبال المعصوم عليه السلام إلى الخلق لإصلاح أُمور دينهم ودنياهم.

الثالثة: المرتبة الحسية برسم النقطة وامتدادها في رسم الحروف، وهي إشارة إلىٰ كونه عليه السلام مظهر العالم الملكي المسمّىٰ بعالم الحسّ والشهادة في مقابل عالم الملكوت والأمر، فتظهر أسماء اللّه وصفاته الكمالية، وتبرز في وجوده الشريف. فكونه عليه السلام مظهر الفيض الأقدس في العالم الناسوتي، وظهوره في الظاهرة الكمالية الإنسانية عكوس الأسماء الإلهية.

السابع ـ قد جاء في الحديث الشريف ـ كما مرّ ـ إنّ ﴿ بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ أقرب إلى الإسم الأعظم من سواد العين إلىٰ بياضها، وقد ورد في معناه وجوه كثيرة: كقولهم: البسملة عين الاسم الأعظم،، إمّا بهذا الترتيب أو بترتيب آخر مخزون عند أهله، ولكنّ ترتيب آثارها وظهور خواصّها مشروط بشروط لا يتّفق اجتماعها وتحقّقها إلّا عند أهلها كالأنبياء والأوصياء والأولياء.

وقيل: الإسم الأعظم كما ورد في بعض الأخبار عبارة عن وجود الإمام عليه السلام، فلولا الحجّة لساخت الأرض بأهلها، ثمّ شدّة قرب الأئمة الأطهار ـ سيّما سيّد الأوصياء علي عليه السلام ـ إلى البسملة في غاية الوضوح والثبوت، كما يشهد به آية ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾، فالنقطة هو وجود الإمام عليه السلام،

---

(١) ذكرنا تفصيل ذلك في (جلوة من ولاية أهل البيت عليهم السلام)، فراجع.

والبسملة أقرب إلى النقطة من حيث المعنىٰ من سواد العين إلىٰ بياضها، وقال اللّه تعالىٰ ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾، وعن الإمام الصادق عليه السلام -كما في تفسير نور الثقلين، ذيل الآية الشريفة-: «نحن واللّه الأسماء الحسنىٰ»، وهذا يعني أنّ الإسم الأعظم ليس لفظاً، بل كلّ اسم هو أعظم لو تجلّىٰ في جوهر الإنسان المؤمن باطنه، وأمير المؤمنين علي عليه السلام من الإسم الأعظم وهو نقطة البسملة.

الثامن ـ هل تعلم إنّ الحروف الأبجدية لها أعداد خاصة في كتب العلوم الغريبة، وعلي يتكوّن حسابه بالأبجد مئة وعشرة، فإنّ العين سبعين واللام ثلاثين والياء عشرة، فتلك مئة وعشرة، ثمّ جميع الأعداد والأسماء للمخلوقات باعتبار الحروف الأبجدية وأعدادها مرجعها بعد حساب خاص إلىٰ مئة وعشرة، وهذا يعني أنّ مرجع الأسماء كلّها إلىٰ اسم علي عليه السلام، وكيف لا ترجع الأسماء كلّها إلىٰ اسمه الشريف (وعلي اشتقّ من العليّ)، كما ترجع المسميات إلىٰ مسمّاه الشريف، كما إنّ مرجع الأعداد من الواحد إلىٰ ما لا نهاية إنّما يكون إلىٰ عدد مئة وعشرة، وهو عدد اسم علي المبارك.

وأمّا الحساب الخاص، فهو: يأخذ أي عدد كان (حتّىٰ عدد الواحد) فيضرب المجموع في ستة، ثمّ يضاف عليه واحد، ويضرب في عشرة، ويقسّم علىٰ عشرين، والمتبقّي يضرب في أحد عشر، فتكون النتيجة عدد أمير المؤمنين علي عليه السلام (١١٠).

ولا يخفىٰ علىٰ ذوي النهىٰ أنّ هذه المقامات الشامخة في الحقيقة العلوية إنّما هي من أشعة الحقيقة المحمدية، فإنّه قال عليه السلام: علّمني رسول اللّه ألف باب من العلم ينفتح لي من كلّ باب ألف باب.

وقال: أنا عبد من عبيد محمد.

وقال رسول اللّه محمد صلى الله عليه وآله: أنا مدينة العلم، وعلي بابها، فمن أراد المدينة، فليأتها من بابها.

التاسع ـ من صفات نقطة الباء بين مثيلاتها ـ أي: التاء المثناة والثاء المثلثة والياء المثناة والنقاط تحتها ـ أنّها توضح وتبين الباء عن غيرها، فلولا النقطة الواحدة التحتانية لاشتبه الأمر، فهذه النقطة الواحدة هي التي ميّزت الباء عن غيرها، والنقطة ـ كما ورد في الخبر الشريف: حقيقة واحدة كثّرها الجاهلون ـ فنقطة الباء توضحه وتميّزه عمّا يشاركه في الصورة، وأمير المؤمنين علي عليه السلام هو الذي يبيّن علوم القرآن ومعارفه ويوضّح مجملاته وإشاراته ويكشف حقائقه وأسراره، فإليه تنتهي العلوم والفنون، ولم يؤخذ علم إلّا منه بعد الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله.

العاشر ـ لولا النقطة تحت الباء، لما تمكّنا من التلفّظ بحرفها، ولولاها لما تمكّنا من التلاوة المباركة، ولو تلفّظ شخص البسملة من دون النقطة، لسُئل عن نقطتها.

وهذا يعني بوضوح تامّ أنّه لا يمكن أن نقف علىٰ حقيقة القرآن الكريم ومعانيه وأسراره ومغزاه لولا من كان عنده علم الكتاب، الراسخ في العلم، يعسوب الدين، أمير المؤمنين علي المرتضىٰ عليه السلام، ولولاه لما عرفنا مراد القرآن وخطاباته الواقعية، فهو نقطة باء البسملة التي فيها تمام القرآن الكريم، وقد ورد في رواياتنا: «إنّما يعرف القرآن من خوطب به».

الحادي عشر ـ لولا النقطة في لفظ الوجود، لكان من اللفظ المهمل (وحود)، فلا معنىٰ له، ويفقد اللفظ حينئذٍ أصالته وقيمته، وكذلك الأمير روحي فداه لولاه

لما كان معنىٰ لعالم الوجود حدوثاً وبقاءً، ولكان ما سوى اللّه سبحانه في حيّز العدم «بكم فتح اللّه وبكم يختم»، «ولولا الحجة لساخت الأرض بأهلها».

وفي حديث المعراج خطاب ربّ العباد حبيبه محمد، قائلاً: «يا أحمد، لولاك لما خلقت الأفلاك، ولولا علي لما خلقتك، ولولا فاطمة لما خلقتكما»[1]، فلو شبّهنا العالم وما سوى اللّه سبحانه بجسد الإنسان كما ورد في الشعر المنسوب إلىٰ أمير المؤمنين علي عليه السلام:

أتزعم أنّك جرم صغير   وفيك انطوى العالم الأكبر

وفي جسد الإنسان عقل في الدماغ وهو مركز الإرادة والتدبير، وقلب في صدره يضخّ منه الدم، وكبد يصفّي الدم الذي يأخذه من القلب ويدفعه إلى الدماغ، فلولا الدماغ لما كان الإنسان، ولولا القلب لما كان الدماغ، ولولا الكبد لما كان الدماغ والقلب، أي لا يتمّ عملية الدماغ والقلب.

ودماغ الأفلاك وعقل العالم هو رسول اللّه، وقلب عالم الإمكان هو الإمام المعصوم علي عليه السلام، وكبد العالم فاطمة الزهراء عليها السلام، فلولاها لما كان مجال لعمل العقل والقلب، فهي مجمع النبوّة والإمامة، وهي ملتقى البحرين يخرج منها اللؤلؤ والمرجان الحسن والحسين، فهي أمّ الأئمة النجباء الأطهار عليهم السلام، وأمّ أبيها.

الثاني عشر ـ لولا النقطة في لفظ النور، لكان مهملاً لا معنىٰ له، ولولا مولانا علي المرتضىٰ عليه السلام لما كان للنور ظهور، فهو وابن عمّه وأهل بيته عليهم السلام

---

(١) لقد ذكرت وجوهاً لهذا الخبر الشريف، كما ذكرت مصدره في رسالة (فاطمة الزهراء ليلة القدر)، فراجع.

نور السماوات والأرض، كما مرّ في آية النور

«إنّ سموّ النور علىٰ سائر الموجودات، بل كون قوامها جميعاً به، أوضح من أن يبرهن عليه، ويمتاز النور المحمدي المشترك مع النور العلوي في الحقيقة بأنّه مستمدّ من النور الإلهي الذي به استنارت السماوات والأرضون. وإليك ما يدلّ علىٰ ذلك: روى الحمويني، بإسناده، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: سمعت رسول اللّه يقول لعلي: خلقت أنا وأنت من نور اللّه تعالى[1].

وروى الكنجي، بإسناده، عن سلمان، قال: سمعت رسول اللّه يقول: كنت أنا وعلي نوراً بين يدي اللّه مطيعاً، يسبّح ذلك النور ويقدّسه قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلمّا خلق اللّه آدم ركز ذلك النور في صلبه، فلم يزل في شيء واحد حتّىٰ افترقا في صلب عبد المطّلب، فجزء أنا وجزء علي.

وروىٰ ابن المغازلي، بإسناده، عن سلمان، قال: سمعت حبيبي محمداً يقول: كنت أنا وعلي نوراً بين يدي اللّه عزّ وجلّ يسبّح اللّه ذلك النور ويقدّسه، فلمّا خلق اللّه آدم ركب ذلك النور في صلبه، فلم يزل في شيء واحد حتّىٰ افترقا في صلب عبد المطّلب، ففيّ النبوّة، وفي علي الخلافة.

وفي رواية أُخرىٰ، عن جابر... فأسكنها في صلب آدم، فساقها حتّىٰ قسمها جزئين، جزء في صلب عبد اللّه، وجزء في صلب أبي طالب، فأخرجني نبياً، وأخرج علياً وصياً[2].

وهناك العشرات بل المئات من الروايات التي تذكر الحقيقة المحمدية

---

(١) قادتنا كيف نعرفهم ١ : ٤١، عن فرائد السمطين ١ : ٤٠.

(٢) مناقب علي بن أبي طالب : ٨٨.

والحقيقة العلوية ونورها وأنّهما من نور اللّه سبحانه قد رواها الفريقان بأسانيدهم المعتبرة، وإنّما نكتفي ببعض الروايات مع حذف السند طلباً للاختصار، وليكون ما سطرناه الخطوة الأولىٰ لمسيرة ألف ميل، والكلمة الأولىٰ لمن أراد التفصيل.

قال الحافظ البرسي: محمد وعلي نور واحد، وإنّما انقسما تسمية ليمتاز النبي عن الولي، كما امتاز الواحد عن الأحد، فكلّ أحدٍ واحد ولا ينعكس، وكذا كلّ نبيّ ولي ولا ينعكس، فلهذا لا توزن الأعمال يوم القيامة إلّا بحبّ علي، لأنّ الولاية هي الميزان[1].

الثالث عشر ـ الحروف الهجائية في اللغة العربية يتكوّن من ٢٨ حرفاً، وفيها الحروف المنقّطة، ولولا النقطة لاختلّت الحروف وتناثرت وتهاوت، وكذلك نقطة البسملة علي المرتضىٰ عليه السلام، فلولاه لاختلّ النظام التشريعي والتكويني، فإنّ القوم نحّوا عليّاً عليه السلام عن الخلافة الحقّة، فأدّىٰ ذلك إلى الابتعاد عن النظام التشريعي والدين المحمّدي الأصيل، وأصاب المسلمين الذلّ والانكسار، وتفرّقوا شِيعاً، وذهبت شوكتهم وعزّتهم، وإنّما ينالوها مرّة أُخرىٰ لو رجعوا إلى الحقّ والصدق، وإنّ علياً مع الحق والحق مع علي عليه السلام، دار الحقّ معه أينما يدور.

الرابع عشر ـ كلّ الحروف والأعداد تفتقر في جوهرها وتكوينها وحقيقتها إلى النقطة دون العكس، وكذلك الموجودات في قوامها وإيجادها تفتقر إلى الإمام الحقّ أمير المؤمنين علي عليه السلام، ولمّا سأل سائل عن دليل إمامته، أجابهم بالبرهان العقلي: احتياج الكلّ إليه واستغنائه عن الكلّ دليل علىٰ أنّه إمام الكلّ

---

(١) قادتنا كيف نعرفهم ١: ٤٦، عن مشارق أنوار اليقين: ٦٦.

في الكلّ، فهو النقطة في عالم الموجودات وبوجوده ثبتت الأرض والسماء، وبيمنه رزق الورىٰ. فهو حجة اللّه على الخلائق، وهو الكشّاف للحقائق.

الخامس عشر ـ روى الفريقان ـ السنّة والشيعة ـ في صحاحهم، عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «كلّ أمر ذي بال لم يبدأ به ببسم اللّه فهو أبتر»، فلا بدّ من ذكر اللّه عند كلّ أمر حتىٰ يكون مباركاً، وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿ اذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾، وعلي عليه السلام مظهر ذكر اللّه، فإنّه يذكّر الناس باللّه سبحانه، فهو ذاكر ومذكّر، وهو النقطة تحت البسملة، فلا يتمّ ذكر اللّه إلّا به، وفي أحاديثنا عن أئمتنا الأطهار عليهم السلام: «بنا عُرف اللّه»، «بنا عُبد اللّه»، «سبّحنا فسبّحت الملائكة، وكبّرنا فكبّرت الملائكة»، فلا يصحّ ولا يتمّ ذكر اللّه حقّاً والتوجّه إليه صدقاً إلّا من ناحيتهم عليهم السلام، «أنتم وجه اللّه الذي يتوجّه إليه الأولياء». وروي عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله: «ذكر عليّ عبادة»، و«حبّ عليّ حسنة لا يضرّ معها سيئة، وبغضه سيئة لا ينفع معها حسنة»[1].

السادس عشر ـ الباء في البسملة عند المشهور من علماء التفسير والأدب إنّما هي للاستعانة، وبدون النقطة لا تكون بائها باءً، ولا يمكن تلاوتها، وهذا يعني أنّه من دون المولىٰ عليه السلام لا يمكن أن يستعان بالبسملة[2].

وقال العلّامة الشيخ محمد حسين الاصفهاني في تفسيره[3]، في وجوه

---

(١) بحر المعارف: ٣٩٨.

(٢) هذا الوجه وبعض الوجوه الموجزة الأُخرىٰ أشار إليها زميلنا وصديقنا الفاضل الحجة السيد حسن الأحمدي وصديقنا العزيز وزميلنا الحجة الشيخ حسين الكنجي، جزاهما اللّه خيراً، وأسعدهما في الدارين.

(٣) مجد البيان: ٢١٦.

تعليق الاستعانة باسم الجلالة وكيفيّتها : ثمّ إنّ في تـعليق الاسـتعانة ومـا شـابهها باسم اللّٰه سبحانه في البسملة وسائر المقامات كقوله : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ ﴾ و ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ و ﴿ تَبارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ﴾ و ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ وغير ذلك، وجهين :

أحدهما ـ أن يكون المنسوب إليه هو اللّٰه سبحانه لا الاسم كـقول (لبـيد) : «إلى الحول ثمّ اسم السلام عليكما»، وهذا يمكن أن يكون نحو تـعظيم في التـعبير كما شاع ذكر الجناب ونحوه عند إرادة العرض على الأكابر، مع أنّ المنسوب إليـه هو الكبير بنفسه، وأن يكون المراد من الاسم المذكور هو المسمّىٰ، كـما صرّح بـه بعضهم في الآية الأُولىٰ.

وثانيهما ـ أن يكون الاستعانة بنفس الاستعانة وما شاكلها، مـتعلّقة بـنفس الاسم من حيث كون الاستعانة به استعانة بالمسمّىٰ، وكونه وسيلة إليـه سـبحانه، سواء جعل الاسم بمعنى اللفظ كما هو المـفهوم مـنه عـند العـامة، فـيكون إسـناد التسبيح والتبارك إليه باعتبار كونه منزّها عن الدلالة علىٰ ما يشعر بنقص، وكونه موجباً للبركة لمن واظب عليه أو ذكر اللّٰه سبحانه به، أو عبارة عن حـقيقة ذلك الاسم في عالم الربوبية، فإنّ للناس حقائق في أعـلىٰ درجـات عـالم الامكـان، وحينئذٍ فنسبة التنزيه والبركة والاستعانة إليـه حـقيقة إمكـانية، يـعني في مـقام نسبة الأشياء الإمكانية بعضها إلىٰ بعض، وهذا الوجه أدلّ على تنزيه الحقّ وتباركه وكونه المستعان به من حذف الاسم وجعل المسمّىٰ متعلّق النسبة.

ولعلّ أوجه الوجوه أن يقال : لمّا كان ذات الحقّ سبحانه منزّهاً عن تـعلّق إدراكنا به وغيباً محضاً لا يصحّ الاشارة إليه لا عقلاً ولا وهماً، ظاهراً لنا بـصفاته وأسمائه وأفعاله وآثاره، وكان صفاته الذاتية عـين الذات المـمتنعة عـن الادراك افتقر الداعي والمستعين والمسبّح إلىٰ وجهة يتوجّه بها إليـه سـبحانه مـن أسمائـه

الكلية والجزئية ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ بمنزلة القاصر عن مشاهدة الشمس بعينه المتوسّل إلىٰ ملاحظتها بالماء الصافي أو المرآة الصافية. فإنّ الاسم من حيث أنّه اسم وعلامة للشيء لا يعتبر له استقلال وهوية بل يلاحظ به المسمّىٰ ويجعل آلة للحاظه. كالناظر إلى الشمس من المرآة والماء فإنّه ينبغي غفلته عن ملاحظة صفات الماء والمرآة واستغراقه في مشاهدة صفات الشمس الظاهرة له بتوسّط الماء، فتسبيحه حينئذٍ لما ظهر في الماء تسبيح للشمس، والماء مظهر لها. وأمّا من يرى الماء شيئاً مستقلاً ويشاهده وصفاته فهو غير ناظر إلى الشمس ولا إلى علامته، بل إلىٰ أمر آخر محتجب به عن الشمس. وكذا المستعين بحقائق الأسماء الإلهية أو ألفاظها ومسبّحها قد يكون مسبّحاً له سبحانه ومستعيناً به بإيقاع الألفاظ والحقائق عليه وهو الموحّد في ذلك المقام، وقد يكون مسبّحاً للألفاظ والحقائق ومحتجباً بها عنه سبحانه وهو من أخفىٰ أقسام الشرك، انتهىٰ كلامه رفع مقامه.

وإنّما ذكرت ما بيّنه في معنى الاستعانة بسم الله لما فيه من الدقّة والظرافة، ونقول في أمير المؤمنين علي المرتضىٰ وأنّه يستعان به لا علىٰ نحو الاستقلالية، بل هو من أسماء الله وأنّه مرآة صافية تطبع فيها حقائق الأسماء الإلهية، وهذا من عين التوحيد الخالص، فإنّ ذات الحقّ سبحانه منزّهاً عن تعلّق إدراكنا وفهمنا به، فكلّ ما نتصوّره فهو مخلوق لنا، فإنّه غيب محض لا يصحّ الإشارة إليه لا عقلاً ولا وهماً، وإنّما يظهر لنا بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العليا وأفعاله وآثاره المتجلّية في أتمّ مخلوقاته، محمد وآله الطاهرين، فتدبّر جيّداً.

ثمّ يستعان بأمير المؤمنين في كلّ الأُمور، فهو مظهر لتمام الاستعانة بالله سبحانه، فإنّ نهاية أدب العبد غمض العين عن حوله وقوّته والإلتجاء إلىٰ اسم ربّه

والاعتصام به والاستعانة به في جميع شؤونه وأفعاله، إلىٰ أن يصل إلىٰ مقام يغني عن مشاهدة نفسه فاعلاً ومريداً، ويرىٰ ذاته فاعلاً ومريداً باللّه سبحانه، وروي عن النبيّ الأكرم: «كلّ أمرٍ ذي بال لم يبدأ فيه باسم اللّه فهو أبتر».

وروي في التوحيد عن الإمام الرضا عليه السلام ـ بعد السؤال عن ترجمة البسملة ـ، أنّه قال: «معنىٰ قول القائل (بسم اللّه)، أي: أسمُ علىٰ نفسي سمة من سمات اللّه عزّ وجلّ، وهي العبادة. قال الراوي: فقلت له: ما السمة؟ قال: العلامة»[1].

«فإنّ التسمية بهذه الكيفية متحقّق بمقام العبودية التي هي علامة الربوبية ومظهرها، فإنّ العبودية فناء وتبعية وقابلية وسؤال والتجاء واعتصام واستمداد، والربوبية كمال وجود وإعطاء وإمداد وإيجاد ونفاذ كلمة وتأثير، والأوّل علائم ومظاهر للآخر، والمسمّىٰ بذلك المعنىٰ دالّ علىٰ ربّه فاعل به، وتاركها كذلك مظهر نفسه في فعله ومحتجب عن ربّه بذاته وصفاته وأفعاله، والعلامة ما كان كاشفاً عن المعنى الذي هي علامة له، لا حاجباً ساتراً عنه. فمن وضع التسمية علىٰ نفسه فقد وسم نفسه بسمة اللّه علامته»[2].

«ثمّ الرواية يؤيّد ما ذهب إليه الكوفيون من كون الإسم أصله الوسم والسمة، لأنّ الإسم علامة للمسمّىٰ، خلافاً للبصريين، فذهبوا إلىٰ أنّ أصله السموّ بمعنى العلوّ، والمناسبة أنّ التسمية تنويه للمسمّىٰ وإعلاء له، أو أنّ اللفظ معرّف للمعنىٰ، والمعرّف متقدّم على المعرّف في المعلومية فهو عالٍ عليه، وكلاهما بعيدان، وإن كان اشتقاق الأسماء وأُسمّي وسمّيت في الجمع والتثنية وبناء الفعل يؤيّده»[3].

---

(١) التوحيد: ٢٢٩، وتفسير الصافي ١: ٤٥، والبحار ٩: ٢٣٠.

(٢) مجد البيان: ٢١٥.

(٣) مجد البيان: ٢١٦.

السابع عشر ـ في الخبر النبوي الصحيح عند الفريقين: «لا صلاة إلّا بفاتحة الكتاب»، وبداية الفاتحة البسملة وأمير المؤمنين نقطتها، ولولا النقطة لما كانت البسملة ولما صحّ الدخول في الصلاة، وبدون ولايته عليه السلام لا تصحّ الصلاة ولا تقبل العبادة يوم القيامة، ولو كانت ذلك ليلاً ونهاراً، كما صحّ وثبت في الأخبار المروية عند الفريقين.

قال العلّامة الهمداني في كتابه[1]: «ثمّ اعلم أنّ اللّه تعالىٰ أوحىٰ إلىٰ نبيّه صلى الله عليه وآله أنّ علياً عليه السلام هو السرّ المودع في فواتح السور والإسم الأعظم الأكبر الموحىٰ إلى الرسل من البشر، والسرّ المكتوب علىٰ وجه الشمس والقمر والشجر والمدر، بل كلّ شيء خلق كما تقدّم من الخبر والأثر، وإنّه ذات الذوات في الذوات للذات، لأنّ أحدية الباري منزّهة عن الأسماء والصفات متعالية عن النعوت والإشارات، وأنّه الإسم الذي إليه ترجع الحروف والعبارات، والكلمة المتضرّع بها إلى اللّه سائر البريات، وإنّه الغيب المخزون بين اللام والهاء والكاف والنون، فقال سبحانه: ﴿ حمعسق كَذٰلِكَ يُوحىٰ إِلَيْكَ وَإِلىٰ الذِينَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾، قال الصادق عليه السلام: (عسق) سرّ علي عليه السلام، فجعل اسمه الأعظم مرموزاً في فواتح سور القرآن وفاتحته، وإليه الإشارة بقوله: «لا صلاة إلّا بفاتحة الكتاب»، ولا صلاة للربّ إلّا بحبّ عليّ عليه السلام ومعرفته، ويظهر من ذلك وما سبق أنّ الوليّ هو المحيط بكلّ شيء، فهو محيط بالعالم، واللّه من ورائه محيط، وقد ظهر من أخبار معراج النبيّ صلى الله عليه وآله أنّ علياً عليه السلام أخبر النبي صلى الله عليه وآله بكلّ ما وقع له واطّلع عليه. وقد ظهر من ذلك سرّ كتابة اسمه الشريف علىٰ كلّ شيء، وقال تعالىٰ: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ فِي كِتابٍ

(١) بحر المعارف: ٤٤٠.

مُبِينٍ ﴾، فأخبرنا سبحانه أنّ جميع ما جرىٰ به قـلمه وخـطّه في اللـوح المحـفوظ من الغيب أحـصاه في الإمـام المـبين، وهـو اللـوح الحـفيظ في الأرض والسماء، وهـو الإمـام المـبين، فـاللوح المحـفوظ عـلي عليه السلام ... وإنّ الوليّ المـطلق ولايـته شاملة للكلّ ومحيطة بالكلّ واللوح داخلة فـيها فـهو دالّ عـلى المحـفوظ ... فـعليّ سرّ الأسرار وآية الجبّار، التي يـنفذ عـدّ فـضائله رمـل القـفار وورق الأشـجار وطيّار البحار، ولو أنّ ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمدّه من بعده سبعة أبحر ما نفذت كلمات اللّه إنّ اللّه عزيز حكيم، فمعرفة العامة لعلي عليه السلام أنّه فارس الفرسان وقاتل الشجعان، ومعرفة الخاصة أنّه أفضل من فلان وفـلان، فـلذلك إذا سمـعوا أسراره أنكروا واستكبروا وجهلوا وهم في جهلهم غير ملومين، لأنّهم لو عـرفوا أنّ محمداً صلى الله عليه وآله هو الواحد المطلق وأنّ علياً عليه السلام هو الولي المطلق، الولاية على الكلّ والسبق على الكلّ والتصرّف في الكلّ، لأنّهما العلّة في وجود الكلّ، فلهما السيادة على الكلّ لأنّهما خاصة إله الكلّ، ومختار معبود الكلّ، سبحان إله الكلّ وربّ الكلّ وفالق الكلّ ومفضّل محمد وعلي عليهما السلام على الكلّ والمستعبد لولايـتهم وطـاعتهم الكلّ».

الثامن عشر ـ في الحديث الشريف، قال النـبيّ الأعـظم صلى الله عليه وآله: «مَـن أراد أن ينجو من الزبانية فليقرأ بسم اللّه الرحمن الرحيم تسعة عشر حرفاً ليجعل اللّـه كلّ حرفٍ منها جُنّة من واحدٍ منها»[1]. وعلىٰ أبواب وطبقات جهنّم تسعة عشر من الملائكة الغلاظ كما في سورة المدّثر: ﴿ عَـلَيْهَا تِسْـعَةَ عَـشَر ﴾، ونـقطة البـاء هو المولىٰ، فمن دونه لا يمكن النجاة من الزبانية، فهو قسيم الجنّة والنار.

---

(١) مجد البيان: ٢٦٧، والبحار ٩٢: ٢٥٧.

عـــــليّ حـــبّه جُـــنّة　　　قســــيم النــــار والجَـــنّة
وصيّ المـــــــصطفىٰ حـــقّاً　　　إمـــــام الإنس والجِـــنّة

وفي زيارة الجامعة الكبيرة: «من أتاكم نجا، ومن لم يأتكم هلك».

وفي الحديث النبوي المتواتر عند الفريقين: «مثل أهل بيتي كسفينة نـوح من ركبها نجىٰ ومن تخلّف عنها غرق وهوىٰ».

روى الحمويني، بإسناده، عن أبي هريرة أنّه قال: لمّا خلق اللّه تعالىٰ آدم أبا البشر ونفخ فيه من روحه، التفت آدم إلىٰ يمنة العرش فإذا في النور خمسة أشباح سجّداً ركّعاً، قال آدم: يا ربّ، هل خلقت أحداً من طين قبلي؟ قال: لا يا آدم، قال: فمن هؤلاء الخمسة من الأشباح الذين أراهـم في هـيئتي وصـورتي؟ قـال: هؤلاء خمسة من ولدك لولاهم ما خلقتك، هؤلاء خمسة شققت لهـم خمسـة أسماء من أسمائي، لولاهم ما خلقت الجنّة ولا النار ولا العـرش ولا الكـرسي ولا السماء ولا الأرض ولا الملائكة ولا الإنس ولا الجنّ، فأنا المحمود وهذا محمد، وأنا العليّ وهذا علي، وأنا الفاطر وهذه فاطمة، وأنا الإحسان وهذا الحسن، وأنـا المحسـن وهذا الحسين، آليت بعزّتي إنّه لا يأتيني أحد مثال ذرّة من خردل من بغض أحدهم إلّا أدخلته نـاري ولا أُبـالي، يـا آدم هـؤلاء صـفوتي مـن خـلقي بهـم أُنجـيهم وبهم أُهلكهم، فإذا كان لك إليّ حاجة فبهؤلاء تـوسّل. فـقال النـبيّ صلى الله عليه وآله: نحـن سفينة النجاة من تعلّق بها نجا ومن حاد عنها هلك، فمن كـان له إلىٰ اللّـه حـاجة فليسأل بنا أهل البيت[1].

حبّ علي عليه السلام حبّ اللّه جلّ جلاله: قال النبي صلى الله عليه وآله: إنّ اللّه عهد إليّ عهداً،

---

(١) فرائد السمطين ١ : ٣٦.

فقلت يا ربّ، بيّنه لي؟ فقال: إسمع، إنّ علياً راية الهدى وإمام أوليائي ونور مَن أطاعني، وهو الكلمة التي ألزمتها المتّقين، مَن أحبّه فقد أحبّني، ومَن أطاعه فقد أطاعني.

رواه في حلية الأولياء من كتب العامة[1].

التاسع عشر ـ كلمة التوحيد والشهادة الأُولىٰ: (لا إله إلّا اللّه) ليس فيها النقطة، فإنّ اللّه سبحانه هو الغنيّ وما سواه فقير إليه، فما سواه (أنتم الفقراء) يحتاج إليه، فهو واجب الوجود لذاته مستجمع جميع الصفات الكمالية والجمالية، فذاته المقدّس سبحانه وتعالىٰ ثبوتاً، لا يحتاج إلى النقطة وهو المولىٰ، فكلمة اللّه هي العليا، لا يحتاج إلّا إلى اللّه سبحانه، إلّا أنّه في مقام الاثبات والمعرفة والعبودية لا بدّ من معرّف كما في الحديث القدسي: «كنت كنزاً مخفياً فخلقت الخلق لكي أُعرف»، فالخلق كلمات اللّه، وقال الإمام الرضا في الحديث الصحيح: «كلمة لا إله إلّا اللّه حصني فن دخل حصني أمن من عذابي»، ثمّ قال عليه السلام: «بشرطها وأنا من شرطها»، فلولا الولاية لما كمل النبوّة والتوحيد، وإذا أردنا أن نعرف اللّه ونثبت الصانع سبحانه، إنّما يكون ذلك بأنوار الأنبياء والأولياء وعقولهم النيّرة ـ بنا عرف اللّه وعُبد ـ.

وزبدة الكلام أنّ التوحيد وكلمته في مقام الثبوت غني بالذات فلا يفتقر إلى النقطة، ولكن في مقام الإثبات والدلائل والبراهين لا بدّ من مرشدٍ عقلي ودليل نقلي، وسيد البراهين الساطعة والأدلّة الواضحة أمير المؤمنين علي عليه السلام نقطة باء البسملة.

---

(١) إثبات الهداة ٤: ١٠٨، الباب العاشر في النصّ علىٰ علي عليه السلام من طرق العامة.

العشرون ـ قال اللّه سبحانه وتعالىٰ: ﴿ لا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾، فيجب عند الذبح والنحر ذكر اللّه وبسم اللّه، وإلّا فتكون الذبيحة ميتة ويحرم أكلها، قال أمير المؤمنين: «أنا النقطة»، فحلّية الذبيحة تحتاج إلى البسملة التي نقطتها علي المرتضىٰ عليه السلام، وقد أفتىٰ بعض الأعلام المعاصرين بعدم كفاية ذبيحة المخالف في الهدي في منىٰ.

الواحد والعشرون ـ يجب الجهر بالبسملة في الصلوات الجهرية كالصبح، ويستحبّ في الاخفاتية كالظهرين[1]، ونقطة الباء أمير المؤمنين علي المرتضىٰ،

---

(١) جاء في مجد البيان في تفسير القرآن: ٢٥٩: «عن القمي عن الصادق عليه السلام، أنّها: أحقّ ما يجهر به ـ بالبسملة ـ، وهي الآية التي قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً ﴾، ولعلّ الوجه في رجحان الإجهار به كما في غيره من الأخبار أيضاً هو أنّ الإجهار نوع من الإظهار، وإظهار التحقّق بمقام البسملة في عالم الملك الإنساني والكبير موجب لظهور فيوضاتها وبركاتها ودفع الشياطين فيما ظهرت فيها، وفي كونه ذكراً للربّ وحده واشتمال مدلولها علىٰ كثير من معاني التوحيد كما يظهر ممّا أسلفناه، وفي تنفّرهم عنه وتولّيهم علىٰ أدبارهم نفرتهم عن التوحيد وإعراضهم عن هذه الأسماء والتحقّق بها والتخلّق بموجبها، وعمّن كان شأنه وصفته ذلك، كما أنّه يبعد بسبب قرائتها علىٰ وجه الحقيقة وأشباههم الداخلية في عالم القلب الإنساني.

والعياشي، عنه عليه السلام، قال: «ما لهم قاتلهم اللّه، عمدوا إلىٰ أعظم آية في كتاب اللّه فزعموا أنّها بدعة إذا أظهروها»، والظاهر أنّها تعريض بالعامة، المنكر ثلّة منهم لكونها جزءاً من السورة، وبعض للجهر بها في الصلاة، كما أنّ المنكرين للجزئية هم المراءون بما رواه عن الباقر عليه السلام: «سرقوا أكرم آية في كتاب اللّه: بسم اللّه الرحمن الرحيم»، والوجه في كون البسملة أكرم آية وأعظم آية، يظهر ممّا قدّمناه وفصّلناه في تفسيرها، وممّا يأتي

ـ إن شاء اللّه تعالىٰ ـ.

وروى البرقي في المحاسن، عن الصادق، أنّه قال: «ما نزل كتاب من السماء إلّا وأوّله بسم اللّه الرحمن الرحيم».

وروى الشيخ الطوسي في الصحيح على الظاهر، عن محمد بن مسلم، أنّه قال: «سألت أبا عبد اللّه عليه السلام عن السبع المثاني والقرآن العظيم، أهي الفاتحة؟ قال: نعم، قلت: بسم اللّه الرحمن الرحيم من السبع المثاني؟ قال: هي أفضلهنّ».

وعن الكافي، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، أنّه قال: «كتموا بسم اللّه الرحمن الرحيم، فنعم واللّه الأسماء كتموها، كان رسول اللّه صلى الله عليه وآله إذا دخل منزله واجتمعت عليه قريش يجهر بسم اللّه الرحمن الرحيم ويرفع بها صوته فتولّي قريش فراراً، فأنزل اللّه في ذلك: ﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً ﴾.

وروى الشيخ عن أبي حمزة، أنّه قال: قال علي بن الحسين عليهما السلام: «يا ثمالي، إنّ الصلاة إذا اُقيمت جاء الشيطان إلىٰ قرين الإمام، فيقول: هل ذكر ربّه؟ فإن قال نعم، ذهب، وإن قال لا، ركب علىٰ كتفيه، فكان إمام القوم حتّىٰ ينصرفوا. قال: فقلت: جعلت فداك، أليس يقرأون القرآن؟ قال: بلىٰ، ليس حيث تذهب يا ثمالي، إنّما هو الجهر ببسم اللّه الرحمن الرحيم».

وإنّما جعل البسملة في أوّل السورة لما روى الصدوق في العلل والكليني في الكافي بأسانيد معتبرة عن جماعة من أجلّاء أصحابنا عن الصادق عليه السلام في ذكر صلاة ليلة المعراج بطوله:

«ثمّ إنّ اللّه عزّ وجلّ قال: يا محمد، استقبل الحجر الأسود وهو بحيالي، وكبّرني بعدد حجبي، فمن أجل ذلك صار التكبير سبعاً، لأنّ الحجب سبع، وافتتح القراءة عند انقطاع الحجب، فمن أجل ذلك صار الافتتاح سنّة، والحجب مطابقة ثلاثاً بعدد النور

فمن الايمان الكامل الجهر بمحبّته وولايته، وقد قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «علائم المؤمن خمس: التختّم باليمين، وتعفير الجبين، وزيارة الأربعين، والصلاة إحدىٰ وخمسين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم».

فكان التختّم باليمين في عصرهم من علائم التشيّع والايمان الكامل، مخالفة لأصحاب معاوية وشيعته، الذين كان شعارهم التختّم باليسار إحياءً لقضية التحكيم في حرب صفّين، حيث خلع عمرو بن العاص حيلةً ومكراً أمير المؤمنين علياً عليه السلام، ثمّ أخرج خاتمه من يمينه وجعله في يساره، وقال: خلعت علياً ونصبت معاوية للخلافة، كجعل الخاتم من يميني بيساري.

فصار التختّم باليسار شعار الأمويين، كما صار التختّم باليمين شعار العلويين.

وقال الله سبحانه: ﴿ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ ﴾، والمودّة غير المحبّة، فإنّها المحبّة مع إظهارها وإعلانها والفداء دونها مالاً ونفساً.

إلّا أنّ المخالفين لعنهم الله، كما ورد في الخبر، سرقوا آية من كتاب الله أو أخفوها، فالمؤمن يجهر بالبسملة ونقطتها ويضحّي من أجل ولاية أمير المؤمنين

الذي أُنزل علىٰ محمد صلى الله عليه وآله ثلاث مرّات، فلذلك كان الافتتاح ثلاث مرات، فلأجل ذلك كان التكبير سبعاً والافتتاح ثلاثاً. فلمّا فرغ من التكبير والافتتاح قال الله عزّ وجلّ: الآن وصلت إليّ، فسمّ باسمي، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، فمن أجل ذلك جعل بسم الله الرحمن الرحيم في أوّل السورة... إلىٰ آخر الحديث».

وهو مشتمل علىٰ معانٍ تكلّ العقول عن إدراكها إلّا قليلاً، ومنها نشير إلىٰ نبذة تتعلّق بهذه السورة في خلال التفسير بما يخطر تصوّره بالبال، والله العالم بحقيقة الحال، فيذكر بعض المطالب العرفانية الرفيعة، فراجع.

علي عليه السلام كميثم التمّار ورشيد الهجري وحجر وعمّار بن ياسر، واللعن الدائم علىٰ من حذف النقطة من تحت الباء.

ومهما أراد الأعداء أن يكتموا فضائله عليه السلام، فإنّه لا يزال يرنّ صوت محمد بن إدريس إمام الشافعية في مقولته المشهورة: «عجبت لرجلٍ كتم أعداؤه فضائله حسداً وكتمها محبّوه خوفاً، وخرج ما بين ذين ما طبّق الخافقين»[1].

وأنشدنا الشيخ أبو بكر بن فضل اللّه الحلبي الواعظ لبعضهم:

يا حبّذا دوحة في الخلد ثابتة	ما في الجنان لها شبه من الشجر
المصطفىٰ أصلها والفرع فاطمة	ثمّ اللقاح علي سيد البشر
والهاشميان سبطاها لها شم	والشيعة الورق الملتفّ بالثمر
هذا حديث رسول اللّه جاء به	أهل الرواية في العالي من الخبر
إنّي بحبّهم أرجو النجاة غداً	والفوز مع زمرة من أحسن الزمر[2]

وروى القندوزي من أبناء العامة، بإسناده، عن علي عليه السلام، قال: إنّي لنائم يوماً إذ دخل رسول اللّه فنظر إليّ وحرّكني برجله، وقال: قم يفدىٰ بك أبي وأُمّي، إنّ جبرئيل أتاني فقال لي: بشّر هذا بأنّ اللّه تعالىٰ جعل الأئمة من صلبه، وأنّ اللّه تعالىٰ يغفر له ولذريّته ولشيعته ولمحبّيه، وإنّ من طعن عليه وبخس حقّه فهو في النار[3].

وروى الخوارزمي، بإسناده، عن أنس، قال: قال رسول اللّه: خلق اللّه

---

(١) علي في الكتاب والسنّة ٣: ٢٦.

(٢) قادتنا كيف نعرفهم ٢: ٤٣٠، عن كفاية الطالب: ٤٢٥.

(٣) المصدر.

تعالىٰ من نور وجه علي بن أبي طالب عليه‌السلام سبعين ألف ملك يستغفرون له ولمحبّيه يوم القيامة[١].

وروى السخاوي، بإسناده، أنّ رسول اللّه قال لعلي: أنت وشيعتك تردون عليّ الحوض رواءً مرويين مبيضّة وجوهكم، وإنّ عدوّكم يردون عليّ ضماءً مقمحين[٢].

قال ابن حجر: أخرج مسلم، عن علي، قال: والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، إنّه لعهد النبي الأُمّي إليّ أنّه لا يحبّني إلّا مؤمن ولا يبغضني إلّا منافق. وقال: وأخرج الترمذي، عن أبي سعيد الخدري، قال: كنّا نعرف المنافقين ببغضهم علياً[٣].

وروىٰ، بإسناده، عن ابن عمر، قال: سألت النبي عن علي بن أبي طالب كرّم اللّه تعالىٰ وجهه، فغضب فقال: ما بال أقوام يذكرون من له منزلة كمنزلتي، ألا مَن أحبّ علياً فقد أحبّني، ومن أحبّني رضي اللّه تعالىٰ عنه، ومن رضي اللّه عنه كافاه بالجنّة. ألا من أحبّ علياً يقبل صلاته وصيامه وقيامه واستجاب اللّه له دعاه، ألا ومَن أحبّ علياً استغفر له الملائكة وفتحت له أبواب الجنان، فدخل من أي باب شاء بغير حساب، ألا ومَن أحبّ علياً لا يخرج من الدنيا حتّىٰ يشرب من الكوثر ويأكل من شجرة طوبىٰ ويرىٰ مكانه في الجنّة، ألا ومَن أحبّ علياً هوّن اللّه عليه تبارك وتعالىٰ سكرات الموت وجعل قبره روضة

---

(١) المصدر.

(٢) المصدر.

(٣) المصدر ١ : ٢٦٣.

من رياض الجنّة...

وهناك المئات من الأحاديث الشريفة الواردة في حبّ أمير المؤمنين علي عليه السلام في مصنّفات السنّة فضلاً عن كتب الشيعة. فاعتبروا يا أُولي الأبصار، ولمثل هذا يضحّون أمثال ميثم التمّار وحجر بن عدي وشهداء الفضيلة على مرّ التأريخ، أرواحهم الزكية فداءً لمحبّة وعشق أمير المؤمنين أسد اللّه الغالب مولانا الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وهنيئاً لهم الشهادة المباركة ورزقنا اللّه ذلك وحشرنا في زمرتهم، آمين يا ربّ العالمين.

قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: لو أنّ عبداً عبد اللّه مثل ما قام نوح عليه السلام في قومه وكان له مثل جبل أُحد ذهباً فأنفقه في سبيل اللّه ومدّ في عمره حتّىٰ حجّ ألف حجّة علىٰ قدميه، ثمّ قتل مظلوماً، ثمّ لم يوالِكَ يا علي، لم يشمّ رائحة الجنّة[1].

وقال صلى الله عليه وآله: حبّ علي عليه السلام يأكل السيّئات كما تأكل النار الحطب.

وروىٰ أبو عبد اللّه الحسين بن جبير في كتاب نخب المناقب لآل أبي طالب حديثاً مسنداً إلى الرضا عليه السلام، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: من أحبّ أن يستمسك بالعروة الوثقىٰ فليتمسّك بحبّ علي بن أبي طالب عليه السلام.

وروى الصدوق، بإسناده، عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر، عن أبيه علي، عن أبيه الحسين عليه السلام، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: حبّي وحبّ علي بن أبي طالب وحبّ أهل بيتي نافع في ستّة مواطن أهوالهنّ عظيمة: عند الوفاة، وفي القبر، وعند النشور، وعند الكتاب، وعند الميزان، وعند الصراط[2].

---

(١) بحر المعارف: ٢٩٩.

(٢) المصدر: ٣٩٨.

الثـاني والعشرون ـ جـاء في بحـر المـعارف، حـينما يـتحدّث المـصنّف عن فضائل أمير المؤمنين وسيّد الموحّدين ويعسوب الدين وقائد الغرّ المحجّلين مولانا أسد اللّه الغالب والشهاب الثاقب علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال ما هـذا لفظه: «وما علمنا من سرّ عظمته إلّا نقطة هي الباب الدالّ علىٰ الجـناب، وليس بينهما وبين اللّه من حجاب، فهي السرّ والحجاب، فعليّ صـفة اللّـه وقـدرة اللّـه وكلمة اللّه واسم اللّه العظيم، وإنّ ثقل قدرة اللّه وتحـملّها وتحـمّل ثـقل السماوات صحفاً والجنّ والإنس كتّاباً لنفذ المـداد، والأرضـين السـبع وجـبرئيل وغـيره قد خلقوا من شعاع نور محمد وعلي، وهمـا خـلقا مـن نـور ذي الجـلال. ولهـذا قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: لو كانت البحار مداداً والغياض أقلاماً والسماوات صـحفاً والجنّ والإنس كتّاباً لنفد المداد وكلّت الثقلان أن يكتبوا معشار عشر فضائل عليّ. ويشهد للنبيّ كتاب الربّ العليّ، قال: ﴿ لَوْ كانَ البَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفَدَ البَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مِـداداً ﴾، وقـد تـقدّمت الأخـبار أنّ أكـبر كلمات اللّه وأعظمها علي عليه السلام، وأنّه آية اللّه العـظمىٰ، فـله الفـضائل والمـناقب التي لا تحصىٰ، فكيف يعرفه البرايا، وقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «يا عـلي، مـا عـرفك إلّا اللّه وأنا، وما عرفني إلّا اللّه وأنت، وما عـرف اللّـه إلّا أنـا وأنت»، فكـيف يكون مثل الناس وهم يدّعون معرفته، وقد روي عن النـبيّ صلى الله عليه وآله وعـلي عليه السلام: «مَن عرف نفسه فقد عرف ربّه»، ومعرفة النفس هو أن يـعرف الإنسـان مـبدأه ومنتهاه، من أين وفي أين وإلىٰ أين؟ وذلك مـوقوف عـلىٰ مـعرفة الحـقيقة التي هي الوجود المقيّد، وهو معرفة الفيض الأوّل الذي فاض عن حضرة ذي الجلال، ثمّ فاض عنه الوجود بأمر واجب الوجود وفيض الجود، وذلك هو النقطة الواحدة التي هي مبدأ الكـائنات ونهـاية المـوجودات وروح الأرواح ونـور الأشـباح،

وهو أوّل العدد وسرّ الواحد الأحد، وذلك لأنّ ذات اللّه غير معلومة للبشر، فمعرفته بصفاته، والنقطة هي صفة اللّه، والصفة تدلّ على الموصوف، لأنّ بظهورها عرف اللّه، وهي لألاء النور الذي شعشع عن جلال الأحدية في سماء الحضرة المحمدية، وإليه الإشارة بقوله: «لولانا ما عرف اللّه، ولولا اللّه ما عرفنا»، فهو النور الذي أشرقت منه الأنوار، والواحد الذي ظهرت عنه الأحاد، والسرّ الذي نشأت عنه الأسرار، والعقل الذي فاضت منه العقول، والنفس الذي صدرت عنه النفوس، واللوح الحاوي لأسرار الغيوب، والكرسي الذي وسع السماوات والأرض، والعرش العظيم المحيط لكلّ شيء عظمة وعلماً، والعين التي ظهر عنها كلّ عين، والحقيقة التي يشهد لها بالبدء كلّ موجود، كما شهدت هي بالأحدية لواجب الوجود، فتاه عرفان العارفين عن الوصول إلىٰ محمد وعلي عليهما السلام بحقيقة معرفتهم، أو بمعرفة حقيقتهم، لكنّ ذلك الباب مستور بحجاب، وما أُوتيتم من العلم إلّا قليلاً، وإليه الإشارة بقولهم عليهم السلام: «إنّ الذي خرج إلى الملائكة المقرّبين من معرفة آل محمد صلى الله عليه وآله قليل من الكثير»، فكيف إلىٰ عالم البشرية. ومن هذا المقام عنوا بقولهم في أخبار متواترة متقدّمة: «إنّ أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلّا نبيّ مرسل أو مَلَك مقرّب أو مؤمن امتحن اللّه قلبه للإيمان»، فمن اتّصل بشعاع نورهم فقد عرف نفسه، لأنّه قد عرف عين الوجود وحقيقة الموجود وفردانية ربّ المعبود، فمعرفة النفس هي حقيقة الوجود المقيّد، وهي النقطة الواحدة، التي ظاهرها النبوّة وباطنها الولاية، فمن عرف النبوّة والولاية بحقيقة معرفتها، فقد عرف ربّه، فمن عرف محمداً وعلياً عليهما السلام فقد عرف ربّه...»[1].

---

(١) بحر المعارف: ٤٢٣.

«ورویٰ ابن عبّاس، عن علي عليه السلام، أنّه شرح له في ليلة واحدة من حين أقبل ظلامها إلىٰ حين أسفر صباحها وأُطفي مصباحها في شرح الباء من (بسم اللّه) ولم يتعدّ إلى السين، وقال: لو شئت لأوقرت أربعين وقراً من شرح بسم اللّه».

وفي بعض النسخ بعيراً بدل وقراً.

بيان عرشي: لا يذهب عليك أنّ فهم هذا الحديث «وأنا النقطة تحت الباء»، لا بدّ من توضيح وبيان، وكذا قول أهل المعرفة: بالباء ظهر الوجود، وبالنقطة تمّ تميّز العابد عن المعبود، وذلك إشارة إلىٰ تنزّل الحقّ وظهوره بصورة الخلق كتنزّل الألف وظهوره بصورة الحروف، لأنّ تعيّن الحقّ المطلق الذي هو المعبود بصورة الخلق المقيّد الذي هو العابد، ليس إلّا بسبب النقطة التعيّنية الوجودية الإضافية المسمّاة بالإمكان والحدوث، التي تحت الوجود البائن الأوّلي الإمكاني المسمّىٰ بالعقل الأوّل تارة وبالروح الأعظم أُخرىٰ، المتميّز بها العابد الذي هو العبد عن المعبود الذي هو الربّ، وكذلك الحروف لأنّ تعيّن الألف المجرّد الذي هو بمثابة الذات بصورة الباء المقيّد، ليس إلّا بسبب النقطة التعينية البائية تحت الباء، المتميّز بها الباء عن الألف، لأنّ الألف إذا نزل من حضرة إطلاقه إلىٰ حضرة تقيّده في صورة البائية، التي هي أوّل مراتبه في عالم الكثرة، لم يكن تميّزه عنه إلّا بالنقطة البائية المتميّز بها عن غيره من الحروف، وكذلك الحقّ تعالىٰ، فإنّه إذا نزل من حضرة ذاته ومقام إطلاقه وصورة أحديّته إلىٰ صورة تقيّده وتعيّنه المعبّر عنه بصورة الإمكان في حضرة واحديّته، لا يكون تميّز تلك الصورة المقيّدة عنه إلّا بالنقطة القيدية الإمكانية الواقعة تحت تعيّنه، المتميّز بها عن غيره من الموجودات، وأوّل تلك الصورة المقيّدة تارة تسمّىٰ بالعقل، وتارة بالروح، وتارة بالنور، إلىٰ آخر الموجودات، كما يسمّىٰ أوّل الصورة المقيدة الحروفية

تارة بالباء وتارة بالجيم وتارة بالدال إلىٰ آخر الحروف، ولعظمة الصورة المقيدة الأُولىٰ التي هي بإزاء الباء من الحروف، ورد عن النبي ﷺ: «ظهر الموجودات من باء بسم اللّه الرحمن الرحيم»، وبسبب أنّ تقييدها وتمييزها كان بالنقطة البائية التميّزية، أعني الإمكانية الحدوثية، ورد عن علي عليه السلام: «أنا النقطة تحت الباء»، ورد عن الكملّ: «بالباء ظهر الوجود، وبالنقطة تميّز العابد عن المعبود»، فلا سرّ أعظم من الباء، والنقطة بعد الألف أعني العقل الأوّل، وحقيقة الإنسان المعبّر عنهما بالباء، والنقطة بعد الذات الأُحدية المعبّر عنها بالألف، ومن هنا قال علي عليه السلام: «العلم نقطة كثّرها الجاهلون»، وكيفية الاطلاع من وجهين:

إمّا أن يكون من الوحدة إلى الكثرة، ومن المبدأ إلى المنتهى، الذي هو طريق النزول والظهور. وإمّا أن يكون من الكثرة إلى الوحدة، ومن المنتهى إلى المبدأ، الذي هو طريق الصعود والبطون، فإن كان الأوّل فهو أعظم فيجتهد في الاطلاع على النقطة أوّلاً، ثمّ علىٰ ما صدر منها من النفس والهيولىٰ والطبيعة والجسم الكلّي والأفلاك والعناصر والمواليد. وإن كان الثاني، وهو أظهر وأمتن، فيجتهد في الاطلاع علىٰ هذه الموجودات بعكس ذلك، وذلك لأنّ كلّ من اطّلع على النقطة الوجودية والذي تحتها، كمن اطّلع على الوجود كلّه، وعلىٰ ما في ضمنه من الأسرار والحقائق، ولاطّلاع نبيّنا على الكتب السماوية وما في ضمنها من الأسرار والحقائق، ولاطّلاع نبيّنا ﷺ على النقطة الوجودية ليلة المعراج، قال: «علمت علوم الأوّلين والآخرين»، وقال: «اللّهم أرنا الأشياء كما هي»، ولاطّلاع علي عليه السلام عليها قال: «أنا النقطة تحت الباء»، وقال: «سلوني عمّا تحت العرش»، وهذه النقطة هي الموسومة عند القوم بعبادان، في قولهم:

«ليس وراء عبادان قرية»، وهي التي عليها مدار الوجود، كالنقطة المركزية التي إليها ينتهي خطوط الدائرة المحيطة بها، وذلك لأنّ الوجود بالاتفاق دوريّ لتقابل النقطتين المتقابلتين، اللتين هما نقطة المبدئية والنقطة المنتهائية ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾، والأوّل والآخر والظاهر والباطن، أسمائه بهذين الاعتبارين، والأزل والأبد إشارة إليهما، ﴿ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ كذلك، لأنّ القوس إشارة إلىٰ قطع الدائرة الوجودية بالخطّ الوهميّ بينهما، الفاصل بين المطلق والمقيّد والإمكان والوجوب في صورة الدائرة، والخطّ الوهمي باصطلاحهم، هو مقام القرب الأسمائي، باعتبار التقابل بين الأسماء في الأمر الإلهي، المسمّىٰ بدائرة الوجودية، كالإبداء والإعادة، والنزول والعروج، والفاعلية والقابلية.

وهذه النقطة قد يعبّر عنها بنقطة النبوّة ونقطة الولاية اللتين هما مخصوصتان من حيث الاطلاق بالنبيّ صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام، لأنّ النبوّة المطلقة والولاية المطلقة مخصوصتان بهما، لقول النبي صلى الله عليه وآله: «كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين»، وقول علي عليه السلام: «كنت ولياً وآدم بين الماء والطين»[1].

الثالث والعشرون ـ ومن المعاني اللطيفة في نقطة الباء ما جاء بيانه عند السيد الإمام الخميني قدس سره في كتابه القيّم (الآداب المعنوية للصلاة)، فقال في الفصل الرابع في بعض آداب التسمية: روي في التوحيد عن الرضا عليه السلام حين سئل عن تفسير البسملة: «معنىٰ قول القائل بسم الله، أي أسم علىٰ نفسي سمة من سمات الله وهي العبادة، قال الراوي: فقلت: ما السمة؟ قال: العلامة».

إعلم، جعلنا الله وإيّاك من المتّسمين بسمات الله، أنّ الدخول في منزل

---

(١) بحر المعارف: ٤٥٧.

التسمية لا يتيسّر للسالك إلّا بعد الدخول في منزل الاستعاذة واستيفاء حظوظ ذاك المنزل. ثمّ يشرح هذا المعنىٰ وكيف يتّسم السالك بالعبودية. ثمّ في الفصل الخامس يذكر بياناً إجمالياً من تفسير سورة الحمد المباركة، ونبذة من آداب التحميد والقراءة، فيشرح معنى الباء وبأيّ شيء تعلّقه، هل للاستعانة أو الظهور وغير ذلك، ثمّ يقول: وأمّا أسرار الباء ونقطة الباء التي باطنها مقام الولاية العلوية ومقام جمع الجمع القرآني فيستلزم مجالاً أوسع[1].

ثمّ يقول: إلهام عرشي: اعلم أنّ في باب العرش وحملته اختلافات، وفي ظواهر الأخبار الشريفة أيضاً اختلافاً، وإن كان الاختلاف منفياً علىٰ حسب الباطن، فإنّ العرش في النظر العرفاني والطريق البرهاني يطلق علىٰ معانٍ كثيرة، وأحد تلك المعاني ولم أره في لسان القوم هو الحضرة الواحدية التي هي مستوى الفيض الأقدس، وحملته أربعة من أُمّهات الأسماء وهي: الأوّل والآخر والظاهر والباطن، والمعنى الآخر وما رأيته أيضاً في لسان القوم، الفيض المقدّس الذي هو مستوى الأسم الأعظم وحامله: الرحمن والرحيم والربّ والمالك، ومن إطلاقاته جميع ما سوى اللّه وحامله أربعة من الملائكة: إسرائيل وجبرائيل وميكائيل وعزرائيل، والمعنى الآخر هو جسم الكلّ وحامله أربعة أملاك وهي صور أرباب الأنواع وقد أُشير إليه في رواية الكافي، وربّما أُطلق على العلم، ولعلّ المراد من العلم، العلم الفعلي للحقّ الذي هو عبارة عن مقام الولاية الكبرىٰ وحملته أربعة من الأولياء الكمّل في الأُمم السابقة وهم نوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ علىٰ نبيّنا وآله وعليهم السلام، وأربعة من الكمّل في هذه الأُمّة: الرسول

---

(١) الآداب المعنوية للصلاة: ٣٩٨، الطبعة الأُولىٰ.

الخاتم وأمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام، فإذا علمت هذه المقدمة، فاعلم:

إنّه في السورة الشريفة الحمد بعد اسم اللّه الذي هو إشارة إلى الذات اختصّت بالذكر، هذه الأسماء الشريفة الأربعة وهي: الربّ والرحمن والرحيم والمالك، ويمكن أن يكون هذا الاختصاص لأنّ هذه الأسماء الشريفة الأربعة حملة عرش الوحدانية علىٰ حسب الباطن، ومظاهرها الملائكة الأربعة المقرّبون للحقّ تعالىٰ حملة عرش التحقّق، فالإسم المبارك (الربّ) باطن ميكائيل وهو بمظهريته للرب موكل بالأرزاق ومربّي دار الوجود، والإسم الشريف (الرحمن) باطن إسرافيل منشيء الأرواح والنافخ في الصور وباسط الأرواح والصور، كما أنّ بسط الوجود أيضاً باسم الرحمن، والإسم الشريف (الرحيم) هو باطن جبرائيل الموكل علىٰ تعليم الموجودات وتكميلها، والإسم الشريف (المالك) هو باطن عزرائيل الموكل بقبض الأرواح والصور وإرجاع الظاهر إلى الباطن، فالسورة الشريفة إلىٰ مالك يوم الدين، مشتملة علىٰ عرش الوحدانية وعرش التحقّق ومشيرة إلىٰ حوامله، فجميع دائرة الوجود وتجلّيات الغيب والشهود التي ترجمانها القرآن، مذكورة إلىٰ هذا الموضع من السورة، وهذا المعنىٰ موجود جمعاً في بسم اللّه الذي هو الاسم الأعظم، وفي الباء التي هي مقام السببية، وفي النقطة التي هي سرّ السببية، وعلي عليه السلام هو سرّ الولاية، واللّه أعلم[1].

عزيزي القارىء:

هذا غيض من فيض، وقطرات من بحار فضائل أمير المؤمنين علي عليه السلام، ونبذة يسيرة في شرح نقطة باء البسملة.

---

(١) الآداب المعنوية للصلاة: ٤٢٨.

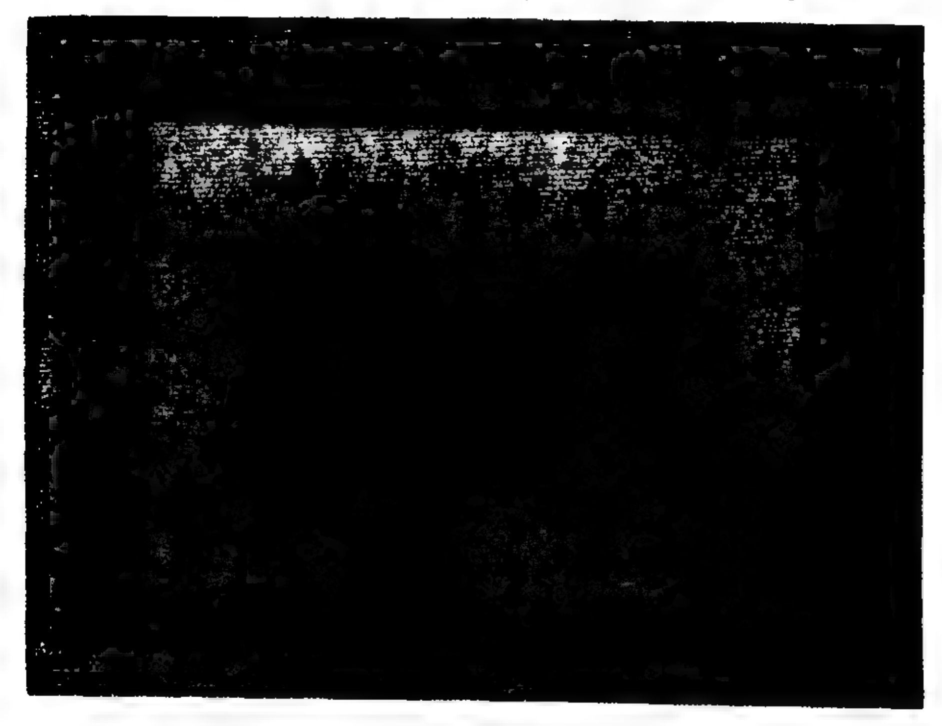
ولا تنكر ما لا تستوعبه، فإنّ فوق كلّ ذي علم عليم، وقد علّمنا الحكماء في مقولتهم الخالدة: «كلّ ما يقرع سمعك فذره في بقعة الإمكان حتّىٰ تجد له دليلاً».

نحـــــن أبـــناء الدليـــــل أيـــــنما مـــــال نمـــــيل

فالحذار الحذار من المكابرة والإنكار، حينما لم نهضم ولا نـدرك ولا نـفهم ولا نستوعب ما جاء في بطون الكتب ومتون الأسفار.

وربّ معلومات شامخة تتوقّف علىٰ علوم أُخـرىٰ، وربّ مـعارف سـامية لا يدركها إلّا من حاز مرتبة البلوغ، وإنّ الطـفل هـيهات أن يـدرك لذّة الجـماع ما لم يصل إلىٰ حدّ البلوغ، فلا تعادي ما لا تعلمه، ولا تـنكر مـا كـنت جـاهله، بل اغدو عالماً ربانياً، أو متعلّماً علىٰ سبيل النجاة، ولا حـول ولا قـوّة إلّا بـالله العليّ العظيم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

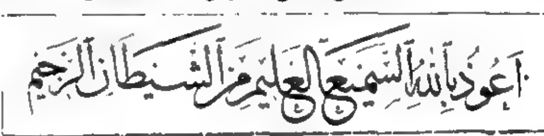


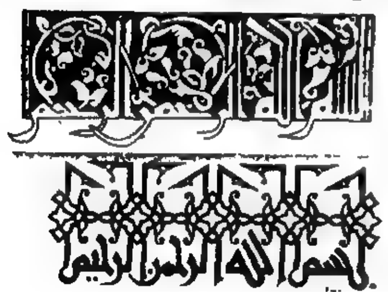
البسملة في عالم الفن

قال الإمام الصادق عليه السلام :

« إكتب (بسم اللّه الرحمن الرحيم) من أجود كتابك »

نماذج من أجود الخطوط وأجمل التشكيلات







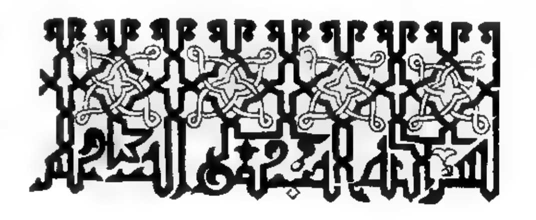






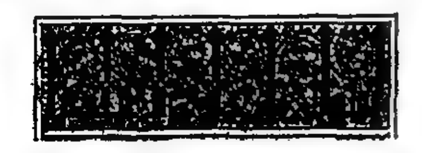


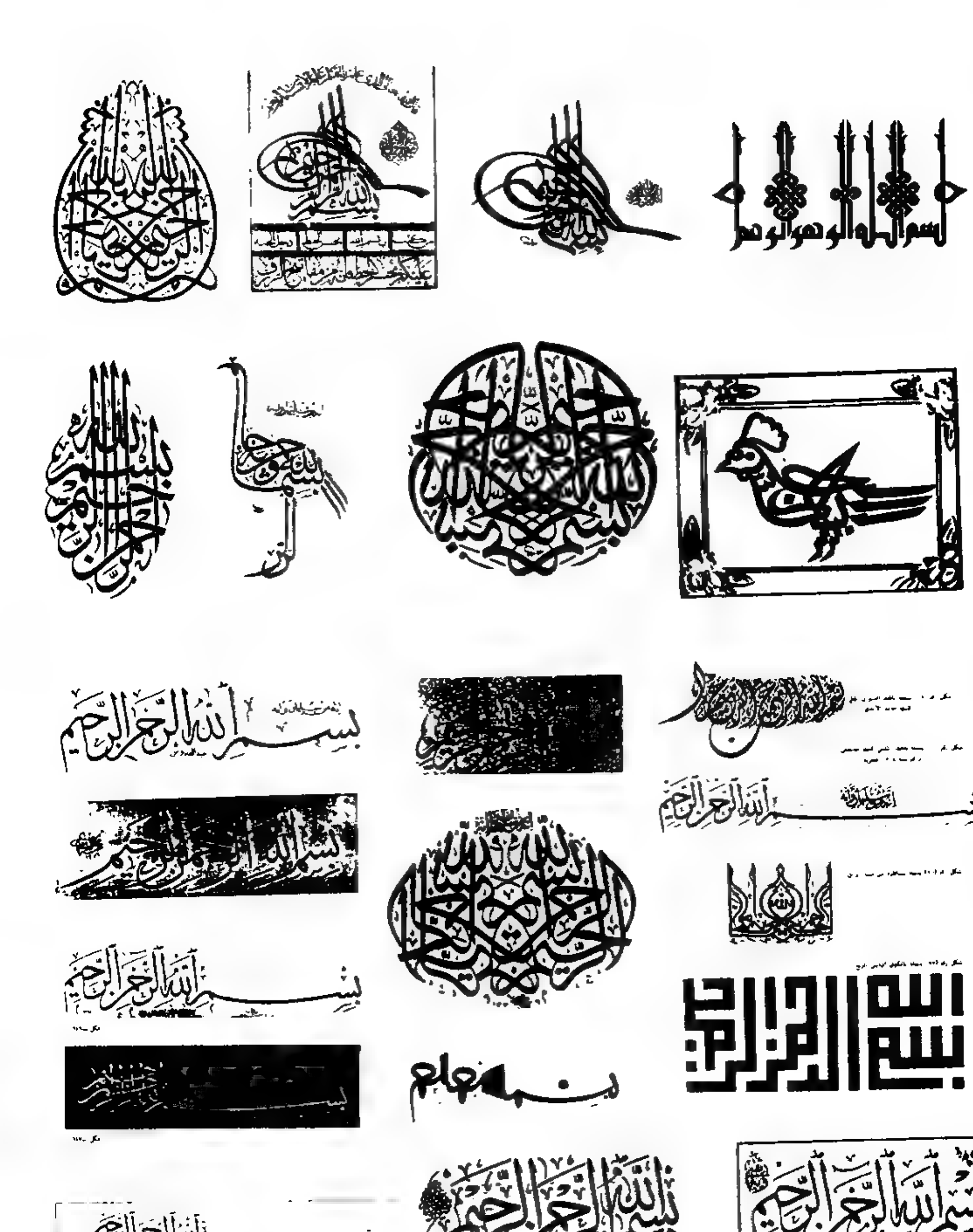


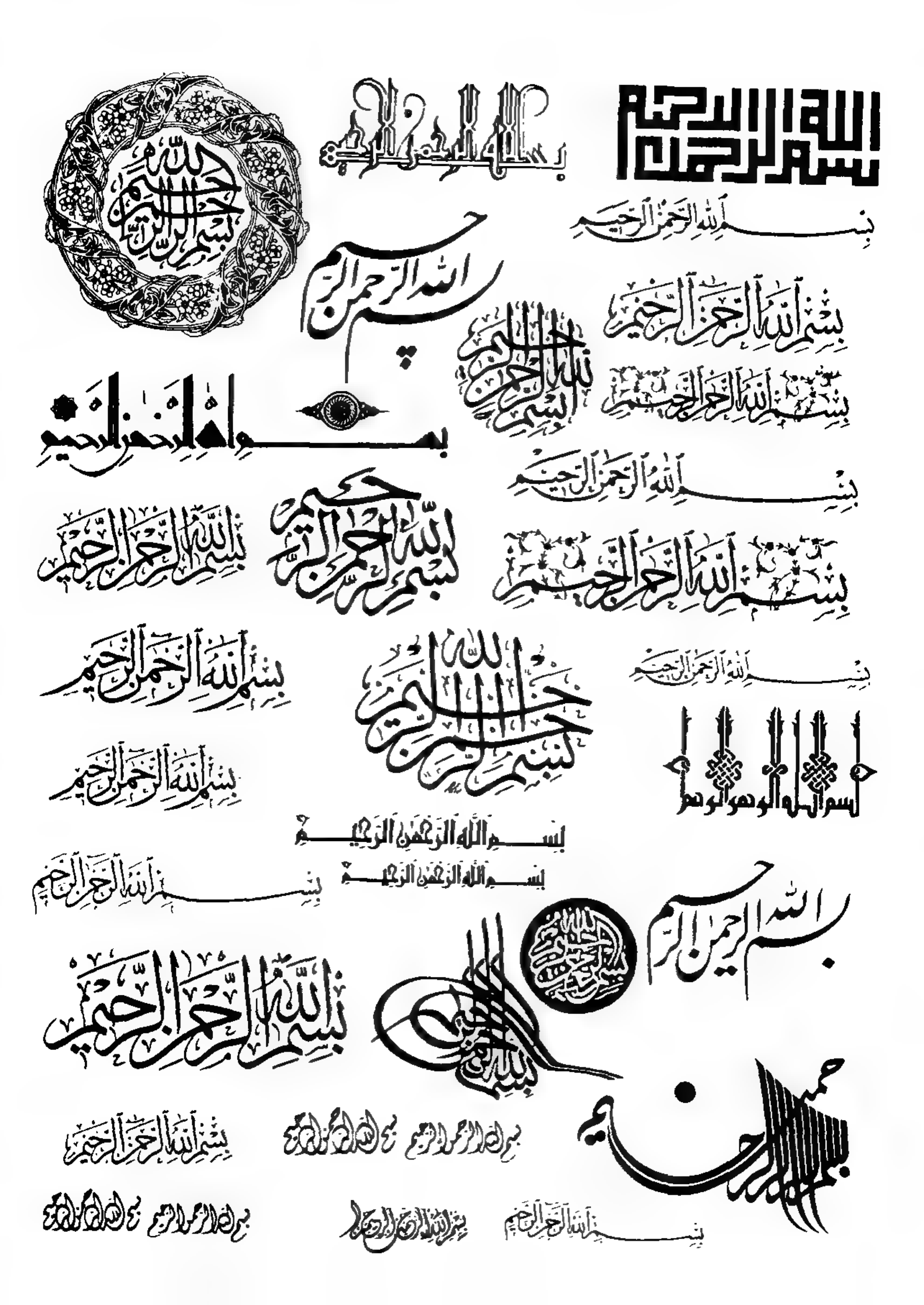












فاطمة الزهراء عليها السلام

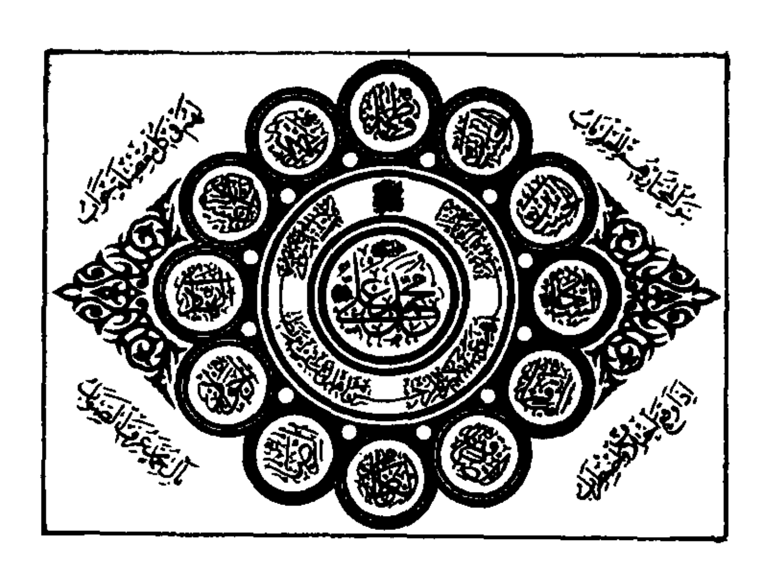
ليلة القدر

بقلم

السيد عادل العلوي







***
***

رسالة

فاطمة الزهراء ليلة القدر

تأليف ـ السيّد عادل العلوي

نشر ـ المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد

إيران، قم، ص. ب ٣٦٣٤

الطبعة الأولىٰ ـ ١٤١٦ هجري قمري

الكمية المطبوعة ـ ١٠٠٠ نسخة

الصفّ والإخراج الكامبيوتري ـ محمّد خازن

الزنك والألواح الحساسة ـ مطبعة أهل البيت عليهم السلام، قم

توزيع ـ مكتبة بصيرتي، قم، شارع إرم

الاهداء

الى مولانا و امام زماننا الحجة بن الحسن العسكرى عليه السلام

الى كل من يحمل مظلومية سيدة النساء عليها السلام عبرالتاريخ

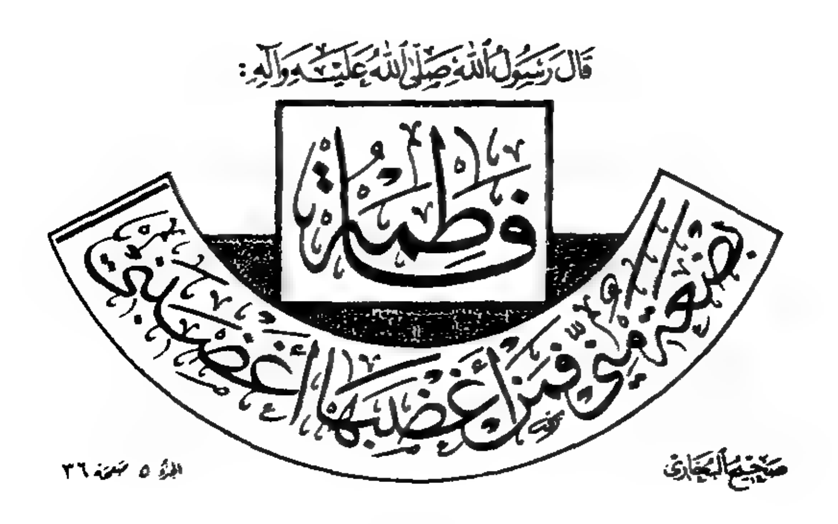
الى الطالب بدم سقطها المحسن سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

الى شيعة مولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام

اقدم هذا المجهود برجاء القبول و الدعاء و الشفاعة.

العبد

عادل العلوي



قال الامام الصادق عليه السلام « رحم الله من أحيا أمرنا »

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه ربّ العالمين والصلاة والسلام علىٰ أشرف خلقه محمد وآله الطاهرين، واللعن الدائم علىٰ أعدائهم ومنكري فضائلهم أجمعين.

إنّ اللّه سبحانه وتعالىٰ جميل ويحبّ الجمال، وهو الكمال المطلق ومطلق الكمال، وتجلّىٰ كماله وجماله الأتمّ في أشرف مخلوقاته ومصنوعاته، ذلك نبيّه الأكرم ورسوله الأعظم محمد المصطفىٰ حبيب اللّه المختار وآله وعترته الأئمة المعصومين الأطهار الأبرار عليهم‌السلام.

فاللّه الجميل الحسن تجلّىٰ حسنه وجماله في رسوله وعترته، وقال رسول اللّه محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله: **«لو كان الحسن شخصاً لكان فاطمة الزهراء، بل هي أعظم»**[1].

فسيدة نساء العالمين بضعة النبيّ المختار، تجلّىٰ فيها حسن اللّه وجماله، فازدهرت السماوات والأرض بنور الزهراء البتول، الذي أُشتقّ من نور أبيها وبعلها، وهما من نور اللّه جلّ جلاله.

وإنّ اللسان ليكلّ عن بيان فضائلها ومناقبها، بل لو كانت البحار مداداً

---

(١) فرائد السمطين ٢ : ٦٨.

والأشجار أقلاماً والجنّ والإنس كتّاباً والسماوات والأرضين أوراقاً ليعدّوا فضائلها ومناقب أبيها وبعلها وبنيها الأطهار عليهم السلام، لما أمكنهم ذلك، فلا يعرف كنهها وحقيقة فضلها إلّا اللّه.

ويكفيك شاهداً في ما أقول، أنّه قد ورد أنّ الإمام الصادق عليه السلام حين احتضاره جمع أهل بيته وقال لهم في وصيته: «إنّ شفاعتنا لا تنال مستخفاً بالصلاة»[1].

وقد ورد في فضل صلاة الجماعة: لو بلغوا عشراً مع إمام الجماعة فإنّه لو كانت الأشجار أقلاماً والجنّ والإنس والملائكة كتّاباً والبحار مداداً لم يقدروا أن يكتبوا فضلها، فإنّه لا يعلم ذلك إلّا اللّه سبحانه وتعالى[2]، كما يذكر ذلك الشهيد الثاني في روض الجنان.

ثمّ ورد في الحديث النبوي الشريف المتواتر: «بني الإسلام على خمس: الصلاة والصوم والزكاة والحجّ والولاية، ولم يناد بشيءٍ ما نودي بالولاية»[3].

فإذا كان ثواب صلاة الجماعة ذلك، وإذا كان المستخفّ بالصلاة لا ينال الشفاعة، فبالأولوية لا يعلم مقام الولاية وعظمتها إلّا اللّه عزّ وجلّ، وإنّ من يستخفّ بها يحرم من الشفاعة، فكيف من ينكرها؟ فإنّه تصيبه اللعنة الأبدية، ومستقرّه نار جهنّم وبئس الورد المورود.

ثمّ روي عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ـ عند الفريقين السنّة والشيعة ـ: «مَن مات

---

(١) ميزان الحكمة ٥: ٤٠٥، بحار الأنوار ٨٢: ٢٣٦.

(٢) مستدرك الوسائل ٦: ٤٤٤.

(٣) الوسائل ١: ٧، الحديث ١٠.

ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة الجاهلية »[١]. وميتة الجاهلية ميتة الكفر والإلحاد.

وقد ورد في الدعاء الشريف: « اللّهم عرّفني نفسك فإنّك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرف نبيّك، اللّهم عرّفني رسولك فإنّك إن لم تعرّفني رسولك لم أعرف حجّتك، اللّهم عرّفني حجّتك فإنّك إن لم تعرّفني حجّتك ضللت عن ديني »[٢]، فإنّ مَن لم يعرف حجّة زمانه، وإمام زمانه، ضلّ عن الدين ومات ميتة الجاهلية، فإنّ أئمة الحقّ من أهل بيت رسول اللّه هم حجج اللّه على البرايا والخلائق. وقد ورد في الحديث الشريف: « فاطمة الزهراء حجّة اللّه على الأئمة عليهم السلام »، وهذا يعني أنّ مَن لم يعرف فاطمة الزهراء عليها السلام وأنكرها وغصب حقّها، فهو ضالّ عن دين اللّه القويم، وكان من الكافرين الذين لهم خزي في الدنيا وفي الآخرة عذابٌ أليم.

فكلّ واحد منّا مكلّف أن يعرفها، كما يجب عليه أن يعرف اللّه سبحانه وإن كان (ما عرفنا اللّه حقّ معرفته) فكذلك لا يمكن للبشرية أن تعرف مقام الزهراء عليها السلام حقّ المعرفة، فهي ليلة القدر.

في تفسير نور الثقلين والبرهان وكتاب بحار الأنوار (٤٢: ١٠٥) عن تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي مسنداً عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير سورة القدر، قال: « إنّ فاطمة هي ليلة القدر، مَن عرف فاطمة حقّ معرفتها فقد أدرك ليلة القدر، وإنّما سمّيت فاطمة لأنّ الخلق فطموا عن معرفتها، ما تكاملت النبوّة لنبيّ حتّىٰ أقرّ بفضلها ومحبّتها، وهي الصدّيقة الكبرىٰ وعلىٰ معرفتها دارت القرون الأُولىٰ ».

وعن أبي عبد اللّه الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾

---

(١) فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفىٰ: ٥١، كما في صحيح مسلم.

(٢) مفاتيح الجنان: دعاء الغيبة.

الليلة فاطمة الزهراء والقدر اللّه، فمن عرف فاطمة حقّ معرفتها فقد أدرك ليلة القدر، وإنّما سمّيت (فاطمة) لأنّ الخلق فطموا عن معرفتها[1].

﴿ لَيْلَةُ القَدْرِ وَما أدْراكَ ما لَيْلَةُ القَدْرِ لَيْلَةُ القَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾، وهذا يعني أنّه يمكن للإنسان الذي بعمره الطبيعي أي: ما يقارب الثمانون ونيّف أن يطوي مراحل الكمال ويسلك طريق اللّه وصراطه المستقيم، ليصل إلىٰ قمّة الكمال والسعادة، قاب قوسين أو أدنىٰ، يمكنه في ليلة واحدة بنيّة خالصة ومعرفة كاملة، أن يطوي هذا المسير النوراني فيصل إلىٰ قمّة كماله والمقصود من خلقته، وفاطمة الزهراء عليها السلام ليلة القدر فمن عرفها حقّ المعرفة فقد أدرك ليلة القدر وعظمتها ومقامها الشامخ، إلّا أنّ الخلق فطموا عن معرفتها ـ كما يفطم الطفل عن ثدي اُمّه ـ بل وما تكاملت النبوّة لنبيّ ـ والنبوّة خلاصة التوحيد ـ فما تكاملت إلّا لمن أقرّ بفضلها ومحبّتها، وبالأولوية ما دون النبوّة... فما تكاملت الإمامة، وما تكامل العلماء في علومهم، والحكماء في حِكَمهم، والأُدباء في آدابهم، والأتقياء في تقواهم، وكلّ كامل في كماله، حتّىٰ يُقرّ بفضلها ويؤمن بمحبّتها، فهي الصدّيقة الكبرىٰ وعلىٰ معرفتها دارت القرون الأُولىٰ والأُخرىٰ.

وحبّها من الصفات العالية — عليه دارت القرون الخالية

بأبي فاطم وقد فطمت — باسمها نار حشرها ولظاها

هي واللّه كوثر قد أُعدّت — لبنيها وكلّ مَن والاها

هي عند الإله أعظم خلق — وبها دار في القرون رحاها

ثمّ هناك تشابه وتقارب كثير بين فاطمة الزهراء عليها السلام وبين ليلة القدر، التي

---

(١) البحار ٤٣: ١٣.

يُفرق فيها كلّ أمر حكيم، وذلك من خلال عدّة أُمور[1] كما تبادر ذلك إلىٰ ذهني القاصر والمقصّر، وذلك بلطف من اللّه وعناية من رسوله وأهل بيته عليهم السلام.

الأوّل

ليلة القدر وعاء وظرف زماني لنزول كلّ القرآن الكريم ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾، ﴿ ذٰلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِين ﴾، لا يأتيه الباطل من بين يديه، وفيه كلّ شيء، وتبيان كلّ شيء، وسعادة الدارَين. وكذلك الحوراء الإنسية فاطمة الزكيّة، فإنّ قلبها ظرف مكانيّ وروحانيّ، وصدرها وعاء إلهي للقرآن الكريم والمصحف الشريف، وإنّها كانت محدَّثة تحدّثها الملائكة، فهي وعاء للإمامة وللمصحف الشريف.

كما كان لها كتابٌ سُمّي بمصحف فاطمة، ويعدّ من التراث العلمي عند الشيعة وأئمّتهم الأطهار عليهم السلام.

سُئل الإمام الصادق عليه السلام عن جدّته فاطمة الزهراء عليها السلام فأجاب قائلاً: إنّ جدّتي فاطمة مكثت بعد أبيها رسول اللّه صلى الله عليه وآله خمسة وسبعون يوماً، وكان قد دخل عليها من الحزن علىٰ أبيها، وكان جبرئيل يأتيها فيحسن عزاءها ويطيّب نفسها ويخبرها بما يكون بعدها في ذرّيتها، وكان علي عليه السلام يكتب ذلك فهذا مصحف فاطمة[2].

---

(١) لقد ذكرت أربعة عشر أمر تيمّناً وتبرّكاً باسم الأربعة عشر معصوم عليهم السلام، وهذا غيض من فيض ممّا يدلّ علىٰ عظمة وجلالة مقام السيدة مولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام وأنّها من أبرز وأتمّ مصاديق ليلة القدر، بل من حقائق تلك الليلة المباركة لو عرفنا قدرها وحقّها.

(٢) بحار الأنوار ٤٣ : ٨٠.

ولا يخفىٰ أنّ نزول جبرئيل الأمين عليه السلام إنّما لم يكن بعد رسول الله بعنوان الوحي والتشريع الجديد؛ لأنّ برحلة النبيّ انقطع عنّا الوحي التشريعي، أمّا تسليته وحديثه مع سيدة نساء العالمين فإنّه لا ضير فيه، فإنّ فاطمة الزهراء كان يحدّثها الملائكة، فهي المحدِّثة ـ بالكسر ـ وإنّها المحدَّثة ـ بالفتح ـ.

عن إسحاق بن جعفر بن محمد بن عيسىٰ بن زيد بن علي، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّما سمّيت فاطمة محدَّثة ـ بالفتح ـ لأنّ الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادي مريم بنت عمران فتقول: يا فاطمة إنّ الله اصطفاكِ وطهّركِ واصطفاكِ علىٰ نساء العالمين، يا فاطمة اقنتي لربّك واسجدي واركعي مع الراكعين. فتحدّثهم ويحدّثونها. فقالت لهم ذات ليلة: أليست المفضّلة علىٰ نساء العالمين مريم بنت عمران؟ فقالوا: إنّ مريم كانت سيدة نساء عالمها، وإنّ الله جعلك سيدة نساء عالمك وعالمها وسيدة نساء الأوّلين والآخرين[١].

فمريم العذراء لم تكن نبيّة ولكن كانت الملائكة تحدّثها، وكذلك أُمّ موسىٰ بن عمران، وسارة امرأة إبراهيم الخليل عليه السلام قد عاينت الملائكة فبشّروها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ولم تكن نبيّة.

ومَن أنكر ذلك فإنّه ينكر آيات القرآن وهو كافر، وكذلك فاطمة الزهراء كانت الملائكة تحدّثها ولم تكن نبيّة، وممّا اتّفقت الأُمّة عليه من العامّة والخاصّة أنّ الملائكة قد حدّثت أُناساً من الرجال والنساء في الأُمم الماضية وفي هذه الأُمّة ـ كما يذكر ذلك العلّامة الأميني في كتابه القيّم الغدير (٥ : ٤٢) فراجع ـ.

وفي حديث طويل عن أبي عبد الله عليه السلام: وإنّ عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام،

---

(١) البحار ٤٣ : ٧٨.

وما يدريهم ما مصحف فاطمة ؟ قال : مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرّات، واللّه ما فيه من قرآنكم حرف واحد، إنّما هو شيء أملاها اللّه وأوحىٰ إليها. قال : قلت : هذا واللّه العلم[١].

وهناك أحاديث كثيرة في شأن مصحف فاطمة الزهراء عليها السلام، ما هو قرآن ولكنّه كلامٌ من كلام اللّه عزّ وجلّ، فيه خبر ما كان وخبر ما يكون حتّىٰ فيه أرش الخدش، ويعدّ من مصادر علوم أهل البيت عليهم السلام، وكانوا يرجعون إليه، ثمّ المصحف كما جاء في معاجم اللغة بمعنىٰ قطعة من جلد أو قرطاس كتب فيه ومنه مصحف فاطمة عليها السلام، والشيعة بُراء ممّا ينسب إليهم من قبل بعض المغرضين من أعدائهم، بأنّ لهم قرآناً غير القرآن المجيد، ويسمّىٰ عندهم بمصحف فاطمة، فهذا من الكذب والافتراء و ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الكَذِبَ الذينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللّـهِ وَأُولَـٰئِكَ هُـمُ الكاذِبونَ ﴾[٢].

الثاني

في ليلة القدر يفرق كلّ أمرٍ أحكمه اللّه خلال السنة، فيفرق ما يحدث فيها من الأُمور الحتمية وغيرها، وينزل بها روح القدس علىٰ وليّ العصر والزمان وحجّة اللّه على الخلق الذي بيُمنه رزق الورىٰ وبوجوده ثبتت الأرض والسماء، وإنّ الإيمان بليلة القدر فارق بين المؤمن والكافر. كذلك بفاطمة الزهراء الطيّبة الطاهرة المطهّرة يفرق بين الحقّ والباطل، والخير والشرّ، والمؤمن والكافر، وقد ارتدّ الناس في العمل وفي الولاية بعد رحلة رسول اللّه صلى الله عليه وآله إلّا ثلاث أو خمس أو سبع، وفيهم

---

(١) بصائر الدرجات : ١٥١، وفاطمة الزهراء : ١٧٤.

(٢) سورة النحل : الآية ١٠٥.

سيدة النساء فهم على حق، وغيرهم استحوذ عليهم الشيطان فأغـرّهم وأضـلّهم فكانوا أئمّة الضلال.

وكما أنّ الصلاة من الأعمال الجوارحية هي الفارق بـين المـؤمن والكـافر، فكذلك في الأعمال الجوانحية والقلبية الفارق بين المـؤمن والكـافر ولاء الرسـول ومودّة أهل بيته فاطمة الزهراء وبعلها وبنيها عليهم السلام، كما أنّ الملائكة كانت تحـدّثها وتخبرها بما كان وما يكون ويفرق فيها كلّ أمرٍ حكيم.

الثالث

ليلة القدر معراج الأنبياء والأولياء إلىٰ اللّه سبحانه فيزاد في علمهم اللّدني والربّاني ويكسبوا من الفيض الأقدس الإلهي.

كذلك ولاية فاطمة المعصومة النقيّة التقيّة، فهي مرقاة لوصولهم إلى النبوّة ومقام الرسالة والعظمة والشموخ الإنساني والروحاني، فما تكاملت النـبوّة لنـبيّ حتّىٰ أقرّ بفضلها ومحبّتها وذلك في عالم ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ أو في عالم الذرّ أو عـالم الأنوار أو الأرواح أو النشأة الإنسانية التي تسبق نشأتنا هذه، وهذه إنّما هي صورة لتلك كما عند بعض الأعلام[1].

ففاطمة الزهراء قطب الأوليـاء والعـرفاء ومـعراج الأنـبياء والأوصـياء، صدرها خزانة الأسرار، ووجودها ملتقى الأنوار، فهي حلقة الوصـل بـين أنـوار النبوّة وأنوار الإمامة، فأبوها محمد رسول اللّه، وبعلها علي وصيّه وخـليفته إمـام المتّقين وأمير المؤمنين، ومنها أئمّة الحقّ والرشاد وأركان التوحيد وساسة العباد.

---

(١) كما يذهب إليه العلّامة الطباطبائي في تفسيره الميزان ذيل الآية الشريفة ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾، فراجع.

الرابع

ليلة القدر خيرٌ من ألف شهر فيضاعف فيها العمل والثواب كلّ واحدٍ بألف، فالتسبيح والتمجيد والتهليل والتكبير والصلاة وكلّ عمل كلّ واحدٍ بألف، فكذلك محبّة الزهراء وولايتها يوجب مضاعفة الأعمال فإنّ تسبيحها (٣٤ مرّة اللّه أكبر و ٣٣ مرّة الحمد للّه و ٣٣ مرّة سبحان اللّه) بعد كلّ صلاة واجبة أو نافلة يجعل كلّ ركعة بألف ركعة كما ورد في الخبر الشريف[١].

فودّتها هي الإكسير الأعظم، يجعل من كان معدنه الحديد ذهباً، وإنّ الناس معادن كمعادن الذهب والفضّة، فمن والاها وأحبّها وأطاعها وأطاع أبنائها الأطهار، وعادىٰ عدوّها وأعداء ذريّتها، فإنّه يكون كالذهب المصفّىٰ وباقي الناس كلّهم التراب، وإنّ اللّه يضاعف الأعمال بحبّها كما تضاعف في ليلة القدر.

وأمّا ما يدلّ علىٰ تضاعف العمل في ليلة القدر، فعن حمران: أنّه سأل أبا جعفر عليه السلام عن قول اللّه عزّ وجلّ: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ ﴾، قال: نعم هي ليلة القدر، وهي في كلّ سنة في شهر رمضان في العشر الأواخر، فلم ينزل القرآن إلّا في ليلة القدر، قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ قال: يقدر في ليلة القدر كلّ شيءٍ يكون في تلك السنة إلىٰ مثلها من قابل من خير وشرّ وطاعة ومعصية ومولود وأجَل ورزق، فما قدّر في تلك السنة وقضىٰ فهو المحتوم وللّه عزّ وجلّ فيه المشية. قال: قلت: ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ أيّ شيء عنى بذلك؟ فقال: العمل الصالح فيها من الصلاة والزكاة وأنواع الخير، خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، ولولا ما يضاعف اللّه تبارك وتعالىٰ للمؤمنين

---

(١) البحار ٢١ : ٢٤.

ما بلغوا، ولكنّ اللّه يضاعف لهم الحسنات[١].

الخامس

امتازت ليلة القدر عن كلّ ليالي السنة بالخير والبركة والشرافة والعظمة وعلوّ الشأن والرفعة، كذلك خير نساء الأوّلين والآخرين فاطمة الزهراء عليها السلام فهي خير أهل الأرض والسماء عنصراً وشرفاً وكرامة بعد أبيها الرسول المصطفىٰ وبعلها الوصيّ المرتضىٰ.

جاء في قصّة المعراج في خطاب اللّه عزّ وجلّ لنبيّه وحبيبه الأكرم: «يا أحمد لولاك لما خلقت الأفلاك، ولولا عليّ لما خلقتك، ولولا فاطمة لما خلقتكما»[٢].

فغاية الخلق هو الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله كما هو الصادر الأوّل ـ لقاعدة الأشرف كما في الفلسفة ـ وقد ورد في الخبر الشريف (أوّل ما خلق اللّه نور محمد) فهو العلّة التامّة بعد علّة العلل وهو اللّه سبحانه، ولكن لمثل هذه العلّة التامة في كمالاتها وصفاتها التي هي مظهر لأسماء اللّه وصفاته، فإنّه الإنسان الكامل والمخلوق الأتمّ، لا بدّ لمثل هذه العلّة النورانية والكلمة الإلهية التامة، من معلول يشابهه ويناسخه ـ لقانون العلّة والمعلول كما هو ثابت في الفلسفة والحكمة المتعالية ـ ويكون نفسه، وهو أمير المؤمنين أسد اللّه الغالب علي بن أبي طالب عليه السلام ـ وممّا يدلّ علىٰ أنّ الوصيّ نفس النبيّ آية المباهلة ـ ثمّ لمثل مقام النبوّة والإمامة، لا بدّ من معلول جامع لولايتها يشابهها ومن نفس النور، وهي فاطمة الزهراء بضعة المصطفىٰ فهي أمّ

---

(١) الوسائل ٧: ٢٥٦، ميزان الحكمة ٨: ٥٩.

(٢) الجنة العاصمة للسيد مير جهاني: ١٤٨، وكشف اللآلي لصالح عبد الوهاب بن العرندس، وملتقى البحرين: ١٤، ومسنداً في كتاب فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفىٰ: ٩.

أبيها[١] ـ كما ورد في ألقابها ـ وقال النبيّ في حقّها (فداها أبوها).

فقد خصّها اللّه من وصائف فضله وشرائف نبله، بأكمل ما أعدّه لغيرها من ذوي النفوس القدسية والأخلاق الزكية، وأشرق صبح النبوّة بمحيّاها، وانفلق صباح الإمامة بغرّتها، فهي أُمّ الكمالات الإنسانية والملائكية، فكأنّ طينتها قد عجنت بماء الحياة، وعين الفضل، في حظيرة القدس، قاب قوسين أو أدنىٰ، فهي نور الحقّ وحقيقة النور، وآية الصدق وصدق الآيات، فتعالىٰ مجدها وتوالىٰ إحسانها، بضعة الرسول وبهجة قلبه وفلذّة كبده، أُمّ الحسنين والأئمّة الأطهار، وحبيبة اللّه، وتفّاحة الفردوس المنصورة في السماء فاطمة الزهراء تحفة ربّ العالمين، قد فطمها اللّه من الأدناس الروحانية والجسمانية كما فطم شيعتها وذرّيتها من النار، فاشتقّ اسمها من فاطر السماوات والأرض، لتكون مظهراً للصفات الربوبية، وهي بقية النبوّة، ولولا فاطمة لما قام بعد النبي صلى الله عليه وآله للدين عمود ولا اخضرّ له عود. وبنورها زهرت السماوات، فهي أُمّ الخيرة والأخيار وأُمّ الفضائل والأزهار وأُمّ العلوم والكتاب وشفيعة يوم الحساب، من عرفها أدرك ليلة القدر، ومن أدرك ليلة القدر كان من السعداء في الدارَين، فمعرفتها توجب سعادة الدارَين، كما أنّ إنكار فضلها ومقامها وحقّها يوجب شقاوة الدارَين.

السادس

ليلة القدر ليلة مباركة ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ﴾[٢]، والبركة بمعنىٰ النماء والزيادة والخير المستمرّ والمستقرّ الدائم والثابت وما يأتي من قبله الخير الكثير،

---

(١) المناقب ٣ : ٣٥٧.

(٢) سورة الدخان، الآية ٣.

ومن ألقاب فاطمة الزهراء أنّها (المباركة) ففيها كلّ بركات السماوات والأرض، فهي الكوثر في الدنيا والآخرة، وهي المنهل العذب والمعين الصافي لكلّ من أراد البركة. فما أدراك ما فاطمة، خير مَن في الوجود بعد أبيها وبعلها.

ولو كنّ النساء كمثل هذه ... لفُضّلت النساء على الرجالِ
ولا التأنيث لاسم الشمس عار ... ولا التذكير فخر للهلالِ

وقال آخر:

هي مشكاة نور اللّه جلّ جلاله ... زيتونة عمّ الورىٰ بركاتها

فهي الكوثر، والكوثر الخير الكثير ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾، ومنها ذرّية الرسول الأكرم، وعدم انقطاع نسله إلىٰ يوم القيامة، وفي وصف النبي: إنّما نسله من مباركة لها بيت في الجنّة لا صخبٌ فيه ولا نصب[1].

السابع

العبادة في ليلة القدر تكون منشأ للفيوضات الإلهية، والكمالات الربانية، والفيوضات القدسية، والبركات السماوية. كذلك التوسّل بفاطمة الزهراء فهي منشأ البركات والخيرات.

وإذا كانت فاطمة المعصومة بنت الإمام موسىٰ بن جعفر من أحفاد فاطمة الزهراء عليها السلام، مَن زارها عارفاً بحقّها وجبت له الجنّة، كما ورد ذلك عن جدّها الإمام الصادق عليه السلام قبل ولادتها في قوله عليه السلام: إنّ لنا حرماً وهو بلدة قم، وستدفن فيها امرأة من أولادي تسمّىٰ فاطمة، فمن زارها وجبت له الجنّة[2].

---

(١) فاطمة الزهراء: ١٦٢، والبحار ٤٣: ٢٢.

(٢) سفينة البحار ٢: ٤٤٦، (قم).

وإذا نقول في زيارتها (يا فاطمة اشفعي لي في الجنّة فإنّ لكِ عند الله شأناً من الشأن)، فكيف بأُمّها فاطمة الزهراء عليها السلام، فإنّ مَن زارها وعرف حقّها وفضلها وجبت له الجنّة، ومَن يدخل الجنّة فهو السعيد حقّاً لقوله تعالىٰ: ﴿ أمّا الذينَ سعدُوا فَفِي الجَنَّةِ خالِدِينَ فِيها ﴾[1]. وقال النبي الأكرم لسبطيه الإمامين الحسن والحسين: « أنتما الإمامان ولأُمّكما الشفاعة »[2]. وقد جاء في الروايات فضل زيارتها، وأنّ زائرها يغفر له ويدخل الجنّة.

الثامن

نزل القرآن الكريم وهو النور والفرقان والبيان والتبيان في ليلة القدر، فليلة القدر ليلة نزول النور الإلهي، وفاطمة الزهراء عليها السلام هي نور الله، وهي الكوكب الدرّي، كما جاء ذلك في تفسير آية النور في قوله تعالىٰ: ﴿ اللّـهُ نُورُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ المِصْباحُ في زُجاجَةٍ الزُّجاجَةُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ نُورٌ عَلىٰ نُورٍ وَاللّهُ يَهْدِي لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ ﴾[3].

عن موسىٰ بن القاسم عن علي بن جعفر قال: سألت أبا الحسن ـ الإمام الكاظم عليه السلام ـ عن قول الله عزّ وجلّ ﴿ كَمِشْكاةٍ فِيها مِصْباح ﴾، قال: المشكاة فاطمة والمصباح الحسن والحسين. ﴿ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾، قال: كانت فاطمة كوكباً دُريّاً من نساء العالمين. ﴿ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ ﴾، الشجرة المباركة إبراهيم. ﴿ لا

---

(١) سورة هود، الآية ١٠٨.

(٢) كشف الغمّة ١ : ٥٠٦.

(٣) سورة النور، الآية ٦٦.

شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ ﴾، لا يهودية ولا نصرانية. ﴿ يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ ﴾، قال: يكاد العلم أن ينطق منها. ﴿ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ نُورٌ عَلىٰ نُورٍ ﴾، قال: فيها إمام بعد إمام. ﴿ يَهْدِي اللّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ ﴾، قال: يهدي اللّه عزّ وجلّ لولايتنا من يشاء[1].

عن فاطمة الزهراء سلام اللّه عليها: إعلم يا أبا الحسن أنّ اللّه تعالىٰ خلق نوري وكان يسبّح اللّه جلّ جلاله، ثمّ أودعه شجرة من شجر الجنة فأضاءت، فلمّا دخل أبي الجنة أوحىٰ اللّه إليه إلهاماً أن اقتطف الثمرة من تلك الشجرة وأدرها في لهواتك، ففعل، فأودعني اللّه سبحانه صلب أبي صلى الله عليه وآله ثمّ أودعني خديجة بنت خويلد فوضعتني، وأنا من ذلك النور أعلم ما كان وما يكون وما لم يكن، يا أبا الحسن المؤمن ينظر بنور اللّه تعالىٰ[2].

وما أروع ما يقوله الشاعر:

مشكاة نور اللّه جلّ جلاله ... زيتونة عمّ الورىٰ بركاتها

هي قطب دائرة الوجود ونقطة ... لمّا تنزّلت أكثرت كثراتها

هي أحمد الثاني وأحمد عصرها ... هي عنصر التوحيد في عرصاتها

ويقول المحقق العلّامة الشيخ محمد باقر صاحب (الخصائص الفاطمية) في كتابه: سبحانك اللّهم يا فاطر السماوات العلىٰ وفالق الحبّ والنوىٰ، أنت الذي فطرت إسماً من اسمك واشتقته من نورك، فوهبت اسمك بنورك حتىٰ يكون هو المظهر لظهورك، فجعلت ذلك الاسم أصل لجملة أسمائك وذلك النور أُرومة لسيدة إمائك، وناديت بالملأ الأعلىٰ: أنا الفاطر وهي فاطمة، وبنورها ظهرت الأشياء من الفاتحة

---

(١) المناقب؛ لابن المغازلي (من علماء أبناء العامة): ٣١٧.

(٢) عوالم العلوم والمعارف ٦ : ٧.

إلى الخاتمة، فاسمها اسمك ونورها نورك وظهورها ظهورك، ولا إله غيرك، وكلّ كمالٍ ظلّك وكلّ وجود ظلّ وجودك. فلمّا فطرتها فطمتها عن الكدورات البشرية واختصصتها بالخصائص الفاطمية، مفطومة عن الرعونات العنصرية، ونزّهتها عن جميع النقائص مجموعة من الخصائل المرضية بحيث عجزت العقول عن إدراكها، والناس فطموا عن كنه معرفتها، فدعا الأملاك في الأفلاك بالنورية السماوية وبفاطمة المنصورة... أمّ السبطين وأكبر حجج الله على الخافقين، ريحانة سدرة المنتهىٰ وكلمة التقوىٰ والعروة الوثقىٰ وستر الله المرخىٰ والسعيدة العظمىٰ والمريم الكبرىٰ والصلاة الوسطىٰ والإنسية الحوراء التي بمعرفتها دارت القرون الأُولىٰ. وكيف أُحصي ثناها وإنّ فضائلها لا تحصىٰ وفواضلها لا تقضىٰ، البتول العذراء والحرّة البيضاء، أمّ أبيها وسيدة شيعتها وبنيها، ملكة الأنبياء الصديقة فاطمة الزهراء عليها سلام الله[1].

عن النبي الأكرم محمد ﷺ، قال: لمّا خلق الله الجنّة خلقها من نور وجهه، ثمّ أخذ ذلك النور فقذفه، فأصابني ثلث النور وأصاب فاطمة ثلث النور وأصاب علياً وأهل بيته ثلث النور، فن أصابه من ذلك النور اهتدىٰ إلىٰ ولاية آل محمد ومَن لم يصبه من ذلك النور ضلّ عن ولاية آل محمد[2].

عالم الأنوار عالم خاص يسبق هذا العالم الجسماني المادي، وإنّما نؤمن بعالم الأنوار وما فيه من المعاني والعلوم والحقائق لما أخبرنا به الصادق الأمين المصدّق النبي الأكرم محمد وعترته الأبرار الأئمة الأطهار عليهم السلام، فهم أهل البيت عليهم السلام وهم

---

(١) فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفىٰ: ٢٤، عن الخصائص الفاطمية: ١.

(٢) بحار الأنوار ٤٣: ٤٤.

أدرىٰ بما في البيت، وإلّا فإنّ عقول البشر لولاهم لما أدركت من هذه العوالم النورانية شيئاً.

فهم باب اللّه ووجهه الذي يتوجّه إليه الأولياء، بهم فتح اللّه وبهم تختم، فهم نور الأخيار من الملائكة والثقلين، وكانوا أنواراً بعرش اللّه محدقين فمنّ اللّه علينا بهم فجعلهم في بيوت أذن اللّه أن ترفع ويذكر فيه اسمه(١).

التاسع

كثير من الناس أدركتهم السعادة في ليلة القدر، فهي ليلة السعادة، وكذلك السيدة فاطمة الزهراء، فهي سرّ السعادة، ومحبّتها ومعرفتها والاقتداء بها وإطاعتها ونصرتها يوجب السعادة الأبدية، ويحلّق الإنسان في آفاق الكمال ويسبح في يمّ الجلال.

وكم من شاهد وقصة تدلّ علىٰ أنّ هناك من أدركتهم السعادة ببركة فاطمة الزهراء عليها السلام، كما أنّ اللّه هدىٰ ذلك المجوسي وأهل بيته إلى الإسلام فأسلموا جميعاً لما أكرم العلوية التي جاءت إليه تشكو حالها، كما يحدّثنا بذلك العلّامة المجلسي قدس سره في كتابه القيّم (بحار الأنوار ٩٣: ٢٢٥ ـ ٢٣٦)، فراجع.

العاشر

إنّ اللّه سبحانه جعل حريماً لكلّ أمر مقدّس ومعظّم، فإنّه لا صلاة إلّا بطهور وتكبيرة الإحرام، وإنّ الحجر الأسود ومكّة المكرّمة جعل لها حرماً، فلا يدخلها إلّا من كان محرماً وقد حرّم على نفسه الملاذّ، كالنساء واستعمال الطيب ولبس المخيط وطلب الراحة كالاستظلال، فكان للحجر الأسود مواقيت، وتقدّست بقعة من

---

(١) جاءت مضامين هذه المعتقدات الحقّة في زيارة الجامعة الكبيرة، فراجع.

الأرض لأجله، ولأنّ مكة المكرمة والكعبة المعظمة مهبط الوحي ونزول الرسالة المحمدية السمحاء المتمثّلة بالقرآن الكريم، فمكة المكرمة مكان نزول القرآن وليلة القدر زمان نزوله، وصار للكعبة حرماً إثر عظمة الوحي، وكذلك شهر رمضان، فإنّه نزل القرآن كلّه في ليلة قدره، ولكن سرت القداسة والتكريم والتعظيم إلىٰ كلّ أيام وليالي الشهر، بل تشرّف ذلك العصر الذي نزل فيه القرآن فأقسم به اللّه في سورة العصر، كما أقسم بالمكان الذي نزل فيه الوحي ﴿ لا أُقْسِمُ بِهَٰذا البَلَدِ ﴾، فشعاع الوحي والقرآن الكريم قد نوّر ميداناً وسيعاً في الزمان والمكان.

فما تقدّس عند ربّك الأكرم الذي علّم الإنسان ما لم يعلم، فإنّه يكون له حريم مقدسٌ وتوابع مقدسة، كليلة القدر بشرفها تشرّفت ليالي شهر رمضان وأيامه.

وكذلك فاطمة الزهراء تقدّست عند ربّها، فوجب إجلالها وإكرامها، بل وينبغي تعظيم ذريتها ومودّتهم وتكريمهم، فإنّه ألفُ عينٍ لأجل عينٍ تكرم، فوجب علىٰ كلّ مسلم إكرام السادة والذرية الطيّبة، من ولد فاطمة الزهراء وعلي المرتضىٰ عليهما السلام، فالصالح منهم يكرّم للّه والطالح منهم لرسوله وعترته.

عن أبي عبد اللّه الإمام الصادق عليه السلام، قال: إذا كان يوم القيامة جمع اللّه الأوّلين والآخرين في صعيد واحد، فتغشاهم ظلمة فيضجّون إلىٰ ربّهم ويقولون: يا ربّ اكشف عنّا هذه الظلمة، قال: فيقبل قوم يمشي النور من بين أيديهم قد أضاء أرض القيامة فيقول أهل الجمع: هؤلاء أنبياء اللّه، فيجيئهم النداء من عند اللّه: ما هؤلاء بأنبياء، فيقول له أهل الجمع: فهؤلاء ملائكة، فيجيئهم النداء من عند اللّه: ما هؤلاء بملائكة، فيقولون: مَن هم؟ فيجيئهم النداء: يا أهل الجمع سلوهم مَن أنتم؟ فيقول أهل الجمع: مَن أنتم؟ فيقولون: نحن العلويون، نحن ذرية محمد رسول اللّه، نحن أولاد علي ولي اللّه، نحن المخصوصون بكرامة اللّه، نحن الآمنون

المطمئنون. فيجيئهم النداء من عند اللّه عزّ وجلّ: اشفعوا في محبّيكم وأهل مودّتكم وشيعتكم، فيشفعون فيشفّعون[١].

وعن الإمام الرضا عليه السلام، قال: النظر إلىٰ ذريتنا عبادة، فقيل له: يا ابن رسول اللّه النظر إلىٰ الأئمة منكم عبادة، أم النظر إلىٰ جميع ذرية النبي صلى الله عليه وآله؟ فقال: بل النظر إلىٰ جميع ذرية النبي عبادة. وفي رواية أُخرىٰ: ما لم يفارقوا منهاجه ولم يتلوّثوا بالمعاصي.

وعن علي عليه السلام، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة: المكرم لذريّتي من بعدي، والقاضي لهم حوائجهم، والساعي لهم في أُمورهم عند اضطرارهم، والمحبّ لهم بقلبه ولسانه[٢].

وعنه، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: إنّ فاطمة أحصنت فرجها فحرّم اللّه ذرّيتها على النار[٣].

وعن حمّاد بن عثمان، قال: قلت لأبي عبد اللّه عليه السلام: جعلت فداك، ما معنىٰ قول رسول اللّه صلى الله عليه وآله (إنّ فاطمة أحصنت فرجها فحرّم اللّه ذرّيتها على النار)؟ فقال: المعتقون من النار هم ولد بطنها الحسن والحسين وأُمّ كلثوم.

فتشرّف بنو الزهراء بأُمّهم الطاهرة المطهّرة، وحرمت أجسادهم على النار، ونالوا العلىٰ بنسبتهم إلى السيدة المعصومة، كما تشرّفت ليالي شهر رمضان المبارك بليلة القدر.

---

(١) البحار ٩٣: ٢١٧، عن أمالي الصدوق: ١٧٠.

(٢) المصدر، عن عيون أخبار الرضا ١: ٢٥٣.

(٣) المصدر نفسه.

الحادي عشر

إنّ اللّه سبحانه وتعالىٰ قد دعا عباده لضيافتهم العامة في شهر رمضان المبارك، فالصائم وافد على اللّه وضيفه ولكلّ ضيفٍ قرىً، وقرى اللّه الاعتاق من النار ودخول الجنّة، وإنّ اللّه يغفر لعباده الصائمين ويعتق الرقاب من جهنم، وامتازت ليلة القدر من بين ليالي رمضان وأيامها، أنّه يعتق فيها ما يعادل العتق في الشهر كلّه، فإنّها خيرٌ من ألف شهر، كما جاء نصّ ذلك في الأخبار.

وفاطمة الزهراء عليها السلام سمّيت فاطمة، لأنّها تفطم شيعتها من النار وتعتق رقابهم وتدخلهم الجنّة ﴿ وَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾[1].

عن الإمام الرضا عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: إنّما سمّيت ابنتي فاطمة لأنّ اللّه فطمها وفطم مَن أحبّها من النار[2].

قال النبي: إنّما سمّيت ابنتي فاطمة لأنّ اللّه فطمها وفطم محبّيها عن النار[3].

عن محمد بن مسلم الثقفي، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: لفاطمة عليها السلام وقفة علىٰ باب جهنم، فإذا كان يوم القيامة كتب بين عيني كلّ رجل: مؤمن أو كافر، فيؤمر بمحبٍّ قد كثرت ذنوبه إلى النار فتقرأ فاطمة بين عينيه محبّاً فتقول: إلهي وسيدي سمّيتني فاطمة وفطمت بي مَن تولّاني وتولّىٰ ذريتي من النار ووعدك الحقّ وأنت لا تخلف الميعاد، فيقول اللّه عزّ وجلّ: صدقتِ يا فاطمة إنّي سمّيتكِ فاطمة وفطمت بكِ مَن أحبّكِ وتولّاكِ وأحبّ ذريتكِ وتولّاهم من النار، ووعدي الحقّ

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٨٥.

(٢) فرائد السمطين ٢ : ٥٨.

(٣) البحار ٤٣ : ١٦.

وأنا لا أُخلف الميعاد[١].

الثاني عشر

انفردت ليلة القدر بعظمتها وشموخها من بين ليالي السنة، فليس لها مثيل ولا نظير، فهي سيدة الليالي والأيام.

وفاطمة الزهراء عليها السلام لا مثيل لها بين النساء، فهي سيدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين في الدنيا والآخرة، ولولا أمير المؤمنين علي المرتضىٰ عليه السلام لما كان لها كفؤ من الرجال آدم ومن دونه، وهذا ما نصّت عليه الأخبار الشريفة عند الفريقين السنّة والشيعة.

روى العلّامة المجلسي قدس سره، قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: فاطمة سيدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين، وإنّها لَتقوم في محرابها فيسلّم عليها سبعون ألف ملَك من المقرّبين، وينادونها بما نادت به الملائكة مريم فيقولون: يا فاطمة ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾[٢].

وعن المفضّل، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أخبرني عن قول رسول الله في فاطمة إنّها سيدة نساء العالمين، أهي سيدة نساء عالمها؟ فقال عليه السلام: ذاك مريم كانت سيدة نساء عالمها، وفاطمة سيدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين[٣].

وعن الحسن بن زياد العطّار، قال: قلت لأبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام: قول رسول الله صلى الله عليه وآله: فاطمة سيدة نساء أهل الجنّة أسيدة نساء عالمها؟ قال: ذاك

---

(١) المصدر: ١٤.

(٢) البحار ٤٣: ٤٩.

(٣) العوالم ١١: ٤٦.

مريم، وفاطمة سيدة نساء أهل الجنّة من الأوّلين والآخرين[١].

قال العلّامة المحقق السيد شرف الدين العاملي صاحب كتابَي المراجعات والنصّ والاجتهاد: تفضيلها علىٰ مريم عليها السلام أمر مفروغ عنه عند أئمة العترة الطاهرة وأولياءهم من الإمامية وغيرهم، وصرّح بأفضليتها علىٰ سائر النساء ـ حتّى السيدة مريم ـ كثير من محقّقي السنّة والجماعة كالتقي السبكي والجلال السيوطي والبدر والزركشي والتقي المقريزي وابن أبي داود والمناوي فيما نقله عنهم العلّامة النبهاني في (فضائل الزهراء) في كتابه (الشرف المؤبّد: ٥٩)، وهذا هو الذي صرّح به السيد أحمد زيني الدحلان مفتي الشافعية، ونقله عن عدّة من أعلامهم وذلك حيث أورد تزويج فاطمة بعلي في سيرته النبوية[٢].

وأمّا (لولا علي لما كان كفوٌ لها) فقد قال الإمام الصادق عليه السلام: لولا أنّ أمير المؤمنين عليه السلام تزوّجها لما كان لها كفوٌ إلىٰ يوم القيامة علىٰ وجه الأرض آدم فمَن دونه[٣].

فسلام اللّه عليكِ يا مولاتي سيدة نساء العالمين أبداً، وعلىٰ أبيكِ وبعلكِ وبنيكِ وذريّتكِ وشيعتكِ ومحبّيكِ، ورزقنا اللّه في الدنيا زيارتكِ وفي الآخرة شفاعتكِ وشفاعة محمد وآله، آمين.

---

(١) المصدر: ٤٩.

(٢) فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفىٰ: ٩٤، عن هامش (النصّ والاجتهاد)، المورد ٨، الصفحة ١١٤.

(٣) البحار ٤٣: ١٠.

الثالث عشر

ذات اللّه سبحانه سرّ لا يعلمه إلّا هو، وله في خلقه أسرار لا يعلمها إلّا هو ورسوله والراسخون في العلم من عترة النبي الهادي المختار عليهم السلام.

وليلة القدر سرّ من أسرار اللّه.

وفاطمة الزهراء عليها السلام عصمة اللّه وسرّ من أسراره العظمىٰ، لا يعرف حقيقتها ومقامها الرفيع وآياتها الباهرة إلّا اللّه ورسوله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، فهي سرّ في وجودها وفي ولادتها وحياتها ورحلتها إلىٰ جوار ربّها.

فهي تفاحة الفردوس تؤنس أُمّها في بطنها، وتولدها نساء الجنّة بعد أن قاطعت نساء قريش أُمّها خديجة الكبرىٰ عليها السلام.

قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: أتاني جبرئيل بتفاحة من الجنّة فأكلتها، وواقعت خديجة فحملت بفاطمة، فقالت إنّي حملت حملاً خفيفاً، فإذا خرجت حدّثني الذي في بطني، فلمّا أرادت أن تضع بعثت إلىٰ نساء قريش ليأتينها فيلين منها ما يلي النساء ممّن تلد، فلم يفعلن، وقلن: لا نأتيكِ وقد صرتِ زوجة محمد[1].

عن السيدة خديجة الكبرىٰ، قالت: لمّا حملت بفاطمة حملت حملاً خفيفاً وتحدّثني في بطني، فلمّا قربت ولادتها دخل عليّ أربع نسوة عليهنّ من الجمال والنور ما لا يوصف، فقالت إحداهنّ: أنا أُمّك حوّاء، وقالت الأُخرىٰ: أنا آسية بنت مزاحم، وقالت الأُخرىٰ أنا كلثم أُخت موسىٰ، وقالت الأُخرىٰ: أنا مريم بنت عمران أُمّ عيسىٰ، جئنا لنليَ من أمركِ ما تلي النساء. فولدت فاطمة فوقعت علىٰ الأرض ساجدة رافعة إصبعها[2].

---

(١) ذخائر العقبىٰ: ٤٤.

(٢) ينابيع المودّة: ١٩٨، فاطمة الزهراء: ١٢٩.

وفي حديث طويل عن الإمام الصادق عليه السلام : فدخل رسول الله يوماً وسمع خديجة تحدّث فاطمة فقال لها : يا خديجة مَن يحدّثك ؟ قالت : الجنين الذي في بطني يحدّثني ويؤنسني، فقال لها : هذا جبرئيل بشّرني أنّها أُنثىٰ وأنّها النسمة الطاهرة الميمونة، وأنّ الله تبارك وتعالىٰ سيجعل نسلي منها وسيجعل من نسلها أئمّة في الأُمّة[1].

وأمّا حياتها ووجودها الطاهر فحافل بالكرامات والمناقب والفضائل يكلّ اللسان عن بيانه، فهي الإنسية الحوراء الزكية الطاهرة، تشترك مع أبيها وبعلها وبنيها الأطهار في العصمة والقرآن، وأنّهم الصراط المستقيم، وكلمات الله التي تلقّاها آدم لتوبته، وأنّها من آيات النور والتطهير والذين آمنوا وكانوا قليلاً من الليل ما يهجعون ومرج البحرين والإيثار والاطعام ونزول الملائكة في ليلة القدر وعشرات الآيات القرآنية الأُخرىٰ، وأنّها تشترك معهم في النورانية وبدء خلقهم قبل آدم وعرض ولايتهم على الأشياء وسبق دخولهم الجنّة يوم القيامة، وأنّهم في حضيرة القدس، وأنّهم خير خلق الله واصطفاهم الله من بين خلقه وكرّمهم تكريماً، وأنّهم تحت قبّة العرش، وعرض حبّهم على البريّة وولايتهم في عالم الذرّ، وأنّها تشترك معهم في الصلوات والسلام عليهم، وعدم عذاب محبّيها ومحبّي عترتها بالنار، وأنّ رضاها من رضا الله ورسوله، وبكاء العرش والملائكة لبكائها، وأنّ زواجها كان بأمرٍ من الله وأنّ زوجها سيد في الدنيا والآخرة، وأنّها أحبّ الخلق إلىٰ ربّها، وقد باهل بها النبي نصارىٰ نجران، وأنّ الأئمة الأطهار من ولدها، وأنّ المهديّ من آل محمد الإمام المنتظر عليه السلام من ولدها، وأنّ حبّها ينفع في مأة موطن، وأنّ الله

(١) البحار ١٦ : ٨٠.

يغضب لغضبها، وقد فرض طاعتها وطاعة أولادها المعصومين علىٰ جميع الكائنات، وأنّ الوحيَ كانت تدور من دون مباشرتها لها، وكان الملَك يحرّك مهد ولدها، وأنّ النبي كرّمها غاية التكريم فكان يقوم إليها عند قدومها ويقبّل رأسها وصدرها ويدها، ولا ينام حتّىٰ يقبّل عرض وجهها، فكانت أحبَّ الناس إلى النبيّ الأعظم.

وغير ذلك من المناقب والكرامات التي تدلّ بوضوح علىٰ أنّها سرّ مكنون من أسرار اللّه سبحانه وتعالى[1].

الرابع عشر

ليلة القدر قد جهلها الناس من حيث الليالي ومن حيث القدر والمنزلة فقطعوا وفطموا عن معرفتها، كذلك البضعة الأحمدية والجزء المحمدي فهي مجهولة القدر (وإنّما سمّيت فاطمة لأنّ الخلق فطموا عن معرفتها)، كما جهل قدرها اُولئك الظَلَمة الكَفَرة أحرقوا بابها وكسروا ضلعها وأسقطوا جنينها وغصبوا فدكها وحقّها، ولم ينصروها فخفيٰ على الناس مقامها وقدرها حتّىٰ قبرها الشريف وتأريخ وفاتها، ليكون شاهداً في التأريخ علىٰ مظلوميّتها وشهادتها ومظلومية بعلها (اللّهم العن أوّل ظالم ظلم حقّ محمد وآل محمد وآخر تابع له على ذلك).

عن مجاهد: خرج النبي ﷺ وهو آخذٌ بيد فاطمة فقال: مَن عرف هذه فقد

---

(١) راجع في ما ذكرنا من الإشارة إلىٰ بعض مناقبها إلىٰ كتاب (فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفىٰ)، وبحار الأنوار ـ الجزء ٤٣، والمعالم ـ الجزء ١١، وغير ذلك من الكتب التي تتحدّث عن سيدة نساء العالمين عليها السلام.

عرفها، ومَن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد، وهي بضعة منّي وهـي قـلبي وهـي روحي التي بين جنبيّ من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى اللّه[١].

ومن آذى اللّه لعنه اللّه مِلأ السماوات والأرض[٢].

ومن طرق العامة، عن نصر بن مزاحم، عن زياد بن المنذر، عن زاذان، عن سلمان، قال: قال النبي ﷺ: يا سلمان، من أحبّ فاطمة بنتي فهو في الجنّة معي ومن أبغضها فهو في النار، يا سلمان، حبّ فاطمة ينفع في مائة من المواطن، أيسر ذلك المواطن الموت والقبر والميزان والحشر والصراط والمحاسبة، فمن رضِيَت عنه ابنتي فاطمة رضِيتُ عنه ومن رضيتُ عنه رضىٰ اللّه عنه، ومن غضبتْ عـليه غـضبتُ عليه ومن غضبتُ عليه غضب اللّه عليه، يا سلمان، ويلٌ لمن يظلمها ويظلم بعلها أمير المؤمنين علياً وويلٌ لمن يظلم ذريتها وشيعتها[٣].

وممّا يقطع أنياط القلب ويُميت الإنسان الغيور كمداً وحزناً روايـة فـاطمة الزهراء عليها السلام قصة مظلوميتها وسبب شهادتها قائلةً: «فجمعوا الحطب الجزل علىٰ

---

(١) نور الأبصار؛ للشبلنجي: ٥٢. «وحبّ فاطمة الزهراء عليها السلام هو الفرض وتمام الفرض وقبول الفرض لأنّ النبيّ ﷺ حصر رضاه في رضاها فقال: (واللّه يا فاطمة لا يرضى اللّه حـتىٰ ترضي ولا أرضىٰ حتّىٰ ترضي) ومعنىٰ هذا الرمـز أنّ فـاطمة عليها السلام يـنبوع الأسرار وشمس العصمة ومقرّ الحكمة لأنّها بضعة النبيّ وحبيبة الوليّ ومعدن السرّ الإلهي، فمن غضبت عليه أمّ الأبرار فقد غضب عليه نبيّه ووليّه، ومَن غضب عليه النبيّ والوليّ فهو الشقيّ كـلّ الشـقيّ. (مشارق أنوار اليقين: ٢٦)».

(٢) البحار ٤٣: ٥٤، وقد ذكر العلّامة الأميني في غديره هذا الحديث علىٰ اختلاف ألفاظه وذكر تسعة وخمسين مصدراً له من صحاح العامة ومسانيدها، فراجع.

(٣) فرائد السمطين ٢: ٦٧.

بابي وأتوا بالنار ليحرقوه ويحرقونا، فوقفت بعضادة الباب وناشدتهم اللّٰه، بـالله وبأبي أن يكفّوا عنّا وينصرونا، فأخذ عمر السوط من يد قـنفذ مـولىٰ أبي بكـر فضرب به علىٰ عضدي حتىٰ صار كالدملج، وركل الباب برجله، فردّه عليّ وأنـا حامل، فسقطت لوجهي والنار تسعر ويسفع في وجهي فيضربني بيده حتّىٰ انـتثر قرطي من أُذني وجاءني المخاض. فأسقطت محسناً بغير جرم»[1].

اللّهم العن أوّل ظالم ظلم محمد وآل محمد وآخر تابع له علىٰ ذلك، اللّهم العن العصابة التي جاهدت فاطمة الزهراء وغصبت حقّها وأسقطت جـنينها وكـسرت ضلعها وشايعت وبايعت علىٰ ذلك، اللّهم العنهم جميعاً لعناً وبيلاً من بدء الخلق إلىٰ يوم الدين، آمين آمين، لا أرضىٰ بواحدة حتّىٰ يضاف إليه ألف (آمين). ورحم اللّٰه عبداً قال : آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد للّٰه ربّ العالمين.





(١) بيت الأحزان : ٩٨، لخاتم المحدّثين الشيخ عبّاس القمّي، وراجع كتاب الإمامة والسـياسة لابن قتيبة ١ : ١٩ ـ ٢٠.

بعض الكتب المؤلفة
حول الزهراء ﷺ

لقد كتب عن السيدة فاطمة الزهراء ﷺ الكثير وبلغات عديدة ومن جميع المذاهب والطوائف حتى المسيحيين، ويتجاوز المطبوع المئات من الكتب والرسائل، وقد جمع بعضها الأُستاذ علي محمد علي دخيل زهاء ثلاثمائة ونيف من الكتب، جاء ذكرها في نهاية كتاب (فاطمة الزهراء ﷺ بهجة قلب المصطفىٰ) للشيخ أحمد الرحماني الهمداني. ويعدّ من الكتب القيّمة في تبيّن جوانب من حياة السيدة ومقامها الشامخ، أُوصي القرّاء الكرام بمطالعته.

وإليكم بعض المؤلفات العربية التي تتحدّث عن الزهراء ﷺ بتفصيل، وقد سجّلت حياتها بإكبار وإجلال، فمنها:

١ ـ إتحاف السائل بما لفاطمة رضي اللّٰه عنها من الفضائل، محمد حجازي الشافعي.

٢ ـ أخبار فاطمة ﷺ، أبو علي الصولي، وأيضاً عبد اللّٰه بن أبي زيد الأنباري، وكذلك محمد ابن أحمد بن عبد اللّٰه، ومحمد بن زكريا بن دينار.

٣ ـ الثغور الباسمة في مناقب السيدة فاطمة، جلال الدين السيوطي.

٤ ـ الدرة البيضاء في أحوال فاطمة الزهراء، جمال الدين محمد بن الحسين الواعظ.

٥ ـ الدرة البيضاء في تأريخ حياة فاطمة الزهراء، (جزءان)، نجم الدين الشريف العسكري.

٦ ـ الروضة الزهراء في مناقب فاطمة الزهراء، محمد بن أحمد بن أحمد الخزاعي.

٧ ـ زهد فاطمة، الشيخ الصدوق.

٨ ـ خطبة فاطمة وشرحها، لأبي مخنف الأزدي، ولابن عبدون، وللسيد عبد اللّٰه شبر، ولخليل لكمرني، ولفضل علي القزويني، ولتاج العلماء، ولهادي البنابي، ولمحمد نجف الكرماني، ولمسلم الجابري، ولمحمد تقي القمي، ولأحمد بن عبد الرحيم.

٩ ـ الفتح والبشرىٰ في مناقب فاطمة الزهراء، محمد الجفري.

١٠ ـ قصة فدك والظلامة الفاطمية، للناصر الحق إمام الزيدية، وللاسكافي ابن الجنيد، ولابراهيم الثقفي، ولأبي محمد الأطروش، وللبلخي، ولعبد الرحمن الهاشمي،

ولعبيد اللّه الأنباري، وليحيىٰ الرماشيري، وللجلودي، ولأبي الحبيش، وللشهيد الصدر، وغيرهم.

١١ ـ البتول الزهراء، محمد حسين شمس الدين.

١٢ ـ بيت الأحزان، خاتم المحدثين الشيخ عباس القمي.

١٣ ـ الزهراء في السنّة والتأريخ والأدب، محمد كاظم الكفائي.

١٤ ـ فاطمة بنت محمد أُمّ الشهداء وسيدة النساء، عمر أبو النصر.

١٥ ـ الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء، السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي.

١٦ ـ مصادر الدراسة عن الزهراء، علي محمد علي دخيل.

١٧ ـ مناقب الفاطمية، إبراهيم بن محسن الكاشاني.

١٨ ـ النفحات القدسية في الأنوار الفاطمية، عبد الرزاق كمونة.

١٩ ـ فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد، السيد محمد كاظم القزويني.

٢٠ ـ الصديقة فاطمة الزهراء، لجنة التأليف.

٢١ ـ فاطمة الزهراء قدوة وأُسوة، السيد محمد تقي المدرّسي.

٢٢ ـ مناقب الزهراء، السيد غلام رضا الكسائي.

٢٣ ـ الأنوار اللامعة في تواريخ سيدتنا فاطمة، الشيخ محمد رضا الطبسي.

٢٤ ـ البتول فاطمة الزهراء، عبد الفتاح عبد المقصود المصري، وآخر للدكتور عبد الفتاح محمد الحلو.

٢٥ ـ تأريخ فاطمة الزهراء، في بحار الأنوار، المجلد ٤٣.

٢٦ ـ حياة فاطمة الزهراء ﷺ، محمود الشلبي.

٢٧ ـ الزهراء ﷺ، الشيخ محمد حسين المظفر.

٢٨ ـ عوالم العلوم، الشيخ عبد اللّه بن نور اللّه البحراني، المجلد ١١.

٢٩ ـ فاطمة الزهراء أُمّ أبيها، شاكر الأنصاري، وآخر للدكتورة بنت الشاطيء.

٣٠ ـ اليد البيضاء في مناقب الزهراء، الشيخ علي أكبر النهاوندي.

الدرّة البهيّة

في الأسرار الفاطميّة

السيّد عادل العلوي



علوی، عادل، ۱۹۵۵ ـــ
الدرّة البهيّة في الأسرار الفاطمية / تأليف السيّد عادل العلوي. ـــ قم: المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد، ۱٤۲۰ ق. = ۱۳۷۸.
۱۸ ص. ـــ (موسوعة رسالات إسلامية)
ISBN 964 - 5915 - 08 - 2
فهرستنویسی بر اساس اطلاعات فیپا.
عنوان دیگر: رسالة الدرّة البهيّة في الأسرار الفاطمية.
عربی.
کتابنامه به صورت زیرنویس.
۱. فاطمه زهرا (س)، ۱۳ ؟ قبل از هجرت ـ ۱۱ ق. الف. عنوان. ب. عنوان. رسالة الدرّة البهيّة في الأسرار الفاطمية.
BP ۲۷ / ۲ / ۸۳ع ٤ د ۲۹۷ / ۹۷۳
کتابخانة ملی ايران ۷۸ ـــ ۲٤۷٤۸ م

موسوعة

رسالات إسلامية

***
***

رسالة

الدرّة البهيّة في الأسرار الفاطميّة

تأليف ـ السيّد عادل العلوي

نشر ـ المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد
إيران، قم، ص. ب ٣٦٣٤
الطبعة الأولى ـ ١٤٢٠ هجري قمري
المطبعة ـ النهضة، قم

شابك ٢ ـ ٠٨ ـ ٥٩١٥ ـ ٩٦٤ ISBN 964 - 5915 - 08 - 2
اى. اى. ان. ٩٧٨٩٦٤٥٩١٥٠٨٥ EAN 9789645915085
شابك X ـ ١٨ ـ ٥٩١٥ ـ ٩٦٤ (دوره ١٠٠ جلد) 964 - 5915 - 18 - X (100 - Vol. Set)

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

الحمد لله فاطر السماوات والأرضين، خالق فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين، والصلاة والسلام على أبيها محمّد الأمين، سيّد الأنبياء والمرسلين، حبيب الله وخاتم النبيّين، وعلى بعلها أمير المؤمنين عليّ سيّد الأوصياء وإمام المتّقين، وعلى أولادهما الأئمة الميامين أهل البيت الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم ومنكري فضائلهم من بدء الخلق إلى قيام يوم الدين.

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم ومبرم خطابه العظيم:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[2].

وقال رسول الله ﷺ:

«لو كان الحُسن شخصاً لكان فاطمة، بل هي أعظم. فاطمة ابنتي خير أهل الأرض عنصراً وشرفاً وكرماً»[3].

---

(١) كتبت هذه الرسالة مقدّمةً لكتاب (الأسرار الفاطميّة) بقلم سماحة الشيخ محمّد فاضل المسعودي.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

(٣) فرائد السمطين ٢: ٦٨.

الحديث عن الزهراء عليها السلام إنّما هو حديث عمّا سوى الله سبحانه، فهي الكون الجامع بل الحديث عنها حديث عن الله سبحانه لوحدة الرضا والغضب بينهما، فإنّه سبحانه يرضى لرضاها ويغضب لغضبها، والله المحسن وهو الجميل ومطلق الجمال والحسن، وإنّه يحبّ الجمال، ولو كان الحسن والجمال شخصاً لكان فاطمة، بل هي أعظم، فهي جمال الله وحسنه، وإنّها الحوراء الإنسيّة، فهي خير أهل الأرض عنصراً، فإنّها نور الله جلّ جلاله اشتُقّت من نور أبيها وبعلها، وفارقتهما في القوس النزولي، فكان أبوها وبعلها في صلب آدم إلى عبد المطلب وأبي طالب، وبقيت هي في العرش الإلهي في مشكاة تحت ساق العرش، ثمّ انتقل إلى الجنّة، وبقي في رياضها محبوراً، ثمّ أودعه الله في شجرة من أشجارها وفي ثمارها وأغصانها، حتّى إذا عرج النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله إلى السماء ودخل الجنّة، وأكل من تفّاحها ورطبها، فتناول من ثمار الجنّة ومن شجرة فاطمة عليها السلام، فتحوّلت نوراً في صلبه، ثمّ هبط إلى الأرض، فواقع خديجة الكبرى لتحمل منه فاطمة الحوراء الإنسيّة، ومن ثمّ كان النبيّ يشمّ منها رائحة الجنّة.

ففاطمة عليها السلام من صلب خاتم النبيّين وأشرف خلق الله أجمعين محمّد المصطفى صلى الله عليه وآله مباشرة ومن دون واسطة، دون غيرها، فكانوا من صلب آدم عليه السلام.
فهي خير أهل الأرض عنصراً، وأشرف بعد أبيها وبعلها مقاماً، وأكرم منزلاً.

فخلقت من نور محمّدي علويّ قبل خلق آدم بآلاف من السنين، خلقت حوريّة في صورة إنسيّة، ثمّ تكوّنت نطفتها في أعالي الجنّة، ونطقت وتحدّثت في بطن أُمّها، وقال جبرئيل عنها أنّها النسلة الطاهرة الميمونة، وسجدت ونطقت بالشهادتين عند ولادتها، فهي المباركة الطاهرة الصدّيقة الزكيّة الرضيّة المرضيّة المحدّثة الزهراء البتول الحرّة، العذراء الحوراء النوريّة السماويّة الحانية، أُمّ الحسنين،

أُمّ أبيها، أُمّ الأئمة النجباء، فهي الصدّيقة الكبرى، وعلى معرفتها دارت القرون الأُولى. ومن عرفها حقيقةً فقد أدرك ليلة القدر.

والمعرفة أساس الحياة وروحها، فمن لا معرفة له ـ كالكافر ـ فلا حياة له، وكان ميّتاً يمشي بين الأحياء. وبالمعرفة يتمّ الإيمان ويزداد بزيادتها، وإنّها تأخذ حيّزاً كبيراً في الحياة الإنسانيّة بكلّ أبعادها وجوانبها، حتّى الشريعة المقدّسة التي هي عبارة عن قوانين الحياة التشريعيّة من أجل السعادة الأبديّة، فالمعرفة لها الحظّ الأوفر على مستوى الأُصول والفروع والأخلاق، وإنّما يفضّل الناس بعضهم على البعض في المقياس الإلهي بالمعرفة ولوازمها كالإيمان والتقوى والعلم النافع والعمل الصالح، كما جاء في الحديث الشريف:

«أفضلكم إيماناً أفضلكم معرفة»[1].

فلا يمكن من حطّ قيمة المعرفة والاستهانة بها مطلقاً، بل جاء عن الإمام الصادق عليه السلام:

«لا يقبل الله عملاً إلّا بمعرفة، ولا معرفة إلّا بعمل، فمن عرف دلّته المعرفة على العمل، ومن لم يعمل فلا معرفة له»[2].

فأصل كلّ شيء وأساسه هو المعرفة، حتّى قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام لكميل ابن زياد:

«يا كميل، ما من حركة إلّا وأنت محتاج فيها إلى معرفة»[3].

---

(١) البحار ٣: ١٤.

(٢) الكافي ١: ٤٤.

(٣) ؟؟؟.

ولا تكون المعرفة تامّة إلّا بإدراك القضايا وفهمها، دركاً صحيحاً وفهماً كاملاً، بدراسات حقّة ميدانيّة وتحقيقيّة، والتي يبتني صرحها الشامخ على ضوء البراهين الساطعة والاستدلالات العقليّة اللامعة، والحجج العمليّة الواضحة.

فالمعرفة يعني الدراية الكاملة والفهم العميق والدرك الصحيح، وقيمة الإنسان بمعرفته.

يقول الإمام الباقر لولده الصادق عليهما السلام :

« يا بني، إعرف منازل الشيعة على قدر روايتهم ومعرفتهم، فإنّ المعرفة هي الدراية للرواية ».

فالرواية نقل الحديث الشريف عن المعصومين عليهم السلام ، والدراية تفقّه الحديث وفهمه :

« وبالدرايات للروايات يعلو المؤمن إلى أقصى درجات الإيمان ».

و « حديث تدريه خيرٌ من ألف حديث ترويه ».

و «قيمة كلّ امرئ وقدره معرفته ».

فالواجب علينا أن نفهم القرآن والروايات بتفهّم وعمق، وتدبّر وتفكّر، وإلّا فهمّة السفهاء الرواية، وهمّة العلماء الدراية.

فلا بدّ لكلّ ذي لبّ أن يعرف الأشياء على ما هي عليها بحسب الطاقة البشريّة، وأولى شيء بالمعرفة، وإنّه مقدّم على كلّ المعارف والعلوم هو معرفة أُصول الدين بالبرهان واليقين، وبدءاً بالمعرفة الجلاليّة ثمّ الجماليّة ثمّ الكماليّة.

ومن الأُصول معرفة الصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام ، فمن عرفها حقّ معرفتها فقد أدرك ليلة القدر التي هي خيرٌ من ألف شهر. ألا إنّها سمّيت فاطمة لأنّ الخلق فطموا عن معرفتها.

فمن يعرفها ؟ ! وعلى معرفتها دارت القرون الاُولى، وما تكاملت النبوّة لنبيّ حتّى اُمر بفضلها ومحبّتها[1].

ومن الواضح أنّ المعرفة الكاملة والتامّة لا تكون إلّا بعد الإحاطة بالشيء، ومن يقدر على أن يحيط بفاطمة الزهراء عليها السلام إلّا من كان خالقها ومن كان كفواً لها، فلا يعرفها ويعرف أسرارها إلّا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ورسول الله محمّد صلى الله عليه وآله ، فإنّ الخلق كلّهم حتّى الأنبياء والملائكة والجنّ والإنس فطموا وقطعوا عن كنه معرفتها والإحاطة بها، فلا يعرفها حقّاً إلّا الله ورسوله ووصيّه عليهما السلام .

ففاطمة الزهراء وديعة المصطفى وحليلة المرتضى مظهر النفس الكلّية على أتمّ الوجوه الممكنة فهي الحوراء بتعيّن إنسي، مطلع الأنوار البهيّة، وضياء المشكاة النبويّة، صندوق الأسرار الإلهيّة، ووعاء المعارف الربّانيّة، عصمة الله الكبرى، وآية الله العظمى.

لا ريب ولا شكّ أنّ فاطمة أحرزت مقام العصمة الإلهيّة الكبرى، كما عليه الإجماع القطعي وذهب إليه الأعاظم من عباقرة العلم والمعرفة، كالشيخ المفيد والسيّد المرتضى.

كما تدلّ الآيات الكريمة والروايات الشريفة على ذلك، يكفيك شاهداً آية التطهير، وما أدراك ما آية التطهير، فمن أنكر ذلك فهو كالأعمى الذي ينكر نور الشمس.

والعصمة من اللطف الإلهي الخاصّ ويعني القوّة النوريّة الملكوتيّة الراسخة في نفس المعصوم عليه السلام ، تعصمه وتحفظه من كلّ شين، كما تزيّنه بكلّ زين، فيعصم من

---

(١) البحار ٤٢ : ١٠٥، عن تفسير الفرات.

الذنوب والمعاصي والآثام والسهو والنسيان والغفلة، وما شابه ذلك، ومن كان معصوماً في دهره لا يصدر منه الشين مطلقاً.

وفاطمة الزهراء عليها السلام إنّها المعصومة بعصمة الله سبحانه، كما عصم أولادها الأئمة الأطهار، فإنّ عصمتهم كعصمة القرآن، فهما الثقلان بعد رسول الله لن يفترقا في كلّ شيء من البداية وحتّى النهاية، ومنها العصمة.

مفطومة من زلل الأهواءِ   معصومةٌ من وصمة الخطاءِ

فهذا من عقيدتنا الحقّة في الزهراء عليها السلام، ولمّا كان الأذان والأقامة للصلوات اليوميّة إعلان وإعلام في بيان العقيدة، ولمّا كانت الحياة عقيدة وجهاد، فلا مانع، بل من الراجح أن يعلن الشيعي المخلص عن عقائده الصحيحة في أذانه وإقامته للصلاة، فيعلن للعالم في كلّ يوم إنّه يؤمن بتوحيد الله، كما يؤمن برسول الله ونبوّته، ويؤمن بولاية عليّ أمير المؤمنين حجّة الله ويؤمن بإمامته وإمامة أولاده الطاهرين، كما يشهد بعصمة الزهراء وطهارتها، أي في أذانه وإقامته، يخبر عن معتقده في المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام. فيقول في أذانه وإقامته بعد الشهادة الثالثة، الشهادة الرابعة لا بقصد الجزئيّة، فنقول فيها ما نقول في الشهادة الثالثة، ولا أظنّ أن يخالفني في ذلك واحد من الفقهاء والعلماء إلّا من يجهل المباني الفقهيّة، وما جاء وراء الفقه من المعاني الدقيقة.

فيجوز أن يقول المؤذّن والمقيم بعد الشهادة الثالثة: (أشهد أنّ فاطمة الزهراء عصمة الله)[1] مرّتان أو مرّة واحدة أو يلحق ذلك بالشهادة الثالثة بعد قوله: (أشهد

---

(١) لقد سبقني في هذا المعنى والفتوى شيخنا الأُستاذ آية الله الشيخ حسن زاده الآملي دام ظلّه في (حكمة عصمتيّة في كلمة فاطميّة: ١٤) قائلاً: كانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ذات

أنّ عليّاً وليّ الله وأنّ فاطمة الزهراء عصمة الله)، فتدبّر.

وممّا يدلّ على مقامها الشامخ وعصمتها الذاتيّة الكلّية كما في الأنبياء والأوصياء عليهم السلام أنّ الله يغضب لغضبها ويرضى لرضاها ـ كما ورد مستفيضاً عند الفريقين السنّة والشيعة ـ فإنّ الله سبحانه لم يغضب لنبيّ من أنبيائه :

﴿ وَإِذْ ذَهَبَ ذا النُّونِ مُغاضِباً فَظَنَّ أنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾.

ولكن يغضب لغضب فاطمة عليها السلام.

ثمّ لا تجد معصوماً تزوّج بمعصومة إلّا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، ولولا عليّ لما كان لفاطمة كفوّ آدم ومن دونه، فإنّ المعصومة لا يتزوّجها إلّا المعصوم، فإنّ الرجال قوّامون على النساء، فلا يكون غير المعصوم قوّاماً على المعصومة، ومن خصائص أمير المؤمنين التي لا يشاركه فيها أحد حتّى رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله هو زواجه من المعصومة فاطمة الزهراء عليها السلام، وهو الزواج المبارك في عالمي التكوين والتشريع، وإنّه من زواج النور من النور، كما ورد في الأخبار، فالمعصومة لا يتزوّجها إلّا المعصوم عليهما السلام.

عصمة بلا دغدغة ووسوسة، وقد نصّ كبار العلماء كالمفيد والمرتضى وغيرهما بعصمتها عليها السلام بالآيات والروايات، والحقّ معهم، والمكابر محجوج ومفلوج، وكانت عليها السلام جوهرة قدسيّة في تعيّنٍ إنسيّ، فهي إنسيّة حوراء، وعصمة الله الكبرى، وحقيقة العصمة، إنّها قوّة نوريّة ملكوتيّة تعصم صاحبها عن كلّ ما يشينه من رجس الذنوب والأدناس والسهو والنسيان ونحوها من الرذائل النفسانيّة... وإذا دريت أنّ بقيّة النبوّة وعقيلة الرسالة ووديعة المصطفى وزوجة وليّ الله وكلمة الله التامّة فاطمة عليها السلام ذات عصمة، فلا بأس بأن تشهد في فصول الأذان والإقامة بعصمتها وتقول مثلاً : (أشهد أنّ فاطمة بنت رسول الله عصمة الله الكبرى)، ونحوها.

وفاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين في الدنيا والآخرة، كما تشهد بذلك آية التطهير والمباهلة وحديث الكساء وأصحابه الخمسة المصطفى والمرتضى وابناهما وفاطمة عليها السلام.

وربّما قدّم في آية المباهلة النساء والأبناء على الأنفس للإشارة إلى أنّ الأنفس فداها.

«فداها أبوها».

وإنّما يعرف هذا وأمثاله بالمعرفة المعنويّة الذوقيّة التي يحصل عليها العارف بالشهود والكشف بعد صيقلة الروح والقلب، لا بالمعرفة المفهوميّة الاستدلاليّة من البرهان والكسب وحسب، وليس العيان كالبيان.

وما يسطّر القلم في معرفة فاطمة إلّا رشحات من بحر معرفتها، وإنّما عرفناها وعرفنا الأئمة الأطهار بما نطق به الثقلان القرآن وأهله، وإلّا فقد فطم الخلق عن كنه معرفتها، فمن يعرفها ويعرف أسرارها؟ وما يقال في هذا المضمار ليس إلّا ما عند الكاتب، لا ما عند المكتوب عنه، فالأسرار الفاطميّة ليس إلّا من سرّ الكاتب وسريرته لا من أسرارها وحقيقتها، فإنّ حقيقة فاطمة عليها السلام حقيقة ليلة القدر، حقيقة الكون وما فيه.

والله سبحانه خلق عالم الملك ـ وهو عالم الناسوت ـ على وزان عالم الملكوت ـ وهو عالم الأرواح ـ، والملكوت على وزان الجبروت ـ وهو عالم العقول ـ، حتّى يستدلّ بالملك على الملكوت، وبالملكوت على الجبروت.

ثمّ بين العالم العلوي والعالم السفلي قوساً نزوليّاً وصعوديّاً، وقد عبّر عن القوس النزولي في نزول فيض الله ورحمته على الكون بالليل والليالي، كما عُبّر عن القوس الصعودي باليوم والأيام.

وعصمة الله فاطمة الزهراء عليها السلام كما عبّر عنها بليلة القدر، كذلك هي يوم الله. والإنسان الكامل هو القرآن الناطق، ففي ليلة القدر نزل القرآن، ونزل أحد عشر قرآناً ناطقاً في فاطمة الزهراء فهي الكوثر، وهي الليلة المباركة، وليلة القدر خيرٌ من ألف شهر، أي ألف مؤمن. فإنّها أمّ الأئمة الأبرار وأُمّ المؤمنين الأخيار، والملائكة من المؤمنين الذين حملوا علوم آل محمّد عليهم السلام وأسرارهم، وروح القدس فاطمة يتنزّلون في ليلة القدر بإذن ربّهم من كلّ أمرٍ سلامٌ هي حتّى مطلع فجر قائم آل محمّد عليهم السلام[1].

وليلة القدر قلب الإنسان الكامل الذي هو عرش الرحمان، وإنّه أوسع القلوب، فروح الأمين في ليلة مباركة يتنزّل بالقرآن فينشرح صدره، فليلة القدر الصدر النبويّ الوسيع، ومثله يحمل القرآن العظيم دفعةً واحدةً في ليلةٍ واحدة، ثمّ طيلة ثلاث وعشرين عاماً ينزل تدريجاً.

فليلة القدر الذي يحمل القرآن دفعة واحدة في معارفه وحقائقه ولطائفه هي فاطمة الزهراء عليها السلام، وما من حرف في القرآن إلّا وله سبعون ألف معنى، وإنّ فاطمة عليها السلام لتعرف كلّ هذه المعاني فمن عرفها حقّ معرفتها فقد أدرك ليلة القدر، فهي القلب اللامع الذي يتجلّى فيه الغيب الجامع.

فهي درّة التوحيد وحقيقة القرآن المجيد، بل وحقيقة النبوّة والإمامة، وما يجمع بينهما وبين التوحيد، أي حقيقة الولاية.

فمن يقدر على الإحاطة بمعرفة فاطمة الزهراء عليها السلام بما هي هي، وبما تحمل في ذاتها وصفاتها من الأسرار وسرّ السرّ، هيهات هيهات، لا يعرفها حقيقة إلّا

---

(١) إذا أردت تفصيل ذلك فراجع (حكمة عصمتية في كلمة فاطميّة).

مصوّرها وبارؤها وأبوها وبعلها عليهما السلام، ولمثلها يقوم خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله إجلالاً ويقبّل صدرها ويدها، ويشمّ منها رائحة الجنّة، ولا يخرج من المدينة حتّى يودّعها ولا يدخل حتّى يسلّم عليها أوّلاً.

وليس كلّ هذا باعتبار العاطفة الأبويّة، بل لما تحمل من الفضائل النبويّة والأسرار العلويّة.

فمن هي؟

هي التي كانت مفروضة الطاعة على جميع الخلق من الجنّ والإنس والطير والوحوش.

هي التي لا يذكر الله الحور العين في كتابه وفي سورة الدهر عندما يذكر منقبة من مناقبها إجلالاً وتكريماً وتعظيماً لها.

هي الكوثر التي خصّها الله بالخلق النوري من بين النساء، وبالمهدي من آل محمّد عليهم السلام، وبالذرّية المباركة الطاهرة، بالحسن والحسين والأئمة المعصومين عليهم السلام.

هي التي اشتقّ اسمها من اسم الله فكان فاطراً وكانت فاطمة، وإنّها صاحبة السرّ المستودع، ولها من المناقب والفضائل ما لا يمكن للبشر أن يحصيها، وإذا كانت ضربة عليّ عليه السلام يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين أو أفضل، فمن يقدر أن يعدّ عبادتهم؟ وفاطمة كفو لعليّ عليهما السلام، فلها ما لعليّ في كلّ شيء إلّا الإمامة، كما كان لعليّ ما لرسول الله إلّا النبوّة.

والمرأة إذا لم تكن نبيّة، فإنّ لها أن تصل إلى مقام الولاية العظمى، فتكون أفضل من الأنبياء كفاطمة الزهراء عليها السلام، فهي حلقة وصل بين النبوّة والإمامة، فهي نور المُهج وحجّة الحجج...

وهي بضعة المصطفى وبهجة قلبه، من سرّها فقد سرّ رسول الله، ومن آذاها

فقد آذى رسول الله، ومن آذى رسول الله فقد آذى الله، ومن آذى الله ورسوله، فعليه لعنة الله أبد الآبدين، وكذلك لمن أغضبها وغضبت عليه، فارجع إلى التأريخ لتعرف على من غضبت فاطمة؟ وماتت وكانت واجدة عليهم؟

أصفاها الله وطهّرها تطهيراً، فهي سيّدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين، وإنّها أوّل من تدخل الجنّة، وتمرّ على الصراط، ومعها سبعون ألف جارية من الحور العين.

هي زينة العرش الإلهي كزوجها الوليّ والوصيّ، وهي أعبد الناس، حبّها ينفع في مئة موطن من المواطن، أيسرها الموت والقبر والميزان والمحشر والصراط والمحاسبة، ومن أحبّها فهو في الجنّة، ومن أبغضها وآذاها فهو في النار.

فالويل كلّ الويل لمن ظلمها وظلم بعلها وذرّيتها وشيعتها، الويل كلّ الويل لمن غصب حقّها وكسر ضلعها وأسقط جنينها ولطم خدّها وأنكر فضلها ومناقبها ومثالب أعدائها.

ثمّ لو تلونا وقرأنا زيارة الجامعة الكبيرة[1] الواردة بسند صحيح عن الإمام الهادي عليه السلام، والتي تعدّ في مضامينها من أفضل وأعظم الزيارات، لوجدنا أنّها تذكر وتبيّن شؤون الإمامة بصورة عامّة، لنعرف الإمام المعصوم عليه السلام بمعرفة مشتركة لكلّ الأئمة الأطهار عليهم السلام، فكلّ واحد منهم ينطبق عليه ما جاء في فقرات الزيارة ومفرداتها.

إلّا أنّ فاطمة الزهراء عليها السلام لا تزار بهذه الزيارة، فلا يقال في شأنها أنّها موضع سرّ الله وخزانة علمه وعيبته، فهذا كلّه من شؤون حجّة الله على الخلق،

---

(١) وردت في مفاتيح الجنان، في قسم الزيارات، فراجع.

وفاطمة الزهراء عليها السلام هي حجّة الله على حجج الله، كما ورد عن الإمام العسكري عليه السلام :

«نحن حجج الله على الخلائق، وأُمّنا فاطمة حجّة الله علينا».

ولهذا يقول صاحب الزمان عجّل الله فرجه الشريف :

«ولي أُسوةٌ بأُمّي فاطمة».

فالأئمة أُسوة الخلق وقادتهم، وفاطمة أُسوة الأئمة عليهم السلام .

إنّها عليها السلام تساوي أبيها في خلقه النوري، وقال في حقّها :

«فاطمة روحي التي بين جنبيّ».

وربما الجنبان إشارة إلى جنب العلم وجنب العمل، فهي تحمل روح النبيّ بعلمه وعمله، وكلّ كمالاته العلميّة والعمليّة إلّا النبوّة، فهي الأحمد الثاني، وهي روحه التي بين جنبيه.

ويحتمل أن يكون إشارة الجنبين إلى النبوّة المطلقة والولاية العامّة، فقد ورد في الخبر النبويّ الشريف :

«ظاهري النبوّة، وباطني الولاية».

مطلقاً التكوينية والتشريعية على كلّ العوالم العلوية والسفلية، السماوية والأرضية. كما ورد :

«ظاهري النبوّة، وباطني غيبٌ لا يدرك».

وأنفسنا في آية المباهلة تجلّت وظهرت وكان مصداقها الخارجي أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ، فالزهراء عليها السلام يعني رسول الله وأمير المؤمنين، فهي مظهر النبوّة والولاية، وهي مجمع النورين : النور المحمّدي والنور العلويّ، وكما ورد في تمثيل نور الله في سورة النور وآيته :

﴿ اللهُ نورُ السَّماوات وَالأرْضِ مَثَلُ نورِهِ كَمِشْكاةٍ ﴾.

بأنّه كالمشكاة، وورد في تفسيرها وتأويلها أنّ المشكاة فاطمة، وفي هذا المشكاة نور رسول الله وأمير المؤمنين عليهما السلام، ثمّ نور على نور وإمام بعد إمام، يهدي الله لنوره من يشاء.

فالنبوّة والإمامة في وجودها النوري، وهذا من معاني (السرّ المستودع فيها)[1]، فهي تحمل أسرار النبوّة والإمامة، كما تحمل أسرار الكون وما فيه، تحمل أسرار الأئمة الأطهار وعلومهم، تحمل أسرار الخلقة وفلسفة الحياة، ولولا مثل هذا المعلول المقدّس لما خلق الله النبيّ والوصيّ كما ورد في الحديث الشريف المعراجي :

« يا أحمد، لولاك لما خلقت الأفلاك، ولولا عليّ لما خلقتك، ولولا فاطمة لما خلقتكما ».

ولا فرق بين الأحد والأحمد إلّا ميم الممكنات التي غرق فيها كلّ شيء... والأُمّ تحمل جنينها وولدها، وفاطمة أُمّ أبيها، فهي تحمل النبيّ في أسرار نبوّته وودائعها، كما تحمل أسرار الممكنات في جواهرها وأعراضها، وبنورها الزاهر ازدهرت السماوات والأرض، فالله الفاطر فطر الخلائق بفاطمة الزهراء وبنورها الأزهر...

ولمثل هذه الخصائص القدسيّة كان النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله يقول : فداها أبوها.

---

(١) كما من معانيه سيّدنا محسن الشهيد بقرينة (وبنيها)، كما جاء في الدعاء : (اللهمّ إنّي أسألك بفاطمة وأبيها وبعلها وبنيها والسرّ المستودع فيها)، فكان المراد من البنين الحسن والحسين لولادتهما وظهورهما في الدعاء، والسرّ المستودع سيّدنا المحسن الشهيد عليه السلام الذي سقط بين الباب والجدار. وليت الكاتب الجليل أشار إلى هذا المعنى في فصل بيان أسرار الدعاء.

مشكـاة نـور الله جـلّ جـلاله زيـستونة عـمّ الورى بـركاتها
هي قطب دائرة الوجـود ونـقطة لمّـا تـنزّلت أكـثر كـثراتهـا
هي أحمد الثاني وأحمـد عـصرها هي عنصر التوحيد في عـرصاتها

فـاطمةً خـيرَ نسـاء البـشر ومـن لهـا وجـه كـوجه القـمرِ
فـضّلك الله عـلى كـلّ الورى بـفضل مـن خـصّ بآيّ الزمـرِ
زوّجك الله فـتىً فـاضلاً أعني عـليّاً خـير مـن في الحـضرِ

وأخيراً عن رسول الله ﷺ، قال:

«فاطمة بهجة قلبي، وابناها ثمرة فؤادي، وبعلها نور بصري، والأئمة من ولدها أُمناء ربّي، وحبله الممدود بينه وبين خلقه، من اعتصم به نجا، ومن تخلّف عنه هوى»[1].

هذا وقد غمرتني الفرحة والبهجة عندما لمست أناملي الدائرة ما خطّه يراع فضيلة مروّج الأحكام حجّة الإسلام الكاتب المعتمد والمؤلف السند الخطيب الكامل الشيخ محمّد فاضل المسعودي دام موفّقاً.

وقد أبدع سماحته في سفره هذا القيّم (الأسرار الفاطميّة)، وملأ فراغاً في المكتبة الإسلامية العربية، من معرفة نورانية حول السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام، بقلم سلس وبيان جميل، وتصوير رائع، وقد حاول أن يؤدّي ما هو الحقّ في كلّ فصل من فصوله، فللّه درّه وعليه أجره، وكثّر الله من أمثاله.

---

(١) فرائد السمطين ٢ : ٦٦.

كان سماحته يحضر عندي كفاية الأُصول وأبحاثنا الفقهيّة ـ خارج الفقه (الاجتهاد والتقليد) ـ ولا يزال بحمد الله يحضر حضور تفهّم واستيعاب في جمع من طلبة العلوم الإسلامية في حوزة قم العلمية من جاليات مختلفة.

وقد سألت الله في سنين من حياتي في ليالي القدر أن يوفّق جميع أهل العلم، لا سيّما أُولئك الذين حضروا عندي دروسهم الحوزوية، أن يوفّقهم لخدمة الدين والمذهب في كلّ المجالات العلمية والعملية، بأقلامهم وألسنتهم، بالتأليف والتصنيف والتدريس والتبليغ والخطابة والإمامة في المحاريب، وغير ذلك من المسؤوليات الدينية والاجتماعية الملقاة على عاتق علماء الدين ورجال العلم، أعزّهم الله في الدارين.

وأرى اليوم مرّةً أُخرى قد أثمرت الجهود، ولم تذهب الأتعاب ضياعاً، بل بين حين وحين تؤتي الشجرة الطيّبة أُكُلها، بل الحوزة المباركة هي البركة والخير المستمرّ والمستقرّ، وإنّها الكوثر العذب والمنهل الصافي والينبوع المتدفّق...

والشيخ الكاتب قد أجاد في هذا الكتاب الرائع بتعريف جملة من أسرار سيّدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام، وما أروع ما كتب وما أجمل ما اختار، لا سيّما وهذه الهجمات المدسوسة بين حين وحين تتغلغل في صفوفنا، من قبل الاستعمار والاستكبار العالمي، ضدّ مقامات أهل البيت عليهم السلام، وفاطمة الزهراء عليها السلام، والعجب أنّها تصدر تارةً من أبناء المذهب، وممّن ينتسب إلى الذرّية الطاهرة!! ليفرّق بيننا ويمزّقنا كي يسود علينا وينهب خيرات بلادنا ومآرب أُخرى.

ألا أنّهم أرادوا أن يطفئوا نور الله، والله متمّ نوره ولو كره المشركون والكافرون، وإنّه يؤيّد دينه برجال تطفح من أقلامهم الإسلامية عبقات الولاء والإخلاص، ويتدفّق منها المودّة الخالصة في قربى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

أسأل الله سبحانه أن يسدّد خطاهم، ويبارك لهم في حياتهم العلمية والعملية، ويوفّقهم لما فيه الخير من طلب العلم النافع والعمل الصالح وخدمة الدين ونشر معارف الإسلام وحقائق المذهب الناصعة.

عهدي إليهم أن لا أنساهم من الدعاء وأملي بهم أن لا ينسوني من صالح دعواتهم الطيّبة.

فطوبى لك يا قرّة العين بما كتبت يراعك المباركة، وستلق الأجر من أُمّنا فاطمة الزهراء عليها السلام، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون، إلّا من أتى الله بقلبٍ سليم، والسلام عليك وعلى أعزّائي طلّاب العلوم الدينية ورجال العلم والفضيلة، وعلى كلّ مؤمن ومؤمنة، ودمتم بخير وسعادة، وتقبّلوا تحيّات

العبد

عادل العلوي

قم المقدّسة ـ الحوزة العلميّة

موسوعة رسالات إسلامية

مائة وأربعون كتاباً ورسالة في مائة مجلد

طبع من الموسوعة الكبرى:

المجلد الأوّل ـ عقائد ١: دروس اليقين في معرفة أُصول الدين.

المجلد الثاني ـ فقه استدلالي ١: ١ ـ زبدة الأفكار في طهارة أو نجاسة الكفار. ٢ ـ التـقية فـي رحاب العلمين. ٣ ـ التقية بين الأعلام.

المجلد الثالث ـ أخلاق ١: ١ ـ طالب العلم والسيرة الأخلاقية. ٢ ـ خصائص القائد الإسلامي في القرآن الكريم. ٣ ـ أخلاق الطبيب في الإسلام. ٤ ـ دور الأخلاق المحمدية في تحكيم مباني الوحدة الإسلامية. ٥ ـ رسالتنا.

المجلد الرابع ـ أخلاق ٢: التوبة والتائبون على ضوء القرآن والعترة.

المجلد الخامس ـ ولائيات ١: ١ ـ هذه هي الولاية. ٢ ـ جلوة من ولاية أهل البيت عليهم السلام.

المجلد السادس ـ ولائيات ٢: ١ ـ وميض من قبسات الحق. ٢ ـ الدر الثمين. ٣ ـ علي المرتضى نقطة باء البسملة. ٤ ـ فاطمة الزهراء ليلة القدر. ٥ ـ الدرة البهية في الأسرار الفاطمية. ٦ ـ الإمام الحسين في عرش الله. ٧ ـ زينب الكبرى زينة اللوح المحفوظ.

المجلد السابع ـ ولائيات ٣: ١ ـ السيرة النبوية في السطور العلوية. ٢ ـ الأنوار القدسية. ٣ ـ أهل البيت سفينة النجاة. ٤ ـ آثار الصلوات في رحاب الروايات. ٥ ـ الإمام المهدي عليه السلام وطول العمر في نظرة جديدة. ٦ ـ الأنفاس القدسية في أسرار الزيارة الرضوية. ٧ ـ السر في آية الاعتصام.

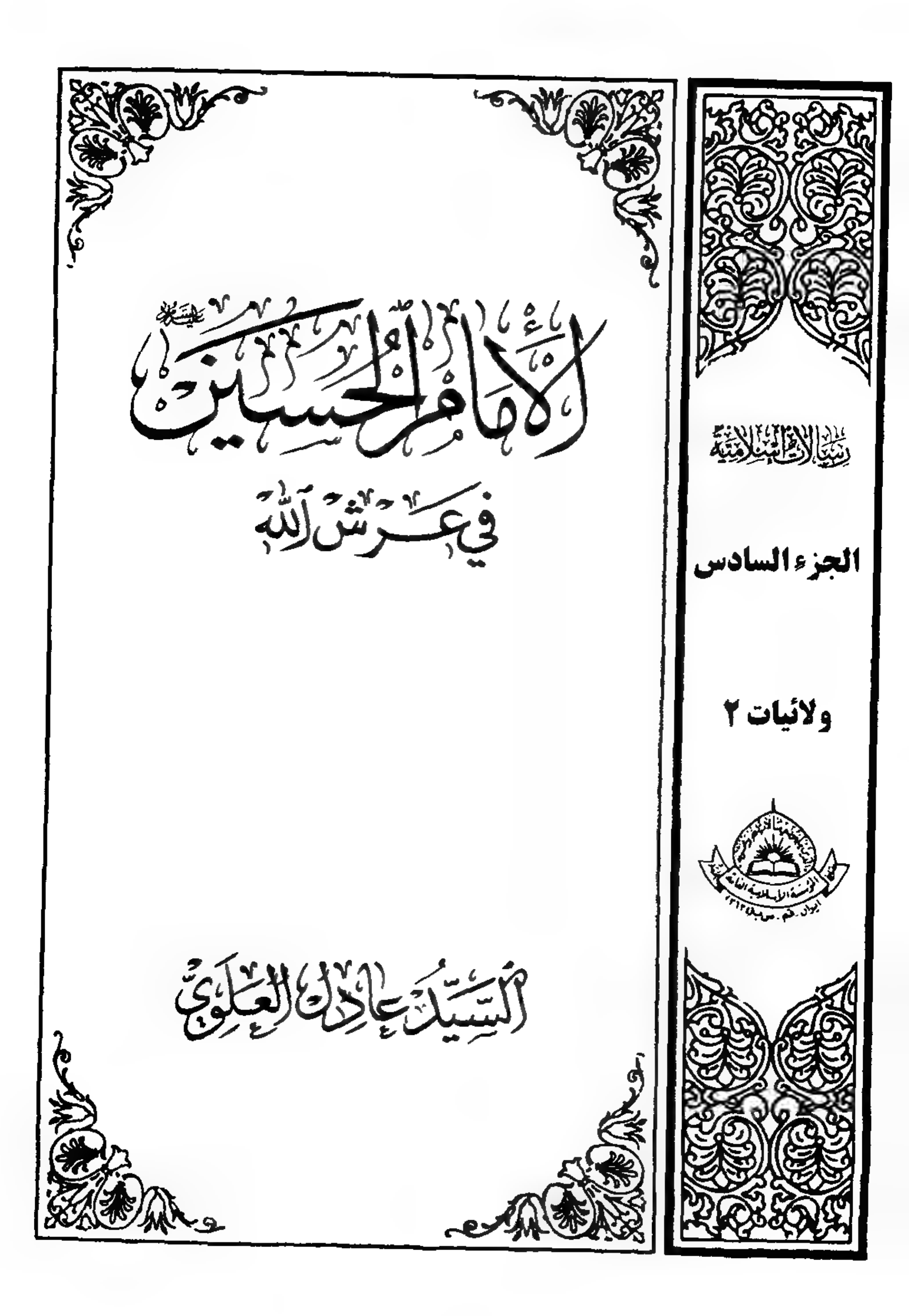
المجلد الثامن ـ فقه استدلالي ٢: القصاص على ضوء القرآن والسنة / المجلد الأوّل.

المجلد التاسع ـ فقه استدلالي ٣: القصاص على ضوء القرآن والسنة / المجلد الثاني.

المجلد العاشر ـ فقه استدلالي ٤: القصاص على ضوء القرآن والسنة / المجلد الثالث.

المجلد الحادي عشر ـ عرفان ـ أخلاق ٢: ١ ـ من وحي التربية والتعليم. ٢ ـ حب الله نماذج وصور. ٣ ـ الذكر الإلهي في المفهوم الإسلامي. ٤ ـ السؤال والذكر في رحاب القرآن والعترة. ٥ ـ شهر رمضان ربيع القرآن. ٦ ـ النبوغ وسر النجاح في الحياة. ٧ ـ كيف أكـون مـوفقاً فـي الحـياة. ٨ ـ معالم الصديق والصداقة في رحاب الروايات.

المجلد الثاني عشر ـ تراجم ١: ١ ـ النفحات القدسية في تراجم أعـلام الكـاظمية. ٢ ـ بـيوتات الكاظمية المقدسة.


الإمام الحسين عليه السلام
في عرش الله
السيد عادل العلوي
رسالات إسلامية
الجزء السادس
ولائيات ٢

علوی، عادل ١٩٥٥ ـ
الإمام الحسين عليه السلام في عرش الله / تأليف السيّد عادل العلوي؛ تصحيح و تعليق إبراهيم الغروي ـ
قم المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد، ١٤١٩ ق = ١٣٧٨
٣٠٣ ص ـ (موسوعة رسالات إسلامية)
ISBN 964 - 91907 - 5 - 9

فهرستنويسى بر اساس اطلاعات فيپا.
عنوان ديگر كتاب الإمام الحسين عليه السلام في عرش الله.
عربى
كتابنامه به صورت زيرنويس
چاپ دوم
١ حسين بن على، امام سوم، ٤ ـ ٦١ ق. الف غروى، إبراهيم، مصحح ب عنوان ج عنوان كتاب
الإمام الحسين (ع) في عرش الله
١٨ الف ٨٢ع / ٤ / ٤١ BP
٢٩٧ / ٩٥٣
كتابخانه ملى ايران
١٥٠٧٣ ـ ٧٨ م

موسوعة

رسالات إسلامية

***
***

كتاب

الإمام الحسين عليه السلام في عرش الله

تأليف ـ السيّد عادل العلوي

تصحيح وتعليق ـ الشيخ إبراهيم الغروي

نشر ـ المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد
إيران، قم، ص. ب ٣٦٣٤
الطبعة الثانية ـ ١٤١٩ هجري قمري
المطبعة ـ النهضة، قم

شابك ٩ ـ ٥ ـ ٩١٩٠٧ ـ ٩٦٤
ISBN 964 - 91907 - 5 - 9
شابك X ـ ١٨ ـ ٥٩١٥ ـ ٩٦٤ (دوره ١٠٠ جلد)
964 - 5915 - 18 - X (100 - Vol. Set)

الإهداء:

إلى حملة العرش الإلهي وأهله.

إليكم سفن النجاة ومصابيح الهدى سادتي وأئمّتي بالحقّ.

إليك يا رسول الله وخير خلقه، وإليكم يا أهل بيته الأطهار فاطمة الزهراء والأئمة الهداة الأبرار عليهم السلام.

منكم وإليكم وإلى شيعتكم المنصورين إلى يوم الدين أُقدّم مجهودي المتواضع هذا برجاء القبول والدعاء والشفاعة في الدنيا والآخرة.

العبد

عادل العلوي

قم المقدّسة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي دلّ أولياءه على ذاته بذاته، وأرشد الخلق على معرفته، وهدى الناس إلى صراطه، والصلاة والسلام على أشرف الكائنات، سيّد المخلوقات، خاتم النبيّين والمرسلين، محمّد المصطفى الأمين، وعلى آله الأئمة المعصومين، خير الورى ومصابيح الهدى، وسفن النجاة وأنوار التقى، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين ومنكري فضائلهم ومقاماتهم إلى قيام يوم الدين.

لا يخفى على ذوي النهى ـ كما عند علماء الأخلاق وأهل المعرفة ـ أنّ القلب سلطان البدن وأميره، وإذا صلُح القلب صلحت الجوارح والجوانح، فإنّ الناس على دين ملوكهم، وعاش الإنسان سعيداً ومات سعيداً.

ومن هذا المنطلق نجد الإسلام قد اهتمّ غاية الاهتمام في دعوته الإصلاحيّة والأخلاقيّة إلى تهذيب القلب وسلامته من الأسقام الروحيّة والأمراض النفسيّة، من الصفات الذميمة والأخلاق المنحطّة، فدعا إلى تخليته من الذمائم والمنكرات والسجايا المكروهة المنبوذة، وتحليته بالصفات الحميدة والأخلاق الطيّبة، ثمّ تجليته وصيقلته ونقاءه حتّى يبلغ قمّة الكمال، وهو الوصول إلى ذي الجلال، والفناء في الله المتعال، والقرب منه قاب قوسين أو أدنى، في مقعد صدق عند مليك مقتدر، فيلق

الله عزّ وجلّ بقلب سليم، ليس فيه سواه جلّ جلاله.

هذا والقلب إنّما يعيش ويخلّد ويسير إلى الله بنور، ولولاه لكان يتخبّط في ظلمات بعضها فوق بعض، فحياته بالنور، وليس العلم بكثرة التعلّم، إنّما العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء الله هدايته[1]. فنور القلب هو العلم، ويرادفه أو يلازمه المعرفة، فالمعرفة نور القلب.

وقال عليه السلام: الإيمان معرفة بالقلب.

والله سبحانه في محكم كتابه ومبرم خطابه يدعوننا إلى الإيمان بقوله تعالى:

﴿ يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا آمِنوا بِاللهِ وَرَسولِهِ ﴾[2].

والإيمان إنّما هو معرفة بالقلب، والمعرفة نور القلب، فالإيمان نوره.

وقال عليه السلام: «المعرفة بنيان النبل».

«المعرفة برهان الفضل».

«المعرفة الفوز بالقدس».

«المعرفة أصل فرعه الإيمان»[3].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ لا تَبْديلَ لِخَلْقِ اللهِ ذٰلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ ﴾[4] قال عليه السلام: «فطرهم الله على المعرفة»[5].

---

(١) حديث نبوي شريف

(٢) النساء: ١٣٦.

(٣) ميزان الحكمة ٦: ١٣٠

(٤) الروم: ٣٠

(٥) البحار ٣: ٢٧٩.

وقال عليه السلام : أيّها الناس، عليكم بالطاعة والمعرفة.

قال الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً ﴾، قال : الحكمة، المعرفة[1].

وقال عليه السلام : «إنّ الحكمة : المعرفة والتفقّه في الدين، فمن فقه منكم فهو حكيم، وما أحد يموت من المؤمنين أحبّ إلى إبليس من فقيه».

وقال عليه السلام : «الحكمة ضياء المعرفة، وميراث التقوى وثمرة الصدق».

قال عليه السلام : «إنّ المعرفة التصديق والتسليم».

قال عليه السلام : «إنّ حقّ المعرفة أن تطيع ولا تعصي، وتشكر ولا تكفر».

«فمن عرف دلّته المعرفة على العمل».

وقال عليه السلام : بعضكم أكثر صلاة من بعض، وبعضكم أكثر حجّاً من بعض، وبعضكم أكثر صدقةً من بعض، وبعضكم أكثر صياماً من بعض، وأفضلكم أفضلكم معرفة[2].

وقال صلى الله عليه وآله : أفضلكم إيماناً أفضلكم معرفة.

وقال الإمام الباقر عليه السلام : لا يقبل عمل إلّا بمعرفة، ولا معرفة إلّا بعمل، ومن عرف دلّته معرفته على العمل، ومن لم يعرف فلا عمل له.

وقال الإمام الصادق عليه السلام : «إنّكم لا تكونون صالحين حتّى تعرفوا، ولا تعرفون حتّى تصدّقوا».

فقيمة الإنسان وعظمته وشموخه في الدنيا والآخرة، إنّما هو بمعرفته، وهي

---

(١) المصدر ٢ : ١٠٠.

(٢) البحار ٣ : ١٤.

التي تدلّه على صالح الأعمال ومرضيّ الأفعال، فطوبى لمن عرف نفسه، فإنّه من عرفها فقد عرف ربّه، ومن عرفه، عرف كلّ شيء، فإنّه سبحانه الوجود المطلق ومطلق الوجود، الجامع لجميع الصفات الكماليّة والجماليّة والجلاليّة.

عن زيد الزرّاد، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: يا بنيّ، اعرف منازل الشيعة على قدر روايتهم ومعرفتهم، فإنّ المعرفة هي الدراية للرواية، وبالدرايات للروايات يعلو المؤمن إلى أقصى درجات الإيمان، إنّي نظرت في كتابٍ لعليّ عليه السلام فوجدت في الكتاب: إنّ قيمة كلّ امرءٍ وقدره معرفته[1].

ومتعلّق المعرفة يختلف باختلاف المصاديق والموارد والمتعلّقات، وربّ معرفة أدّت إلى تظليل ـ كما قالها أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ـ وخير المعارف باعتبار خير المتعلّقات وأشرفها، وهو الله سبحانه، فأوّل المعرفة معرفة الله المبدئ الأوّل، ثمّ المعاد، ثمّ ما بينهما من صفات الله سبحانه وعدله والنبوّة والإمامة، ومعرفة الدين في فروعه وأحكامه وأخلاقه، وكلّ ما يوجب هداية الإنسان ورشده ونجاته في الدارين.

ثمّ المقصود من النبوّات والشرائع السماويّة والوصايا والإمامة كلّها هو إيصال الإنسان إلى تمام المعرفة وكماله النهائي، وكمال الإنسان وتكامله هو فلسفة الحياة وسرّ الخليقة، بأن يكون الإنسان خليفة الله في أرضه تتجلّى فيه أسماء الله وصفاته.

فالإنسان يمتاز عن سائر الكائنات بعلمه ومعرفته:

﴿ الَّذي عَلَّمَ بِالقَلَمِ عَلَّمَ الإنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ ﴾[2].

---

(١) ميزان الحكمة ٦: ١٣٣

(٢) العلق: ٤ ـ ٥

وإنّما سجدت الملائكة لآدم من أجل ذلك:

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾[1].

وإنّما ينال الإنسان المعرفة بما جهّزه خالقه في ظاهره وباطنه من الحسّ والعقل وما يترتّب منهما، وبها يكتسب ما لا يعلمه إطلاقا أو يخرج إلى الفعليّة ما يعلمه بالقوّة من الإدراكات الفطريّة الأوّليّة.

والمعرفة كلّيّ مشكّك لها مراتب طوليّة وعرضيّة، تختلف بالشدّة والضعف، والتقدّم والتأخّر، ولقاحها العلم ودراسته، كما أنّ لقاح العلم التصوّر والفهم ـ كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام[2] ـ.

وقال عليه السلام: «أفضل المعرفة معرفة الإنسان نفسه».

«غاية المعرفة أن يعرف المرء نفسه».

«نال الفوز الأكبر من ظفر بمعرفة النفس»

«من جهل نفسه كان بغيره أجهل».

«لا تجهل نفسك، فإنّ الجاهل بمعرفة نفسه جاهل بكلّ شيء».

«من لم يعرف نفسه بعُد عن سبل النجاة، وخبط في الضلال والجهالات».

«من شغل نفسه بغير نفسه، تحيّر في الظلمات، وارتبك في الهلكات، ولم يعرف نفسه».

«من عرف نفسه كان لغيره أعرف».

«من عرف قدر نفسه لم يهنها بالفانيات».

---

(١) البقرة: ٣١.

(٢) ميزان الحكمة ٦: ٤٥٥

«من عرف نفسه جاهدها، ومن جهل نفسه أهملها».

«من عرف نفسه فقد انتهى إلى غاية كلّ معرفة وعلم».

«من عرف الله توحّد، ومن عرف نفسه تجرّد، ومن عرف الناس تفرّد، ومن عرف الدنيا تزهّد».

«من عرف نفسه فقد عرف ربّه».

«أكثر الناس معرفة لنفسه أخوفهم لربّه».

«ينبغي لمن عرف نفسه أن يلزم القناعة والعفّة ـ أن لا يفارق الحزن والحذر ـ أن لا يفارقه الحذر والندم خوفاً أن تزلّ به عند العلم القدم ـ أن ينزّهها عن دناءة الدنيا».

«الكيّس من عرف نفسه وأخلص أعماله».

«من عرف نفسه جلّ أمره».

«معرفة النفس أنفع المعارف».

«معرفة الله أعلى المعارف».

«لو يعلم الناس ما في فضل معرفة الله عزّ وجلّ ما مدّوا أعينهم إلى ما متّع الله به الأعداء من زهرة الحياة الدنيا ونعيمها، وكانت دنياهم أقلّ عندهم ممّا يطؤونه بأرجلهم، ولنعموا بمعرفة الله جلّ وعزّ، وتلذّذوا بها تلذّذ من لم يزل في روضات الجنان مع أولياء الله، إنّ معرفة الله عزّ وجلّ أنس من كلّ وحشة، وصاحب من كلّ وحدة، ونور من كلّ ظلمة، وقوّة من كلّ ضعف، وشفاء من كلّ سقم».

«ثمرة العلم معرفة الله».

«يسير المعرفة يوجب الزهد في الدنيا».

«من صحّت معرفته انصرفت عن العالم الفاني نفسه وهمّته».

ويقول الإمام الكاظم عليه السلام: «من لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يبصرها ويجد حقيقتها في قلبه»[١].

وفي حديث المعراج يقول الله سبحانه وتعالى: «... فمن عمل برضاني ألزمه ثلاث خصال: أُعرّفه شكراً لا يخالطه الجهل، وذكراً لا يخالطه النسيان، ومحبّة لا يؤثر على محبّتي محبّة المخلوقين، فإذا أحبّني أحببته، وأفتح عين قلبه إلى جلالي، ولا أُخفي عليه خاصّة خلقي، وأُناجيه في ظلم الليل ونور النهار، حتّى ينقطع حديثه مع المخلوقين، ومجالسته معهم، وأُسمعه كلامي وكلام ملائكتي وأُعرّفه السرّ الذي سترته عن خلقي، وأُلبسه الحياء حتّى يستحي منه الخلق كلّهم، ويمشي على الأرض مغفوراً له، وأجعل قلبه واعياً وبصيراً، ولا أُخفي عليه شيئاً من جنّة ولا نار، وأُعرّفه ما يمرّ على الناس في القيامة من الهول والشدّة، وما أُحاسب به الأغنياء والفقراء والجهّال والعلماء، وأُنوّمه في قبره، وأُنزل عليه منكراً ونكيراً حتّى يسألاه ولا يرى غمّ الموت وظلمة القبر واللحد وهول المطلع، ثمّ أنصب له ميزانه وأنشر ديوانه، ثمّ أضع كتابه في يمينه فيقرأه منشوراً ثمّ لا أجعل بيني وبينه ترجماناً، فهذه صفات المحبّين»[٢].

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: من سكن قلبه العلم بالله سكنه الغنى عن خلق الله».

«ينبغي لمن عرف الله سبحانه أن لا يخلو قلبه من رجائه وخوفه طرفة عين».

---

(١) الكافي ١: ١٨.

(٢) ميزان الحكمة ٦: ١٥٢.

«أن يتوكّل عليه».

«كيف لا يشتدّ خوفه».

«غاية المعرفة الخشية».

«أعرف الناس بالله، أعذرهم للناس وإن لم يجد لهم عذراً».

«أكثرهم لله مسألة».

«أرضاهم بقضاء الله عزّ وجلّ».

والعارف حقّاً ما وصفه أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: «العارف من عرفه نفسه فأعتقها ونزّهها عن كلّ ما يبّعدها ويوبقها».

«وجهه مستبشر متبسّم، وقلبه وجلٌ محزون».

«كلّ عارف عازف».

«شخصه مع الخلق وقلبه مع الله، لو سها قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقاً إليه».

«الشوق خلصان العارفين».

«الخوف جلباب العارفين».

«البكاء من خيفة الله عبادة العارفين».

«لكلّ شيء معدن، ومعدن التقوى قلوب العارفين».

هذه نبذة خاطفة من الروايات الشريفة[1] في حقيقة المعرفة ولوازمها ومتعلّقاتها، وددت ذكرها ليقف القارئ الكريم على عظمة المعرفة، وأنّها الأصل

---

(١) نقلت الروايات من كتاب (ميزان الحكمة) ٦: ١٣٠ ـ ١٦٠. وباب المعرفة باب وسيع وبحر عميق، فراجع.

الأصيل، والأساس في كلّ شيء، وقيمة الإنسان في الدنيا والآخرة إنّما بمقدار معرفته، وطوبى لمن عرف قدر نفسه.

فلا بدّ للإنسان أن يعرف نفسه أوّلاً ومن هو ؟

ويعرف ربّه، ومن أين أتى ؟ ومن صانعه ؟

وماذا يراد منه، وأين هو ؟

وما الذي يخرجه عن الدين، وإلى أين يذهب ويرجع ؟

وقد جمع علم الأوّلين والآخرين في هذه الكلمات ـ كما ورد في الأخبار عن الصادقين عليهم السلام ـ.

لا بدّ للإنسان أن يعرف عدوّه الأوّل، وأنّه يريد إخراجه من الدين، فيوسوس له حتّى يغويه، ويضلّ الطريق، ويشق ويهلك في الدنيا والآخرة، فمن هذا العدوّ الخطير الضاري اللعين، الذي غفلنا عنه وهو في المرصاد والكمين ؟ ! هو الشيطان اللعين.

فالمعرفة ضرورة حياتيّة، إن فُقدت فَقَد الإنسان كيانه وحقيقته وإنسانيّته، وكان كالأنعام بل أضلّ سبيلاً، وقلبه كالحجارة أو أشدّ قسوةً وضلالاً.

ثمّ المعرفة من المعاني الإضافيّة بين العارف والمعروف، ولها مراتب ومراحل.

حقيقة المعرفة

المعرفة لغةً:

من عرف، والمعرفة والعرفان إدراك الشيء بتفكير وتدبّر لأثره، وهو أخصّ من العلم، ويضادّه الإنكار، ويقال فلان يعرف الله، ولا يقال فلان يعلم الله، متعدّياً إلى مفعول واحد، لمّا كان معرفة البشر لله هي بتدبّر آثاره دون إدراك ذاته، ويقال: الله يعلم كذا، ولا يقال: يعرف كذا، لمّا كان المعرفة تستعمل في العلم القاصر المتوصّل به بتفكّر، وأصله من عرفت، أي أصبت عَرْفَه أي رائحته، أو من أصبت عَرَفه أي خدّه، يقال: عرفت كذا، قال:

﴿ فَلَمَّا جاءَهُمْ ما عَرَفوا ﴾.

﴿ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرونَ ﴾.

﴿ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسيماهُمْ ﴾.

﴿ يَعْرِفونَهُ كَما يَعْرِفونَ أَبْناءَهُمْ ﴾.

ويضادّ المعرفة الإنكار والعلم والجهل، قال:

﴿ يَعْرِفونَ نِعْمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرونَها ﴾.

وتعارفوا: عرف بعضهم بعضاً، قال:

﴿ لِتَعارَفوا ﴾.

وقال:

﴿ يَتَعارَفونَ بَيْنَهُمْ ﴾.

وعرّفه: جعل له عَرْفاً أي ريحاً طيّباً، قال في الجنّة:

﴿ عَرَّفَها لَهُمْ ﴾.

أي طيّبها وزيّنها لهم، وقيل: عرّفها لهم بأن وصفها لهم وشوّقهم إليها وهداهم[١].

المعرفة اصطلاحاً:

والعارف في المصطلح العرفاني هو المختصّ بمعرفة الله ومعرفة ملكوته، وحسن معاملته تعالى، يقال: عرّفه كذا[٢]. أو الذي يعرف حقائق الأشياء بما هي من خلال الشهود وصيقلة القلب حتّى يكون كالمرآة تنطبع فيه المعارف والعلوم الحقّة.

وفي العلم الحديث يطلق نظرية المعرفة ويراد منها ما يرادف العلم بمعنى درك الجزئيات والكلّيات لا إدراك الجزئيات وحسب.

وقيل: العلم والمعرفة من الأُمور الضروريّة لا تحتاج إلى تعريف، وللعلم تعاريف عديدة بين النقض والإبرام، أشهرها ما عند القدماء من الحكماء بأنّه حصول صورة الشيء عند العقل.

وأُورد عليه إشكالات كما هو مذكور في المطوّلات، فقيل: الأولى في التعريف حضور المعلوم عند العالم بالمباشرة أو بغيرها، وبنظري إضافة قيد (على ما هو عليه) حتّى يخرج الوهم والشكّ بل الظنّ. والعلم من المعاني الإضافيّة المتوقّف على العالم والمعلوم، أو هو واسطة بينهما.

---

(١) مفردات الراغب: ٣٣١.

(٢) مفردات الراغب: ٣٣١.

مراحل المعرفة :

المعرفة كلّي قابل للتشكيك، له مراتب طوليّة وعرضيّة، أُفقيّة وعموديّة، كالنور والوجود، تختلف بالشدّة والضعف وبالأولويّة وما شابه، فطرفا المعرفة -بنظري- عبارة عن المعرفة العرشيّة السماويه، وهي أعلى مراتب المعرفة، وأدناها : المعرفة الفرشيّة الأرضيّة، ومن ثمّ بينهما مراتب لا تعدّ ولا تحصى كالنور الحسّي، فعندنا الشمعة في الأرض، فهي من أدنى الأنوار الأرضيّة، وعندنا الشمس في كبد السماء وهي من أعلى الأنوار السماويّه، وبينهما مراتب طوليّة وعرضيّة، ثمّ من الكلّي المشكّك المعرفة والعلم. وأُمّهات مراحل ومراتب المعرفة، عبارة عن ثلاث مراحل كاليقين، فعند علماء الأخلاق كما هو في القرآن الكريم، أنّ لليقين ثلاث مراحل طوليّة :

أوّلها علم اليقين، وهو يعني تصوّر الشيء وتعقّله، كما لو تصوّرنا النار ورأيناها من بعيد.

ثانيها : عين اليقين، ويعني القرب من الشيء كالقرب من النار حتّى يحسّ بحرارتها.

وثالثها : حقّ اليقين، ويعني لمس الشيء والدخول فيه، كمن يدخل في النار، وتحرقه فيمسّها من كلّ وجوده ومن صميمه، يعلم بها متيقّناً بكلّ مشاعره وأحاسيسه.

والمعرفة كذلك لها ثلاث مراحل : جلال وجمال وكمال.

والمقصود من الأُولى : معرفة الشيء في حدوده وإطاره الخاصّ، والعلم به بما يتميّز عن غيره، فيما به الامتياز، فيجلّ عن الغير ويمتاز في شكله وهندسته

وحدوده الخاصّة، كمن يرى الجبل من بعيد، ويرى عظمته وجلاله، فإنّه يجلّ في هندسته وشكله الظاهري عن غيره، فهذه من المعرفة الجلاليّة الصورية الظاهريّة، وتكون في العقليّات ـ كما في علم المنطق ـ: بالجنس القريب والفصل القريب، ويسمّى بالحدّ التامّ.

والمقصود من الثانية: أن يعرف باطن الشيء، ويصل إلى جوهره، ويدخل في حقيقته ووجوده، فيرى جماله، وقد ورد عن الإمام السجّاد عليه السلام في مناجاته: «اللهمّ أرني حقائق الأشياء كما هي»، فتكون من المعرفة الجماليّة الباطنيّة، وربما الأُولى معرفة الماهيّات، والثانية معرفة الوجود.

والمقصود من الثالثة: أن يقف العارف على غاية الشيء وكماله المطلوب فيه، وكنهه، وحقيفته المغبّاة، فيحيط بما له من الحقائق والواقع ونفس الأمر، فيعرفه معرفة كماليّة وغائيّة.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «من كانت له حقيقة ثابتة، لم يقم على شبهة هامدة، حتّى يعلم منتهى الغاية»[1].

وهذه المراحل يمكن طيّها وسيرها في كلّ الأشياء، فالشريعة السماويّة السمحاء مثلاً، تارة يعرفها الإنسان في حدود أُحكامها من الحلال والحرام، ولم يتعدّاها، بل يقف عند حدّها، فهو عارف بجلال الشريعة.

ومن تمثّلت له الأحكام في بواطنها، ووقف على أسرارها في سلوكه ووجوده، وعرف فلسفتها ـ إن صحّ التعبير ـ فإنّه يقف على جمال الشريعة، كمن كتب في أسرار العبادات كالصلاة والصوم والحجّ، فهذا عارف بجمال الشريعة.

---

(١) ميزان الحكمة ٦: ١٣٢.

ومن رأى الله سبحانه من وراء الشريعة، بقيامها في باطنه وسرّه، وعرف الغاية القصوى من الشريعة، ووقف على كمالها، فإنّه عارف بكمال الشريعة.

وفي المحسوسات ـ من باب تشبيه المعقول بالمحسوس ـ لا بأس أن نضرب مثالاً، وهو: العين الباصرة، فإنّها تكون جليلة النظر في شكلها الظاهري، وجميلة العين في نظرتها النافذة، وكميلة الذات في اجتنابها رؤية المحارم والأجانب، فجلالها في هندستها، وجمالها في نظراتها، وكمالها في تركها الحرام.

وهذه المراحل يمكن جريانها في الوجود والماهيّات، في الواجب والممكنات، كلّ بحسب ما فيه من المقامات والغايات، وربما ما يقوله الصوفيّة من الشريعة والطريقة والحقيقة من هذا الباب، فتأمّل.

وهناك تقسيم آخر للمعرفة كتقسيمها إلى:

١ ـ المعرفة البرهانيّة: التي تعتمد على الاستدلال والبرهان العقلي، كما عند فلاسفة المشّاء، فإنّ فلسفتهم في حركة ومشي من الاستدلالات المتوالية حتّى الوصول إلى الحقيقة بالبرهان العقلي من القياس وما شابه، وهؤلاء أتباع أرسطو والشيخ الرئيس.

٢ ـ المعرفة الشهوديّة: وهي تعني تهذيب النفس وصيقلة القلب حتّى يكون كالمرآة لانطباع صور الأشياء وحقائقها وذواتها، وهي طريقة الإشراقيّين من الحكماء وكذلك العرفاء والصوفيّة. وهؤلاء أتباع أفلاطون وشيخ الإشراق شهاب الدين السهروردي ومحيي الدين العربي.

٣ ـ المعرفة الإيمانيّة: التي تستند على الآيات القرآنيّة الكريمة والأحاديث الشريفة الواردة عن الرسول الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله وعن أهل بيته الأئمة الأطهار عليهم السلام، ومع ثبوتها وإثباتها تكون معصومة من الخطأ والانحراف بخلاف الأخريين، فتدبّر.

كما هناك تقسيمات عديدة للمعرفة، من زوايا متعدّدة، وباعتبارات متفاوتة.

ويبدو لي أنّ الدين الإسلامي، ذلك الذي أخبر الباري سبحانه عنه بقوله تعالى:

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ ديناً ﴾[1].

وقال عزّ وجلّ:

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ ديناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[2].

إنّما يعرف توحيده بمعرفة جلاليّة، فإنّ الله سبحانه إذا أردنا أن نعرفه من باب «من عرف نفسه فقد عرف ربّه» فإنّه نرى العجز والجهل والموت فينا، بل نرى كلّ النقائص، ولا يصحّ أن يكون علّة وجودنا ناقصاً مثلنا، بل لا بدّ من كماله المطلق، فإذا كان الإنسان عاجزاً، فربّه عزّ وجلّ ليس بعاجز، أي إنّه قادر، وإذا كان جاهلاً، فربّه سبحانه ليس بجاهل، فهو العالم، وإذا كان ميّتاً فإنّه لا يموت فهو الحيّ، وهكذا الصفات الأُخرى. فهذه من المعرفة الجلاليّة في التوحيد.

وأمّا المعرفة الجماليّة في الدين فإنّها تتجلّى في النبوّة، فإنّما نعرف الأنبياء وخاتمهم بمعرفة جماليّة، فإنّ النبيّ هو جمال الله في أسمائه الحسنى وصفاته العليا، فهو خليفة الله في أرضه، وهو مظهر جماله والإنسان الكامل وجامع الجمع.

وأمّا المعرفة الكماليّة في الدين، إنّما يكون بعد تمامه وإكماله بالولاية والإمامة، فإنّ من لم يعرف إمام زمانه مات ميتة الجاهليّة، وكان ناقصاً في معرفة توحيده

---

(١) المائدة: ٣.

(٢) آل عمران: ٨٥.

ومعرفة النبوّة، وبالإمام يعرف الله سبحانه بمعرفة الجمال والكمال، فلولا النور العلويّ، ولولا أمير المؤمنين علي عليه السلام وولايته المطلقة التي تمثّل ولاية الله سبحانه، لما تمّ التوحيد ولما كملت النبوّة، فالولاية روح الدين وكماله.

فخلاصة التوحيد في النبوّة، وخلاصة النبوّة في الإمامة، والإمامة كمال النبوّة، والنبوّة كمال التوحيد، والتوحيد جلال الدين، والدين فلسفة الحياة، والحياة عقيدة وجهاد. شعورٌ وشعار، فلسفة وجود وفلسفة عمل، قانون وتطبيق....

ثمّ القرآن الكريم كتاب الله الحكيم، فيه تبيان كلّ شيء، وفيه كلّ المعارف والعلوم، كما يكون كلّ ذلك عند العترة الطاهرة، لعدم افتراقهما ـ الكتاب والعترة ـ في كلّ شيء منذ البداية حتّى النهاية إلى يوم القيامة، وذلك بنصّ حديث الثقلين المتواتر بين الفريقين: «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»[١].

وموضوع رسالتنا هذه[٢] إنّما هو معرفة مولانا وإمامنا سيّد الشهداء الإمام الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام ريحانة رسول الله، وسبطه الأنور، وسيّد شباب أهل الجنّة، وذلك من خلال الحديث المشهور النبويّ الشريف: «إنّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة»، ونحاول أن نعرفه عليه السلام، بمعرفة جماليّة عرشيّة من خلال القرآن الكريم والعترة الطاهرة، والله المستعان وهو الموفّق للسداد والرشاد، عسى أن نوفّق للوصول إلى ساحل بحار كُنه المعرفة.

---

(١) راجع في ذلك رسالتنا (في رحاب حديث الثقلين)

(٢) هذه الرسالة مجموعة محاضرات إسلامية تربويّة ألقيتها في مدرسة الحجّتيّة التابعة للمركز العالمي للدراسات الإسلاميّة

عن المفضل قال: دخلت على الصادق عليه‌السلام ذات يوم فقال لي: يا مفضّل، هل عرفت محمّداً وعليّاً وفاطمة والحسن والحسين عليهم‌السلام كنه معرفتهم؟ قلت: يا سيّدي، وما كنه معرفتهم؟ قال: يا مفضّل، من عرفهم كنه معرفتهم كان مؤمناً في السنام الأعلى ـ أي أعلى مدارج الإيمان ـ قال: قلت: عرّفني ذلك يا سيّدي، قال: يا مفضّل، تعلم أنّهم علموا ما خلق الله عزّ وجلّ وذرأ وبرأ، وأنّهم كلمة التقوى وخزّان السماوات والأرضين والجبال والرمال والبحار، وعلموا كم في السماء من نجم وملك، ووزن الجبال وكيل ماء البحار وأنهارها وعيونها، وما تسقط من ورقة إلّا علموها، ولا حبّة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلّا في كتاب مبين، وهو في علمهم، وقد علموا ذلك، فقلت: يا سيّدي، قد علمت وأقررت به وآمنت، قال: نعم يا مفضّل، نعم يا مكرّم، نعم يا محبور، نعم يا طيّب، طبت وطابت لك الجنّة ولكلّ مؤمن بها[1].

أقول: مثل هذه المعرفة المتعالية لا يكفي العلم بها، بل لا بدّ فيها من العلم والإقرار والإيمان، أي لا بدّ أن تدخل في وجود الإنسان وصميمه فإنّه بعقله يعلم بها، وبلسانه يقرّ بها، وبقلبه يؤمن بها، فلا بدّ من عقد العلم ثمّ عقد الايمان، فحينئذٍ يكرّم عند الله، فإنّه يصل إلى مقام التقوى:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُمْ ﴾[2].

كما يكون مسروراً ويكون محبوراً فرحاً مطمئنّاً قلبه بذكر الله سبحانه، فينال الطيب في الدنيا والآخرة، فيسعد في حياة طيّبة وعيش رغيد، وإلى مثل هذه المعرفة

---

(١) البحار ٢٦ : ١١٧

(٢) الحجرات : ١٣

ندعو الناس على بصيرة وعلم.

وليس كلّ واحد يصل إلى هذه المرحلة من العلم والمعرفة، كما ليس كلّ واحد يكون من أهل النجاة، لا سيّما عند سيّد الشهداء عليه السلام، فليس كلّ واحد يركب سفينته، بل بجذبة وموالاة منه.

عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام إنّ حبابة الوالبيّة كانت إذا وفد الناس إلى معاوية وفدت هي إلى الحسين عليه السلام، وكانت امرأة شديدة الاجتهاد، قد يبس جلدها على بطنها من العبادة، وإنّما خرجت مرّة ومعها ابن عمٍّ لها غلام، فدخلت به على الحسين عليه السلام فقالت له: جعلت فداك، فانظر هل تجد ابن عمّي هذا فيما عندكم وهل تجده ناجياً؟ قال: فقال: نعم نجده عندنا ونجده ناجياً[1].

عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنّه كتب إلى عبد الله بن جندب في رسالة: إنّ شيعتنا مكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم، أخذ الله علينا وعليهم الميثاق، يردون موردنا، ويدخلون مدخلنا، ليس على ملّة الإسلام غيرنا وغيرهم[2].

ولا يخفى أنّ الذين ينسبون إلى أهل البيت الأئمّة الاثنى عشر عليهم السلام، ويتبعون مذهبهم الصائب، وسبيلهم الحقّ، وصراطهم المستقيم، يمكن في مقام معرفتهم ودرجات إيمانهم، أن يقسّموا إلى طوائف ثلاثة[3]:

---

(١) البحار ٢٦ : ١٢٢، عن بصائر الدرجات : ٤٧.

(٢) المصدر، الباب ٧ أنّهم عليهم السلام يعرفون الناس بحقيقة الايمان وبحقيقة النفاق وعندهم كتاب فيه أسماء أهل الجنّة وأسماء شيعتهم وأعدائهم وأنّه لا يزيلهم خبر مخبرٍ عمّا يعلمون من أحوالهم، وفي الباب ٤٠ رواية.

(٣) لقد ذكرت هذا المعنى بالتفصيل في (هذه هي البراءة)، فراجع.

١ ـ الشيعة المخلصين الذين وردت صفاتهم وفضائلهم في الروايات الكثيرة، أنّهم صفر الوجوه من السهر، عمش العيون من البكاء، خمص البطون من الجوع، ذبل الشفاه من الدعاء... وهؤلاء هم الشيعة بالمعنى الأخصّ.

٢ ـ المحبّون الذين زرعوا في قلوبهم محبّة أهل البيت ومودّتهم وأطاعوهم واتّبعوهم، إلّا إنّهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيّئاً.

٣ ـ المعادون لأعدائهم عليهم‌السلام من أجلهم.

وهذا التقسيم استخرجناه من الحديث الشريف: الأصدقاء ثلاثة: صديقك وصديق صديقك وعدوّ عدوّك، والأعداء ثلاثة: عدوّك وصديق عدوّك وعدوّ صديقك.

ثمّ ـ كما ذكرنا ـ إنّ المعرفة ذات مراتب كمراتب النور الحسّي، فمن الشيعة ـ بالمعنى الأعمّ ـ من يحمل أعلى مراتبها ويعلم بكنهها بالبرهان الساطع والدليل القاطع، ومنهم من يحمل أدناها وأولى المراتب، وهم الأكثريّة، والعجب أنّهم يعيبون من يفوقهم بالمعرفة ويعادونهم، فإنّ الناس أعداء ما جهلوا، وذلك لضعف قلوبهم ومعرفتهم وإيمانهم، حتّى يوردون بعض الشبهات التي يلقيها الشيطان ويوحيها إلى أوليائه ليفسد على الناس عقائدهم، كقولهم: كيف يقدم الإمام عليه‌السلام على قتل نفسه؟ وينتهي به الأمر أن يعتقد بأنّ إمامة الحقّ المعصوم والعالم بعلم الله كأئمة الأعداء، فيكسر حجّته ويخصم نفسه ويقصّر في معرفة إمامه، ويُعيب ذلك على من أعطاه الله برهان حقّ المعرفة، والتسليم لأمر الأئمة الأطهار عليهم‌السلام، كما ورد في الخبر الشريف:

ـ عن ضريس الكناسيّ، قال: سمعت أبا جعفر عليه‌السلام يقول وعنده أُناس من أصحابه وهم حوله: إنّي لأعجب من قوم يتولّونا ويجعلونا أئمة ويصفون أنّ طاعتنا

مفترضة عليهم كطاعة الله، ثمّ يكسرون حجّتهم ويخصمون أنفسهم، لضعف قلوبهم فينقصونا حقّنا، ويعيبون ذلك على من أعطاه الله برهان حقّ معرفتنا والتسليم لأمرنا، أترون الله افترض طاعة أوليائه على عباده ثمّ يخفي عليهم أخبار السماوات والأرض ويقطع عنهم موادّ العلم فيما يرد عليهم ممّا فيه قوام دينهم.

فقال له حمران: يا بن رسول الله، أرأيت ما كان من قيام أمير المؤمنين والحسن والحسين وخروجهم وقيامهم بدين الله وما أُصيبوا به من قبل الطواغيت والظفر بهم حتّى قتلوا وغلبوا؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: يا حمران، إنّ الله تبارك وتعالى قد كان قدّر ذلك عليهم وقضاه وأمضاه وحتمه على سبيل الاختيار، ثمّ أجراه عليهم فيتقدّم علم إليهم من رسول الله صلى الله عليه وآله قام علي والحسن والحسين عليهم السلام، وبعلم صمت من صمت منّا، ولو أنّهم يا حمران حيث نزل بهم ما نزل من ذلك، سألوا الله أن يدفع عنهم وألحّوا عليه في إزالة ملك الطواغيت وذهاب ملكهم، لزال أسرع من سلك منظوم انقطع فتبدّد، وما كان الذي أصابهم لذنب اقترفوه ولا لعقوبة معصية خالفوا فيها، ولكن لمنازل وكرامة من الله أراد أن يبلّغهم إيّاها فلا تذهبنّ بك المذاهب فيهم[1].

ـ عن صالح بن عقبة الأسدي، عن أبيه، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يقولون بأمر ثمّ يكسرونه ويضعّفونه، يزعمون أنّ الله احتجّ على خلقه برجل، ثمّ يحجب عنه علم السماوات والأرض، لا والله لا والله لا والله، قلت: فما كان من أمر هؤلاء الطواغيت وأمر الحسين بن عليّ عليهما السلام؟ فقال: لو أنّهم ألحّوا فيه على الله لأجابهم الله، وكان يكون أهون من سلك فيه خرز انقطع فذهب، ولكن كيف؟ إنّا

---

(١) البحار ٢٦ : ١٥٠، عن الخرائج والجرائح : ٢٥٥.

إذاً نريد غير ما أراد الله[1].

قال الراوندي ﷺ بعد إيراد الخبر: يعني أنّ الله لم يرد ذلك إلجاءً واضطراراً، وإنّما أراد أن يكون ذلك اختياراً، فإنّ الإلجاء ينافي التكليف، وكذلك نحن نريد مثل ذلك، ولا نخالف الله.

فما يفعله الإمام عليه السلام إنّما بعلم الله وإرادته لمصالح تشريعيّة وتكوينيّة، يعلمها الله والراسخون في العلم، وإنّ الإمام عليه السلام بمنزلة البحر الزاخر، لا ينفد ما عنده، وعجائبه أكثر من ذلك، كما ورد في الخبر الشريف:

عن عليّ بن أبي حمزة، قال: كنت عند أبي الحسن عليه السلام إذ دخل عليه ثلاثون مملوكاً من الحبش ـ السودان ـ وقد اشتروهم له، فكلّم غلاماً منهم وكان من الحبش جميل فكلّمه بكلامه ساعة حتّى أتى على جميع ما يريد وأعطاه درهماً، فقال: أعطِ أصحابك هؤلاء كلّ غلام منهم كلّ هلال ـ شهر ـ ثلاثين درهماً ثمّ خرجوا.

فقلت: جعلت فداك، لقد رأيتك تكلّم هذا الغلام بالحبشيّة فماذا أمرته؟ قال: أمرته أن يستوصي بأصحابه خيراً، ويعطيهم في كلّ هلال ثلاثين درهماً، وذلك أنّي لمّا نظرت إليه علمت أنّه غلام عاقل من أبناء ملكهم، فأوصيته بجميع ما أحتاج إليه، فقبل وصيّتي ومع هذا غلام صدق.

ثمّ قال: لعلّك عجبت من كلامي إيّاه بالحبشيّة، لا تعجب فما خفي عليك من أمر الإمام أعجب وأكثر، وما هذا من الإمام في علمه إلّا كطير أخذ بمنقاره من البحر قطرة من ماء، أفترى الذي أخذ بمنقاره نقص من البحر شيئاً؟

قال: فإنّ الإمام بمنزلة البحر لا ينفد ما عنده وعجائبه أكثر من ذلك، والطير

---

(١) المصدر، والمرجع.

حين أخذ من البحر قطرة بمنقاره لم ينقص من البحر شيئاً، كذلك العالم لا ينقصه علمه شيئاً ولا تنفد عجائبه[١].

فلا بدّ لنا أن نعرف الإمام عليه السلام حقّ المعرفة وتمامها، فبالمعرفة الكاملة يتقرّب الإنسان إلى قاب قوسين أو أدنى، وينال الدرجات العلى:

﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذينَ آمَنوا مِنْكُمْ وَالَّذينَ أُوتوا العِلْمَ دَرَجاتٍ ﴾[٢].

ولا يخفى أنّ فلسفة الحياة وسرّ الخليقة هو كمال الإنسان[٣]، وكماله إنّما هو بمعرفته، ومن تمام المعرفة أن يعرف إمام زمانه كما ورد في الخبر الشريف:

عن الصدوق بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: خرج الحسين بن عليّ عليهما السلام على أصحابه فقال: أيّها الناس إنّ الله جلّ ذكره ما خلق العباد إلّا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة ما سواه، فقال له رجل: يا بن رسول الله، بأبي أنت وأمّي، فما معرفة الله؟ قال: معرفة أهل كلّ زمان إمامهم الذي يجب عليهم طاعته.

قال الله تعالى:

﴿ ما خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إلّا لِيَعْبُدونِ ﴾[٤].

قال الإمام الباقر عليه السلام: أي ليعرفون.

فلا عبادة إلّا بمعرفة، ولا معرفة إلّا بعبادة، فهما متلازمان كتلازم الزوجيّة

---

(١) البحار ٢٦: ١٩١، عن قرب الإسناد: ١٤٤.

(٢) المجادلة: ١١.

(٣) ذكرت تفصيل ذلك في (سرّ الخليقة وفلسفة الحياة)، وهو مطبوع، فراجع.

(٤) الذاريات: ٥٦.

والأربعة. أو كوجهي العملة الواحدة.

ولا يخفى أنّ المعرفة الأرضيّة الفرشيّة تختلف عن المعرفة السماويّة العرشيّة، وبينهما بون واسع، ربما يمكن بيانه من خلال هذا الخبر الشريف الوارد في عدم جواز رؤية الله سبحانه بالبصر، لا في الدنيا ولا في الآخرة، خلافاً للمشبّهين الملحدين القائلين بجواز رؤيته في القيامة وأنّه يرى وجهه كفلقة قمر ليلة بدره، وكأصحاب التيمي والعدوي، كما يشير إلى ذلك المحقّق الفيض الكاشاني في كتابه القيّم (الحقائق)[1].

ثمّ ـ كما ذكرنا ـ رفع درجات الإنسان يوم القيامة إنّما هو بالمعرفة التامّة، فقد ورد في الخبر الشريف: «اقرأ وارقأ» أي اقرأ القرآن الكريم وارقأ الدرجات، والمراد من القراءة هنا ليس التلاوة، فإنّه ـ كما ورد في الخبر الشريف ـ «ربّ تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه»، وهذا يعني أنّ من يقرأ القرآن ولم يعمل بآياته، من يقرأ آية الخمس مثلاً ولم يخمّس أمواله، فإنّ القرآن يلعنه، فالرقيّ للقراءة التي تعني العمل بالآيات الكريمة، ولا عمل إلّا بالمعرفة، فالقراءة الموجبة لرفع المقام، تلك التي تكون مقارنة للمعرفة، ومن ثمّ العمل الصالح.

ولـمّا كان أمر الأئمّة الأطهار عليهم السلام من الصعب المستصعب الذي لا يتحمّله إلّا ملكٌ مقرّب أو نبيٌّ مرسل أو مؤمنٌ امتحن الله قلبه بالإيمان.

وإنّما ينجح في الابتلاء ويفوز في الامتحان قليل من الناس:

﴿ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ ﴾[2].

---

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين: ٥٤، عن علل الشرائع: ٩.

(٢) سبأ: ١٣.

قال الإمام الحسين عليه السلام : «الناس عبيد الدنيا والدين لعقٌ على ألسنتهم، يحوطونه أينما درّت معائشهم، فإذا محّصوا بالبلاء قلّ الديّانون».

نستنتج من تلك المقدّمات أنّ من يعرف الإمام حقّ المعرفة إنّما هو قليل من أهل الدين، ويكون الرقيّ وشموخ المنزلة ورفعة المقام في الدنيا والآخرة، لمن كان تامّ المعرفة، كامل العلم، سليم القلب، منشرح الصدر، متخلّق بأخلاق الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام.

وقصدنا من هذه الرسالة الموجزة دعوة الناس إلى معرفة الإمام الحسين عليه السلام في عرش الله، إحياءً لأمرهم عليهم السلام، عن مولانا الإمام الرضا عليه السلام : رحم الله عبداً أحيا أمرنا، فقيل له : كيف يُحيا أمركم ؟ قال : يتعلّم علومنا ويعلّمها الناس، فإنّ الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتّبعونا[1].

فما ذكرناه إنّما هو طرف من محاسن الكلام، عسى أن يصل إلينا منه بصيص من أنوار معرفتهم الكاملة، ومعارفهم الحقّة، وعلومهم الإلهيّة، والله المعين والمسدّد للصواب، والهادي إلى سواء السبيل.

ويقع الكلام في فصول وخاتمة.

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ٢١٧.

الفصل الأوّل

العرش لغةً واصطلاحاً

من حسن الدخول في موضوع علميّ، أن نعرف أوّلاً المفردات والعناوين البارزة والأوّلية في ذلك الموضوع، وذلك من خلال المعاني اللغوية التي يتكفّل ببيانها وشرحها المعاجم والمقاييس اللغوية، التي ترجع إلى بيان وضع الواضع الأوّل، وما هو المعنى الحقيقي الموضوع له.

ثمّ تنقل تلك الألفاظ بتحمّل ومجاز إلى معاني جديدة، يصطلحها جماعة خاصّة أو قوم لأنفسهم.

وربما يكون ذلك من دون علاقة مع المعنى اللغوي الأوّل، ويسمّى بالنقل غير المألوف، وربما يكون مع ارتباط بالمعنى الأوّل بعلاقة العامّ والخاصّ، بمعنى أن يكون المعنى الأوّل عامّاً ينتقل إلى خاصّ كما هو الغالب أو بالعكس، ويسمّى بالنقل المألوف.

فلا بدّ أوّلاً أن نعرف كلمة (العرش) الوارد في الخبر الشريف، وذلك من خلال المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، باعتبار لغة القرآن الكريم والأحاديث الشريفة الواردة عن الرسول الأكرم ﷺ وعن أهل بيته الأئمة الهداة عليهم السلام، ثمّ ندخل في صلب الموضوع.

العرش لغةً :

من عَرَش يعرش، والعرش في الأصل شيء مسقف، وجمعه عروش. قال سبحانه :

﴿ وَهِيَ خاوِيَةٌ عَلىٰ عُروشِها ﴾.

ومنه قيل : عرشت الكَرْم وعرشته إذا جعلت له كهيئة سقف، وقد يقال لذلك المعرّش. قال :

﴿ مَعْروشاتٍ وَغيرِ مَعْروشات ﴾.

﴿ وَمِنَ الشَّجَرِ وَما يَعْرُشونَ ﴾.

﴿ وَما كانوا يَعْرُشونَ ﴾.

قال أبو عبيدة : يبنون. واعترش العنب ركّب عرشه، والعرش شبه هودج للمرأة شبيهاً في الهيئة بعرش الكرم، وعرشت البئر جعلت له عريشاً.

وسمّي مجلس السلطان عرشاً اعتباراً بعلوّه، قال :

﴿ وَرَفَعَ أبَوَيْهِ عَلىٰ العَرْشِ ﴾.

﴿ أيُّكُمْ يَأتيني بِعَرْشِها ﴾.

﴿ نَكِّروا لَها عَرْشَها ﴾.

﴿ أهٰكَذا عَرْشُكِ ﴾.

وكنّي به عن العزّ والسلطان والمملكة، قيل : فلان ثلّ عرشه، أي ذهب سلطانه، وعرش الله : ما لا يعلمه البشر على الحقيقة إلّا بالإسم، وليس كما تذهب إليه أوهام العامّة، فإنّه لو كان كذلك لكان حاملاً له ـ تعالى عن ذلك ـ لا محمولاً، والله يقول :

﴿ إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّماواتِ وَالأَرضَ أن تَزولا وَلَئِنْ زالَتا إِنْ أَمْسَكَهُما مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ﴾.

وقال قوم: هو الفلك الأعلى والكرسي فلك الكواكب، واستدلّ بما روي عن رسول الله ﷺ: «ما السماوات السبع والأرضون السبع في جنب الكرسيّ إلّا كحلقة ملقاة في أرض فلاة، والكرسي عند العرش كذلك، وقوله:

﴿ وَكانَ عَرْشُهُ عَلىٰ الماءِ ﴾

تنبيه أنّ العرش لم يزل منذ أُوجد مستعلياً على الماء، وقوله:

﴿ ذو العَرْشِ المَجيدِ ﴾.

﴿ رَفيعُ الدَّرَجاتِ ذو العَرْشِ ﴾.

وما يجري مجراه، قيل هو إشارة إلى مملكته وسلطانه لا إلى مقرّ له يتعالى عن ذلك[1].

قوله:

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلىٰ العَرْشِ ﴾.

العرش: سرير الملك، ومنه قوله:

﴿ أَهٰكَذا عَرْشُكِ ﴾.

قال المفسّر في قوله: ﴿ أَهٰكَذا ﴾ أربع كلمات حرف الاستفهام وحرف التنبيه وكاف التشبيه واسم الإشارة، أي مثل هذا عرشك، ولم يقل أهذا عرشكِ لئلّا يكون تلقيناً، قالت: ﴿ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾ ولم تقل هو هو ولا ليس به، وذلك من رجاحة عقلها إذ لم تقطع في موضع الاحتمال.

---

(١) مفردات الراغب: ٣٢٩.

قوله: ﴿ يَعْرُشونَ ﴾ أي يبنون.

قوله: ﴿ مَعْروشاتٍ وَغيرِ مَعْروشات ﴾ أي مرفوعات على تحمّلها، يقال: عرشت الكرم، إذا جعلت تحته قصباً وأشباهه لتميد عليه، وغير معروشات من سائر الشجر الذي لا يعرش.

والعريش: ما يستظلّ به، يبنى من سعف النخل مثل الكوخ، فيقيمون فيه مدّة إلى أن يصرم النخل، ومنه عريش كعريش موسى عليه السلام في حديث مسجد الرسول صلى الله عليه وآله حين ظلل.

والعريش: خيمة من خشب، والجمع عُرُش مثل قليب قُلُب. قال الجوهري: ومنه قيل لبيوت مكّة: العرش؛ لأنّها عيدان تنصب ويظلّل عليها، وفي الحديث: «كان يقطع التلبية إذا نظر إلى عُرُش مكّة» أي إلى بيوتها، وكان ذلك قبل معاوية[1].

عرش: العرش: سرير المَلِك، يَدلّك على ذلك سرير ملكة سبأ، سمّاه الله عزّ وجلّ عرشاً.

والعرش: البيت وعرش البيت سقفه...

والعرش أيضاً الخشبة.

والعرش الملك، ثُلّ عرشه هدم ما هو عليه من قوام أمره وقيل: وَهَى أمره وذهب عزّه.

والعرش أربعة كواكب صغار ـ أسفل من العوّاء ـ يقال: إنّها عجز الأسد.

---

(١) مجمع البحرين ٤: ١٤٢.

والعريش ما يستظلّ به.

وعرش البئر طيّها بالخشب.

وظهر القدم العرش...»[١].

وقال الشيخ المفيد ﷺ: العرش في اللغة هو الملك، قال:

إذا ما بنو مروان ثلّت عروشهم وأودت كما أودت أياد وحميرُ

يريد: إذا ما بنو مروان هلك ملكهم وبادوا.

وقال آخر:

أظننت عرشك لا يزول ولا يغيّر؟ يعني: أظننت ملكك لا يزول ولا يغيّر؟

وقال الله تعالى مخبراً عن ملكة سبأ:

﴿ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾.

يريد: ولها ملك عظيم.

فعرش الله تعالى هو ملكه، وهو استيلاؤه على الملك، والعرب تصف الاستيلاء بالاستواء، قال:

قد استوى شرّ على العراق من غير سيفٍ ودمٍ مراق

يريد به: قد استولى على العراق.

انتهى كلامه.

أقول:

الظاهر أنّه وقع خلط بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، فإنّ العرش لغةً ـ كما مرّ ـ ليس بمعنى الملك، بل بمعنى السرير الذي يجلس عليه المَلِك.

---

(١) لسان العرب ٩: ١٣٣.

العرش اصطلاحاً :

نعم العرش اصطلاحاً : يطلق على الملك وما شابه ذلك من باب التجوّز والكناية لعلاقة المشارفة أو الملازمة، فإنّ الملك لمّا يجلس على كرسيّه الذي يسمّى بالعرش، كما هو المراد في قصّة بلقيس وسليمان وتفسّره الآيات في سورة النمل، فكان السلطان الملك يملك الرقاب والأملاك ويستولي عليها بحكومته ودولته، فكأنّما العرش ملازم أو مشرف على تصرّفه الملكي الرئاسي، فيطلق العرش اصطلاحاً على الملك والعزّة والسلطنة وما شابه ذلك تجوّزاً، فنقل من معنى عامّ إلى معنى خاصّ كما جاء في القرآن الكريم والروايات الشريفة ذلك، فتدبّر.

الفصل الثاني

العرش في القرآن الكريم

لقد وردت كلمة (العرش) ومشتقّاتها في القرآن الكريم في ٣٣ موضعاً، بعضها بالمعنى اللغوي، وبعضها بمعنى جديد، وهو عرش الله عزّ وجلّ.

فمن الأوّل:

قوله تعالى في قصّة بلقيس ملكة سبأ مع النبيّ سليمان في سورة النمل في قوله تعالى:

﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقالَ ما لِيَ لا أرىٰ الهُدْهُدَ أمْ كانَ مِنَ الغائِبينَ لأُعَذِّبَنَّهُ عَذاباً شَديداً أوْ لأَذْبَحَنَّهُ أوْ لَيَأتيني بِسُلْطانٍ مُبينٍ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعيدٍ فَقالَ أحَطتُ بِما لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقينٍ إنِّي وَجَدْتُ امْرَأةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَها عَرْشٌ عَظيمٌ... قالَ يا أيُّها المَلأ أيُّكُمْ يَأتيني بِعَرْشِها قَبْلَ أنْ يَأتوني مُسْلِمينَ قالَ عِفْريتٌ مِنَ الجِنِّ أنا آتيكَ بِهِ قَبْلَ أنْ تَقومَ مِنْ مَقامِكَ وَإنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أمينٌ قالَ الَّذي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتابِ أنا آتيكَ بِهِ قَبْلَ أنْ يَرْتَدَّ إلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِنْدَهُ قالَ هٰذا مِنْ فَضْلِ رَبِّي... قالَ نَكِّروا لَها عَرْشَها... أهٰكَذا عَرْشُكِ قالَتْ كَأنَّهُ هُوَ... ﴾[1].

---

(١) النمل: ٢٠ ـ ٤٢.

وقوله تعالى في قصّة فرعون:

﴿ وَدَمَّرْنا ما كانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَما كانوا يَعْرُشونَ ﴾[١].

وقوله تعالى في خطابه مع النحل:

﴿ أنِ اتَّخِذي مِنَ الجِبالِ بُيوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمّا يَعْرُشونَ ﴾[٢].

وفي قصّة يوسف مع أبويه وإخوته بعد اللقاء في قوله تعالى:

﴿ وَرَفَعَ أبَوَيْهِ عَلى العَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً ﴾[٣].

وفي قصّة شعيب وسؤاله عن إحياء الأموات:

﴿ أوْ كَالَّذي مَرَّ عَلى قَرْيَةٍ وَهِيَ خاوِيَةٌ عَلىٰ عُروشِها ﴾[٤].

وفي وصف البساتين وما فيها في قوله تعالى:

﴿ وَهُوَ الَّذي أنْشَأ جَنّاتٍ مَعْروشاتٍ وَغَيْرَ مَعْروشاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ ﴾[٥].

وفي قصّة المحاورة بين المؤمن والكافر:

﴿ فَأصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلىٰ ما أنْفَقَ فيها وَهيَ خاوِيَةٌ عَلىٰ عُروشِها ﴾[٦].

وفي قوله تعالى:

---

(١) الأعراف: ١٣٧.

(٢) النحل: ٦٨.

(٣) يوسف: ١٠٠.

(٤) البقرة: ٢٥٩.

(٥) الأنعام: ١٤١.

(٦) الكهف: ٤٢.

﴿ وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خاوِيَةٌ عَلىٰ عُروشِها ﴾[١].

ومن الثاني المصطلح في لغة القرآن الكريم، فإنّه سبحانه يذكر عرشه، تارةً باعتبار استوائه عليه، وأُخرى بوصفه أنّه صاحب العرش وربّه، وثالثةً باعتبار حمّالة العرش من الملائكة وغيرهم.

فمن الأوّل قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوى عَلى العَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ ﴾[٢].

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوىٰ عَلى العَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ ﴾[٣].

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوىٰ عَلى العَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ كُلٌّ يَجْري لأَجَلٍ مُسَمًّىً ﴾[٤].

﴿ الرَّحْمٰنُ عَلى العَرْشِ ٱسْتَوىٰ ﴾[٥].

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوىٰ عَلى العَرْشِ الرَّحْمٰنُ فَسْئَلْ بِهِ خَبيراً ﴾[٦].

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوىٰ عَلى العَرْشِ ما لَكُمْ مِنْ دونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا شَفيعٍ ﴾[٧].

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوىٰ عَلى العَرْشِ يَعْلَمُ ما يَلِجُ في الأَرْضِ وَما يَخْرُجُ مِنْها ﴾[٨].

---

(١) الحجّ: ٤٥.

(٢) الأعراف: ٥٤.

(٣) يونس: ٣.

(٤) الرعد: ٢.

(٥) طه: ٥.

(٦) الفرقان: ٥٩.

(٧) السجدة: ٤.

(٨) الحديد: ٤.

ومن الثاني:

﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾[١].

﴿ إِذاً لابْتَغَوْا إِلىٰ ذي الْعَرْشِ سَبيلاً ﴾[٢].

﴿ فَسُبْحانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفونَ ﴾[٣].

﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّماواتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظيمِ ﴾[٤].

﴿ فَتَعالى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلـٰهَ إِلّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَريمِ ﴾[٥].

﴿ اللهُ لا إِلـٰهَ إِلّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظيمِ ﴾[٦].

﴿ رَفيعُ الدَّرَجاتِ ذو الْعَرْشِ ﴾[٧].

﴿ سُبْحانَ رَبِّ السَّماواتِ وَالأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفونَ ﴾[٨].

﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسولٍ كَريمٍ ذي قُوَّةٍ عِنْدَ ذي الْعَرْشِ مَكينٍ ﴾[٩].

﴿ وَهُوَ الْغَفورُ الْوَدودُ ذو الْعَرْشِ الْمَجيدِ ﴾[١٠].

---

(١) التوبة: ١٢٩.

(٢) الإسراء: ٤٢.

(٣) الأنبياء: ٢٢.

(٤) المؤمنون: ٨٦.

(٥) المؤمنون: ١١٦.

(٦) النمل: ٢٣.

(٧) غافر: ١٥.

(٨) الزخرف: ٨٢.

(٩) التكوير: ٢٠.

(١٠) البروج: ١٥.

ومن الثالث:

﴿ وَتَرى المَلائِكَةَ حافِّينَ مِنْ حَوْلِ العَرْشِ ﴾[١].

﴿ الَّذينَ يَحْمِلونَ العَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾[٢].

﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ ﴾[٣].

هذا إجمال ما أردنا بيانه من جملة الآيات الكريمة التي وردت في القرآن الكريم بلفظ العرش ومشتقّاته، لغةً واصطلاحاً، وأمّا التفصيل فيتبيّن من المباحث الآتية.

---

(١) الزمر: ٧٥.

(٢) غافر: ٧.

(٣) الحاقّة: ١٧.

الفصل الثالث

العرش العلمي

قال الله تعالى في كتابه العظيم :

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحيمِ سَبَّحَ للهِ ما في السَّماواتِ وَالأرْضِ وَهُوَ العَزيزُ الحكيمُ لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَالأرْضِ يُحْيي وَيُميتُ وَهُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظّاهِرُ وَالباطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَليمٌ هُوَ الَّذي خَلَقَ السَّماواتِ وَالأرْضَ في سِتَّةِ أيّامٍ ثُمَّ اَسْتَوىٰ عَلى العَرْشِ يَعْلَمُ ما يَلِجُ في الأرْضِ وَما يَخْرُجُ مِنْها وَما يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ وَما يَعْرُجُ فيها وَهُوَ مَعَكُمْ أيْنَ ما كُنْتُمْ وَاللهُ بِما تَعْمَلونَ بَصيرٌ لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَالأرْضِ وَإلى اللهِ تُرْجَعُ الأُمورُ يولِجُ اللَّيْلَ في النَّهارِ وَيولِجُ النَّهارَ في اللَّيْلِ وَهُوَ عَليمٌ بِذاتِ الصُّدورِ آمِنوا بِاللهِ وَرَسولِهِ وَأنْفِقوا مِمّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفينَ فيهِ فَالَّذينَ آمَنوا مِنْكُمْ وَأنْفَقوا لَهُمْ أجْرٌ كَبيرٌ ﴾[1].

سورة الحديد هي سورة الإيمان ونوره في القلوب، والإنفاق والقرض الحسن في سبيل الله، والزهد في الدنيا، والعدالة الاجتماعية وحكومة التقوى في الحياة.

وفي صدرها يبيّن الله سبحانه ـ لأُولئك القوم الذين يتعمّقون كما ورد في الخبر

---

(١) الحديد : ١ ـ ٧.

الشريف ـ بعض أسمائه الحسنى فهو العزيز الحكيم المالك المحيي والمميت والقادر والأوّل والآخر والظاهر والباطن والعليم والخالق والمحيط والبصير.

وبمثل هذه الصفات الأزليّة الأبديّة والسرمديّة، استوى واستولى على عرش العلم كلّه، فهو سبحانه يعلم ما في الأرض وما في السماء، وهو معنا، فإنّا في محضر الله سبحانه، وهو السميع البصير بكلّ ما يفعله الإنسان، وهو العليم بذات الصدور من النوايا والخفايا، فله ملك السماوات والأرض، فهو المالك على الإطلاق، وإليه ترجع الأُمور كلّها، وأزمّتها طرّاً بيده.

فعرش الله علمه الذي يسع كلّ شيء.

يقول شيخنا الصدوق تيّرُّ في الاعتقادات: اعتقادنا في الكرسي أنّه وعاء جميع الخلق من العرش والسماوات والأرض وكلّ شيء خلق الله تعالى في الكرسي، وفي وجه آخر الكرسي هو العلم.

وقد سئل الصادق عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماواتُ وَالأَرْضُ ﴾، قال: علمه.

وقال تيّرُّ: وأمّا العرش الذي هو العلم فحملته أربعة من الأوّلين، وأربعة من الآخرين، فأمّا الأربعة من الأوّلين: فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ـ وهم أنبياء أُولي العزم أصحاب الرسالات العالمية في زمانهم ـ وأمّا الأربعة من الآخرين فمحمّد ـ من أنبياء أُولي العزم ورسالته خالدة إلى يوم القيامة وناسخة الأديان السابقة ـ وعلي والحسن والحسين عليهم السلام. هكذا روى بالأسانيد الصحيحة عن الأئمة عليهم السلام في العرش وحملته.

وإنّما صار هؤلاء حملة العرش الذي هو العلم، لأنّ الأنبياء الذين كانوا قبل نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله على شرائع الأربعة من الأوّلين نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام،

ومن قبل هؤلاء الأربعة صارت العلوم إليهم، وكذلك صار العلم بعد محمّد ﷺ وعليّ والحسن والحسين إلى من بعد الحسين من الأئمة عليهم السلام. انتهى كلامه رفع الله مقامه.

أقول: وهذا يعني أنّ الأئمة الأطهار عليهم السلام هم يحملون علم الله وعرشه العلمي المحيط بالمخلوقات، وأنّ حامل العرش وعلم الله، في عصرنا هذا، إنّما هو قطب عالم الإمكان وناموس الدهر، بقيّة الله الأعظم في الأرض، إمامنا المنتظر الحجّة الثاني عشر، صاحب الزمان وقاطع البرهان وترجمان القرآن، حافظ الشريعة ومحيي السنّة، القائم من آل محمّد عليهم السلام، عجّل الله فرجه الشريف، وجعلنا من خيرة أنصاره وأعوانه وشيعته والمستشهدين بين يديه على محبّته وولايته ودينه.

عن الكافي بسنده عن صفوان بن يحيى قال: سألني أبو قرّة المحدّث أن أُدخله على أبي الحسن الرضا عليه السلام، فاستأذنته فأذن لي فدخل، فسأله عن الحلال والحرام ثمّ قال له: أفتقرّ الله محمول؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: كلّ محمول مفعول به، مضاف إلى غيره، محتاج، والمحمول اسم نقص في اللفظ، والحامل فاعل وهو في اللفظ مدحة، وكذلك قول القائل: فوق وتحت وأعلى وأسفل، وقد قال الله: ﴿ وَلَهُ الأَسْماءُ الحُسْنىٰ فَادْعوهُ بِها ﴾، ولم يقل في كتبه أنّه المحمول، بل قال: إنّه الحامل في البرّ والبحر والممسك السماوات والأرض أن تزولا، والمحمول ما سوى الله ولم يسمع أحد آمن بالله وعظمته قطّ قال في دعائه: «يا محمول». قال أبو قرّة: فإنّه قال: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ ﴾، وقال: ﴿ الَّذينَ يَحْمِلونَ العَرْشَ ﴾؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: العرش ليس هو الله، والعرش اسم علم وقدرة وعرش فيه كلّ شيء، ثمّ أضاف الحمل إلى غير خلق من خلقه، لأنّه استعبد خلقه بحمل عرشه، وهم حملة علمه، وخلقاً يسبّحون حول عرشه وهم يعملون بعلمه، وملائكة

يكتبون أعمال عباده، واستعبد أهل الأرض بالطواف حول بيته، والله على العرش استوى، كما قال، والعرش ومن يحمله ومن حول العرش، والله الحامل لهم الحافظ لهم الممسك القائم على كلّ نفس، وفوق كلّ شيء وعلى كلّ شيء، ولا يقال: محمول، ولا أسفل قولاً مفرداً لا يوصل شيء فيفسد اللفظ والمعنى، قال أبو قرّة: فتكذّب بالرواية التي جاءت: أنّ الله تعالى إذا غضب إنّما يعرف غضبه أنّ الملائكة الذين يحملون العرش يجدون ثقله على كواهلهم، فيخرّون سجّداً، فإذا ذهب الغضب خفّ ورجعوا إلى مواقفهم؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: أخبرني عن الله تبارك وتعالى منذ لعن إبليس إلى يومك هذا هو غضبان عليه، فمتى رضي وهو في صفتك لم يزل غضباناً عليه وعلى أوليائه وعلى أتباعه؟ كيف تجترئ أن تصف ربّك بالتغيّر من حال إلى حال... إنّه يجري عليه ما يجري على المخلوقين؟ سبحانه وتعالى! لم يزل مع الزائلين، ولم يتغيّر مع المتغيّرين، ولم يتبدّل مع المتبدّلين، ومن دونه في يده وتدبيره، وكلّهم إليه محتاج، وهو غنيّ عمّن سواه[1].

وللعلّامة المجلسي بيان لطيف في معنى الرواية الشريفة فراجع.

ثمّ جاء في تفسير عليّ بن إبراهيم القمّي في قوله تعالى: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ حملة العرش ثمانية: أربعة من الأوّلين وأربعة من الآخرين، فأمّا الأربعة من الأوّلين فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، وأمّا الأربعة من الآخرين فمحمّد وعليّ والحسن والحسين، ومعنى ﴿ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ ﴾ يعني العلم[2].

---

(١) البحار ٥٥ : ١٥، عن الكافي ١ : ١٣٠.

(٢) المصدر ٥٥ : ٢٧، عن التفسير : ٦٩٤.

وفي التوحيد والمعاني بسنده عن حفص بن غياث قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماوات وَالأرْض ﴾، قال: علمه[1].

وبسنده عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماوات وَالأرْض ﴾ فقال: السماوات والأرض وما بينهما في الكرسي، والعرش هو العلم الذي لا يقدر أحد قدره[2].

وعن محمّد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول في قوله تعالى: ﴿ الَّذينَ يَحْمِلونَ العَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ ﴾ قال: يعني محمّداً وعليّاً والحسن والحسين ونوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام.

فكتب على العرش العلمي بلون المعرفة: (الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة)، وهذا من العلم الذي لا يقدر أحد قدره، وإنّما حمله أربعة من الملائكة المقرّبين، جبرئيل وميكائيل وإسرائيل وعزرائيل، وأربعة من الأنبياء والمرسلين نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، وأربعة من الآخرين محمّد وعليّ والحسن والحسين عليهم السلام، فهؤلاء الصفوة من الخلق تتجلّى في خلقهم وتدبيرهم لما سوى الله سبحانه بإذنه وعلمه العلم الإلهي، المتجلّي بالمصباح الحسيني والمتبلور بالسفينة الحسينيّة، فقد كتب على العرش: الحسين مصباح هدى وسفينة نجاة.

---

(١) المصدر: ٢٨، عن التوحيد: ٢٣٩.

(٢) المصدر نفسه.

العرش الرحماني

قال الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿ الرَّحْمنُ عَلى العَرْشِ اَسْتَوىٰ ﴾[١].

﴿ الَّذي خَلَقَ السَّماوات وَالأرْضَ وَما بَيْنَهُما في سِتَّةِ أيّامٍ ثُمَّ اَسْتَوىٰ عَلى العَرْشِ الرَّحْمنُ فَسْئَلْ بِهِ خَبيراً ﴾[٢].

الرحمن من أسماء الله الحسنى، وكذلك الرحيم، والفرق بينهما كما يظهر من الروايات الشريفة أنّ الرحمان اسم عامّ، فإنّ الله برحمته الرحمانيّة يخلق المؤمن والكافر ويرزقهما في الدنيا، فرحمته هذه رحمة واسعة تشمل المؤمن وغيره في هذه الدنيا، ولله رحمة خاصّة بالمؤمنين وإنّها قريبة بالمحسنين في دنياهم وآخرتهم، فهي من اللطف الخاصّ والتي تسمّى بالرحمة الرحيميّة.

والعرش الرحماني يعني علم الله الذي يُنبئ عن رحمته الرحمانيّة، وفي باطنها الرحمة الرحيمية.

فاستوى على العرش، بمعنى أنّ ما يصدر منه جلّ جلاله عن حكمة وعلم وقدرة بلا نهاية، فهو العالم بكلّ شيء والقادر على كلّ شيء، فبعلمه وقدرته استولى وهيمن على ما سواه من مصنوعاته ومخلوقاته المجرّدة والمادّية، العلويّة والسفليّة، فله ما في السماوات والأرض ويدبّر بعلمه وقدرته ورحمته شؤون خلقه وكائناته،

---

(١) طه: ٥

(٢) الفرقان: ٥٩.

وهو الرحمن الرحيم.

وعلى مثل هذا العرش الرحماني كتب بقلم إلهي وإرادة ربّانية «إنّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة»، وهذا يعني أنّ الحقيقة الحسينية سارية في عروق الحياة الكوني، ومن يركب سفينته الرحمانيّة، فإنّه يعيش الرحمة الإلهيّة، ويتّصل بالعالم الإمكاني بروح حسينيّة، فيزداد علماً عرشيّاً، ولا يرى إلّا جميلاً، حتّى مصارع الشهداء الأطهار تكون بنظرة زينبيّة، وبحدقة حسينيّة، وبفيض قدسيّ إلهي من على العرش الرحماني جميلاً، كما قالت زينب الكبرى عليها السلام حينما سألها ابن زياد اللعين: كيف رأيتِ صنع الله بأخيك الحسين؟ قالت: ما رأيت إلّا جميلاً.

وتتجلّى الرحمة الرحمانيّة في خاصّة أولياء الله سبحانه، ومن رحمانيّة الإمام الحسين عليه السلام غفران ذنب حرّ بن يزيد الرياحي الذي أتى بذنبٍ عظيم، فإنّه جعجع بركب الإمام وكان من الأسباب في قصّة كربلاء الحزينة.

فكلّ الكون بنظر هؤلاء الأولياء العرفاء جميل في غاية الجمال، وإنّه مظهر جمال الله وجلاله وكماله، فإنّ الله جميل ويحبّ الجمال، ولا يفعل إلّا الجميل، فهو الجمال المطلق ومطلق الجمال.

العرش التدبيري

قال الله تعالى في كتابه العزيز :

﴿ اللهُ الَّذي رَفَعَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها وَالقَمَرَ كُلٌّ يَجْري لأجَلٍ مُسَمَّىً يُدَبِّرُ الأمْرَ يُفَصِّلُ الآياتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقاءِ رَبِّكُمْ توقِنونَ ﴾[1].

هذه الآية الكريمة وما بعدها تدلّ على معرفة هذا العرش الذي سمّيناه بالعرش التدبيري وبالعرش الحكومي أيضاً، في كلّ ذلك آيات لقوم يتفكّرون ويتعقّلون، ونتيجة العقل والتفكّر إنّما هو زيادة اليقين وكمال الإيقان، ولعلّكم بلقاء ربّكم المسخّر والمدبّر والحاكم على الكون توقنون وتعتقدون، فسبحانه وتعالى استولى واستوى على العرش، ليدبّر الأمر في خلقه وعباده، ويفصّل لهم الآيات الربّانيّة، لزيادة يقينهم، وإنّهم سيلاقون ربّهم، فإنّ الإنسان كادحٌ إلى ربّه كدحاً فلاقيه، ومن يرجو لقاء ربّه فإنّه يعمل الصالحات وهو مؤمن، وهذا هو المقصود من اليقين التامّ والإيمان الكامل بالله سبحانه وبلقائه، ويكون في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر، فلا بدّ من العمل الصالح المقرون بالإيمان، كما في آيات القرآن في كثير من المواضع، فقد قارن الله سبحانه الإيمان بالعمل الصالح في قوله تعالى :

﴿ الَّذينَ آمَنوا وَعَمِلوا الصَّالِحاتِ ﴾.

فالله سبحانه هو المدبّر، وفي زمن الإمام السجّاد عليه السلام شوهد قد كتب على ستار الكعبة :

---

(١) الرعد : ٢

لا تــــدبّر لك أمــــراً　　فــأولي التـــدبير هــلكىٰ
وكّــــل الأمــــر إلى مــــن　　هـــو أولى مـــنك أمـــرا

والله سبحانه يهدي عباده أن يتوكّلوا عليه:

﴿ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنونَ ﴾[1].

ومن توكّل على الله فهو حسبه ويكفيه، فإنّه خير وكيل، جامع لكلّ صفات الكمال والجمال، فإنّه الحيّ السرمدي العالم بكلّ شيء والقادر عليه، فيفعل الله ما يشاء بقدرته، ويحكم ما يريد بعزّته.

فهو المدبّر لما سواه مباشرة أو بوسائط، فأزمّة الأمور طرّاً بيده، وليس في الديار ديّاناً إلّا هو، هو الأوّل هو الآخر، هو الظاهر هو الباطن، فبالعلم المطلق والرحمة الرحمانيّة استوى على العرش التدبيري، ليدبّر أمر خلقه ونظمه بحكمةٍ بالغة ونظام ودقيق، وعلى مثل هذا العرش الإلهي كتب بلون أخضر لون المعرفة: (الحسين مصباح هدى وسفينة نجاة) ليسري النور الحسيني من مصباح هدايته في كلّ المخلوقات، فتبكيه الأرضين والسماوات وما فيهنّ، كما ورد في الأخبار الشريفة.

---

(١) التغابن: ١٣.

العرش الخَلق

قال الله سبحانه في كتابه المجيد :

﴿ الَّذينَ يَحْمِلونَ العَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرونَ لِلَّذينَ آمَنوا رَبَّنا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذينَ تابوا وَاتَّبَعوا سَبيلَكَ وَقِهِمْ عَذابَ الجَحيمِ ﴾[١].

﴿ وَالمَلَكُ عَلىٰ أَرْجائِها وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ ﴾[٢].

﴿ وَسيقَ الَّذينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إلى الجَنَّةِ زُمَراً حَتَّىٰ إذا جاؤوها وَفُتِّحَتْ أَبْوابُها وَقالَ لَهُمْ خَزَنَتُها سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلوها خالِدينَ * وَقالوا الحَمْدُ للهِ الَّذي صَدَقَنا وَعدَهُ وَأَوْرَثَنا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ نَشاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ العامِلينَ * وَتَرى المَلائِكَةَ حافِّينَ مِنْ حَوْلِ العَرْشِ يُسَبِّحونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقَضىٰ بَيْنَهُمْ بِالحَقِّ وَقيلَ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمينَ ﴾[٣].

لقد تعلّق علم الله بجميع خلقه قبل إيجادهم، وكلّ شيء كان عنده محضراً، فوسعت رحمته وعلمه كلّ شيء، وقد حكّم الله سبحانه قانون العلل والمعاليل في كونه ونظامه، فأبى أن يجري الأُمور إلّا بأسبابها، وجعل لكلّ شيء سبباً، ومن خلقه الملائكة، فعلّمهم كما علّم آدم الأسماء بما لم يعلّمهم، فحملوا علم الله سبحانه

---

(١) غافر : ٧.

(٢) الحاقّة : ١٧.

(٣) الزمر : ٧٣ ـ ٧٥.

المتعلّق بخلقه وشؤونهم، وهذا العلم الخاصّ نسمّيه بالعرش الخلقي الذي تحمله الملائكة المقرّبون وعباد الله الصالحون، وهم ثمانية كما ورد في الآيات الكريمة والروايات الشريفة أربعة منهم من الملائكة وأربعة منهم من الأنبياء والأوصياء، فهؤلاء حملوا علم الله المتعلّق بخلقه، فهم أُولى الوسائط في العوالم العلويّة والسفليّة بين الخالق والمخلوق، ولا يريدون إلّا ما أراد الله، ولا يكرهون إلّا ما كره الله، فإنّ الإرادة الإلهيّة تتجلّى فيهم، حتّى كان رضاهم رضاه ورضاه رضاهم، وكذلك سخطه سخطهم وسخطهم سخطه، فصاروا صنائع الله سبحانه، والخلق صنايعهم في التربية والتعليم والواسطة في الفيوضات، وانتقال الفيوضات الإلهيّة والعنايات الربّانيّة، فهم وجه الله الذي يتوجّه إليه الأولياء، وهم باب الله الذي منه يؤتى، فمن أطاعهم أطاع الله ومن عصاهم عصى الله سبحانه، فلا فرق بينهم وبينه، إلّا أنّهم عباد الله المكرمون، فتقهم ورتقهم بيده جلّ جلاله.

وعلى مثل هذا العرش الخلقي كتب بلون المعرفة الأخضر: «إنّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة».

فحسن الحسين وقديم إحسانه سارٍ في خلق الله، كسريان الروح في جسد الإنسان.

العرش المُلكي

قال الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿ لَقَدْ جاءَكُمْ رَسولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَريصٌ عَلَيْكُمْ بِالمُؤْمِنينَ رَؤوفٌ رَحيمٌ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لا إِلٰهَ إِلّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظيمِ ﴾[1].

﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّماواتِ السَّبْعِ وَرَبُّ العَرْشِ العَظيمِ * سَيَقولونَ اللهُ قُلْ أَفَلا تَتَّقونَ ﴾[2].

يظهر من هذه الآيات الكريمة أنّ عرش الله يأتي أيضاً بمعنى ملك الله وملكوته ـ والملك ظواهر الأشياء والملكوت بواطنها وحقائقها ـ، فإنّ الله صاحب العرش العظيم أي الملك العظيم، كما ورد ذلك في خبر حنان بن سدير.

فعن توحيد الصدوق بسنده المعتبر عن حنان بن سدير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن العرش والكرسي فقال: إنّ للعرش صفات كثيرة مختلفة، له في كلّ سبب وصنع في القرآن صفة على حدة، فقوله: ﴿ رَبُّ العَرْشِ العَظيمِ ﴾ يقول: الملك العظيم، وقوله: ﴿ الرَّحْمٰنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوىٰ ﴾ يقول: على الملك احتوى، وهذا ملك الكيفوفية في الأشياء. ثمّ العرش في الوصل مفرد ـ نسخة بدل منفرد ـ من الكرسي، لأنّهما بابان من أكبر أبواب الغيوب، وهما جميعاً غيبان، وهما في الغيب

---

(١) التوبة: ١٢٨ ـ ١٢٩.

(٢) المؤمنون: ٨٦ ـ ٨٧.

مقرونان، لأنّ الكرسي هو الباب الظاهر من الغيب الذي منه مطلع البدع ومنها ـ منه ـ الأشياء كلّها، والعرش هو الباب الباطن الذي يوجد فيه علم الكيف والترك وعلم العود والبداء، فهما في العلم بابان مقرونان، لأنّ ملك العرش سوى ملك الكرسي، وعلمه أغيب من علم الكرسي، فمن قال: ﴿ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ ﴾ أي صفته أعظم من صفة الكرسي، وهما في ذلك مقرونان. قلت: جعلت فداك، فلِمَ صار في الفضل جار الكرسي؟ قال عليه السلام: إنّه صار جاره لأنّ علم الكيفوفيّة فيه، وفيه الظاهر من أبواب البداء وأينيّتها وحدّ رتقها وفتقها، فهذان جاران أحدهما حمل صاحبه في الظرف، وبمثل صرّف العلماء، وليستدلّوا على صدق دعواهما، لأنّه يختصّ برحمته من يشاء وهو القويّ العزيز.

فمن اختلاف صفات العرش أنّه قال تبارك وتعالى (ربّ العرش ـ ربّ الوحدانيّة ـ عمّا يصفون) وقوم وصفوه بيدين ـ عاجزة ـ فقالوا: ﴿ يَدُ اللهِ مَغْلولَة ﴾ وقوم وصفوه بالرجلين فقالوا: وضع رجله على صخرة بيت المقدس فمنها ارتقى إلى السماء، ووصفوه بالأنامل.

زبدة المخاض

إنّ الذي نعتقده ونقطع به أنّ العرش الإلهي ليس جسماً، وأنّه كهيئة السرير، كما عند المجسّمة ـ خذلهم الله ـ، وأنّ الله سبحانه يجلس عليه كما يجلس الملك على سرير وعرش ملكه، ويكون لعرشه حين جلوسه صوت وأطيط كأطيط الرحل، وأنّه ينزل منه إلى السماء الأُولى أو إلى الأرض، كما تعتقد به الوهابيّة في عصرنا، تبعاً لابن تيميّة حينما سئل عن عرش الله ونزوله منه، وكان جالساً على المنبر، فقال: إنّه ينزل من عرشه كما أنزل من منبري هذا[1]، ثمّ نزل من منبره!! فهذا منافٍ للعقل السليم والنقل الصحيح، فإنّه يلزم على الله عزّ وجلّ أن يكون جسماً وفي جهة خاصّة، ومن ثمّ يلزمه الاحتياج والافتقار وهما من آيات وخواصّ الإمكان الذاتي، وأنّ الله جلّ جلاله واجب الوجود لذاته، مستجمع لجميع صفات الجمال والكمال وهو الغنيّ بالذات، سبحان الله عمّا يصفون هؤلاء الجهّال، فكيف يكون جسماً؟ والجسم محتاج في وجوده وتركيبه إلى الغير وإلى الأجزاء، والله الغنيّ اللطيف.

في كتاب التوحيد للشيخ الصدوق قدس سره بسنده عن سلمان الفارسي قال: سأل الجاثليق أمير المؤمنين علي عليه السلام: أخبرني عن ربّك أيحمل أو يُحمل؟ فقال: إنّ ربّنا جلّ جلاله يحمل ولا يُحمل، قال النصراني: كيف ذلك ونحن نجد في الإنجيل (ويحمل

---

(١) جاء ذلك في رحلة ابن بطوطة لمّا وصل إلى دمشق ودخل جامعه، والتقى بابن تيميّة، فراجع.

عرش ربّك فوقهم يومئذٍ ثمانية) ؟ فقال عليّ عليه‌السلام : إنّ الملائكة تحمل العرش وليس العرش كما تظنّ كهيئة السرير، ولكنّه شيء محدود مخلوق مدبّر، ربّك عزّ وجلّ مالكه لا أنّه عليه ككون الشيء على الشيء، وأمر الملائكة بحمله فهم يحملون العرش بما أقدرهم عليه، قال النصراني : صدقت رحمك الله[1].

قيل : إنّ نظام العلّية هو الشكل العامّ لهذا العالم، وجميع حوادث وظواهر العالم خاضعة لهذا القانون المطّرد، أي إنّ كلّ معلول له علّة، حتّى تنتهي العلل والمعاليل إلى علّة العلل وهو الله سبحانه وتعالى، فهو مفيض الحياة وواهب القدرة وصانع القانون، ولا يخفى وجود الاختلاف بين هذه العلل والمعاليل، ولكن على اختلاف مراحل عالم الكون تنتهي جميع مراحله إلى مرحلة فيها تنتهي أزمّة الحوادث الملقاة على كواهل الأسباب، وأزمّة الأسباب على اختلاف أشخاصها وأنواعها وترتّب مراتبها هو المسمّى عرشاً.

فالعرش مقام تنتهي فيه التدابير العامّة، وتصدر منه الأوامر الكونيّة :

﴿ ذو العَرْشِ المَجيدِ فَعَّالٌ لِما يُريدُ ﴾[2].

منه صور جميع الوقائع وهي حاضرة عند الله معلومة له، وبذلك يمكن القول إنّ العرش : مقام العلم التامّ بتدبير العالم الذي يسع كلّ شيء، وكلّ شيء في جوفه.

ومن هذه التدابير خلق السماوات والأرض، أي بداية خلق الكون، وبما أنّ الماء كان العلّة التي انطلقت منها الحياة فتعود جميع الأسباب والعلل إلى هذه العلّة الأُولى، والتي هي بدورها معلولة ومخلوقة لله عزّ وجلّ لذلك كان عرشه على الماء،

---

(١) البحار ٥٥ : ٩، عن التوحيد : ٢٣٢.

(٢) البروج : ١٦.

كما في قوله تعالى:

﴿ وَهُوَ الَّذي خَلَقَ السَّماواتِ وَالأرضَ في سِتَّةِ أيّامٍ وَكانَ عَرْشُهُ عَلى الماءِ ﴾(١).

أي أنّه في علم الله التامّ إنّ الماء بداية سلسلة الأسباب والحياة:

﴿ وَجَعَلْنا مِنَ الماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيّ أفَلا يُؤْمِنون ﴾(٢).

فكون العرش على الماء يومئذٍ كناية عن أنّ ملكه تعالى مستقرّاً يومئذٍ على هذا الماء الذي هو مادّة الحياة.

وأمّا حملة العرش فإنّه يظهر من الآيات أنّهم من الملائكة ﴿ وَمَنْ حَوْلَهُ ﴾ وهم الملائكة الذين حول العرش:

﴿ وَتَرى المَلائِكَةَ حافّينَ مِنْ حَوْلِ العَرْشِ ﴾(٣).

فيكون حملة العرش أيضاً من الملائكة كما في الروايات الشريفة، فتصدر الأوامر والأحكام من ذلك المقام المقدّس إلى هؤلاء الملائكة المقرّبين، والله العالم.

وأمّا الكرسي فهو كناية عن الملك والاحتواء والسيطرة، وما قيل عن البعض إنّ لله عزّ وجلّ كرسي يجلس عليه كلام غير صحيح فلا ينسجم مع الأدلّة العقليّة وظواهر القرآن ونصوص الأخبار، وحقيقة الكرسي أنّه مرتبة من العلم الفعلي وتسع هذه المرتبة كلّ ما في السماوات والأرض:

﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماوات وَالأرْضَ ﴾(٤).

---

(١) هود: ٧.

(٢) الأنبياء: ٣٠.

(٣) الزمر: ٧٥.

(٤) البقرة: ٢٥٥.

أي وسع علمه جميع ملكه :

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[١].

احتواء الملك والسيطرة عليه .

وبهذا يكون العرش والكرسي أمراً واحداً، وهو مرتبة عظيمة من العلم الإلهي، والكرسي يسع العرش كما يظهر من قوله تعالى : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ﴾[٢] وقد يطلق الكرسي على العرش، ويراد منه معنىً واحداً، فيمكن أن يقال :

١ ـ إنّ العرش هو المقام الذي يظهر به جميع الأشياء، ويتمركز فيه إجمال جميع التدابير التفصيلية لهذا العالم، وهو مقام الملك الذي يصدر منه التدابير، ومقام العلم الذي يظهر به الأشياء.

٢ ـ وإنّ الكرسي محيط بكلّ شيء وهو المقام الذي يظهر به تفصيلات الأشياء مع تغيّراتها، والبداء الحاصل إنّما فيه لا في العرش. وهذه التفصيلات والتغيّرات حسب نظام العلّية وترتّب المعلولات على عللها، فهو الكرسي أيضاً مقام الإحاطة والتدبير والحفظ، وإنّه مقام العلم الحضوري.

٣ ـ العرش والكرسي بابان في العلم الغيبي، إلّا أنّ ملك العرش أغيب من علم الكرسي، لذلك كانت صفته أعظم من صفة الكرسي، وهما في ذلك مقرونان.

جاء عن الإمام الصادق عليه‌السلام : «إنّ للعرش صفات كثيرة مختلفة له في كلّ سبب وضع في القرآن وصفه على حدة، فقوله تعالى : ﴿ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ يقول : الملك العظيم، وقوله : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ يقول : على الملك

---

(١) الأعراف : ٥٤ + يونس : ٣ + الرعد : ٢ + الفرقان : ٥٩.

(٢) البقرة : ٢٥٥.

استوى. وهذا ملك الكيفوفيّة في الأشياء، ثمّ العرش في الوصل متفرّد من الكرسي، لأنّهما بابان من أكبر أبواب الغيوب، وهما جميعاً غيبان، وهما في الغيب مقرونان لأنّ الكرسي هو الباب الظاهر من الغيب الذي منه يطلع البدع، ومنه الأشياء كلّها.

والعرش هو الباب الباطن الذي يوجد فيه علم الكيف والكون والقدر والحدّ والأين والمشيئة وصفة الإرادة وعلم الألفاظ والحركات والترك وعلم العود والبدء، فهما في العلم بابان مقرونان، لأنّ ملك العرش سوى ملك الكرسي، وعلمه أغيب من علم الكرسي، فمن ذلك قال: ﴿ رَبّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ أي صفته أعظم من صفة الكرسي وهما في ذلك مقرونان.

قلت: جعلت فداك، فلم صار في الفضل جار الكرسي؟ قال عليه السلام: إنّه صار جاره لأنّ علم الكيفوفيّة فيه، وفيه الظاهر من أبواب البداء وأينيّتها، وحدّ رتقها وفتقها، فهذان جاران أحدهما حمل صاحبه في الصرف، ومثل صرف العلماء ويستدلّوا على صدق دعواهما، لأنّه يختصّ برحمته من يشاء وهو القويّ العزيز»[١].

الكيفوفيّة: بمعنى الكيفيّة من الكيف، وهو سؤال عن حال الشيء فملك الكيفوفيّة ملك الأحوال الواقعة في الأشياء والأمور الحاصلة فيها بعد إيجادها، أي ما يعرض عليها من صفات ومتغيّرات.

فالعرش والكرسي واحد من حيث إنّهما مقام الغيب الذي يظهر منه الأشياء وينزل منه إلى هذا العالم، لكن العرش في الكلام متميّز عن الكرسي، لأنّ هذا المقام في نفسه ينقسم إلى مقامين لكنّهما مقرونان غير متباينين: أحدهما الباب الظاهر

---

(١) التوحيد للشيخ الصدوق، باب العرش وصفاته.

الذي يلي هذا العالم وهو الكرسي، والآخر الباب الباطن الذي يليه وهو العرش. فهما يختلفان بنوع من الإجمال والتفصيل والبطون والظهور. وأحرى بالمقامين أن يسمّيا عرشاً وكرسيّاً، لأنّ فيهما خواصّ عرش الملك وكرسيّه.

ثمّ يطلق العرش على كلّ صفة من صفات الله العليا وأسمائه الحسنى من الجلال والجمال والكمال، إذ كلّ منها مستقرّ لعظمته وكبريائه، وبتلك الأسماء والصفات يظهر على قدر قابليات خلقه، ومعرفة عباده، حتّى يكون الخلق مظهراً لها، ويكون الإنسان الكامل وهو النبيّ الأعظم محمّد ﷺ مظهراً لتمام أسمائه وصفاته إلّا الألوهيّة سبحانه وتعالى.

فحينئذٍ لله سبحانه عرش العلم، وعرش القدرة وعرش الحياة، وهذه من صفات الذات وأنّها عين الذات[1]، كما له عرش صفات الأفعال، فله عرش الرحمانيّة وعرش الرحيميّة وعرش الوحدانيّة وعرش التقدّس والتنزّه، كما يظهر من الأخبار والآيات ذلك.

وقال العلّامة المجلسي ﵀: وقد أوّل الوالد ﵀ الخبر الذي ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوىٰ ﴾ أنّ المعنى: استوى من كلّ شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء، أنّ المراد بالعرش هنا عرش الرحمانيّة، والظرف حال، أي الربّ سبحانه حال كونه على عرش الرحمانية استوى من كلّ شيء، إذ بالنظر إلى الرحيمية التي هي عبارة عن الهدايات والرحمات الخاصّة بالمؤمنين أقرب، أو المراد أنّه تعالى بسبب صفة الرحمانية حال كونه على عرش الملك والعظمة والجلال

---

(١) ذكرت تفصيل ذلك في كتاب (عقائد المؤمنين) و(دروس اليقين في معرفة أُصول الدين)، وهما مطبوعان، فراجع.

استوى نسبته إلى كلّ شيء، وحينئذٍ فائدة التقييد بالحال نفي توهّم أنّ هذا الاستواء ممّا ينقص من عظمته وجلاله شيئاً، انتهى[1].

فعرش الله جلّ وعظم شأنه في عالم الأسماء الحسنى والصفات العليا، إنّما يطلق على أسمائه وصفاته، وقد كتب على عرش الله «إنّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة» وهذا يعني أنّ الحسين عليه السلام هو مظهر أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، وتتجلّى هذه المظهريّة وتبرز إلى عالم الوجود، وفي دنيا الموجودات بكونه عليه السلام مصباح الهداية التكوينيّة والتشريعيّة، لمن كتب عليه الهداية من المؤمنين والمتّقين باختيارهم نجد الخير، وأنّه سفينة النجاة لمن غرق في بحر الذنوب والمعاصي والآثام، فتاب إلى الله وأراد النجاة.

ثمّ يطلق العرش على قلب الأنبياء والأوصياء عليهم السلام وورثتهم من العلماء الصالحين وكمّل المؤمنين، فإنّ الله يناجيهم في سرّهم، وجعل قلوبهم مستقرّ محبّته وشوقه، وصدورهم معدن معرفته وعلمه.

وقد ورد في الخبر الشريف: «قلب المؤمن عرش الرحمن».

وروي أيضاً في الحديث القدسي: «لم يسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن».

وعلى مثل هذه القلوب الطاهرة والقدسيّة الموالية، خُطّ وكتب: «إنّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة»، فقلب المؤمن حسيني العرش، وإنّه عرش الله، وفي مثل هذا القلب المبارك: «إنّ لقتل الحسين عليه السلام في قلوب المؤمنين لحرارة لا تُطفأ ولا تبرد أبداً إلى يوم القيامة».

---

(١) البحار ٥٥ : ٣٨.

الفصل الرابع

سعة العرش الإلهي

لا يمكن للبشر أن يقف على سعة عرش الله سبحانه، فإنّ العرش محيط بنا، وكيف للمحاط أن يدرك المحيط، ولكن أهل البيت عليهم السلام الذين هم أدرى بما في البيت الكوني الواسع الرحيب، فإنّ خلقة النبيّ وأهل بيته الأطهار في عالم الأنوار كان قبل خلق الخلق، فهم العقل الأوّل والمخلوق الأوّل الصادر من الله سبحانه وتعالى[1].

فهؤلاء الأئمة المعصومون عليهم السلام أخبرونا عن سعة العرش بالمثال، بما يطابق مقتضى الحال، وبمقدار ما كان يمكن لأُولئك الرجال الذين من حولهم أن يدركوه في تلك الأحوال، من باب (كلّم الناس على قدر عقولهم) فحاول النبيّ والأئمة الأطهار عليهم السلام أن يرفعوا بعض الستار عن تلك الحقائق النوريّة، ذلك من خلال التشبيه والمثال، وإليكم النماذج التالية:

---

(١) لقد تعرّضت لهذا الموضوع بالتفصيل في (علي المرتضى عليه السلام نقطة باء البسملة) و (جلوة من ولاية أهل البيت عليهم السلام) و (فاطمة الزهراء عليها السلام ليلة القدر) و (أهل البيت عليهم السلام سفينة النجاة)، وكلّها مطبوعة، فراجع.

١ ـ البحار عن الخصال والمعاني والعياشي والدرّ المنثور بسندهم في حديث أبي ذرّ عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال:

يا أبا ذرّ، ما السماوات السبع في الكرسي إلّا كحلقة ملقاة في أرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة[1].

٢ ـ عن ابن حميد، قال: ذاكرت أبا عبد الله عليه السلام فيما يروون من الرؤية ـ أي رؤية الله بالبصر والعياذ بالله كما عند أصحاب العدوي والتيمي ـ فقال:

الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الكرسي، والكرسي جزء من سبعين جزءاً من نور العرش، والعرش جزء من سبعين جزءاً من نور الحجاب، والحجاب جزء من سبعين جزءاً من نور السرّ، فإن كانوا صادقين فليملؤوا أعينهم من الشمس ليس دونها سحاب[2].

وفي إحدى زياراتي لبيت الله الحرام كنت أنظر إلى الكعبة الشريفة، وأُفكّر بطواف الناس حول البيت الشريف، ثمّ طواف الملائكة حول البيت المعمور في السماء الرابعة، وطواف الملائكة المقرّبين حول العرش الإلهي في السماء السابعة، وأنّ الملائكة من الأجسام اللطيفة، فيطوفون حول البيت المعمور المتلائم مع حالهم وخلقهم وكذلك المقرّبون، فخطر على بالي:

---

(١) البحار ٥٥ : ٥.

(٢) البحار ٤ : ٤٤.

أنّ الكعبة بحجمها المحسوس، والمربّع الذي تربّع لمساواته لكلمات التسبيح الأربعة، أي (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلّا الله، والله أكبر)، وإنّ المعرفة الإلهيّة تتلخّص في هذه الكلمات، وأنّ الخلق كلّه يسبح حولها ويسبّح الله سبحانه، فما من شيء إلّا ويسبّح بحمده (والتسبيح من السبح والسباحة، وهي تعني الحركة بكلّ الإعضاء إلى الأمام والإمام).

فالكعبة المربّعة والمكعّبة تعدّ بمنزلة النقطة في الحركة الدائريّة، فهي المركز والمنطلق، وكلّ من دخل في مدارها كان منها وإليها، ومن خرج فقد شذّ وهلك.

ثمّ لو عرفنا ـ كما في علم الجغرافيا ـ مساحة الكرة الأرضيّة، ونسبة الكعبة إليها، ثمّ بهذه النسبة لو كبّرنا الدائرة إلى أربع مرّات بعدد المساحة للكرّة الأرضيّة، وقسنا بين الكعبة والبيت المعمور لعرفنا مساحة البيت المعمور، وهكذا مساحة العرش الإلهي يوم القيامة، الذي يجتمع في ظلّه المؤمنون من أوّل الخلق إلى آخره، كما ورد في الروايات الشريفة الكثيرة.

وإنّما يكون هذا الحساب لو أمكن بالحساب الضوئي والنوري وبالحاسبة الآلية، كما هو معروف عند أهله.

ثمّ المراد من الحجّ والعمرة والطواف ليس زيارة الأحجار وحسب، إنّما المراد أن يعلم الزائر ولاءه لأصحاب الولاية الحقّة، وهو الرسول الأعظم محمّد ﷺ وأهل بيته الأئمة المعصومين الأطهار عليهم السلام، وأنّ الولاية هي مركز الحركة والطواف نحو الله سبحانه، وهي نقطة الانطلاق، كما هي نقطة الانتهاء، وهي نقطة باء البسملة المتمثّلة حقيقةً بالمعرفة العلويّة، بأمير المؤمنين عليّ عليه السلام، المتمثّل برسول الله ﷺ.

فالكلّ في بواطنهم وحقائقهم يطوفون حول بيت الولاية آل محمّد عليهم السلام،

وإن خالف جمع في ظواهرهم كما في قوله تعالى:

﴿ ما خَلَقْتُ الجِنَّ وَالاِنْسَ إلّا لِيَعْبُدون ﴾.

فتدبّر.

وما ذكرته كنظريّة قابلة للأخذ والعطاء والمناقشة العلميّة الموضوعيّة، ومن الله التوفيق والسداد والصواب.

الفصل الخامس

الألوان في العرش

كلّنا نعرف اللون الحسّي، فهو بديهي التصوّر، فإنّه بالقوّة الباصرة وحاسّتها وبالضوء والنور، نرى الألوان الزاهية التي تعدّ بالآلاف لتفاوتها، في مراتبها الطولية والعرضية، وامتزاجها وتركّبها الخارجي بعضها مع بعض.

إلّا أنّ أُمّهات الألوان سبعة كما هو المعروف، أو أربعة كما ورد في روايات العرش، وهي عبارة عن الأبيض والأصفر والأخضر والأحمر.

والأجسام المركّبة من العناصر الأربعة ـ الماء والتراب والهواء والنار ـ يتولّد منها ما لا يعدّ ولا يحصى، كذلك الألوان.

وأمّا الألوان في العرش فقد جاء في حديث الإمام أبي جعفر الباقر عليه‌السلام عن تفسير القمّي بسنده قال عليه‌السلام:

جاء رجل إلى أبي علي بن الحسين عليهما‌السلام فقال له: إنّ ابن عباس يزعم أنّه يعلم كلّ آية نزلت في القرآن في أيّ يوم نزلت وفيمن نزلت! فقال أبي عليه‌السلام: سله فيمن نزلت:

﴿ وَمَنْ كانَ في هٰذِهِ أَعْمىٰ فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمىٰ وَأَضَلُّ سَبيلاً ﴾؟

وفيمن نزلت:

﴿ وَلا يَنْفَعُكُمْ نُصْحي إنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إنْ كانَ اللهُ يُريدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ ﴾ ؟

وفيمن نزلت :

﴿ يا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا اصْبِروا وَصابِروا وَرابِطوا ﴾ ؟

فأتاه الرجل فسأله فقال : وددت أنّ الذي أمرك بهذا واجهني بـه فأسأله عن العرش ممّ خلقه الله وكم هو وكيف هو ؟

فانصرف الرجل إلى أبي عليه السلام فقال أبي عليه السلام : فهل أجابك بالآيات ؟

قال : لا.

قال أبي : لكن أُجيبك فيها بعلم ونور غير المدّعى ولا المنتحل.

أمّا قوله : ﴿ وَمَنْ كانَ في هٰذِهِ أَعْمىٰ فَهُوَ في الآخِرَةِ أَعْمىٰ وَأَضَلُّ سَبيلاً ﴾ ففيه نزلت وأبيه.

وأمّا قوله ﴿ وَلا يَنْفَعُكُمْ نُصْحي إنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ ﴾ فني أبيه نزلت.

وأمّا الأُخرى فني ابنه نزلت وفينا ولم يكن الرباط الذي أمرنا به، وسيكون ذلك من نسلنا المرابط ومن نسله المرابط.

وأمّا ما سأل عنه من العرش ممّ خلقه الله، فإنّ الله خلقه أرباعاً، لم يخلق قبله إلّا ثلاثة أشياء : الهواء والقلم والنور، ثمّ خلقه من ألوان أنوار مختلفة من ذلك النور : نور أخضر منه اخضرّت الخضرة، ونور أصفر منه اصفرّت الصفرة، ونور أحمر منه احمرّت الحمرة، ونور أبيض وهو نور الأنوار، ومنه ضوء النهار، ثمّ جعله سبعين ألف طبق غلظ كلّ طبق كأوّل العرش إلى أسفل السافلين، ليس من ذلك طبق إلّا يسبّح بحمد ربّه ويقدّسه بأصوات مختلفة وألسنة غير مشتبهة، لو أذن للسان واحد فأسمع شيئاً ممّا تحته لهدم الجبال والمدائن والحصون، وكشف البحار ولهلك

ما دونه، له ثمانية أركان يحمل كلّ ركن منها من الملائكة ما لا يحصى عددهم إلّا الله، يسبّحون بالليل والنهار لا يفترون، ولو أحسّ حسّ شيء ممّا فوقه ما قام لذلك طرفة عين بينه وبين الإحساس حجب الجبروت والكبرياء والعظمة والقدس والرحمة والعلم، وليس وراء هذا مقال، لقد طمع الحائر في غير مطمع، أما إنّ في صلبه وديعة قد ذرئت لنار جهنّم فيخرجون أقواماً من دين الله، وستصبغ الأرض بدماء أفراخ من أفراخ آل محمّد، تنهض تلك الأفراخ في غير وقت وتطلب غير مدرك، ويرابط الذين آمنوا ويصبرون ويصابرون، حتّى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين[1].

وجاءت الرواية في توحيد الصدوق بسنده إلى قوله ـ وليس بعد هذا مقال، كما جاءت في الكشّي بسنده إلى آخر الخبر، وكذلك في الاختصاص بسنده مثله، وللعلّامة المجلسي بيان في شرح الخبر، فراجع[2].

وجاء في الكافي بسنده رفعه قال:

سأل الجاثليق أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: أخبرني عن الله عزّ وجلّ يحمل العرش أو العرش يحمله؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: الله عزّ وجلّ حامل العرش والسماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، وذلك قول الله عزّ وجلّ:

﴿ إنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّماواتِ وَالأرْضَ أن تَزولا وَلَئِنْ زالَتا إنْ أمْسَكَهُما مِنْ أحَدٍ

---

(١) البحار ٥٥ : ٢٤، عن تفسير عليّ بن إبراهيم القمّي : ٣٨٥.

(٢) البحار ٢٤ : ٣٧٤.

مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كانَ حَليماً غَفوراً ﴾.

قال: فأخبرني عن قوله: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ ﴾ فكيف ذاك وقلت: إنّه يحمل العرش والسماوات والأرض؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ العرش خلقه الله تبارك وتعالى من أنوار أربعة: نور أحمر منه احمرّت الحمرة، ونور أخضر منه اخضرّت الخضرة، ونور أصفر منه اصفرّت الصفرة، ونور أبيض منه ابيضّ البياض، وهو العلم الذي حمّله الله الحَمَلة، وذلك نور من نور عظمته فبعظمته ونوره أبصر قلوب المؤمنين، وبعظمته ونوره عاداه الجاهلون، وبعظمته ونوره ابتغى من في السماوات والأرض من جميع خلائقه إليه الوسيلة بالأعمال المختلفة والأديان المشتبهة ـ المشتّتة ـ فكلّ شيء محمول يحمله الله بنوره وعظمته وقدرته لا يستطيع لنفسه ضرّاً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، فكلّ شيء محمول والله تبارك وتعالى الممسك لهما أن تزولا، والمحيط بهما من شيء وهو حياة كلّ شيء ونور كلّ شيء سبحانه وتعالى عمّا يقولون علوّاً كبيراً.

قال له: فأخبرني عن الله عزّ وجلّ أين هو؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: هو ها هنا وها هنا وفوق وتحت ومحيط بنا ومعنا، وهو قوله:

﴿ ما يَكونُ مِنْ نَجْوىٰ ثَلاثَةٍ إلّا وَهُوَ رابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إلّا هُوَ سادِسُهُمْ وَلا أدْنىٰ مِنْ ذٰلِكَ وَلا أكْثَرَ إلّا هُوَ مَعَهُمْ أيْنَما كانوا ﴾.

فالكرسي محيط بالسماوات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى وإن تجهر بالقول فإنّه يعلم السرّ وأخفى، وذلك قوله تعالى:

﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماواتُ وَالأرْضُ وَلا يَؤودُهُ حِفْظُهُما وَهُوَ العَلِيُّ العَظيمُ ﴾.

فالذين يحملون العرش هم العلماء الذين حمّلهم الله علمه، وليس يخرج من هذه الأربعة شيء خلقه الله في ملكوته، وهو الملكوت الذي أراه الله أصفياءه، وأراه خليله عليه السلام، فقال:

﴿ وَكَذٰلِكَ نُرِيَ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾.

وكيف يحمل حملة العرش الله، وبحياته حييت قلوبهم، وبنوره اهتدوا إلى معرفته[1]؟!

قوله عليه السلام: (والذين يحملون العرش هم العلماء الذين حمّلهم الله علمه) إشارة إلى أنّ العرش هو العلم الإلهي الوسيع الذي جميع الأشياء في كلّ العوالم، حتّى العلم بذاته سبحانه وتعالى، والعلماء يحبّهم الله اصطفاهم ليحملوا علمه، إلّا أنّهم يحملونه في أسماءه وصفاته، لا في ذاته، فما عرف الله في ذاته أحد (وما عرفناك حقّ معرفتك)، فلا يعلم ما هو إلّا هو جلّ جلاله.

ثمّ علماء السماء هم الملائكة، وعلماء الأرض هم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، وورثة الأنبياء من العلماء الصالحين المتّقين الزاهدين، فإنّ العلم الإلهي يقذف في قلوبهم، لأنّ العلم كما ورد في الخبر الشريف: «ليس بكثرة التعلّم إنّما العلم نورٌ يقذفه الله في قلب من يشاء هدايته»، فما لو كان من أهل الهداية والصلاح باختياره ذلك، فمثل هؤلاء يحملون عرش الله، فقلب المؤمن عرش الرحمن، وعلى مثل هذا العرش المقدّس كتب بلون المعرفة: (إنّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة)، فكلّ عالم ـ الأنبياء والأوصياء والعلماء الصلحاء ـ هو حسينيّ الهوى، حسينيّ الوجود والقلب، حسينيّ العلم والعرش، وكلّ حسينيّ هو عالم وفي خطّ العلماء،

---

(١) البحار ٥٥: ٩، عن الكافي ١: ١٢٩.

ومن بلغ هذا المقام الشامخ والمنزلة العظيمة والدرجة الرفيعة، فإنّه يرى ملكوت السماوات والأرض، ويرى حقائق الأشياء وبواطنها، ولا يلقّاها إلّا ذو حظٍّ عظيم، امتحن الله قلبه بالإيمان، وفاز بسعادة الدارين.

عن إبراهيم بن محمّد الخزّاز ومحمّد بن الحسين، قالا: دخلنا على أبي الحسن الرضا عليه السلام، فحكينا له ما روي أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله رأى ربّه في هيئة الشابّ الموفّق في سنّ أبناء ثلاثين سنة، رجلاه في خضرة. وقلنا: إنّ هشام بن سالم وصاحب الطاق والميثمي ـ وكان هذا من الافتراء عليهم، فإنّهم من الثقات المقرّبين ـ يقولون: إنّه أجوف إلى السرّة والباقي صمد. فخرّ ساجداً ثمّ قال:

سبحانك ما عرفوك ولا وحدّوك، فمن أجل ذلك وصفوك، سبحانك لو عرفوك لوصفوك بما وصفت به نفسك، سبحانك كيف طاوعتهم أنفسهم أن شبّهوك بغيرك، إلهي لا أصفك إلّا بما وصفت به نفسك، ولا أُشبّهك بخلقك، أنت أهلٌ لكلّ خير، فلا تجعلني من القوم الظالمين.

ثمّ التفت إلينا فقال: ما توهّمتم من شيء فتوهّموا الله غيره.

ثمّ قال: نحن آل محمّد النمط الوسطى الذي لا يدركنا الغالي، ولا يسبقنا التالي، يا محمّد، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حين نظر إلى عظمة ربّه كان في هيئة الشابّ الموفّق وسنّ أبناء الثلاثين سنة، يا محمّد عظم ربّي وجلّ أن يكون في صفة المخلوقين.

قال: قلت: جعلت فداك من كانت رجلاه في خضرة؟

قال: ذاك محمّد صلى الله عليه وآله، كان إذا نظر إلى ربّه بقلبه جعله في نور مثل نور الحجب حتّى يستبين له ما في الحجب، إنّ نور الله منه اخضرّ ما اخضرّ، ومنه احمرّ ما احمرّ، ومنه ابيضّ ما ابيضّ، ومنه غير ذلك، يا محمّد، ما شهد به الكتاب والسنّة فنحن

القائلون به.

للعلّامة المجلسي في بحاره بيان لطيف لهذا الخبر الشريف وفي ألوان يقول:

وأمّا تأويل ألوان الأنوار فقد قيل فيه وجوه:

الأوّل: إنّها كناية عن تفاوت تلك الأنوار بحسب القرب والبعد من نور الأنوار، فالأبيض هو الأقرب، والأخضر هو الأبعد، كأنّه ممزج بضرب من الظلمة، والأحمر هو المتوسّط بينها، ثمّ ما بين كلّ اثنين ألوان أُخرى كألوان الصبح والشفق المختلفة في الألوان لقربها وبعدها من نور الشمس.

الثاني: إنّها كناية عن صفاته المقدّسة، فالأخضر قدرته على إيجاد الممكنات وإفاضته الأرواح التي هي عيون الحياة ومنابع الخضرة، والأحمر غضبه وقهره على الجميع بالإعدام والتعذيب، والأبيض رحمته ولطفه على عباده كما قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ ﴾.

الثالث: ما استفدته من الوالد العلّامة قدّس الله روحه، وذكر أنّه ممّا أُفيض عليه من أنوار الكشف واليقين، وبيانه يتوقّف على تمهيد مقدّمة، وهي أنّ لكلّ شيء مثالاً في عالم الرؤيا والمكاشفة، وتظهر تلك الصور والأمثال على النفوس مختلفة باختلاف مراتبها في النقص والكمال، فبعضها أقرب إلى ذي الصورة، وبعضها أبعد، وشأن المعبّر أن ينتقل منها إلى ذواتها.

فإذا عرفت هذا:

فالنور الأصفر: عبارة عن العبادة، ونورها كما هو المجرّب في الرؤيا، فإنّه كثيراً ما يرى الرائي الصفرة في المنام فيتيسّر له بعد ذلك عبادة يفرح بها، وكما هو المعاين في جباه المتهجّدين، وقد ورد في الخبر في شأنهم أنّه ألبسهم الله من نوره لمّا خلوا به.

والنور الأبيض: العلم، لأنّه منشأ للظهور، وقد جرّب في المنام أيضاً.

والنور الأحمر: المحبّة، كما هو المشاهد في وجوه المحبّين عند طغيان المحبّة، وقد جرّب في الأحلام أيضاً.

والنور الأخضر: المعرفة، كما تشهد به الرؤيا ويناسبه هذا الخبر، لأنّه عليه السلام في مقام غاية العرفان كانت رجلاه في خضرة.

ولعلّهم عليهم السلام إنّما عبّروا عن تلك المعاني على تقدير كونها مرادة بهذه التعبيرات لقصور أفهامنا عن محض الحقيقة، كما تعرض على النفوس الناقصة في الرؤيا هذه الصور، ولأنّا في منام طويل من الغفلة عن الحقائق كما قال عليه السلام: الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا.

وهذه التأويلات غاية ما يصل إليه أفهامنا القاصرة، والله أعلم بمراد حججه وأوليائه عليهم السلام[1].

---

(١) البحار ٤: ٤٣.

الفصل السادس

تربيع العرش

الحجم الأوّلي في الأفلاك هي الكرويّة ـكما ثبت في محلّه من الفلسفة وعلم النجوم والهندسة ـكما أنّ الدائرة هي أُسّ الأشكال الهندسية، فمرجع الأشكال والأجسام إلى الدائرة أو الكرة، وإنّما الأشكال الأُخرى تتولّد من الضغوط الاختيارية أو القسرية، فالشكل المربّع والحجم المكعّب، إنّما هما وليدتا الضغوط من الجوانب الأربعة.

هذا في المحسوسات والجسمانيات والأجسام، وتنظرياً بها ـمن باب تشبيه المعقول بالمحسوس ـ يكون الأمر كذلك فيما وراء الطبيعيات والمغيّبات، إلّا أنّ الأسباب في التربيع مثلاً، إنّما يكون أمراً علمياً ومعنوياً، كما في عرش الله، فإنّه ورد في الروايات أنّه مربّع، وسبب ذلك كما جاء في الفقيه والعلل والمحاسن للشيخ الصدوق بسنده:

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه سئل: لِمَ سمّي الكعبة كعبة؟

قال: لأنّها مربّعة.

فقيل له: ولِمَ صارت مربّعة؟

قال: لأنّها بحذاء بيت المعمور وهو مربّع.

فقيل له : ولِمَ صار البيت المعمور مربّعاً ؟

قال : لأنّه بحذاء العرش وهو مربّع.

فقيل له : ولِمَ صار العرش مربّعاً ؟

قال : لأنّ الكلمات التي بني عليها الإسلام أربع : سبحانَ الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر[١].

أجل الإسلام هو بالمعنى الخاصّ خاتم الأديان، وبنيت معارفه الأوّلية ـ وقد عدّها العلماء من أساس علومه ـ على الكلمات والتسبيحات الأربعة : التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، وبهذا الترتيب يكون سير المعرفة في تكامل الإنسان وخلافته لله سبحانه.

فتمام المعرفة في مقام التوحيد إنّما يكون أوّلاً بتنزيه الله سبحانه وتقديسه عن النقائص وصفة الاحتياج التي تعدّ من خصائص الممكن الذاتي، كالتركيب والجسميّة والحلول وما شابه ذلك من الجهل والعجز والموت، فإنّ الإنسان إذا أراد أن يعرف خالقه وصانعه من خلال معرفة نفسه «من عرف نفسه فقد عرف ربّه» فإنّه يرى نفسه غارقاً في بحر النقائص، فهو عاجز لا يقدر على شيء حين ولادته، وكان في بطن اُمّه لا يعلم شيئاً، ولا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً، وأنّه محيط بالموت وغير ذلك من صفات النقص، ولمّا كانت العلّة في وجوده أشرف وأجلّ (لمقام العلّية والتقدّم العِلّي) فخالقه وموجده وعلّته الاُولى ـ علّة العلل ـ لا بدّ أن يتنزّه عن مثل هذه النقائص، فبداية المعرفة تستلزم تنزيه الله وتسبيحه، فأوّل الإسلام أن نعرف الله بمعرفة جلاليّة بأنّه جلّ جلاله منزّه عن النقائص والقبائح، فنقول في

---

(١) البحار ٥٥ : ٥.

مقام معرفة الله : سبحان الله.

ثمّ نرى الجمال في الكون ونرى المحامد، وأنّها ترجع كلّها إلى الله جلّ جلاله، فنعرف الله بمعرفة جماليّة، ونرى جمال الله بأنّه العالم القادر الحيّ له الأسماء الحسنى والصفات العليا، فهو أحقّ بالحمد كلّه، وكلّ الحمد مستغرقاً يرجع إليه، فنقول : الحمد لله.

ثمّ سير المعرفة يقتضي أنّه حينما نرى أنّ كلّ من كان منزّهاً عن النقائص ومستجمعاً للمحامد على الإطلاق، وأنّه الكمال المطلق ومطلق الكمال، ونعرفه معرفة كماليّة، فهو أحقّ بالعبادة والعشق فهو الإله حقّاً ـ من (ألِهَ) أو (وَلِهَ) من العبادة أو الحبّ، فهو سبحانه وله الحمد يستحقّ العبادة دون غيره، فيقول العبد مبتهجاً : لا إله إلّا الله.

ثمّ يريد العبد أن يعرف ربّه كمال المعرفة فيرى أنّه ـ كما قال النبيّ الأعظم محمّد ﷺ : «ما عرفناك حقّ معرفتك»، و «ما عبدناك حقّ عبادتك» ـ فبأيّ وصفٍ يصف ربّه، فهو الكبير المتعال، وهو الأوّل والآخر والظاهر والباطن، فكلّما أراد العبد أن يصف سيّده ومولاه فإنّه يراه أكبر من أن يوصف، فيقول : الله أكبر.

وهذه المراحل هي حقيقة التوحيد وحقيقة المعرفة والإسلام الكامل.

فالتسبيح معرفة جلالية، والتحميد معرفة جماليّة، والتهليل معرفة كماليّة، ويمتاز الله سبحانه عن غيره في مقام المعرفة، أنّه أكبر ممّا يصفون، وكلّما يتوهّمه الإنسان في مقام التوحيد، فهو بالحمل الشائع الصناعي مخلوق له وليس خالقه، كما ورد في كثير من رواياتنا عن أهل البيت عليهم السلام، نعم بالحمل الأوّلي الذاتي فهو الصانع جلّ جلاله، المستجمع لجميع صفات الجمال والكمال، وهذه هي أركان الإسلام، وبني الإسلام عليها، وهي حقيقة العلم الإلهي، وهو العرش العلمي

ـ كما مرّ ـ وبحذائه البيت المعمور، وبحذاء المعمور بيت الله الحرام الكعبة المشرّفة في مكّة المكرّمة.

والحاجّ في طوافه حول البيت الحرام، يطوف مع الملائكة في السماء الرابعة حول البيت المعمور، ومع حملة العرش الإلهي، وأنّه يطوف حول العلم بجلال وجمال وكمال، بتسبيح وتحميد وتهليل وتكبير، ولو أدرك الطائف هذا المعنى ولمسه في أعماق وجوده وصميمه، وضاء قلبه بأنواره وأشعّته، فإنّه يصل إلى مقام الفناء في الله سبحانه، ويذوب في علمه وعشقه عندما يطوف مع الطائفين. ويكون طوافه طواف العاشقين الوالهين، ويغرق في سبحات جلال الله مع السابحين المسبّحين، وربما يموت شوقاً في لقاء ربّ العالمين، وتعرج روحه مع الملائكة الطائفين، ويطوف معهم في عالم الأرواح الزكيّة والأنوار البهيّة، ولا يلقّاها إلّا ذو حظّ عظيم، رزقنا الله وإيّاكم ذلك.

هذا، وجاء في بحار الأنوار للعلّامة المجلسي قدس سره قائلاً: فأمّا العرش الذي تحمله الملائكة فهو بعض الملك وهو عرش خلقه الله تعالى في السماء السابعة، وتعبّد الملائكة بحمله وتعظيمه، وقد جاء الحديث: إنّ الله تعالى خلق بيتاً تحت العرش سمّاه (البيت المعمور) تحجّه الملائكة في كلّ عام، وخلق في السماء الرابعة بيتاً سمّاه (الضرّاح) وتعبّد الملائكة بحجّه والتعظيم له والطواف حوله، وخلق البيت الحرام في الأرض فجعله تحت الضراح، وروي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: لو اُلقي حجر من العرش لوقع على ظهر بيت المعمور، ولو اُلقي من البيت المعمور لسقط على ظهر البيت الحرام، ولم يخلق الله عرشاً لنفسه يستوطنه، تعالى الله عن ذلك، لكنّه خلق عرشاً أضافه إلى نفسه تكرمةً له وإعظاماً، وتعبّد الملائكة بحمله، كما خلق بيتاً في الأرض ولم يخلقه لنفسه ولا يسكنه، تعالى الله عن ذلك، ولكنّه خلقه لخلقه،

وأضافه إلى نفسه إكراماً له وإعظاماً، وتعبّد الخلق بزيارته والحجّ إليه. انتهى كلامه المقصود نقله[١].

وجاء في تفسير الطبرسي: البيت المعمور هو بيت في السماء الرابعة بحيال الكعبة، تعمره الملائكة بما يكون منها فيه من العبادة، عن ابن عباس ومجاهد، وروي أيضاً عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ويدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك، ثمّ لا يعودون إليه أبداً.

وفي العلل عن ابن سنان عن الإمام الرضا عليه السلام: علّة الطواف بالبيت أنّ الله تبارك وتعالى قال للملائكة: ﴿ إِنِّي جاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قالوا أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ ﴾ فردّوا على الله تبارك وتعالى هذا الجواب، فعلموا أنّهم أذنبوا فندموا فلاذوا بالعرش واستغفروا فأحبّ الله عزّ وجلّ أن يتعبّد بمثل ذلك العباد، فوضع في السماء الرابعة بيتاً بحذاء العرش يسمّى (الضراح) ثمّ وضع في السماء الدنيا بيتاً يسمّى (المعمور) بحذاء الضراح، ثمّ وضع البيت بحذاء البيت المعمور، ثمّ أمر آدم عليه السلام فطاف به فتاب الله عليه، فجرى ذلك في ولده إلى يوم القيامة[٢].

وهناك روايات في الباب من الفريقين ـ السنّة والشيعة ـ فراجع، ثمّ يقول العلّامة في مقام البيان: مقتضى الجمع بين الأخبار مع صحّة جميعها، القول بتحقّق البيت في جميع تلك المواضع، وسيأتي كثير من الأخبار المتعلّقة بالباب في باب الملائكة. انتهى كلامه رفع الله مقامه.

---

(١) البحار ٥٥ : ٨.

(٢) البحار ٥٥ : ٥٥ ـ ٥٨.

وبهذا المقدار عرفنا إجمالاً علّة تربيع العرش الإلهي بنظرة روائـية، وبـيان عرفاني، فتدبّر.

ثمّ كتب على عرش الله: (الحسين مصباح هدىً وسفينة نجاة)، فإنّما يهتدي الإنسان إلى المعرفة بمراحلها بالنور الحسيني، وإنّما يشقّ عباب بحار المعارف الإلهيّة والعلوم الربّانيه بالسفينة الحسـينيّه، فـالتسبيح يـتجلّى بـالحسين عليه السلام المحـمّدي، والتحميد يظهر بمحمّد صلى الله عليه وآله الحسيني (حسين منّي وأنا من حسـين)، وكـلّهم نـورٌ واحد، فبهم عُرف الله وعُبد، وسبّحوا فسبّحت الملائكة، وحمدوا فحمدت الملائكة، وهلّلوا فهلّل الكون معهم، وكبّروا فكبّر العالم بتكبيرهم.

يا رُبّ جوهرةٍ لو أبوح به...

الفصل السابع

العقل في العرش

العقل جوهرة ربّانية قد أفاض الله بها على الإنسان ليكرّمه على مخلوقاته الأُخرى، وبالعقل امتاز عن العجماوات وتشرّف على الكائنات.

وقد بحث العلماء عنه وعن حقيقته كثيراً، وإنّ الحكماء قسّموه إلى تقسيمات عديدة كقولهم بالعقل الهيولاني والعقل المستفاد والعقل بالفعل والعقل الكلّي، وأُضيف العقل الإلهي الربّاني القدسي الذي كان عند رسول الله ﷺ، فهو العقل الكلّي، وهو الصادر الأوّل من الله جلّ جلاله[1].

وللعقل تجلّيات ومقامات ومراتب تتعلّق بفيض الله وخلقه، منها: أنّه أوّل خلق الله من الروحانيّين، كان على يمين العرش من نور الله عزّ وجلّ.

فعن سماعة قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام وعنده جماعة من مواليه فجرى ذكر العقل والجهل، فقال أبو عبد الله عليه السلام: اعرفوا العقل وجنده والجهل وجنده تهتدوا. قال سماعة: فقلت: جعلت فداك، لا نعرف إلّا ما عرّفتنا. فقال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ الله جلّ ثناؤه خلق العقل وهو أوّل خلق خلقه من

---

(١) لقد بحثت عن العقل والعقلاء بالتفصيل في (ما هو العقل ومن هم العقلاء ؟)، فراجع.

الروحانيّين عن يمين العرش من نوره، فقال له: أقبل، فأقبل، ثمّ قال له: أدبر، فأدبر، فقال الله تبارك وتعالى: خلقتك خلقاً عظيماً وكرّمتك على جميع خلقي...»[1].

والمراد من يمين العرش يعني العلم المبارك والميمون، وأنّه من نور الله جلّ جلاله.

وجاء في الخصائص الحسينيّة:

واعلم ـ كما ذكرنا ـ أنّه وقع اختلاف بين الحكماء من اليونانيّين وغيرهم من العلماء في أوّل ما صدر عن الأوّل، وفي تعيين أوّل المخلوقات، كما اختلف المتكلّمون والمليّون في ذلك، وكذلك اختلفت الأخبار عند الفريقين، في الصادر الأوّل أنّه العقل أو القلم أو الروح أو نور النبيّ أو روحه.

فذهب أكثر الحكماء ـ وهم المشّائيون أتباع أرسطوطاليس ـ إلى أنّ أوّل المخلوقات هو العقل الأوّل ـ لقاعدة الواحد لا يصدر منه إلّا واحد، كما إنّ الواحد لا يصدر إلّا من الواحد ـ ثمّ العقل الأوّل خلق العقل الثاني والفلك الأوّل، وهكذا حتّى انتهت العقول إلى عشرة، والأفلاك إلى تسعة، فإنّ العقل العاشر وهو العقل الفعّال خلق الفلك التاسع وهيولى العناصر الأربعة الماء والتراب والهواء والنار.

والعقل الأوّل المخلوق لله سبحانه وتعالى له ثلاث جهات: وجود من المبدأ الأوّل وهو نور من نوره ووجوب بالنظر إلى المبدأ الأوّل، فإنّ الله واجب الوجود لذاته، والعقل واجب الوجود لغيره، وإمكان من حيث ذاته، فهو ممكن الوجود ذاتاً بمعنى تساوي طرفي الوجود والعدم فيه، فإن وُجد يسأل لِمَ وُجد؟ وإن عُدم

---

(١) البحار ١: ١٠٩ و ١٥٨.

يُسأل لِمَ عُدم ؟ فيحتاج في وجوده وعدمه إلى علّة، بخلاف علّة العلل وهو الله سبحانه.

فالعقل كان بذلك الوجود سبباً لعقل آخر فخلق العقل الثاني، وبذلك الوجوب سبباً وعلّة لنفس فلك، وبذلك الإمكان سبباً لجسم فلك، فخلق باعتبار وجوبه وإمكانه الفلك الأوّل، وعلى هذا النهج يصدر من العقل الثاني إلى العقل العاشر.

وذهب ثاليس الملطي إلى أنّ أوّل المخلوقات الماء، وذهب بليناس الحكيم إلى أنّ الله لمّا أراد أن يخلق الخلق تكلّم بكلمة، فكانت هذه الكلمة علّة الخلق، وحدث بعد هذه الكلمة العقل، فدلّ بالفعل على الحركة، ودلّت الحركة على الحرارة.

والذي دلّت عليه الروايات الصحيحة الكثيرة، إنّ أوّل مخلوق هو نور النبيّ ﷺ، ودلّ على ذلك العقل السليم، فإنّ العلّة في الأشرفيّة وكثرة الاعتناء والأحبّية إلى الله توجب التقدّم في الخلقة، وفي بعض الروايات نوره ونورهم.

وإذ تحقّق أنّ الحقّ هو أنّ أوّل المخلوقات هو نور النبيّ أو نوره وأنوارهم، فعلى كلا التقديرين نقول: إنّ أوّل المخلوقات هو نور الحسين عليه السلام، لأنّ النبيّ ﷺ قال: «حسين منّي وأنا من حسين»، وفي رواية أُخرى: «أنا من حسين وحسين منّي»، فهو أوّل مخلوق وأوّل ما صدر عن الأوّل، فكلّ مخلوق تابع له.

فلا غرو أن يبكيه كلّ شيء مخلوق، فإذا قلنا بكاه كلّ مخلوق، فلا تتوهّم أنّه مبالغة أو استعارة تمثيليّة أو خيال، أو بكاء بلسان حال، أو فرض وتقدير، لا بل ذلك حقيقة في الباكين من جميع الموجودات، من نبيّ أو ملك أو فلك أو إنس أو جنّ أو شيطان أو جنّة أو نار أو نهر أو معادن أو نبات أو حيوان أو شمس أو قمر، لا أقول في هذا العالم فقط، بل شموس جميع العوالم وأقمارها، وسماواتها وأراضيها وسكّانها.

في الرواية : خلق الله ألف ألف عالم وألف ألف آدم، وأنتم آخر العوالم والآدميين، وهكذا بكاء كلّ شيء بكاء حقيقي، وإن كان في كلّ بحسبه.

وليس مرادي من بكاء كلّ شيء بكاؤه بعد مقتله فقط، فإنّ بيان ذلك له أبواب على حدة تذكر بعد باب شهادته، بل المراد بكاء كلّ شيء عليه قبل قتله، كما في زيارة شعبان، مرويّةً عن القائم عجّل الله فرجه (بكته السماء ومن فيها والأرض ومن عليها ولمّا يطأ لابتيها) ـ لابتاها : مثنّى لابة، وهي الأرض ذات الحجارة السوداء ـ.

وليس المراد من بكاء كلّ شيء عليه قبل قتله حصول ذلك في الجملة، بل أقول : إنّه حيث خلق أوّل ما خلق مظهراً للخضوع والخشوع، فكلّ خضوع وانكسار في العالم فله وبه، كما قال بعض الحكماء المحقّقين :

كلّ انكسارٍ وخضوعٍ به ... وكلّ صوتٍ فهو نوح الهواء[1]

ثمّ قال المحقّق المصنّف الشيخ الأجلّ الشيخ جعفر التستري قدس سره : اعلم أنّ الله جلّ جلاله لم يزل منفرداً ولم يكن مخلوق ولا زمان ولا مكان، فلمّا ابتدأ بخلق أفضل المخلوقات واشتقّ من نوره نور عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، جعل لهم محالاً متعدّدة وعوالم مختلفة، كما يظهر من مجموع الروايات المعتبرة. فمنها : قبل خلق العرض، ومنها : قبل خلق آدم، ومنها : بعده. أنواراً تارةً وأشباح نور تارة، وظلالاً وذرّاتاً وأنواراً في الجنّة تارة، وعمود نور قذف في ظهر آدم عليه السلام تارة، وفي أصابع يده أُخرى، وفي جبينه تارة، وفي جبين كلّ جدّ من الأجداد من آدم عليه السلام إلى والد النبيّ صلى الله عليه وآله عبد الله بن عبد المطّلب، وفي جبين كلّ جدّة عند الحمل ممّن هو في

---

(١) الخصائص الحسينيّة : ٣٢.

ترائبها من حوّاء إلى أمّ النبيّ آمنة بنت وهب.

ثمّ إنّ لنورهم محالاً متعدّدة قدّام العرش، وفوق العرش، وتحت العرش، وحول العرش، وفي كلّ حجاب من الحجب الاثني عشر، وفي البحار، وفي السرادقات، ولبقائهم في كلّ محلّ مدّة مخصوصة، فمدّة وجودهم قبل خلق العرش أربعمائة وعشرون ألف سنة، وزمان كونهم حول العرش خمسة عشر ألف سنة قبل آدم عليه السلام، وزمان كونهم تحت العرش اثنا عشر ألف سنة قبل آدم.

وليس المقام مقام هذه التفاصيل، فإنّه يحتاج إلى كتابٍ مستقلّ، إنّما المقصود بيان خصائص الحسين عليه السلام في نوره، وامتياز نوره من الأنوار في جميع هذه العوالم والحالات في الظلال والأشباح والذرّات، وحين تجسّمه بالشجرة في الجنّة، والقُرط في أُذن الزهراء عليها السلام، وهي في الجنّة في إحدى هذه العوالم.

فنقول: إنّ هذه الأنوار في هذه العوالم مصدرها نور النبيّ صلى الله عليه وآله وامتيازه كون نوره من نوره، فإنّه من حسين وحسين منه، وحين افتراقهما كان لنور الحسين عليه السلام خصوصيّة في أنّ رؤيته كانت موجبة للحزن، كما اتّفق لآدم عليه السلام حين ظهرت الأنوار في أصابعه، وكان نور الحسين عليه السلام في الإبهام، وقد بقي هذا التأثير إلى الآن، فإنّ من غلب عليه الضحك إذا نظر إلى ظهر إبهامه غلبه الحزن[1].

واتّفق لإبراهيم عليه السلام أيضاً، حين رأى الأشباح فكان شبحه في تلك العوالم، كما أنّ التنطّق باسمه، وسماعه كان مورثاً للحزن[2]، بل سوى ذلك فيما انتسب إلى نوره، كما في حديث المسامير الخمسة التي أتى بها جبرائيل عليه السلام إلى نوح عليه السلام

---

(١) البحار ٤٢ : ٢٧١.

(٢) البحار ٣٦ : ١٥١

ليسمّر بها جوانب السفينة، كلّ مسمار باسم واحد من الأنوار الخمسة، فلمّا أخذ المسمار المنتسب إلى نور الحسين عليه السلام أشرق وأحسّ من رطوبة بلون الدم، فسأل عن ذلك، فأُجيب بأنّه مسمار الحسين[1]. وسبب ظهور الدم منه شهادته بالكيفيّة الخاصّة.

ومن الخصوصيّات لنوره عليه السلام أنّ النور الذي كان يظهر على جبين الأُمّهات عند الحمل بأحد الأجداد للنبيّ صلى الله عليه وآله وعلى جبين آمنة عند الحمل بالنبيّ صلى الله عليه وآله، فإنّما ذلك لعدم كون أنفسهن من هذه الأنوار، فإذا حملته ظهر أثره في الجبهة، وأمّا إذا كانت الأُمّ بذاتها من الأنوار فلا وجه لظهور النور، ولا يظهر على الوجه بالخصوص نور زائد على ذلك، فلم يظهر على جبهة الزهراء عليها السلام حين حملها بالحسن نور زائد على وجهها. ولكن خصوصيّة الحسين عليه السلام أنّها لمّا حملت بالحسين عليه السلام قال لها النبيّ صلى الله عليه وآله: «إنّي أرى في مقدّم وجهكِ ضوءاً ونوراً، وستلدين حجّة لهذا الخلق»، وقالت عليها السلام: «إنّي لمّا حملت به كنت لا أحتاج في الليلة الظلماء إلى مصباح»[2].

فخصوصيّة نور الحسين عليه السلام أنّه يظهر على النور أيضاً، ومن خصوصيّاته ـ أيضاً ـ أنّه يغلب النور أيضاً. ولذا قال من رآه صريعاً وهو في الشمس نصف النهار حين قتله: والله لقد شغلني نور وجهه عن النظر في قتله.

ومن خصوصيّاته أيضاً: أنّه لا يحجبه حاجب، كما قال ذلك القائل أيضاً: إنّي ما رأيت قتيلاً مضمّخاً بالدم والتراب أنور وجهاً منه، فلم يحجب التراب والدم الذي علا على وجهه نوره الذي علا كلّ نور[3].

---

(١) البحار ٤٤: ٣٣٠

(٢) البحار ٤٣: ٢٧٣.

(٣) الخصائص الحسينيّة: ٣٦

الفصل الثامن

آل محمّد عليهم السلام في عرش الله

لقد ثبت بالتواتر الإجمالي والمعنوي، أنّ من شؤون آل محـمّد عليهم السلام العـليا ومقاماتهم الإلهيّة السامية، أنّ أنوارهم القدسيّة زيّنت عرش الله سبحانه وتعالى، فكثير من الروايات النبويّة والولويّة المروية عن أولياء الله الأئمة الأطـهار عليهم السلام تدلّ على هذا المقام العظيم والمنزلة الرفيعة المختصّة بأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، نذكر نماذج من هذه الأخبار الشريفة:

١ ـ عن علل الشرائع وعيون أخبار الرضا عليه السلام بسنده عن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمّـا عُرج بي إلى السماء نوديت: يا محمّد، فقلت: لبّيك ربّي وسعديك تباركت وتعاليت، فنوديت: يـا محـمّد، أنت عـبدي وأنا ربّك فإيّاي فاعبد، وعليّ فتوكّل فإنّك نوري في عبادي ورسولي إلى خـلقي وحجّتي على بريّتي، لك ولمن تبعك خلقت جنّتي، ولمن خـالفك خـلقت نـاري، ولأوصيائك أوجبت كرامتي، ولشيعتهم أوجبت ثـوابي، فـقلت: يـا ربّ، ومَـن أوصيائي؟ فنوديت: يا محمّد، أوصياؤك المكتوبون على ساق عرشي، فنظرت وأنا بين يدي ربّي جلّ جلاله إلى ساق العرش، فرأيت اثني عشر نوراً في كلّ نور سطرٌ أخضر، عليه اسم وصيّ من أوصيائي، أوّلهم عليّ بن أبي طالب وآخرهم مهدي

اُمّتي، فقلت: يا ربّ، هؤلاء أوصيائي بعدي؟ فنوديت: يا محمّد، هؤلاء أوليائي وأحبّائي وأصفيائي وحججي بعدك على بريّتي، وهم أوصياؤك وخلفاؤك وخير خلقي بعدك، وعزّتي وجلالي لأُظهرنّ بهم ديني ولأُعلينّ بهم كلمتي، ولأُطهرنّ الأرض بآخرهم من أعدائي، ولأُملكنّه مشارق الأرض ومغاربها، ولأُسخرنّ له الرياح، ولأُذلّلنّ له السحاب الصعاب، ولأُرقينّه في الأسباب، ولأنصرنّه بجندي، ولأمدّنّه بملائكتي حتّى يعلن دعوتي، يجمع الخلق على توحيدي ثمّ لأُديمنّ ملكه، ولأُداولنّ الأيّام بين أوليائي إلى يوم القيامة[١].

٢ ـ قصص الأنبياء بسنده قال أبو عبد الله عليه السلام: اجتمع ولد آدم في بيت، فتشاجروا فقال بعضهم: خير خلق الله أبونا آدم، وقال بعضهم: الملائكة المقرّبون، وقال بعضهم: حملة العرش، إذ دخل عليهم هبة الله فقال بعضهم: لقد جاءكم من يفرّج عنكم، فسلّم ثمّ جلس فقال: في أيّ شيءٍ كنتم؟ فقال: كنّا نفكّر في خير خلق الله، فأخبروه فقال: اصبروا لي قليلاً حتّى أرجع إليكم، فأتى أباه فقال: يا أبتِ، إنّي دخلت على إخوتي وهم يتشاجرون في خير خلق الله، فسألوني فلم يكن عندي ما أُخبرهم، فقلت: اصبروا حتّى أرجع إليكم، فقال آدم: يا بنيّ وقفت بين يدي الله جلّ جلاله، فنظرت إلى سطرٍ على وجه العرش مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم محمّد وآل محمّد خير من برأ الله[٢].

٣ ـ فضائل الشيعة بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: كنّا جلوساً مع رسول الله صلى الله عليه وآله إذ أقبل إليه رجل فقال: يا رسول الله أخبرني عن قول الله عزّوجلّ

(١) سفينة البحار ٦ : ١٩٩، عن البحار ٥٢ : ٣١٢.

(٢) السفينة ٦ : ٢٠٥، عن البحار ٢٦ : ٢٨٢.

لابليس ﴿ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ العالِينَ ﴾ فن هم يا رسول الله الذي هم أعلى من الملائكة ؟ فقال رسول الله : أنا وعليّ وفاطمة والحسن والحسين، كنّا في سرادق العرش نسبّح الله، وتسبّح الملائكة بتسبيحنا قبل أن يخلق الله عزّ وجلّ آدم بألفي عام، فلمّا خلق الله عزّ وجلّ آدم أمر الملائكة أن يسجدوا له ولم يأمرنا بالسجود، فسجدت الملائكة كلّهم إلّا إبليس فإنّه أبى أن يسجد، فقال الله تبارك وتعالى : ﴿ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ العالِينَ ﴾ أي من هؤلاء الخمس المكتوب أسماؤهم في سرادق العرش، فنحن باب الله الذي يؤتى منه، بنا يهتدي المهتدون، فمن أحبّنا أحبّه الله وأسكنه جنّته، ومن أبغضنا أبغضه الله وأسكنه ناره، ولا يحبّنا إلّا من طاب مولده[1].

٤ ـ عن قبيصة بن يزيد الجعفي قال : دخلت على الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام وعنده الدوس بن أبي الدوس وابن ظبيان والقاسم الصيرفي فسلّمت وجلست وقلت : يا بن رسول الله، لقد أتيتك مستفيداً، قال : سل وأوجز، قلت : أين كنتم قبل أن يخلق الله سماءً مبنيّة وأرضاً مدحيّة أو ظلمة ونوراً ؟ قال : يا قبيصة، لِمَ سألتنا عن هذا الحديث في مثل هذا الوقت ؟ أما علمت أنّ حبّنا قد اكتتم وبغضنا قد فشا، وإنّ لنا أعداء من الجنّ يخرجون حديثنا إلى أعدائنا من الإنس، وإنّ الحيطان لها آذان كآذان الناس ؟ قال : قلت : قد سألت عن ذلك. قال : يا قبيصة، كنّا أشباح نور حول العرش نسبّح الله قبل أن يخلق آدم بخمسة عشر ألف عام، فلمّا خلق الله آدم فرّغنا في صلبه فلم يزل ينقلنا من صلب طاهر إلى رحم مطهّر حتّى بعث الله محمّداً ﷺ، فنحن عروة الله الوثقى من استمسك بنا نجا، ومن تخلّف عنّا هوى،

---

(١) البحار ٢٥ : ٢، عن فضائل الشيعة : ٧.

لا ندخله في باب ضلال، ولا نخرجه من باب هدىً، ونحن رعاة شمس الله، ونحن عترة رسول الله، ونحن القبّة التي طالت أطنابها واتّسع فناؤها، من ضوى إلينا نجا إلى الجنّة، ومن تخلّف عنّا هوى إلى النار. قلت: لوجه ربّي الحمد[١].

٥ ـ روى الصدوق في كتاب المعراج عن رجاله إلى ابن عباس، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يخاطب علياً عليه السلام ويقول: يا عليّ، إنّ الله تبارك وتعالى كان ولا شيء معه فخلقني وخلقك روحين من نور جلاله، فكنّا أمام عرش ربّ العالمين نسبّح الله ونقدّسه ونحمده ونهلّله، وذلك قبل أن يخلق السماوات والأرضين... يا محمّد، كتبت اسمك واسمه على عرشي من قبل أن أخلق الخلق محبّة لكما ولمن أحبّكما وتولّاكما وأطاعكما... الحديث طويل فراجع[٢].

٦ ـ عن أنس بن مالك قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله صلّى صلاة الفجر ثمّ استوى في محرابه كالدر في تمامه فقلت: يا رسول الله، إن رأيت أن تفسّر لنا هذه الآية قوله تعالى: ﴿ أُولَـٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴾، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: أمّا النبيّون فأنا، وأمّا الصدّيقون فعليّ بن أبي طالب، وأمّا الشهداء فعمّي حمزة، وأمّا الصالحون فابنتي فاطمة وولداها الحسن والحسين، فنهض العباس من زاوية المسجد إلى بين يديه صلى الله عليه وآله وقال: يا رسول الله، ألست أنا وأنت وعلي وفاطمة والحسن والحسين من ينبوع واحد؟ قال صلى الله عليه وآله: وما وراء ذلك يا عمّاه؟ قال: لأنّك لم تذكرني حين ذكرتهم ولم تشرّفني حين شرّفتهم.

---

(١) المصدر، عن تفسير فرات: ٢٠٧.

(٢) البحار ٢٥ : ٤، عن كنز الفوائد: ٣٧٤.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا عمّـاه، أمّا قولك أنا وأنت وعلي والحسن والحسين من ينبوع واحد فصدقت، ولكن خلقنا الله نحـن حـيث لا سماء مـبنيّة ولا أرض مدحيّة ولا عرش ولا جنّة ولا نار، كنّا نسّبحه حـين لا تسـبيح، ونـقدّسه حـين لا تقديس، فلمّـا أراد الله بدء الصنعة فتق نوري فخلق منه العرش، فنور العرش من نوري، ونوري مـن نـور الله، وأنـا أفـضل مـن العـرش ـ الحـديث طـويل فراجع[1] ـ.

٧ ـ أمالي ابن الشيخ بسـنده عـن أبي عـبد الله عليه السلام قـال : إنّ الله خـلق محمّداً صلى الله عليه وآله من طينة من جوهرة تحت العرش، وإنّه كان لطينته نضج فجبل طـينة أمير المؤمنين عليه السلام من نضج طينة رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان لطينة أمير المؤمنين نضج فجبل طينتنا من فضل طينة أمير المؤمنين عليه السلام، وكانت لطينتنا نضج فجبل طـينة شيعتنا من نضج طينتنا، فقلوبهم تحنّ إلينا، وقلوبنا تعطف عليهم، تعطّف الوالد على الولد، ونحن خير لهم وهم خير لنا، ورسول الله لنا خير ونحن له خير[2].

٨ ـ قال أبو عبد الله عليه السلام : إنّ الله إذا أحبّ أن يخلق الإمام أخذ شربة من تحت العرش فأعطاها ملكاً فسقاها إيّاها ـ أي أُمّ الإمام ـ فمن ذلك يخلق الإمام، فإذا ولد بعث الله ذلك الملك إلى الإمام فكتب بين عينيه (وتمّت كلمة ربّك صـدقاً وعدلاً لا مبدّل لكلماته وهو السميع العليم). فإذا مضى ذلك الإمام الذي قبله رفع له مناراً يبصر به أعمال العباد، فكذلك يحتجّ به على خلقه[3].

---

(١) المصدر.

(٢) المصدر، عن أمالي ابن الشيخ : ٩٢

(٣) المصدر، عن تفسير القمّي : ٢٠٢.

٩ ـ عن جابر بن يزيد الجعفي قال: قال أبو جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام: يا جابر، كان الله ولا شيء غيره ولا معلوم ولا مجهول، فأوّل ما ابتدأ من خلق خلقه أن خلق محمّداً صلى الله عليه وآله وخلقنا أهل البيت معه من نوره وعظمته، فأوقفنا أظلّة خضراء بين يديه، حيث لا سماء ولا أرض ولا مكان ولا ليل ولا نهار ولا شمس ولا قمر، يفصل نورنا عن نور ربّنا كشعاع الشمس من الشمس، نسبّح الله تعالى ونقدّسه ونحمده ونعبده حقّ عبادته، ثمّ بدا لله تعالى عزّ وجلّ أن يخلق المكان فخلقه، وكتب على المكان لا إله إلّا الله محمّد رسول الله عليّ أمير المؤمنين ووصيّه، به أيّدته ونصرته، ثمّ خلق الله العرش فكتب على سرادقات العرش مثل ذلك، ثمّ خلق الله السماوات فكتب على أطرافها مثل ذلك، ثمّ خلق الجنّة والنار فكتب عليها مثل ذلك، ثمّ خلق الملائكة وأسكنهم السماء، ثمّ تراءى لهم الله تعالى ـ أي عرّف نفسه لهم فعرفوه ـ وأخذه عليهم الميثاق له بالربوبيّة ولمحمّد صلى الله عليه وآله بالنبوّة ولعليّ عليه السلام بالولاية، فاضطربت فرائص الملائكة ـ أي تزلزلوا في قبول ذلك ـ فسخط الله على الملائكة واحتجب عنهم فلاذوا بالعرش سبع سنين يستجيرون الله من سخطه ويقرّون بما أخذ عليهم، ويسألونه الرضا فرضي عنهم بعدما أقرّوا بذلك، وأسكنهم بذلك الإقرار السماء واختصّهم لنفسه واختارهم لعبادته، ثمّ أمر الله تعالى أنوارنا أن تسبّح، فسبّحت، فسبّحوا بتسبيحنا، ولولا تسبيح أنوارنا ما دروا كيف يسبّحون الله ولا كيف يقدّسونه... الحديث طويل نقلنا منه موضع الحاجة، فراجع[1].

١٠ ـ روى الشيخ أبو جعفر الطوسي قدّس الله روحه عن رجاله عن عبد الله ابن عجلان السكوني قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: بيت علي وفاطمة من

---

(١) البحار ٢٥ : ١٨.

حجرة رسول الله صلوات الله عليهم، وسقف بيتهم عرش ربّ العالمين، وفي قعر بيوتهم فرجة مكشوطة إلى العرش معراج الوحي والملائكة، تنزل عليهم بالوحي صباحاً ومساءً، وفي كلّ ساعة وطرفة عين، والملائكة لا ينقطع فوجهم، فوج ينزل وفوج يصعد، وإنّ الله تبارك وتعالى كشط لإبراهيم عليه السلام عن السماوات حتّى أبصر العرش وزاد الله في قوّة ناظره، وإنّ الله زاد في قوّة ناظرة محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم، وكانوا يبصرون العرش ـ أي يبصرون ملكوت السماوات والأرض أو يدركون علوم الله تبارك وتعالى ومعارفه وآياته أو ما ذكرناه من معاني العرش من أسماء الله وصفاته ـ ولا يجدون لبيوتهم سقفاً غير العرش، فبيوتهم مسقّفة بعرش الرحمن، ومعارج معراج الملائكة والروح، فوج بعد فوج، لا انقطاع لهم، وما من بيت من بيوت الأئمة منّا إلّا وفيه معراج الملائكة، يقول الله: ﴿ تَنَزَّلُ المَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فيها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أمْرٍ سَلامٌ ﴾ قال: قلت: من كلّ أمر؟ قال: بكلّ أمر، قلت: هذا التنزيل؟ قال: نعم[1].

١١ ـ عن زيد الشحّام قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أيّما أفضل الحسن أم الحسين؟ فقال: إنّ فضل أوّلنا يلحق بفضل آخرنا، وفضل آخرنا يلحق بفضل أوّلنا، وكلّ له فضل. قال: قلت له: جعلت فداك وسّع عليّ في الجواب، فإنّي والله ما سألتك إلّا مرتاداً، فقال: نحن من شجرة طيّبة برأنا الله من طينة واحدة، فضلنا من الله، وعلمنا من عند الله، ونحن اُمناؤه على خلقه، والدعاة إلى دينه، والحجّاب فيما بينه وبين خلقه.

أزيدك يا زيد؟ قلت: نعم. فقال: خلقنا واحد، وعلمنا واحد، وفضلنا

---

(١) البحار ٢٥ : ٩٧، عن كنز الفوائد : ٤٧٣.

واحد، وكلّنا واحد عند الله تعالى، فقال: أخبرني بعدّتكم؟ فقال: نحن اثنا عشر هكذا حول عرش ربّنا عزّ وجلّ في مبتدأ خلقنا، أوّلنا محمّد وأوسطنا محمّد وآخرنا محمّد[1].

١٢ ـ عن عبد الله بن بكر الأرجاني في حديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت: جعلت فداك، أخبرني عن الحسين عليه السلام لو نبش كانوا يجدون في قبره شيئاً؟ قال: يا ابن بكر ما أعظم مسائلك؟ الحسين مع أبيه وأُمّه وأخيه الحسن في منزل رسول الله صلى الله عليه وآله يحيون كما يحيى، ويرزقون كما يرزق، فلو نبش في أيّامه لوجد، فأمّا اليوم فهو حيّ عند ربّه ينظر إلى معسكره وينظر إلى العرش، متى يؤمر أن يحمله، وإنّه لعلى يمين العرش متعلّق يقول: يا ربّ أنجز لي ما وعدتني، وإنّه لينظر إلى زوّاره وهو أعرف بهم وبأسمائهم وأسماء آبائهم وبدرجاتهم وبمنزلتهم عند الله من أحدكم بولده وما في رحله، وإنّه ليرى من يبكيه فيستغفر له رحمةً له، ويسأل آباءه الاستغفار له ويقول: لو تعلم أيّها الباكي ما أعدّ لك لفرحت أكثر ممّا جزعت، ويستغفر له رحمةً له كلّ من سمع بكاءه من الملائكة في السماء وفي الحائر وينقلب وما عليه من ذنب[2].

١٣ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام: إنّ لنا في كلّ ليلة جمعة سروراً، إنّه إذا كان ليلة الجمعة وافى رسول الله صلى الله عليه وآله العرش ووافى الأئمة معه ووافينا معهم، فلا ترد أرواحنا إلى أبداننا إلّا بعلم مستفاد، ولولا ذلك لنفد ما عندنا[3].

---

(١) البحار ٢٥ : ٣٦٣، عن المختصر : ١٥٩

(٢) البحار ٢٥ : ٣٧٦، عن كامل الزيارات : ٢٢٦.

(٣) البحار ٢٦ : ٨٩، عن بصائر الدرجات : ٣٦.

قال العلّامة المجلسي في بيان الخبر: يحتمل أن يكون بقاء ما عندهم من العلم مشروطاً بتلك الحالة، ويحتمل أن يكون المستفاد تفصيلاً لما علموا مجملاً، ويمكنهم استنباط التفصيل منه، أو المراد أنّه لا يجوز لنا الإظهار بدون ذلك كما يؤمي إليه خبر ليلة القدر، أو المراد أنفدنا من علم مخصوص سوى الحلال والحرام ولم يفض على النبيّ والأئمة المتقدّمين صلوات الله عليهم، وإن أُفيض في ذلك الوقت كما سيأتي، وذلك إمّا من المعارف الإلهيّة أو من الأُمور البدائيّة كما مرّ منّا الإشارة إليهما، ويؤيّد الأخير كثير من الأخبار الآتية ـ انتهى كلامه رفع الله مقامه ـ ويحتمل أن يكون من العلم المستأثر عند الله، كما في الخبر[1]، فراجع.

١٤ ـ عن الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: والله إنّا لخزّان الله في سمائه وخزّانه في أرضه، لسنا بخزّان على ذهب ولا فضّة، وإنّ منّا لحملة العرش يوم القيامة[2].

١٥ ـ روي لنا أنّ حبيب بن مظاهر الأسدي ـ بيّض الله وجهه ـ أنّه قال للحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام: أيّ شيء كنتم قبل أن يخلق الله عزّ وجلّ آدم عليه السلام؟ قال: كنّا أشباح نور ندور حول عرش الرحمن فنعلّم الملائكة التسبيح والتهليل والتحميد[3].

١٦ ـ عن الهروي قال: قلت للرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله، أخبرني عن الشجرة التي أكل منها آدم وحوّاء ما كانت؟ فقد اختلف الناس فيها، فمنهم من

---

(١) البحار ٢٦: ٩٢، الحديث ٢٣

(٢) البحار ٢٦: ١٠٥، الباب ٥

(٣) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ٥٨، عن بحار الأنوار ٦٠: ٣١١.

يروي أنّها الحنطة، ومنهم من يروي أنّها العنب، ومنهم من يروي أنّها شجرة الحسد ؟ فقال : كلّ ذلك حقّ. قلت : فما معنى هذه الوجوه على اختلافها ؟ فقال : يا أبا الصلت، إنّ شجرة الجنّة تحمل أنواعاً، فكانت شجرة الحنطة وفيها عنب وليست كشجرة الدنيا.

وإنّ آدم لمّا أكرمه الله تعالى ذكره بأسماء الملائكة له، وبإدخاله الجنّة، قال في نفسه : هل خلق الله بشراً أفضل منّي ؟ فعلم الله عزّ وجلّ ما وقع في نفسه فناداه : ارفع رأسك يا آدم فانظر إلى ساق عرشي، فرفع آدم رأسه فنظر إلى ساق العرش فوجد عليه مكتوباً : لا إله إلّا الله محمّد رسول الله عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين وزوجته فاطمة سيّدة نساء العالمين والحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة.

فقال آدم عليه السلام : يا ربّ، من هؤلاء ؟ فقال عزّ وجلّ : من ذرّيتك وهم خيرٌ منك ومن جميع خلقي، ولولاهم ما خلقتك ولا خلقت الجنّة والنار ولا السماء والأرض، فإيّاك أن تنظر إليهم بعين الحسد، فأُخرجك عن جواري.

ونظر إليهم بعين الحسد، وتمنّى منزلتهم، فتسلّط الشيطان عليه حتّى أكل من الشجرة التي نهي عنها، وتسلّط على حوّاء لنظرها إلى فاطمة عليها السلام بعين الحسد حتّى أكلت من الشجرة كما أكل آدم فأخرجهما الله عزّ وجلّ عن جنّته وأهبطهما عن جواره إلى الأرض[١].

قال العلّامة المجلسي في بيان الخبر : لعلّ المراد بنظر الحسد تمنّي أحوالهم والوصول إلى منازلهم وكان ذلك منهما ترك الأولى، لأنّه مع العلم بأنّ الله تعالى

---

(١) المصدر، عن عيون الأخبار : ١٧٠.

فضّلهم عليهما، كان ينبغي لهما أن يكونا في مقام الرضا والتسليم، وأن لا يتمنّيا درجاتهم صلوات الله عليهم.

أقول: ولعلّ قولهم عليهم السلام: «لا يقاس بنا أحد» إشارة إلى هذا المقام العظيم، وحتّى لمثل آدم عليه السلام لا يحقّ له أن يقيس نفسه بهم، فإنّهم دون الخالق جلّ جلاله، وفوق ما سواه عزّ وجلّ، فهم صنايع الله والخلق صنايعهم، فهم الصادر الأوّل والعلّة الغائيّة في الوجود، وهذا من سرّ السرّ في المعبود، فتدبّر.

١٧ ـ الكراجكي في كنز الفوائد بسنده في حديث طويل في معراج النبيّ صلى الله عليه وآله عن الجارود بن المنذر العبدي: قال رسول الله: يا جارود، ليلة أُسري بي إلى السماء أوحى الله عزّ وجلّ إليّ أن سل من أرسلنا قبلك من رسلنا على ما بعثوا؟ فقلت: على ما بعثتم؟ فقالوا: على نبوّتك وولاية عليّ بن أبي طالب والأئمة منكما، ثمّ أُوحي إليّ أن التفت عن يمين العرش. فالتفتّ فإذا: عليّ والحسن والحسين وعليّ بن الحسين ومحمّد بن عليّ وجعفر بن محمّد وموسى بن جعفر وعليّ بن موسى ومحمّد بن عليّ وعليّ بن محمّد والحسن بن عليّ والمهدي في ضحضاح من نور يصلّون، فقال لي الربّ تعالى: هؤلاء الحجج أوليائي وهذا ـ أي المهدي عليه السلام ـ المنتقم من أعدائي[1].

هذا وينقل العلّامة المجلسي ما يقول المحقّق الكراجكي رحمهما الله في بيان الخبر الشريف وأنّه لو سئل الشيعة عن هذا الحديث أنّه كيف كان الأنبياء المرسلون قبل رسول الله قد ماتوا فكيف يصحّ سؤالهم في السماء؟ وما معنى أنّهم بعثوا على نبوّته وولاية علي والأئمة من ولده عليهم السلام؟ وأنّه كيف يصحّ أن يكون الأئمة الاثنا عشر عليهم السلام في تلك الحال في السماء ونحن نعلم ضرورة خلاف هذا، لأنّ

---

(١) البحار ٢٦: ٣٠١، عن الكنز: ٢٥٦، والضحضاح: قريب القعر.

أمير المؤمنين عليه السلام كان في ذلك الوقت بمكّة في الأرض، ولم يدّع قط ولا ادّعى له أحد أنّه صعد إلى السماء، فأمّا الأئمة من ولده فلم يكن وجد أحد منهم بعد ولا ولد، فما معنى ذلك إن كان الخبر حقّاً؟

فأجاب قدس سره عن السؤال الأوّل: إنّا لا نشكّ في موت الأنبياء عليهم السلام غير أنّ الخبر قد ورد بأنّ الله تعالى يرفعهم بعد مماتهم إلى سمائه، وأنّهم يكونون فيها أحياء متنعّمين إلى يوم القيامة، ليس ذلك بمستحيل في قدرة الله سبحانه، وقد ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: أنا أكرم عند الله من أن يدعني في الأرض أكثر من ثلاث، وهكذا عندنا حكم الأئمة عليهم السلام.

قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «لو مات نبيّ بالمشرق ومات وصيّه بالمغرب لجمع الله بينهما» وليس زيارتنا لمشاهدهم على أنّهم بها، ولكن أشرف المواضع فكانت غيّبت الأجسام فيها، ولعبادة أيضاً ندبنا إليها، فيصحّ على هذا أن يكون النبيّ صلى الله عليه وآله رأى الأنبياء عليهم السلام في السماء فسألهم كما أمره الله تعالى.

وبعد فقد قال الله تعالى: ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذينَ قُتِلوا في سَبيلِ اللهِ أمْواتاً بَلْ أحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ فإذا كان المؤمنون الذين قتلوا في سبيل الله على هذا الوصف، فكيف ينكر أنّ الأنبياء عليهم السلام بعد موتهم أحياء منعّمون في السماء، وقد اتّصلت الأخبار من طريق الخاصّ والعامّ بتصحيح هذا.

وأجمع الرواة على أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا خوطب لغرض الصلاة ليلة المعراج وهو في السماء، قال له موسى عليه السلام: «إنّ اُمّتك لا تطيق» وإنّه راجع إلى الله تعالى دفعة بعد اُخرى، وما حصل عليه الاتّفاق فلم يبقَ فيه كذب.

وأمّا الجواب عن السؤال الثاني: فهو أن يكون الأنبياء عليهم السلام قد اُعلموا بأنّه سيبعث نبيّاً يكون خاتمهم، وناسخاً بشرعه شرائعهم، واُعلموا أنّه أجلّهم وأفضلهم،

وأنّه سيكون أوصياؤه من بعده حفظة لشرعه وحملة لدينه وحججاً على أُمّته، فوجب على الأنبياء عليهم السلام التصديق بما أُخبروا به والإقرار بجميعه.

أخبر الشريف يحيى بن أحمد بن إبراهيم بن طباطبا الحسيني عن عبد الواحد ابن عبد الله الموصلي عن أبي علي بن همّام عن عبد الله بن جعفر الحميري عن عبد الله بن محمد بن محمّد بن أحمد عن يونس بن يعقوب عن عبد الأعلى بن أعين قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: ما تنبّأ نبيّ قطّ إلّا بمعرفة حقّنا، وتفضيلنا على من سوانا.

وإنّ الأمّة مجمعة على أنّ الأنبياء عليهم السلام قد بشّروا بنبيّنا صلى الله عليه وآله ونبّهوا على أمره، ولا يصحّ منهم ذاك إلّا وقد أعلمهم الله تعالى به فصدّقوا وآمنوا بالمخبر به، وكذلك قد روت الشيعة بأنّهم قد بشّروا بالأئمة أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله.

وأمّا الجواب عن السؤال الثالث: فهو أنّه يجوز أن يكون تعالى أحدث لرسول الله صلى الله عليه وآله في الحال صوراً كصور الأئمة عليهم السلام ليراهم أجمعين على كمالهم كمن شاهد أشخاصهم برؤية مثالهم، ويشكر الله تعالى على ما منحه من تفضيلهم وإجلالهم وهذا في الممكن المقدور ـ أي كان ممكناً ومقدوراً لله سبحانه فلا يستحيل عقلاً لوجود المقتضي وعدم المانع ـ.

ويجوز أيضاً أن يكون الله تعالى خلق على صورهم ملائكة في سمائه يسبّحونه ويقدّسونه لتراهم ملائكته الذين قد أعلمهم بأنّهم سيكونون في أرضه حججاً له على خلقه، فتتأكّد عندهم منازلهم وتكون رؤيتهم تذكاراً لهم بهم وبما سيكون من أمرهم.

وقد جاء في الحديث أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله رأى في السماء لمّا عرج به ملكاً على صورة أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وهذا خبر اتّفق أصحاب الحديث من السنّة

والشيعة على نقله، حدّثني به من طريق العامّة أبو الحسن محمّد بن أحمد بن شاذان عن جعفر بن محمد بن مسرور عن الحسين بن محمّد عن أحمد بن علويه عن إبراهيم ابن محمّد عن عبد الله بن صالح عن حديد عن عبد الحميد عن مجاهد عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لمّا أُسري بي إلى السماء ما مررت بملأ من الملائكة إلّا سألوني عن علي بن أبي طالب حتّى ظننت أنّ اسم علي أشهر في السماء من اسمي، فلمّا بلغت السماء الرابعة نظرت إلى ملك الموت عليه السلام فقال لي: يا محمّد، ما خلق الله خلقاً إلّا أقبض روحه بيدي ما خلا أنت وعليّ، فإنّ الله جلّ جلاله يقبض أرواحكما بقدرته. فلمّا صرت تحت العرش نظرت فإذا أنا بعليّ بن أبي طالب واقفاً تحت عرش ربّي، فقلت: يا عليّ سبقتني؟ فقال لي جبرئيل عليه السلام: يا محمّد، من هذا الذي يكلّمك؟ قلت: هذا أخي علي بن أبي طالب، قال لي: يا محمّد ليس هذا عليّاً، ولكنّه ملك من ملائكة الرحمان خلقه الله على صورة علي ابن أبي طالب، فنحن الملائكة المقرّبون كلّما اشتقنا إلى وجه علي بن أبي طالب زرنا هذا الملك، لكرامة علي بن أبي طالب على الله سبحانه.

فيصحّ على هذا الوجه أن يكون الذين رآهم رسول الله صلى الله عليه وآله ملائكة على صور الأئمة عليهم السلام، وجميع ذلك داخل في باب التجويز والإمكان والحمد لله. انتهى كلامه رفع الله مقامه.

يقول العلّامة المجلسي: ويحتمل أيضاً في رؤية من مضى ومن لم يأت، أن يكون صلى الله عليه وآله رأى أجسادهم المثالية أو أرواحهم على القول بتجسّمها، وقد مرّ بعض القول في ذلك في كتاب المعاد والله يهدي إلى الرشاد.

أقول:

ويمكن أن يكون من عالم الأنوار أو الأشباح الذي كان قبل خلق السماوات

والأرض، وما بينهما وقبل خلق آدم عليه السلام، كما ورد في الروايات الكثيرة، فتدبّر.

١٨ ـ عن المفضّل في حديث طويل في قصّة آدم وحوّاء وعرض الأمانة على السماوات والأرض فأبين أن يحملنها وحملها الإنسان إنّه كان ظلوماً جهولاً، فقال الإمام الصادق عليه السلام: فلمّا أراد الله عزّ وجلّ أن يتوب عليهما جاءهما جبرئيل فقال لهما: إنّكما ظلمتما أنفسكما بتمنّي منزلة من فضّل عليكما، فجزاؤكما ما قد عوقبتما به من الهبوط من جوار الله عزّ وجلّ إلى أرضه، فاسألا ربّكما بحقّ الأسماء التي رأيتموها على ساق العرش حتّى يتوب عليكما.

فقالا: اللهمّ إنّا نسألك بحقّ الأكرمين عليك محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمة إلّا تبت علينا ورحمتنا، فتاب الله عليهما إنّه هو التوّاب الرحيم[1].

أقول: في هذا المعنى روايات كثيرة مختلفة إلّا أنّ مضمونها واحد، بأنّ الله سبحانه تاب على آدم وحوّاء بمحمّد وآله عليهم السلام، وأنّ أسماءهم وأنوارهم القدسيّة كانت على ساق العرش وحوله أو قدّامه، أي ثابتة في علم الله ورحمته وتدبيره وفي كلّ أسمائه الحسنى وصفاته العليا، فلا تعرف ولا تنال إلّا بهم، فهم عليهم السلام الوجه إليها والدليل عليها، بل هم أسماء الله الحسنى التي بها يُدعى، فهم العرش الإلهي حقيقة وفي نفس الأمر، فهم من علم الله وقدرته، وهم جنب الله وروحه ويده وعينه ولسانه ووجهه في خلقه، كما جاء في أخبارنا الصحيحة، كلّ هذا باعتبار العلم وشُعبه ومتعلّقاته ومقاماته، فلا تغفل.

١٩ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الكروبيّين قوم من شيعتنا من الخلق الأوّل جعلهم الله خلف العرش، لو قسّم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم،

---

(١) البحار ٢٦: ٣٢٢، عن معاني الأخبار: ٣٧.

ثمّ قال: إنّ موسى عليه السلام لمّا أن سأل ربّه ما سأل، أمر واحداً من الكروبيّين فتجلّى للجبل فجعله دكّاً[١].

٢٠ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا خلق الله العرش خلق ملكين فاكتنفاه فقال: اشهدا أن لا إله إلّا أنا، فشهدا، ثمّ قال: اشهدا أنّ محمّداً رسول الله، فشهدا، ثمّ قال: اشهدا أنّ عليّاً أمير المؤمنين، فشهدا[٢].

٢١ ـ إرشاد القلوب عن أبي ذرّ الغفاري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: افتخر إسرائيل على جبرائيل فقال: أنا خير منك. قال: ولِمَ أنت خير منّي؟ قال: لأنّي صاحب الثمانية حملة العرش، وأنا صاحب النفخة في الصور، وأنا أقرب الملائكة إلى الله تعالى.

قال جبرئيل: أنا خير منك، فقال: بما أنت خيرٌ منّي؟ قال: لأنّي أمين الله على وحيه، وأنا رسوله إلى الأنبياء والمرسلين، وأنا صاحب الخسوف والكسوف، وما أهلك الله أُمّة من الأُمم إلّا على يدي. فاختصما إلى الله تعالى فأوحى إليهما: اسكتا، وعزّتي وجلالي لقد خلقت من هو خيرٌ منكما، قالا: يا ربّ، أوَ تخلق خيراً منّا ونحن خلقنا من نور، قال الله تعالى: نعم، وأوحى إلى حجب القدرة انكشفي، فانكشفت فإذا على ساق العرش الأيمن مكتوب: «لا إله إلّا الله محمّد رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين أحبّاء الله» فقال جبرئيل: يا ربّ، فإنّي أسألك بحقّهم عليك إلّا جعلتني خادمهم، قال الله تعالى: قد جعلت. فجبرئيل عليه السلام من أهل البيت وإنّه خادمنا[٣].

---

(١) البحار، عن البصائر: ٢١

(٢) البحار، عن البقمن: ٥٥

(٣) البحار ٢٦: ٣٤٥، عن إرشاد القلوب: ٢١٤.

٢٢ ـ عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من صافح عليّاً فكأنّما صافحني، ومن صافحني فكأنّما صافح أركان العرش، ومن عانقه فكأنّما عانقني، ومن عانقني فكأنّما عانق الأنبياء كلّهم، ومن صافح محبّاً لعليّ غفر الله له الذنوب وأُدخل الجنّة بغير حساب[١].

أقول: أركان العرش ـ كما ذكرنا في تربيع العرش ـ عبارة عن التسبيحات الأربعة (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر) وهذا خلاصة العلم بالله سبحانه حسب الطاقة البشرية، فصافحته ربما يعني القرب منه، حتّى يحسّ به الإنسان العارف بالله وكأنّه يلمسه بكلّ وجوده، والمصافحة من باب المفاعلة التي تستلزم الطرفين كالمشاركة والمضاربة، فلا تغفل.

٢٣ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث: إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من بطنان العرش: أين محمّد وعليّ؟ فيزخّ بكما إلى السماء حتّى توقفان بين يدي الله، فيقول لنبيّه عليه السلام: أورد عليّاً الحوض، وهذا كأس أعطه حتّى يسقي محبّيه وشيعته، ولا يسقي أحداً من مبغضيه، ويأمر لمحبّيه أن يحاسبوا حساباً يسيراً، ويؤمر بهم إلى الجنّة[٢].

٢٤ ـ عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: لمّا خلق الله العرش خلق سبعين ألف ملك وقال لهم: طوفوا بعرش النور وسبّحوني واحملوا عرشي، فطافوا وسبّحوا، وأرادوا أن يحملوا العرش فما قدروا. فقال لهم الله: طوفوا بعرش النور فصلّوا على نور جلال محمّد حبيبي واحملوا عرشي، فطافوا بعرش الجلال وصلّوا على محمّد

---

(١) البحار ٢٧ : ١١٥.

(٢) المصدر

وحملوا العرش، فأطاقوا حمله، فقالوا: ربّنا أمرتنا بتسبيحك وتقديسك، فقال الله لهم: يا ملائكتي، إذا صلّيتم على حبيبي محمّد فقد سبّحتموني وقدّستموني وهلّلتموني[١].

٢٥ ـ من كتاب *النشر والطيّ* عن الرضا عليه السلام في خبر طويل في فضل يوم الغدير قال: وفي يوم الغدير عرض الله الولاية على أهل السماوات السبع فسبق إليها أهل السماء السابعة فزيّن بها العرش...[٢].

٢٦ ـ عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث طويل في مظلوميّة أهل البيت عليهم السلام ثمّ شهادة الإمام الحسين عليه السلام فيقول صلى الله عليه وآله عن الله في المعراج: وأمّا ابنها الآخر فتدعوه أُمّتك إلى الجهاد، ثمّ يقتلونه صبراً ويقتلون ولده ومن معه من أهل بيته، ثمّ يسلبون حرمه فيستعين بي وقد مضى القضاء منّي فيه بالشهادة له، ولمن معه، ويكون قتله حجّة على من بين قطريها، فتبكيه أهل السماوات والأرضين جزعاً عليه، وتبكيه ملائكة لم يدركوا نصرته، ثمّ أُخرج من صلبه ذكراً به أنصرك وإنّ شبحه عندي تحت العرش ـ وفي نسخة أُخرى ـ: ثمّ أُخرج من صلبه ذكراً أنتصر له به وإنّ شبحه عندي تحت العرش يملأ الأرض بالعدل ويطبقها بالقسط، يسير معه الرعب...[٣] وأمّا ابنك المقتول المخذول وابنك المغدور المقتول صبراً فإنّهما ممّا أُزيّن بهما عرشي، ولهما من الكرامة سوى ذلك ما لا يخطر على قلب بشر لما أصابهما من البلاء، ولكلّ من أتى قبره من الخلق، لأنّ زوّاره زوّارك وزوّارك زوّاري، وعليّ كرامة

---

(١) البحار ٢٧: ٢٥٩.

(٢) المصدر: ٢٦٢، عن بصائر الدرجات: ٢١.

(٣) البحار ٢٨: ٦٢، عن كامل الزيارات: ٢٣٢.

زائري، وأنا أُعطيه ما سأل وأجزيه جزاء يغبطه من نظر إلى تعظيمي له، وما أعددت له من كرامتي...

٢٧ ـ عن أبي الهيثم بن التيهان الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله عزّ وجلّ خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام وعلّقها بالعرش وأمرها بالتسليم عليّ والطاعة لي، وكان أوّل من سلّم عليّ وأطاعني من الرجال روح عليّ بن أبي طالب عليه السلام[1].

٢٨ ـ وفي خبر عن النبيّ صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة زُيّن عرش الرحمن بكلّ زينة، ثمّ يؤتى بمنبرين من نور، طولها مائة ميل، فيوضع أحدهما عن يمين العرش، والآخر عن يسار العرش، ثمّ يؤتى بالحسن والحسين عليهما السلام، فيزيّن الربّ تبارك وتعالى بهما عرشه كما يزيّن المرأة قرطاها[2].

٢٩ ـ وعنه صلى الله عليه وآله: الحسن والحسين شنفا العرش وليسا بمعلّقين. (الشنف ـ بالفتح والسكون ـ: القرط الأعلى أو معلاق فوق الأذن، وأمّا ما علّق في أسفلها فقرط).

٣٠ ـ عن سهل بن سعد الأنصاري، قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَما كُنْت بِجانِبِ الطُّوْرِ إذْ نادَيْناهُ ﴾، قال: كتب الله عزّ وجلّ كتاباً قبل أن يخلق الخلق بألفي عام في ورق آس، ثمّ وضعها على العرش، ثمّ نادى يا أُمّة محمّد: إنّ رحمتي سبقت غضبي، أُعطيكم قبل أن تسألوني، وغفرت لكم قبل أن

---

(١) أمالي المفيد: ١٢٥.

(٢) الخصائص الحسينيّة: ٤١٨، عن أمالي الشيخ الصدوق: ٩٨ ـ ٩٩، ونقله البحار ٤٣: ٢٩١، والمنتخب: ١٥٨.

تسنغفروني، فمن لقيني منكم بشهد أن لا إله إلّا أنا وأنّ محمّداً عبدي ورسولي، أدخلته الجنّة برحمتي[1].

٣١ ـ عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام، قال: كان الله ولا شيء غيره، فأوّل ما ابتدأ من خلق الله أن خلق محمّداً وخلقنا أهل البيت معه من نور عظمته، فأوقفنا أظلّة خضراء بين يديه، حيث لا سماء ولا أرض ولا مكان ولا ليل ولا نهار ولا شمس ولا قمر.

٣٢ ـ عن صفوان، عن الصادق عليه السلام، قال: لمّا خلق الله السماوات والأرضين استوى على العرش فأمر نورين من نوره فطافا حول العرش سبعين مرّة، فقال عزّ وجلّ: هذان نوران لي مطبعان، فلخق الله من ذلك النور محمّداً وعليّاً والأصفياء من ولده عليهم السلام.

أقول: لا يخفى أنّ لنا مثل هذه الأحاديث الشريفة الكثير، ولا تعجب منها في فضل رسول الله وعترته الطاهرين، فإنّه دون الربوبيّة، قالوا عليهم السلام: (نزّلونا عن الربوبيّة وقولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوا معشار عشر)، فهذا ليس من الغلوّ[2].

ولا بأس أن أذكر ما جاء في البحار عن الشيخ المفيد قدس سره:

قال في جواب المسائل السرويّة حيث سئل: ما قوله ـ أدام الله تأييده ـ في معنى الأخبار المرويّة من الأئمة الهادية عليهم السلام في الأشباح وخلق الله تعالى الأرواح قبل خلق آدم عليه السلام بألفي عام وإخراج الذريّة من صلبه على صور الذرّ، ومعنى قول

---

(١) البحار ٣. ١٢، عن ثواب الأعمال

(٢) لقد تعرّضت إلى ذلك بالتفصيل في (هذه هي الولاية)، و(جلوة من ولاية أهل البيت عليهم السلام)، فراجع

رسول الله صلى الله عليه وآله: الأرواح جنود مجنّدة، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف؟

الجواب ـ وبالله التوفيق ـ: إنّ الأخبار بذكر الأشباح تختلف ألفاظها وتتباين معانيها، وقد بنت الغلاة عليها أباطيل كثيرة، وصنّفوا فيها كتباً لغوا فيها، وهزؤوا فيما أثبتوه منه في معانيها، وأضافوا ما حوته الكتب إلى جماعة من شيوخ أهل الحقّ، وتخرّصوا الباطل بإضافتها إليهم، من جملتها كتاب سمّوه كتاب (الأشباح والأظلّة) نسبوه في تأليفه إلى محمّد بن سنان، ولسنا نعلم صحّة ما ذكروه في هذا الباب عنه، وإن كان صحيحاً، فإنّ ابن سنان قد طعن عليه وهو متّهم بالغلوّ، فإن صدقوا في إضافة هذا الكتاب إليه فهو ضلال لضالّ عن الحقّ، وإن كذبوا فقد تحمّلوا أوزار ذلك، والصحيح من حديث الأشباح، الرواية التي جاءت عن الثقاة بأنّ آدم عليه السلام رأى على العرش أشباحاً يلمع نورها، فسأل الله تعالى عنها، فأوحى إليه أنّها أشباح رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين والحسن والحسين وفاطمة صلوات الله عليهم، وأعلمه أنّه لولا الأشباح التي رآها ما خلقه ولا خلق سماءً ولا أرضاً، والوجه فيما أظهر الله تعالى من الأشباح والصور لآدم أن دلّه على أنّ مصالح الدين والدنيا لا تتمّ إلّا بهم، ولم يكونوا في تلك الحال صوراً مجيبة، ولا أرواحاً ناطقة، لكنّها كانت على مثل صورهم في البشريّة، يدلّ على ما يكونوا عليه في المستقبل في الهيئة، والنور الذي جعله عليهم يدلّ على نور الدين بهم، وضياء الحقّ بحججهم، وقد روي أنّ أسماءهم كانت مكتوبة إذ ذاك على العرش، وأنّ آدم عليه السلام لمّا تاب إلى الله عزّ وجلّ وناجاه بقبول توبته سأله بحقّهم عليه ومحلّهم عنده فأجابه، وهذا غير منكر في العقول، ولا مضادّ للشرع المنقول، وقد رواه الصالحون المأمومون، وسلّم لروايته طائفة الحقّ، ولا طريق إلى إنكاره، والله وليّ التوفيق[1].

---

(١) البحار ٥ : ٢٦٢.

٣٣ـ قال الإمام الرضا عليه السلام : إنّ آدم عليه السلام لمّا أكرمه الله تعالى ذكره بإسجاد ملائكته له وبإدخاله الجنّة، قال في نفسه : هل خلق الله بشراً أفضل منّي ؟ فعلم الله عزّ وجلّ ما وقع في نفسه، فناداه : ارفع رأسك يا آدم فانظر إلى ساق عرشي، فرفع آدم رأسه فنظر إلى ساق العرش فوجد عليه مكتوباً : لا إله إلّا الله محمّد رسول الله عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين وزوجه فاطمة سيّدة نساء العالمين، والحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة. فقال آدم عليه السلام : يا ربّ، من هؤلاء ؟ قال عزّ وجلّ : من ذرّيتك وهم خيرٌ منك ومن جميع خلقي، لولاهم ما خلقتك ولا خلقت الجنّة والنار ولا السماء والأرض، فإيّاك أن تنظر إليهم بعين الحسد فأُخرجك عن جواري، فنظر إليهم بعين الحسد وتمنّى منزلتهم فتسلّط الشيطان عليه حتّى أكل من الشجرة التي نهي عنها، وتسلّط على حوّاء لنظرها إلى فاطمة عليها السلام بعين الحسد حتّى أكلت من الشجرة كما أكل آدم، فأخرجهما الله عزّ وجلّ عن جنّته، وأهبطهما عن جواره إلى الأرض[١].

٣٤ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث قال : فلمّا أراد الله عزّ وجلّ أن يتوب عليهما جاءهما جبرئيل فقال لهما : إنّكما إنّما ظلمتما أنفسكما بتمنّي منزلة من فضّل عليكما فجزاؤكما ما قد عوقبتما به من الهبوط من جوار الله عزّ وجلّ إلى أرضه، فسلا ربّكما بحقّ الأسماء التي رأيتموها على ساق العرش حتّى يتوب عليكما، فقالا : (اللهمّ إنّا نسألك بحقّ الأكرمين عليك، محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة، إلّا تبت علينا ورحمتنا)، فتاب الله عليهما إنّه هو التوّاب الرحيم[٢].

---

(١) البحار ١١ : ١٦٥، عن معاني الأخبار : ٤٢، وعيون الأخبار : ١٧٠.

(٢) البحار ١١ : ١٧٤.

٣٥ـ عن ابن عباس في حديث قال: فلمّا أسجد له الملائكة تداخله العجب فقال: يا ربّ، خلقت خلقاً أحبّ إليك منّي؟ فلم يجب، ثمّ قال الثانية، فلم يجب، ثمّ قال الثالثة فلم يجب، ثمّ قال الله عزّ وجلّ له: نعم ولولاهم ما خلقتك. فقال: يا ربّ، فأرينهم، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى ملائكة الحجب: أن ارفعوا الحجب، فلمّا رفعت إذا آدم بخمسة أشباح قدّام العرش، فقال: يا ربّ من هؤلاء؟ قال: يا آدم هذا محمّد نبيّي، وهذا عليّ أمير المؤمنين ابن عمّ نبيّي ووصيّه، وهذه فاطمة ابنة نبيّي، وهذا الحسن والحسين ابنا عليّ وولدا نبيّي، ثمّ قال: يا آدم هم ولدك، ففرح بذلك، فلمّا اقترف الخطيئة قال: يا ربّ، أسألك بحقّ محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين لما غفرت لي، فغفر الله له بهذا، فهذا الذي قال الله عزّ وجلّ: ﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ ﴾، فلمّا هبط إلى الأرض صاغ خاتماً فنقش عليه (محمّد رسول الله وعليّ أمير المؤمنين)، ويكنّى آدم بأبي محمّد[1].

٣٦ـ عن معاذ بن جبل أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّ الله خلقني وعليّاً وفاطمة والحسن والحسين من قبل أن يخلق الدنيا بسبعة آلاف عام، قلت: فأين كنتم يا رسول الله؟ قال: قدّام العرش، نسبّح الله ونحمده ونقدّسه ونمجّد، قلت: على أيّ مثال؟ قال: أشباح نور حتّى إذا أراد الله عزّ وجلّ أن يخلق صورنا صيّرنا عمود نور، ثمّ قذفنا في صلب آدم ثمّ أخرجنا إلى أصلاب الآباء وأرحام الأُمّهات، ولا يصيبنا نجس الشرك ولا سفاح الكفر، يسعد بنا قوم ويشقى بنا آخرون، فلمّا صيّرنا إلى صلب عبد المطّلب أخرج ذلك النور فشقّه نصفين، فجعل نصفه في عبد الله، ونصفه في أبي طالب، ثمّ أخرج الذي لي إلى آمنة، والنصف إلى فاطمة

---

(١) المصدر: ١٧٥.

بنت أسد، فأخرجتني آمنة، وأخرجت فاطمة عليّاً، ثمّ أعاد الله عزّ وجلّ العمود إليّ فخرجت منّي فاطمة، ثمّ أعاد عزّ وجلّ العمود إلى عليّ فخرج منه الحسن والحسين ـ يعني من النصفين جميعاً ـ فما كان من نور عليّ فصار في ولد الحسن، وما كان من نوري صار في ولد الحسين، فهو ينتقل في الأئمّة من ولده إلى يوم القيامة[1].

٣٧ ـ عن أبي ذرّ الغفاري عن النبيّ صلى الله عليه وآله في خبر طويل في وصف المعراج ساقه إلى أن قال: قلت: يا ملائكة ربّي هل تعرفونا حقّ معرفتنا؟ فقالوا: يا نبيّ الله وكيف لا نعرفكم وأنتم أوّل ما خلق الله؟ خلقكم أشباح نور من نوره في نور من سناء عزّه، ومن سناء ملكه، ومن نور وجهه الكريم، وجعل لكم مقاعد في ملكوت سلطانه، وعرشه على الماء قبل أن تكون السماء مبنيّة والأرض مدحيّة، ثمّ خلق السماوات والأرض في ستّة أيّام، ثمّ رفع العرش إلى السماء السابعة فاستوى على عرشه، وأنتم أمام عرشه تسبّحون وتقدّسون وتكبّرون، ثمّ خلق الملائكة من بدء ما أراد من أنوار شتّى، وكنّا نمرّ بكم وأنتم تسبّحون وتحمدون وتهلّلون وتكبّرون وتمجّدون وتقدّسون فنسبّح ونقدّس ونمجّد ونكبّر ونهلّل بتسبيحكم وتحميدكم وتهليلكم وتكبيركم وتقديسكم وتمجيدكم، فما أُنزل من الله فإليكم وما صعد إلى الله فمن عندكم، فلِمَ لا نعرفكم؟ اقرأ عليّاً منّا السلام[2].

٣٨ ـ عن أنس عن النبيّ في حديث: فلمّا أراد الله تعالى أن ينشئ خلقه فتق نوري فخلق منه العرش، فالعرش من نوري، ونوري من نور الله، ونوري أفضل من العرش[3].

---

(١) البحار ١٥ : ٨، عن علل الشرائع : ٨٠.

(٢) المصدر : ٨، عن تفسير فرات : ١٣٤

(٣) المصدر : ١٠.

عن أنس بن مالك قال: قلت للنبيّ صلى الله عليه وآله: يا رسول الله، عليّ أخوك؟ قال: نعم، عليّ أخي. قلت: يا رسول الله، صف لي كيف عليّ أخوك؟ قال: إنّ الله عزّ وجلّ لمّا خلق ماء تحت العرش قبل أن يخلق آدم بثلاثة آلاف عام، وأسكنه في لؤلؤة خضراء في غامض علمه إلى أن خلق آدم، فلمّا خلق آدم نقل ذلك الماء من اللؤلؤة فأجراه في صلب آدم، إلى أن قبضه الله، ثمّ نقله إلى صلب شيث، فلم يزل ذلك الماء ينتقل من ظهر إلى ظهر حتّى صار في عبد المطّلب، ثمّ شقّه الله عزّ وجلّ نصفين: فصار نصفه في أبي عبد الله بن عبد المطّلب، ونصفه في أبي طالب، فأنا من نصف الماء وعليّ من النصف الآخر، فعليّ أخي في الدنيا والآخرة، ثمّ قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿ وَهُوَ الَّذي خَلَقَ مِنَ الماءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكانَ رَبُّكَ قَديراً ﴾[1].

٣٩ـ عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ بن أبي طالب عليه السلام: لمّا خلق الله عزّ ذكره آدم ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته وأسكنه جنّته وزوّجه حوّاء أمته، فرفع طرفه نحو العرش فإذا هو بخمسة سطور مكتوبات، قال آدم: يا ربّ، من هؤلاء؟ قال الله عزّ وجلّ له: هؤلاء الذين إذا تشفّع بهم إليّ خلقي شفّعتهم فقال آدم: يا ربّ، بقدرهم عندك ما اسمهم؟ قال: أمّا الأوّل فأنا المحمود وهو محمّد، والثاني فأنا العالي الأعلى وهذا علي، والثالث فأنا الفاطر وهذه فاطمة، والرابع فأنا المحسن وهذا الحسن، والخامس فأنا ذو الإحسان وهذا حسين، كلّ يحمد الله عزّ وجلّ[2].

---

(١) المصدر: ١٤، عن أمالي ابن الشيخ: ١٩٧

(٢) البحار ١٥: ١٤، عن معاني الأخبار ٢١٠

وبهذا المضمون أخبار كثيرة في البحار في كتاب الإمامة، فراجع.

٤٠ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله خلق محمّداً من طينة من جوهرة تحت العرش[1]، وعنه عليه السلام، قال: إنّ الله عزّ وجلّ خلق محمّداً، وعترته من طينة العرش، فلا ينقص منهم واحد ولا يزيد منهم واحد.

لا يخفى أنّه لا تنافي بين الروايات في هذا الباب فخلقتهم قبل العرش باعتبار أنوارهم المجرّدة المقدّسة، ومن تحت العرش باعتبارهم الخلق اللطيف المتلائم مع تلك العوالم قبل خلق الدنيا والعالم السفلي، فتدبّر.

٤١ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث المرأة من الجنّ وأنّها رأت إبليس يدعو بهذا الدعاء: (إلهي إذا بررت قسمك وأدخلتني نار جهنّم فأسألك بحقّ محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين إلّا خلّصتني منها، وحشرتني معهم)، فقلت: يا حارث ما هذه الأسماء التي تدعو بها؟ قال لي: رأيتها على ساق العرش من قبل أن يخلق الله آدم بسبعة آلاف سنة، فعلمت أنّهم أكرم الخلق على الله عزّ وجلّ، فأنا أسأله بحقّهم، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: والله لو أقسم أهل الأرض بهذه الأسماء لأجابهم[2].

٤٢ ـ في كنز الفوائد في قصّة الجارود بن المنذر ودخوله على رسول الله وقصّة المعراج فقال: ثمّ قلت: يا رسول الله، أنبئني أنبأك الله بخبر عن هذه الأسماء التي لم نشهدها وأشهدنا قسّ ذكرها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا جارود، ليلة أُسري بي إلى السماء أوحى الله عزّ وجلّ إليّ أن سل من أرسلنا من قبلك من رسلنا على ما بُعثوا؟ فقلت: على ما بُعثتم؟ فقالوا: على نبوّتك وولاية عليّ بن أبي طالب والأئمّة منكما،

---

(١) المصدر: ٢٢، عن بصائر الدرجات: ٥.

(٢) البحار ١٨: ٨٣، عن الخصال ٢: ١٧١.

ثمّ أوحى إليّ أن التفت عن يمين العرش، فالتفت فإذا عليّ والحسن والحسين وعليّ ابن الحسين ومحمّد بن عليّ وجعفر بن محمّد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمّد ابن عليّ وعليّ بن محمّد والحسن بن عليّ والمهدي في ضحضاح من نور يصلّون، فقال لي الربّ تعالى: هؤلاء الحجج أوليائي، وهذا المنتقم من أعدائي، قال الجارود فقال لي سلمان: يا جارود، هؤلاء المذكورون في التوراة والإنجيل والزبور كذاك[١].

٤٣ ـ عن أبي محمّد العسكري عن آبائه عليهم السلام عن الحسين بن عليّ عليه السلام قال: سمعت جدّي رسول الله يقول: ليلة أسرى بي ربّي عزّ وجلّ رأيت في بطنان العرش ملكاً بيده سيف من نور يلعب به كما يلعب عليّ بن أبي طالب عليه السلام بذي الفقار، وإنّ الملائكة إذا اشتاقوا إلى عليّ بن أبي طالب نظروا إلى وجه ذلك الملك، فقلت: يا ربّ، هذا أخي عليّ بن أبي طالب وابن عمّي؟ فقال: يا محمّد، هذا ملك خلقته على صورة عليّ يعبدني في بطنان عرش، تكتب حسناته وتسبيحه وتقديسه لعليّ ابن أبي طالب إلى يوم القيامة[٢].

بيان: قال الجزري: فيه ينادي منادٍ من بطنان العرش، أي من وسطه، وقيل: من أصله، وقيل: البطنان جمع بطن وهو الغامض من الأرض، يريد من داخل العرش.

٤٤ ـ عن أبي بصير عن أبي عبد الله عن آبائه عن عليّ عليهم السلام قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ، إنّه لمّا أُسري بي إلى السماء تلقّتني الملائكة بالبشارات في كلّ سماء حتّى لقيني جبرئيل في محفل من الملائكة، فقال: لو اجتمعت أُمّتك على حبّ

---

(١) المصدر: ٢٩٧.

(٢) البحار ١٨: ٣٥٤، عن عيون أخبار الرضا: ٢٧٢.

عليّ ما خلق الله عزّ وجلّ النار، يا عليّ، إنّ الله تعالى أشهدك معي في سبعة مواطن حتّى آنست بك، أمّا أوّ ذلك فليلة أُسري بي إلى السماء قال لي جبرئيل عليه السلام: أين أخوك يا محمّد؟ فقلت: خلّفته ورائي، فقال: ادعُ الله عزّ وجلّ فليأتك به، فدعوت الله عزّ وجلّ فإذا مثالك معي، وإذا الملائكة وقوف صفوفاً، فقلت: يا جبرئيل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يباهي الله عزّ وجلّ بهم يوم القيامة، فدنوت فنطقت بما كان وبما يكون إلى يوم القيامة.

والثانية: حين أُسري بي إلى ذي العرش عزّ وجلّ قال جبرئيل: أين أخوك يا محمّد؟ فقلت: خلّفته ورائي، فقال: ادعُ الله عزّ وجلّ فليأتك به، فدعوت الله عزّ وجلّ فإذا مثالك معي، وكشط لي عن سبع سماوات حتّى رأيت سكّانها وعمّارها وموضع كلّ ملك منها ـ إلى أن يقول: ـ فلمّا جاوزت السدرة وانتهيت إلى عرش ربّ العالمين وجدت مكتوباً على قائمة من قوائم العرش (لا إله إلّا الله أنا وحدي محمّد حبيبي وصفوتي من خلقي أيّدته بوزيره وأخيه ونصرته به)[1].

٤٥ ـ وفي حديث المعراج أيضاً في قوله عزّ وجلّ: ﴿ ذو مِرَّةٍ فَاسْتَوىٰ ﴾ إلى قوله: ﴿ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشىٰ ﴾ قال صلى الله عليه وآله: ثمّ صعد بي حتّى صرت تحت العرش فدلّى لي رفرف أخضر ما أُحسن أصفه، فرفعني الرفرف بإذن الله إلى ربّي فصرت عنده، وانقطع عنّي أصوات الملائكة ودويّهم، وذهبت عنّي المخاوف والروعات وهدأت نفسي واستبشرت، وظننت أنّ جميع الخلائق قد ماتوا أجمعين، ولم أرَ عندي أحداً من خلقه فتركني ما شاء الله...[2].

---

(١) المصدر: ٣٨٩.

(٢) المصدر: ٣٩٥.

٤٦ ـ وفي حديث المعراج أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله: فلمّا جاوزت السدرة انتهيت إلى عرش ربّ العالمين وجدت مكتوباً على كلّ قائمة من قوائم العرش: (أنا الله لا إله إلّا أنا محمّد حبيبي أيّدته بوزيره ونصرته بوزيره)[1].

ولا منافاة بين الروايات لتعدّد الرؤية والكتابات، ويدلّ هذا على عظمة الولاية، وإكمال الدين، وامتداد النبوّة وتأيّدها بها، فلا تغفل.

٤٧ ـ وفي حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله: فقام عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: يا رسول الله، أنسبني من أنا لتعرف الناس قرابتي منك.

فقال: يا عليّ، خلقت أنا وأنت من عمودين من نور معلّقين من تحت العرش، يقدّسان الملك من قبل أن يخلق الخلق بألفي عام، ثمّ خلق من ذينك العمودين نطفتين بيضاوين ملتويتين، ثمّ نقل تلك النطفتين في الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الزكيّة الطاهرة حتّى جعل نصفها في صلب عبد الله، ونصفها في صلب أبي طالب، فجزء أنا وجزء أنت، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَهُوَ الَّذي خَلَقَ مِنَ الماءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكانَ رَبُّكَ قَديراً ﴾.

يا عليّ، أنت منّي وأنا منك، سبط لحمك بلحمي ودمك بدمي، وأنت السبب فيما بين الله وبين خلقه بعدي، فمن جحد ولايتك قطع السبب الذي فيما بينه وبين الله، وكان ماضياً في الدركات.

يا عليّ، ما عرف الله إلّا بي ثمّ بك، ومن جحد ولايتك جحد الله ربوبيّته.

يا عليّ، أنت علم الله بعدي الأكبر في الأرض، وأنت الركن الأكبر في القيامة، فمن استظلّ بفيئك كان فائزاً لأنّ حساب الخلائق إليك ومآبهم إليك،

---

(١) البحار ١٨: ٤٠٨.

والميزان ميزانك والصراط صراطك، والموقف موقفك، والحساب حسابك، فمن ركن إليك نجا، ومن خالفك هوى وهلك، اللهمّ اشهد اللهمّ اشهد، ثمّ نزل[1].

٤٨ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما من ليلة جمعة إلّا ولأولياء الله فيها سرور، قلت: كيف ذاك جعلت فداك؟ قال: إذا كانت ليلة الجمعة وافى رسول الله صلى الله عليه وآله العرش ووافيت معه، فما أرجع إلّا بعلمٍ مستفاد، ولولا ذلك لنفد ما عندنا[2].

٤٩ ـ عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة دعي محمّد فيكسى حلّة ورديّة ثمّ يقام عن يمين العرش ثمّ يدعى بإبراهيم فيكسى حلّة بيضاء، فيقام عن يسار العرش، ثمّ يدعى بعليّ أمير المؤمنين فيكسى حلّة ورديّة فيقام عن يمين النبيّ صلى الله عليه وآله، ثمّ يدعى بإسماعيل فيكسى حلّة بيضاء فيقام عن يسار إبراهيم عليه السلام، ثمّ يدعى بالحسن فيكسى حلّة ورديّة فيقام عن يمين أمير المؤمنين عليه السلام، ثمّ يدعى بالحسين فيكسى حلّة ورديّة فيقام عن يمين الحسن، ثمّ يدعى بالأئمة فيكسون حللاً ورديّة فيقام كلّ واحد عن يمين صاحبه، ثمّ يدعى بالشيعة فيقومون أمامهم، ثمّ يدعى بفاطمة عليها السلام ونساؤها من ذرّيتها وشيعتها فيدخلون الجنّة بغير حساب، ثمّ ينادي منادٍ من بطنان العرش من قبل ربّ العزّة والأفق الأعلى: نعم الأب أبوك يا محمّد وهو إبراهيم، ونعم الأخ أخوك وهو عليّ بن أبي طالب، ونعم السبطان سبطاك وهما الحسن والحسين، ونعم الجنين جنينك وهو محسن، ونعم الأئمّة الراشدون ذرّيتك وهم فلان وفلان، ونعم الشيعة شيعتك، ألا إنّ محمّداً ووصيّه

---

(١) البحار ٢٢: ١٤٨، عن كتاب سليم بن قيس: ٢١٥.

(٢) البحار ٢٢: ٥٥٢، عن الاختصاص: ٣١٢.

وسبطيه هم الفائزون، ثمّ يؤمر بهم إلى الجنّة وذلك قوله: ﴿ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الجَنَّةَ فَقَدْ فازَ ﴾[1].

٥٠ ـ عن النبيّ صلى الله عليه وآله في خبر، قيل: يا رسول الله، فكم بينك وبين عليّ في الفردوس الأعلى؟ قال: فتر أو أقلّ من فتر ـ وهو ما بين طرف الإبهام وطرف السبّابة إذا فتحهما ـ أنا وعليّ من نور عرش ربّنا، وعليّ على كرسيّ من نور كرسيّ ربّنا، لا يدرى أيّنا أقرب من ربّه عزّ وجلّ.

٥١ ـ روى الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وروى الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام، واللفظ له، كلّهم عن النبيّ صلى الله عليه وآله، قال: ليس في القيامة راكب غيرنا ونحن أربعة، أنا على دابّة الله البراق، وأخي صالح على ناقة الله التي عقرت، وعمّي حمزة على ناقتي الغضباء، وأخي علي بن أبي طالب عليه السلام على ناقة من نوق الجنّة بيده لواء الحمد واقف بين يدي العرش، ينادي (لا إله إلّا الله محمّد رسول الله)، قال: فيقول الآدميّون: ما هذا إلّا ملك مقرّب أو نبيّ مرسل أو حامل عرش ربّ العالمين، قال: فيجيبهم ملك من تحت بطنان العرش: ما هذا ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل ولا حامل عرش، هذا الصدّيق الأكبر، هذا عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وقد رواه الخطيب في تأريخه بإسناده عن أبي هريرة وأبو جعفر الطوسي في أماليه بإسناده إلى هارون الرشيد عن المهدي عن المنصور عن محمّد بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس، إلّا أنّهما لم يذكرا حمزة وقالا في موضعه: فاطمة عليها السلام[2].

٥٢ ـ عن شهاب بن عبد ربّه قال: سمعت الصادق عليه السلام يقول: يا شهاب،

---

(١) البحار ٢٣: ١٣١، عن تفسير القمّي: ١١٦، والآية في سورة آل عمران: ١٨٥.

(٢) المصدر ٣٩: ٢٢٣.

نحن شجرة النبوّة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة، ونحن عهد الله وذمّته، ونحن ودّ الله وحجّته، كنّا أنوار صفوف حول العرش، نسبّح فيسبّح أهل السماء بتسبيحنا، إلى أن هبطنا إلى الأرض فسبّحنا فسبّح أهل الأرض بتسبيحنا، وإنّا لنحن الصافّون، وإنّا لنحن المسبّحون، فمن وفى بذمّتنا فقد وفى بعهد الله عزّ وجلّ وذمّته، ومن خفر ذمّتنا فقد خفر ذمّة الله عزّ وجلّ وعهده[1].

٥٣ ـ عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام في بعض خطبه: إنّا آل محمّد كنّا أنواراً حول العرش، فأمرنا الله بالتسبيح فسبّحنا فسبّحت الملائكة بتسبيحنا.

٥٤ ـ كنز الفوائد بسنده عن محمّد بن زياد قال: سأل ابن مهران عبد الله بن العبّاس عن تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾؟ قال ابن عباس: إنّا كنّا عند رسول الله صلى الله عليه وآله فأقبل عليّ بن أبي طالب عليه السلام فلمّا رآه النبيّ صلى الله عليه وآله تبسّم في وجهه وقال: مرحباً بمن خلقه الله قبل آدم بأربعين ألف عام. فقلت: يا رسول الله، أكان الإبن قبل الأب؟ قال: إنّ الله تعالى خلقني وخلق عليّاً عليه السلام قبل أن يخلق آدم بهذه المدّة، خلق نوراً فقسّمه نصفين فخلقني من نصفه وخلق عليّاً عليه السلام من النصف الآخر قبل الأشياء كلّها، ثمّ خلق الأشياء فكانت مظلمة، فنوّرها من نوري ونور عليّ عليه السلام ثمّ جعلنا عن يمين العرش، ثمّ خلق الملائكة فسبّحنا فسبّحت الملائكة وهلّلنا فهلّلت الملائكة، وكبّرنا فكبّرت الملائكة، فكان ذلك من تعليمي وتعليم عليّ عليه السلام.

٥٥ ـ تفسير القمّي: في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ ﴾ يعني رسول الله صلى الله عليه وآله والأوصياء من بعده يحملون علم الله.

---

(١) البحار ٢٤: ٨٨، عن تفسير القمّي: ٥٦٠، الباب ٤٣، وفيه ١١ رواية.

٥٦ ـ بصائر الدرجات عن جعفر بن محمّد عليهما السلام قال: سمعته يقول: إنّ الله إذا أراد أن يخلق الإمام من الإمام بعث ملكاً فأخذ شربة من تحت العرش، ثمّ أوصلها أو دفعها إلى الإمام فيمكث في الرحم أربعين يوماً لا يسمع الكلام، ثمّ يسمع بعد ذلك، فإذا وضعته أُمّه بعث الله ذلك الملك الذي كان أخذ شربة ويكتب على عضده الأيمن: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ﴾[١].

٥٧ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله خلق محمّداً صلى الله عليه وآله من جوهرة تحت العرش، وإنّه كان لطينته نضح فجبل طينة أمير المؤمنين عليه السلام من نضح طينة رسول الله صلى الله عليه وآله وكان لطينة أمير المؤمنين عليه السلام نضح فجبل طينتنا من فضل طينة أمير المؤمنين عليه السلام، وكانت لطينتنا نضح فجبل طينة شيعنا من نضح طينتنا، فقلوبهم تحنّ إلينا، وقلوبنا تعطف عليهم تعطّف الوالد على الولد، ونحن خير لهم وهم خير لنا، ورسول الله لنا خير ونحن له خير[٢].

٥٨ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله خلق محمّداً وعترته من طينة العرش، فلا ينقص منهم واحداً ولا يزيد منهم واحد[٣].

٥٩ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: خلقنا الله من نور عظمته، ثمّ صوّر خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش، فأسكن ذلك النور فيه، فكنّا نحن خلقاً وبشراً نوراً نبيّن، لم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيباً، وخلق أرواح شيعتنا من أبداننا وأبدانهم من طينة مخزونة مكنونة أسفل من ذلك الطينة،

---

(١) المصدر: ١٧٨، عن البصائر: ١٣٠، والآية في الأنعام: ١١٥.

(٢) البحار ٢٥: ٨، عن البصائر: ٥

(٣) المصدر والمرجع.

ولم يجعل الله لأحد في مثل ذلك الذي خلقهم منه نصيباً إلّا الأنبياء والمرسلين فكذلك صرنا نحن وهم ؟؟؟؟؟ وسائر الناس همجاً في النار وإلى النار.

٦٠ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال لأبي يحيى: يا أبا يحيى لنا في ليالي الجمعة لشأن من الشأن، قال: فقلت له: جعلت فداك وما ذلك الشأن؟ قال: يؤذن لأرواح الأنبياء الموتى وأرواح الأوصياء الموتى وروح الوصيّ الذي بين ظهرانيكم يعرج بها إلى السماء حتّى توافي عرش ربّها فتطوف بها أُسبوعاً، وتصلّي عند كلّ قائمة من قوائم العرش ركعتين، ثمّ تردّ إلى الأبدان التي كانت فيها فتصبح الأنبياء والأوصياء قد ملئوا وأُعطوا سروراً، ويصبح الوصيّ الذي بين ظهرانيكم فقد زيد في علمه مثل جمّ غفير[1].

٦١ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا كانت ليلة الجمعة وافى رسول الله صلى الله عليه وآله العرش ووافيت معه فما أرجع إلّا بعلم مستفاد، ولولا ذلك لنفد ما عندنا[2].

وفي هذا الباب روايات كثيرة لم نتعرّض لها طلباً للاختصار.

٦٢ ـ روى عن القاسم بن معاوية قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: هؤلاء يروون حديثاً في معراجهم أنّه لمّا أُسري برسول الله صلى الله عليه وآله رأى على العرش لا إله إلّا الله محمّد رسول الله أبو بكر الصدّيق. فقال: سبحان الله، غيّروا كلّ شيء حتّى هذا؟ قلت: نعم، قال: إنّ الله عزّ وجلّ لمّا خلق العرش كتب على قوائمه: لا إله إلّا الله محمّد رسول الله عليّ أمير المؤمنين[3].

---

(١) البحار ٢٦: ٩٠، عن البصائر: ٣٦.

(٢) المصدر والمرجع.

(٣) البحار ٢٧: ١، عن الاحتجاج: ٨٣، وفي البحار الباب الأوّل وفيه ٢٨ رواية بهذا المضمون.

قال رسول الله : رأيت ليلة الإسراء مكتوباً على قائمة من قوائم العرش : أنا الله لا إله إلّا أنا وحدي خلقت جنّة عدن بيدي، محمّد صفوتي من خلقي أيّدته بعليّ ونصرته بعليّ.

٦٣ ـ عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ :

لمّا أن خلق الله تعالى آدم وقفه بين يديه فعطس فألهمه الله أن حمده فقال : يا آدم أحمدتني، فوعزّتي وجلالي لولا عبدان أُريد أن أخلقهما في آخر الزمان ما خلقتك، قال آدم : يا ربّ بقدرهم عندك ما اسمهم ؟ فقال تعالى : يا آدم انظر نحو العرش، فإذا بسطرين من نور أوّل السطر : لا إله إلّا الله محمّد نبيّ الرحمة وعليّ مفتاح الجنّة، السطر الثاني : آليت على نفسي أن أرحم من والاهما واعذّب من عاداهما[1].

٦٤ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لمّا أخطأ آدم خطيئته توجّه بمحمّد وأهل بيته، فأوحى الله إليه : يا آدم ما علمك بمحمّد ؟ قال : حين خلقتني رفعت رأسي فرأيت في العرش مكتوباً : محمّد رسول الله عليّ أمير المؤمنين.

٦٥ ـ عن ابن عباس قال رسول الله : والذي بعثني بالحقّ بشيراً ما استقرّ الكرسيّ والعرش ولا دار الفلك ولا قامت السماوات والأرض إلّا بأن كتب عليها : لا إله إلّا الله محمّد رسول الله عليّ أمير المؤمنين[2].

٦٦ ـ قال رسول الله ﷺ : مكتوب على العرش : لا إله إلّا الله محمّد نبيّ الرحمة وعليّ مقيم الحجّة، من عرف حقّ عليّ زكى وطاب، ومن أنكر حقّه لعن

---

(١) البحار ٢٧ : ٦.

(٢) المصدر : ٨، عن اليقين في إمرة أمير المؤمنين.

وخاب، أقسمت بعزّتي أن أُدخل الجنّة من أطاعه وإن عصاني، وأقسمت بعزّتي أن أُدخل النار من عصاه وإن أطاعني[1].

وعندنا في هذا المعنى عشرات الروايات فلا نطيل طلباً للاختصار، وإذا أردت التفصيل فراجع بحار الأنوار.

٦٧ ـ عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إنّي لأعرف بطرق السماوات من طرق الأرض، ونحن الاسم المخزون المكنون، نحن الأسماء الحسنى التي إذا سئل الله عزّ وجلّ بها أجاب، نحن الأسماء المكتوبة على العرش، ولأجلنا خلق الله عزّ وجلّ السماء والأرض والعرش والكرسي والجنّة والنار، ومنّا تعلّمت الملائكة التسبيح والتقديس والتوحيد والتهليل والتكبير، ونحن الكلمات التي تلقّاها آدم من ربّه فتاب عليه[2].

٦٨ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خلقت أنا وعليّ بن أبي طالب من نور واحد نسبّح الله يمنة العرش قبل أن يخلق آدم بألفي عام، فلمّا خلق الله آدم جعل ذلك النور في صلبه[3].

٦٩ ـ في تفسير أهل البيت عليهم السلام أنّ قوله: ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ ﴾ يعني به عليّاً عليه السلام وتقدير الكلام: ما أتى على الإنسان زمان من الدهر إلّا وكان فيه شيئاً مذكوراً، وكيف لم يكن مذكوراً وإنّ اسمه مكتوب على ساق العرش وعلى باب الجنّة والدليل على هذا القول قوله: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ

---

(١) المصدر: ١٠.

(٢) البحار ٢٧: ٣٩.

(٣) البحار ٣٥: ٣٣

نُطْفَةٍ ﴾ ومعلوم أنّ آدم عليه السلام لم يخلق من النطفة[1].

٧٠ ـ روي عن عبد الله بن مسعود قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فسلّمت وقلت: يا رسول الله أرني الحقّ أنظر إليه بياناً.

فقال: يا ابن مسعود لُج المخدع فانظر ماذا ترى؟

قال: فدخلت فإذا عليّ بن أبي طالب عليه السلام راكعاً وساجداً وهو يخشع في ركوعه وسجوده ويقول: اللهمّ بحقّ نبيّك محمّد إلّا ما غفرت للمذنبين من شيعتي، فخرجت لأُخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك، فوجدته راكعاً وساجداً وهو يخشع في ركوعه وسجوده ويقول: اللهمّ بحقّ عليّ وليّك إلّا ما غفرت للمذنبين من أُمّتي، فأخذني الهلع.

فأوجز صلى الله عليه وآله في صلاته وقال: يا ابن مسعود أكفراً بعد إيمان!

فقلت: لا وعيشك يا رسول الله غير أنّي نظرت إلى عليّ وهو يسأل الله تعالى بجاهك، ونظرت إليك وأنت تسأل الله بجاهه، فلا أعلم أيّكما أوجه عند الله تعالى من الآخر؟

فقال: يا ابن مسعود، إنّ الله تعالى خلقني وخلق عليّاً والحسن والحسين من نور قدسه، فلمّا أراد أن ينشئ خلقه فتق نوري وخلق منه السماوات والأرض، وأنا والله أجلّ من السماوات والأرض، وفتق نور عليّ وخلق منه العرش والكرسي، وعليّ والله أجلّ من العرش والكرسي ـ باعتبار شرافة العلّة على المعلول ـ وفتق نور الحسن وخلق منه الحور العين والملائكة، والحسن والله أجلّ من الحور العين والملائكة، وفتق نور الحسين وخلق منه اللوح والقلم، والحسين والله

---

(١) البحار ٣٥: ٢٥٤، عن المناقب ١: ٥٨٠.

أجلّ من اللوح والقلم، فعند ذلك اظلمّت المشارق والمغارب، فضجّت الملائكة ونادت: إلهنا وسيّدنا بحقّ الأشباح التي خلقتها إلّا ما فرّجت عنّا هذه الظلمة، فعند ذلك تكلّم الله بكلمةٍ أُخرى فخلق منها روحاً، فاحتمل النور الروح فخلق منه الزهراء فاطمة، فأقامها أمام العرش، فأزهرت المشارق والمغارب، فلأجل ذلك سمّيت الزهراء.

يا ابن مسعود، إذا كان يوم القيامة يقول الله عزّ وجلّ لي ولعليّ: أدخلا الجنّة من أحببتما، وألقيا في النار من أبغضتما، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾.

فقلت: يا رسول الله، من الكفّار العنيد؟

قال: الكفّار من كفر بنبوّتي والعنيد من عاند عليّ بن أبي طالب عليه السلام[1].

٧١ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث قال: إذا كان يوم القيامة دعا الله بالنبيّ وبعليّ عليهما السلام فيجلسان على كرسي الكرامة بين يدي العرش، كلّما خرجت زمرة من شيعتهم فيقولون هذا النبيّ وهذا الوصيّ فيقول بعضهم لبعض (الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله) بولاية النبيّ صلى الله عليه وآله وعليّ والأئمة من ولدهم عليهم السلام، فيؤمر بهم إلى الجنّة[2].

٧٢ ـ عن جابر الجعفي أنّه سأل جعفر بن محمّد عليه السلام عن تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴾ فقال عليه السلام: إنّ الله سبحانه لمّا خلق إبراهيم كشف له بصره، فنظر فرأى نوراً إلى جنب العرش، فقال: إلهي ما هذا النور؟ فقال: هذا نور

---

(١) البحار ٣٦: ٧٤، عن كنز الفوائد.

(٢) البحار ٣٦: ١١٥.

محمّد صفوتي من خلقي، ورأى نوراً من جنبه فقال: إلهي ما هذا النور؟ فقال: نور عليّ بن أبي طالب عليه السلام ناصر ديني، ورأى إلى جنبهما ثلاثة أنوار فقال: إلهي ما هذه الأنوار؟ فقيل له: هذا نور فاطمة، فطمت محبّيها من النار، ونور ولديها الحسن والحسين، فقال: إلهي وأرى تسعة أنوار قد أحدقوا بهم، قيل: يا إبراهيم هؤلاء الأئمة من ولد عليّ وفاطمة، فقال إبراهيم: إلهي بحقّ هؤلاء الخمسة إلّا عرّفتني من التسعة؟ قيل: يا إبراهيم أوّلهم عليّ بن الحسين وابنه محمّد وابنه جعفر وابنه موسى وابنه عليّ وابنه محمّد وابنه عليّ وابنه الحسن والحجّة القائم، فقال إبراهيم: إلهي وسيّدي أرى أنواراً قد أحدقوا بهم لا يحصي عددهم إلّا أنت؟ فقيل: يا إبراهيم هؤلاء شيعتهم شيعة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام. فقال إبراهيم: وبما تعرف شيعته؟ قال: بصلاة إحدى وخمسين والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم والقنوت قبل الركوع والتختّم باليمين، فعند ذلك قال إبراهيم: اللهمّ اجعلني من شيعة أمير المؤمنين. قال: فأخبر الله تعالى في كتابه فقال: ﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لإبراهيم ﴾[1].

٧٣ ـ عن رسول الله ﷺ في حديث طويل في المعراج: قال: ثمّ صعد بي إلى تحت العرش فدنا إليّ رفرف أخضر، فرفعني الرفرف بإذن الله إلى ربّي[2].

٧٤ ـ وعنه في حديث طويل قال: خلقني الله تبارك وتعالى وأهل بيتي من نور واحد قبل أن يخلق آدم بسبعة آلاف عام، ثمّ نقلنا من صلبه إلى أصلاب الطاهرين وإلى أرحام المطهّرات. قلت: يا رسول الله فأين كنتم؟ وعليّ أيّ مثل

---

(١) البحار ٣٦: ١٥٢، عن الكنز، وفي تفسير البرهان ٤: ٢٠.

(٢) البحار ٣٦: ١٦٢.

كنتم ؟ قال : كنّا أشباحاً من نور تحت العرش نسبّح الله ونقدّسه ونمجّده[١].

٧٥ ـ وفي آخر طويل أيضاً قال صلى الله عليه وآله : لمّا عرج بي إلى السماء نظرت إلى ساق العرش فإذا هو مكتوب بالنور : لا إله إلّا الله محمّد رسول الله أيّدته بعليّ ونصرته بعليّ ورأيت أحد عشر اسماً مكتوباً بالنور على ساق العرش بعد عليّ : الحسن والحسين عليّاً عليّاً عليّاً ومحمّداً محمّداً وجعفراً وموسى والحسن والحجّة، قلت : إلهي وسيّدي من هؤلاء الذين أكرمتهم وقرنت أسماءهم باسمك ؟ فنوديت : يا محمّد هم الأوصياء بعدك والأئمة فطوبى لمحبّيهم والويل لمبغضيهم[٢].

وفي هذا المضمار روايات عديدة.

٧٦ ـ عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال : أخبرني جبرئيل عليه السلام لمّا أثبت الله تبارك وتعالى اسم محمّد في ساق العرش قلت : يا ربّ هذا الاسم مكتوب في سرادق العرش أرى أعزّ خلقك عليك قال : فأراه الله اثنى عشر أشباحاً أبداناً بلا أرواح بين السماء والأرض[٣].

٧٧ ـ وفي حديث آخر : ثمّ خلق العرش فكتب على أركانه لا إله إلّا الله محمّد رسول الله عليّ وصيّه[٤].

٧٨ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال : إنّ الله تبارك وتعالى خلق نور محمّد صلى الله عليه وآله قبل أن يخلق السماوات والأرض والعرش والكرسي

---

(١) المصدر : ٣٠٢، إرشاد القلوب : ٢٧٢.

(٢) البحار ٣٦ : ٣٢٦.

(٣) المصدر : ٣٤١.

(٤) المصدر : ٣٤٢.

واللوح والقلم والجنّة والنار وقبل أن خلق آدم ونوحاً... ثمّ أظهره على العرش فكان على ساق العرش مثبتاً سبعة آلاف سنة إلى أن وضعه الله عزّ وجلّ في صلب آدم عليه السلام ...

٧٩ ـ عن عبد الله بن العباس في حديث في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام وما أعطاه الله وأعطى رسوله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أعطاني الله تعالى خمساً وأعطى عليّاً عليه السلام خمساً ـ إلى أن قال ـ: وقالوا لي: يا محمّد والذي بعثك بالحقّ لقد دخل السرور على جميع الملائكة باستخلاف الله عزّ وجلّ لك ابن عمّك، ورأيت حملة العرش قد نكسوا رؤوسهم إلى الأرض، فقلت: يا جبرئيل لِمَ نكس حملة العرش رؤوسهم؟ فقال: يا محمّد ما من ملك من الملائكة إلّا وقد نظر إلى وجه عليّ بن أبي طالب استبشاراً به ما خلا حملة العرش، فإنّهم استأذنوا الله عزّ وجلّ في هذه الساعة فأذن لهم أن ينظروا إلى عليّ بن أبي طالب فنظروا إليه[١]...

٨٠ ـ وعن ابن عباس في حديث احتجاج اليهود مع رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّ الله عزّ وجلّ أعطاني نهراً في السماء مجراه من تحت العرش، وعليه ألف ألف قصر لبنة من ذهب ولبنة من فضّة حشيشتها الزعفران ورضراضها الدرّ والياقوت، وأرضها المسك الأبيض، فذاك خير لي ولأمّتي وذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ ﴾ قالوا: صدقت يا محمّد وهو مكتوب في التوراة[٢].

٨١ ـ عن الإمام الكاظم في حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام: ومحمّد صلى الله عليه وآله ناجاه الله جلّ ثناؤه فوق سبع سماوات رفعه عليهن فناجاه في موطنين: أحدهما

---

(١) المصدر ١٦ : ٣١٨.

(٢) المصدر : ٣٢٨.

عند سدرة المنتهى، وكان له هناك مقام محمود، ثمّ عرج به حتّى انتهى إلى ساق العرش، فقال عزّ وجلّ: ﴿ ثُمَّ دَنَى فَتَدَلَّى ﴾[1].

٨٢ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا خلق الله العرش خلق ملكين فاكتنفاه فقال: أشهد أن لا إله إلّا أنا، فشهدا، ثمّ قال: اشهدا أنّ محمّداً رسول الله فشهدا، ثمّ قال: اشهدا أنّ عليّاً أمير المؤمنين فشهدا[2].

٨٣ـ عن أبي ذرّ الغفاري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: افتخر إسرافيل على جبرائيل فقال: أنا خيرٌ منك، قال: ولِمَ أنت خيرٌ منّي؟ قال: لأنّي صاحب الثمانية حملة العرش وأنا صاحب النفخة في الصور وأنا أقرب الملائكة إلى الله تعالى، قال جبرائيل عليه السلام: أنا خيرٌ منك، فقال: بما أنت خير منّي؟ قال: لأنّي أمين الله على وحيه، وأنا رسوله إلى الأنبياء والمرسلين، وأنا صاحب الخسوف والقذوف، وما أهلك الله أُمّة من الأُمم إلّا على يدي، فاختصما إلى الله تعالى فأوحى إليهما: اسكتا فوعزّتي وجلالي لقد خلقت من هو خير منكما، قالا: يا ربِّ أوَ تخلق خيراً منّا، ونحن خلقنا من نور؟ قال الله تعالى: نعم وأوحى إلى حجب القدرة: انكشفي فانكشفت، فإذا على ساق العرش الأيمن مكتوب: (لا إله إلّا الله محمّد رسول الله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين خير خلق الله) فقال جبرائيل: يا ربّ فإنّي أسألك بحقّهم عليك إلّا جعلتني خادمهم قال الله تعالى: قد جعلت، فجبرائيل من أهل البيت وإنّه لخادمنا[3].

---

(١) المصدر: ٣٤٤.

(٢) المصدر: ٣٦٤، عن كشف اليقين.

(٣) البحار ١٦: ٣٦٤، عن إرشاد القلوب ٢: ٢١٤.

٨٤ـ عن الأصبغ أنّه سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلأَعْلَى ﴾ فقال: مكتوب على قائمة العرش قبل أن يخلق الله السماوات والأرضين بألفي عام: لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، فاشهدوا بهما، وأنّ عليّاً عليه السلام وصيّ محمّد ﷺ[1].

٨٥ـ عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً ﴾ قال: يجلسه على العرش[2].

قوله عليه السلام: (يجلسه على العرش) كناية عن رفعة مقامه وتفوّقه على الخلائق أجمعين أو يكون الجلوس حقيقة أو تشريفاً.

٨٦ـ عن المفضّل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يا مفضّل إنّ الله تبارك وتعالى جعل للنبيّ ﷺ خمسة أرواح: روح الحياة فيه دبّ ودرج، وروح القوّة فيه نهض وجاهد، وروح الشهوة فيه أكل وشرب وأتى النساء من الحلال، وروح الإيمان فيه أمر وعدل، وروح القدس فيه حمل النبوّة، فإذا قبض النبيّ ﷺ انتقل روح القدس، فصار في الإمام، وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يسهو، والأربعة الأرواح تنام وتلهو وتغفل وتسهو، وروح القدس ثابت يرى به ما في شرق الأرض وغربها وبرّها وبحرها، قلت: جعلت فداك يتناول الإمام ما ببغداد بيده؟ قال: نعم وما دون العرش[3].

٨٧ـ ومن هذا الباب قصّة من عنده علم من الكتاب في قصّة سليمان وعرش بلقيس، فهو من الولاية التكوينيّة.

---

(١) المصدر: ٣٦٥، عن تفسير القمّي: ٧٢١.

(٢) المصدر: ٣٧٨.

(٣) المصدر ١٧: ١٠٦، عن بصائر الدرجات: ١٣٤.

٨٨ ـ عن المفضّل قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام ذات يوم: إنّ لنا في كلّ ليلة جمعة سروراً، قلت: زادك الله وما ذاك؟ قال: إنّه إذا كان ليلة الجمعة وافى رسول الله صلى الله عليه وآله العرش، ووافى الأئمة عليهم السلام معهم، ووافيناهم، فلا تردّ أرواحنا إلى أبداننا إلّا بعلم مستفاد ولولا ذلك لنفذ ما عندنا[1].

٨٩ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال: يا أبا يحيى لنا في ليالي الجمعة لشأن من الشأن، قال: فقلت له: جعلت فداك وما ذاك الشأن؟ قال: يؤذن لأرواح الأنبياء الموتى، وأرواح الأوصياء الموتى، وروح الوصيّ الذي بين ظهرانيكم، يعرج بها إلى السماء حتّى توافي عرش ربّها، فتطوف بها أُسبوعاً، وتصلّي عند كلّ قائمة من قوائم العرش ركعتين، ثمّ تردّ إلى الأبدان التي كانت فيها، فتصبح الأنبياء والأوصياء، قد ملئوا وأُعطوا سروراً ويصبح الوصيّ الذي بين ظهرانيكم وقد زيد في علمه مثل جمّ غفير[2].

٩٠ ـ عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ أرواحنا وأرواح النبيّين توافي العرش كلّ ليلة جمعة فتصبح الأوصياء وقد زيد في علمهم مثل جمّ الغفير من العلم[3].

٩١ ـ وفي حديث في أفضليّة النبيّ الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله على عيسى بن مريم عليه السلام وأنّه أحيا الموتى على يديه ويد أمير المؤمنين عليه السلام فقال عليه السلام: ثمّ نادى المحبّون: معاشر المسلمين إنّ لمحمّد وعليّ شأناً عظيماً في الممالك التي كنّا فيها، لقد رأينا

---

(١) البحار ١٧: ١٥١، عن بصائر الدرجات: ٣٦.

(٢) المصدر: ١٥٢، عن البصائر: ٣٦.

(٣) المصدر والمرجع

لمحمّد صلى الله عليه وآله مثالاً على سرير عند البيت المعمور وعند العرش، ولعليّ عليه السلام مثالاً عند البيت المعمور وعند الكرسي وأملاك السماوات والحجب وأملاك العرش يحفّون بهما ويعظمونهما ويصلّون عليهما ويصدرون عن أوامرهما، ويقسمون على الله عزّ وجلّ لحوائجهم إذا سألوه بهما، فأمن منهم سبعه نفر وغلب الشقاء على الآخرين[١].

٩٢ ـ وفي حديث في فضل النبيّ الخاتم على الأنبياء وفضله على سليمان قال عليّ عليه السلام: ومحمّد صلى الله عليه وآله أُعطي ما هو أفضل من هذا إنّه أُسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى مسيرة شهر، وعرج به في ملكوت السماوات مسيرة خمسين ألف عام في أقلّ من ثلث الليل حتّى انتهى إلى ساق العرش فدنا بالعلم فتدلّى، فدلّي له من الجنّة رفرف أخضر، وغشي النور بصره، فرأى عظمة ربّه عزّ وجلّ بفؤاده ولم يرها بعينه، فكان قاب قوسين بينها وبينه أو أدنى[٢].

وزاده الله تعالى الكوثر وأعطاه الشفاعة، وذلك أعظم من ملك الدنيا من أوّلها إلى آخرها سبعين مرّة، ووعده المقام المحمود، فإذا كان يوم القيامة أقعده الله تعالى على العرش، فهذا أفضل ممّا أُعطي سليمان بن داود عليه السلام[٣].

٩٣ ـ قال عليّ بن إبراهيم في قوله: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾ قال: اللوح المحفوظ له طرفان: طرف على العرش وطرف على جبهه إسرافيل، فإذا تكلّم الربّ جلّ ذكره بالوحي ضرب اللوح جبين إسرافيل، فنظر في اللوح فيوحي بما في اللوح إلى جبرائيل عليه السلام[٤].

---

(١) البحار ١٧ : ٢٦١، عن التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري . ١٤٩

(٢) المصدر : ٢٨٩

(٣) المصدر . ٢٨٨.

(٤) البحار ١٨ . ٢٥٨، عن تفسير القمّي

٩٤ ـ وفي حديث المعراج عن الإمام الصادق عليه السلام، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فلمّا دخلت الجنّة رجعت إليّ نفسي فسألت جبرئيل عن تلك البحار وهولها وأعاجيبها فقال:

هي سرادقات الحجب التي احتجب الله تبارك وتعالى بها، ولولا تلك الحجب لتهتّك نور العرش وكلّ شيء فيه...[1].

---

(١) المصدر: ٣٢٨، وجاء في الهامش: في الحديث كما ترى أسرار لم يطّلع عليها أحد إلى الآن، ولم يكشف عنها العلوم غطاءها إلى حينذاك كقوله: سرادقات الحجب وهتك النور وغيرهما، ولعلّ الله ادّخر علم تلك الأسرار الكونيّة التي أفاض علمها إلى أئمّتنا عليهم السلام لجيل يأتي يوماً ينقر العلوم نقراً، يتصفّح عن الحقائق الكامنة في جوّ العالم والكرات الواقعة في الفضاء اللامتناهي تصفّحاً. والأسف أنّ المسلمين مع تصلّبهم في العمل ونشاطهم في الأُمور وتنقيرهم عن الأسرار في زمنهم الأوّل أصبحوا كسالى خاملين معطّلين، طائفة منهم رسخت فيها العطالة والبطالة، ومالوا إلى العزلة ودعوا المجتمع إليها، راجحين للانفراد على المدنيّة والحضارة مقلّدين من كان قبلهم من أصحاب الأديار والكهوف والغيران، وصنف منهم عكفوا إلى جمع الدرهم والدنيار وانحازوا إلى الأشر والبطر والترف، وأراحوا أنفسهم عن كدّ تحصيل العلوم، وتصفّح الأسرار الكونيّة وما أودع الله علمه في كمون ذلك العالم، ولحبّهم الفسوق نسوا أنفسهم فأنساهم الله ما أعدّ فيهم من استعدادات قويّة يمكنهم الاستمداد منها على حلّ الأسرار وكشف ما غمض حقيقته عنّا، وتسخير القوى الطبيعيّة واستخدامها. وهذه الطائفة ليسوا بأقلّ من غيرهم بل هم الأكثرون، سيّما في قرننا المظلم آفاقه، والظالم أهله، الذي خطف أبصار أهله ما استفاد الغربيّون من العلوم، وركنوا إليهم وإليها واكتفوا بها فصاروا عبيداً بعدما كانوا سادة، وتبعاً بعدما كانوا متبوعين، فهل يقظة بعد النوم؟ ونشاط عبد الكسل والفشل. وما ظلم هؤلاء المترفون بأكثر من ظلم طائفة أُخرى كما رأوا أو سمعوا من الأسرار الكونيّة الواردة في الثراء العلميّة من أحاديثنا يتأوّلونها بمعانٍ خياليّة تفهة، أو عرفانيّة صرفة.

٩٥ ـ عن ابن عباس قال: قال النبيّ ﷺ فيما احتجّ على اليهود: حملت على جناح جبرئيل عليه‌السلام حتّى انتهيت إلى السماء السابعة، فجاوزت سدرة المنتهى عندها جنّة المأوى حتّى تعلّقت بساق العرش، فنوديت من ساق العرش: إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبّار المتكبّر، الرؤوف الرحيم، فرأيته بقلبي وما رأيته بعيني[1].

٩٦ ـ وروي عن جابر قال: جاء جبرئيل إلى رسول الله ﷺ فقال: من هذا العبد الصالح الذي مات، فتحت له أبواب السماء وتحرّك له العرش ـ اهتزّ له العرش ـ فخرج رسول الله ﷺ فإذا سعد بن معاذ قد قبض[2].

٩٧ ـ عن عبد العظيم الحسني عن أبي جعفر الثاني عن آبائه عليهم‌السلام قال:

دعا سلمان أبا ذرّ رحمة الله عليهما إلى منزله، فقدّم إليه رغيفين، فأخذ أبو ذرّ الرغيفين يقلّبهما، فقال له سلمان: يا أبا ذرّ لأيّ شيء تقلّب هذين الرغيفين؟

قال: خفت أن لا يكونا ناضجين.

فغضب سلمان من ذلك غضباً شديداً، ثمّ قال: ما أجرأك حيث تقلّب هذين الرغيفين؟ فوالله لقد عمل في هذا الخبز الماء الذي تحت العرش، وعملت فيه الملائكة حتّى ألقوه إلى الريح، وعملت فيه الريح حتّى ألقته إلى السحاب، وعمل فيه السحاب حتّى أمطره إلى الأرض، وعمل فيه الرعد والملائكة حتّى وضعوا مواضعه، وعملت فيه الأرض والخشب والحديد والبهائم والنار والحطب والملح وما لا أُحصيه أكثر، فكيف لك أن تقوم بهذا الشكر؟

---

(١) البحار ١٨: ٣٤٠.

(٢) البحار ٢٠: ٢١٣.

فقال أبو ذرّ: إلى الله أتوب وأستغفر الله ممّا أحدثت، وإليك أعتذر ممّا كرهت[1].

٩٨ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعمّار بن ياسر: يا عمّار بالعلم نلت ما نلت من هذا الفضل، فازدد منه تزدد فضلاً، فإنّ العبد إذا خرج في طلب العلم ناداه الله عزّ وجلّ من فوق العرش: مرحباً يا عبدي أتدري أيّ منزلة تطلب؟ وأيّة درجة تروم تضاهي ملائكتي المقرّبين لتكون لهم قريباً لأبلغنّك مرادك ولأوصلنّك لحاجتك[2].

٩٩ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الكروبيين قوم من شيعتنا من الخلق الأوّل جعلهم الله خلف العرش، لو قسّم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم، ثمّ قال: إنّ موسى عليه السلام لمّا أن سأل ربّه ما سأل، أمر واحداً من الكروبيّين فتجلّى للجبل فجعله دكّاً[3].

١٠٠ ـ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله خلق في السماء السابعة ملكاً رأسه تحت العرش ورجلاه تحت الثرى، وملائكة أكثر من ربيعة ومضر ليس لهم طعام ولا شراب، إلّا الصلاة على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ومحبّيه والاستغفار لشيعته ومواليه[4].

١٠١ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله لمّا خلق العرش خلق له ثلاثمائة وستّين

---

(١) البحار ٢٢: ٣٢٠، عن عيون أخبار الرضا: ٢١٥.

(٢) المصدر: ٣٤٠.

(٣) البحار ٢٦: ٣٤٢، عن البصائر: ٢١.

(٤) البحار ٢٦: ٣٤٩.

ألف ركن، وخلق عند كلّ ركن ثلاثمائة ألف وستّين ألف ملك لو أذن الله تعالى لأصغرهم فالتقم السماوات السبع والأرضين السبع ما كان ذلك بين لهواته إلّا كالرملة في المفازة الفضفاضة، فقال لهم الله: يا عبادي احتملوا عرش هذا، فتعاطوه فلم يطيقوا حمله ولا تحريكه. فخلق الله عزّ وجلّ مع كلّ واحد منهم واحداً فلم يقدروا أن يزعزعوه فخلق الله مع كلّ واحد منهم عشرة فلم يقدروا أن يحرّكوه فخلق الله بعدد كلّ واحد منهم مثل جماعتهم فلم يقدروا أن يحرّكوه، فقال الله عزّ وجلّ لجميعهم: خلّوه عليّ أُمسكه بقدرتي، فخلّوه فأمسكه الله عزّ وجلّ بقدرته. ثمّ قال لثمانية منهم: احملوه أنتم، فقالوا: يا ربّنا لم نطقه نحن وهذا الخلق الكثير والجمّ الغفير، فكيف نطيقه الآن دونهم؟ فقال الله عزّ وجلّ: لأنّي أنا الله المقرّب للبعيد والمذلّل للعبيد والمخفّف للشديد والمسهّل للعسير. أفعل ما أشاء وأحكم ما أريد أعلّمكم كلمات تقولونها يخفّف بها عليكم، قالوا: وما هي يا ربّنا؟ قال: تقولون: بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين، فقالوها فحملوه وخفّ على كواهلهم كشعرة نابتة على كاهل رجل جَلد قوي. قال الله عزّ وجلّ لسائر تلك الأملاك: خلّوا على هؤلاء الثمانية عرشي، ليحملوه وطوفوا أنتم حوله وسبّحوني وقدّسوني، فإنّي أنا الله القادر على ما رأيتم وعلى كلّ شيء قدير[1].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ألا ومن أحبّ عليّاً ناداه ملك من تحت العرش: أن يا عبد الله استأنف العمل فقد غفر الله لك الذنوب كلّها...[2].

---

(١) البحار ٢٧: ٩٧

(٢) المصدر: ١١٥

١٠٢ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من صافح عليّاً فكأنّما صافحني، ومن صافحني فكأنّما صافح أركان العرش[١].

١٠٣ ـ قال رسول الله : إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من بطنان العرش : أين محمّد وعليّ، فيزخّ بكما إلى السماء حتّى توقفان بين يدي الله، فيقول لنبيّه عليه السلام : أورد عليّاً الحوض وهذا كأس أعطه حتّى يسقي محبّيه وشيعته ولا يسقي أحداً من مبغضيه ...[٢].

١٠٤ ـ قال جبرئيل لرسول الله صلى الله عليه وآله : إذا كان يوم القيامة نصب لك منبر عن يمين العرش والنبيّون كلّهم عن يسار العرش وبين يديه، ونصب لعليّ عليه السلام كرسي إلى جانبك إكراماً له، فمن هذه خصائصه يجب عليكم أن تحبّوه[٣].

١٠٥ ـ قال رسول الله لعليّ عليه السلام : إذا كان يوم القيامة أخذت بحجزة من ذي العرش تعالى، وأخذت يا عليّ بحجزتي، وأخذت ذرّيتك بحجزتك، وأخذ شيعتكم بحجزتكم[٤].

عن الإمام الصادق، عن آبائه، قال : قال رسول الله : من ضعف عن نصرتنا أهل البيت فلعن في خلواته أعداءنا بلّغ الله صوته جميع الأملاك من الثرى إلى العرش، فكلّما لعن هذا الرجل أعداءنا لعناً ساعدوه ولعنوا من يلعنه ثمّ ثنّوا فقالوا : اللهمّ صلّ على عبدك هذا الذي قد بذل ما في وسعه، ولو قدر على أكثر منه لفعل،

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر : ١١٨.

(٣) البحار ٢٧ : ١٢٩.

(٤) المصدر : ١٦١.

فإذا النداء من قبل الله عزّ وجلّ، قد أجبت دعاءكم وسمعت نداءكم وصلّيت على روحه في الأرواح وجعلته عندي من المصطفين الأخيار[١].

١٠٦ ـ عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: لمّا خلق الله العرش خلق سبعين ألف ملك وقال لهم: طوفوا بعرش النور وسبّحوني واحملوا عرشي فطافوا وسبّحوا، وأرادوا أن يحملوا العرش فما قدروا فقال لهم الله: طوفوا بعرش النور فصلّوا على نور جلالي محمّد حبيبي، واحملوا عرشي فطافوا بعرش الجلال وصلّوا على محمّد وحملوا العرش فأطاقوا حمله، فقالوا: ربّنا أمرتنا بتسبيحك وتقديسك فقال الله لهم: يا ملائكتي إذا صلّيتم على حبيبي محمّد فقد سبّحتموني وقدّستموني وهلّلتموني[٢].

عن الإمام الرضا عليه السلام في خبر طويل في فضل يوم الغدير قال: وفي يوم الغدير عرض الله الولاية على أهل السماوات السبع فسبق إليها أهل السماء السابعة فزيّن بها العرش[٣].

في حديث طويل في مظلوميّة أهل البيت عليهم السلام عن الله سبحانه مخاطباً نبيّه إلى أن يقول:

ثمّ أُخرج من صلبه ذكراً أنتصر له به ـ وهو صاحب الزمان عليه السلام ـ وأنّ شبحه عندي تحت العرش يملأ الأرض بالعدل ويطفئها بالقسط ...[٤].

اللهمّ بحقّ محمّد وآله وباسمك العظيم الأعظم عجّل فرجه وسهّل مخرجه،

---

(١) المصدر: ٢٢٣.

(٢) المصدر: ٢٥٩.

(٣) المصدر: ٢٦٢.

(٤) البحار ٢٨: ٦٢.

وأرنا طلعته الرشيدة وغُرّته الحميدة، واجعلنا من خلّص شيعته وأعوان مـذهبه، وأنصار دينه، والمستشهدين بين يديه، والمنتظرين حقّاً لقدومه ودولته وولايته.

هذه نبذة يسيرة من الروايات الشريفة الكثيرة الواردة في شأن من شؤون محمّد وآله عليهم السلام، وأنّهم في عالم الأنوار قبل خلق الخلائق، ثمّ في عرش الله عـند خلقه من نورهم الأنور عليهم السلام، ثمّ في عالم الأصلاب والأرحام في قوس نزولي، ثمّ إلى ربّهم يرجعون في قوس صعودي، وبهم بدأ الله سبحانه وبهم يختم، ولا فرق بينه وبينهم إلّا أنّهم عباد الله المكرمون فتقهم ورتقهم بيده جلّ جلاله.

الفصل التاسع

عوالم ومعالم العرش الإلهي

يظهر من الآيات الكريمة والروايات الشريفة الصادرة عن معدن العلم والرسالة السمحاء، أنّ إطلاق العرش له معانٍ متعدّدة، فتارةً في عالم الأسماء والصفات وفي عالم النور، فهو مظهر الاسم النوري في نطاق الأمر ﴿ لَهُ الأَمْرُ وَالخَلْقُ ﴾ كما يظهر في عالم الخلق بما يناسبه من العالم العلوي الملكوتي، وهو الذي خلق من نور النبيّ والوصيّ بعد خلقهما من نوره المطلق ومطلق النور ﴿ اللهُ نورُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ ﴾ وهذا العرش الثاني له الجهات ولو تجوّزاً كاليمين والشمال والفوق والتحت والأمام والخلف، وله الظلّ والقوائم والسرادقات والأركان والبطنان، ومثل هذا العرش يكون من تحته الماء والريح والمطر واللوح المحفوظ وسجود الملائكة والفطرة وميزان العدل واجتماع الناس والحبّ العلويّ المخزون وخفيق أجنحة الملائكة وزبرجدة خضراء والبيت والبحر المسجور والقناديل وغير ذلك من العوالم والمعالم.

ولكي نعيش تلك العوالم الروحانيّة، ويُفتح لنا آفاق جديدة في الفكر الإسلامي حول العرش الإلهي، حبّذا أن نطرق أبواب النبيّ المصطفى والعترة الطاهرة، معدن العلم والرسالة عليهم السلام، فإنّهم أعرف من غيرهم بما في العرش، فإنّه

خلق من نورهم، وهم أهله، وفي ضحضاحه وبطنانه، وأهل البيت أدرى وأعرف بما في البيت. ثمّ أذكر الأخبار تفصيلاً وإجمالاً.

هذا ولا أشرح الروايات، كما لا أُعلّق عليها إلاّ نادراً، إنّما أُفوّض ذلك إليك أيّها القارئ الكريم، لتستخرج منها اللآلئ والدرر، وتقف على حقائق تزهدك في الدنيا، وتشوّقك لتسكن في ظلّ العرش الإلهي.

١ ـ عن هشام بن الحكم في حديث طويل عن أبي عبد الله عليه السلام في أسئلة السائل عن التوحيد فقال: فقوله ﴿ الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوىٰ ﴾ قال أبو عبد الله عليه السلام بذلك وصف نفسه، وكذلك هو مستولٍ على العرش بائن من خلقه، من غير أن يكون العرش حاملاً له، ولا أنّ العرش محلّ له، لكنّا نقول: هو حامل للعرش، وممسك للعرش، ونقول في ذلك، ما قال: ﴿ وَسع كرسيّه السماوات والأرض ﴾ فثبّتنا من العرش والكرسي ما ثبّته، ونفينا أن يكون العرش والكرسي حاوياً له، وأن يكون عزّ وجلّ محتاجاً إلى مكان أو إلى شيء ممّا خلق، بل خلقه محتاجون إليه.

قال السائل: فما الفرق بين أن يرفعوا أيديهم إلى السماء وبين أن تخفضوها نحو الأرض؟ قال أبو عبد الله عليه السلام: ذلك في علمه وإحاطته وقدرته سواء ولكنّه عزّ وجلّ أمر أولياءه وعباده برفع أيديهم إلى السماء نحو العرش لأنّه جعله معدن الرزق، فثبّتنا ما ثبّته القرآن والأخبار عن الرسول صلى الله عليه وآله حين قال: ارفعوا أيديكم إلى الله عزّ وجلّ وهذا تجمع عليه فرق الأُمّة كلّها[1].

ولا يخفى أنّ الحديث حول العرش وما دونه، وأمّا فوق العرش فقد نهينا عن

---

(١) البحار ٣: ٣٠.

الخوض فيه ـ وإن كان علمه عند أهله ـ فلا نتحدّث عن ذلك، ولا نفكّر بما هنالك.

٢ ـ عن محمّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه‌السلام قال: تكلّموا فيما دون العرش، ولا تكلّموا فيما فوق العرش ـ أي في الله سبحانه ـ فإنّ قوماً تكلّموا في الله فتاهوا، حتّى كان الرجل ينادي من بين يديه فيجب من خلفه[١].

هذا وليس المراد من العرش في السماوات هو الشيء المادّي كما في الأرض، وأنّ الله يجلس عليه ويكون له أطيط كأطيط الرحل كما في كتاب (مسلم)، وكما تعتقد به المجسّمة والحنابلة وأتباع ابن تيميّة وابن القيّم ومحمّد بن عبد الوهاب، فهذا أمر مردود وسخيف، يناقضه البراهين العقليّة والأدلّة النقليّة من الكتاب الكريم والسنّة الصحيحة. كما أرشد إلى ذلك أمير المؤمنين علي عليه‌السلام ذلك الرجل اليهودي.

٣ ـ روي أنّ بعض أحبار اليهود جاء إلى أبي بكر فقال له: أنت خليفة رسول الله على الأمّة؟ فقال: نعم. فقال: إنّا نجد في التوراة أنّ خلفاء الأنبياء أعلم أممهم، فخبّرني عن الله أين هو؟ في السماء هو أم في الأرض؟ فقال له أبو بكر: في السماء على العرش. قال اليهودي: فأرى الأرض خالية منه، فاراه على هذا القول في مكان دون مكان، فقال أبو بكر: هذا كلام الزنادقة، أُعزب عنّي وإلّا قتلتك، فولّى الرجل متعجّباً يستهزئ بالإسلام، فاستقبله أمير المؤمنين عليه‌السلام فقال له: يا يهودي، قد عرفت ما سألت عنه وما أُجبت به، وإنّا نقول: إنّ الله عزّ وجلّ أيّن الأين فلا أين له، وجلّ من أن يحويه مكان، وهو في كلّ مكان بغير مماسّة ولا مجاورة، يحيط علماً بما فيها، ولا يخلو شيء من تدبيره تعالى، وإنّي مخبرك بما جاء في كتاب نبيّكم، يصدّق بما ذكرته لك فإن عرفته أتؤمن به؟ قال اليهودي:

---

(١) البحار ٣: ٢٥٩ و ٢٦٥.

نعم، قال: ألستم تجدون في بعض كتبكم أنّ موسى بن عمران كان ذات يوم جالساً إذ جاءه ملك من المشرق فقال له: من أين جئت؟ قال: من عند الله عزّ وجلّ، ثمّ جاءه ملك من المغرب فقال له: من أين جئت؟ قال: من عند الله عزّ وجلّ، ثمّ جاءه ملك آخر فقال له: من أين جئت؟ قال: قد جئتك من السماء السابعة من عند الله عزّ وجلّ، وجاءه ملك آخر فقال: من أين جئت؟ قال: قد جئتك من الأرض السابعة السفلى من عند الله عزّ وجلّ، فقال موسى عليه السلام: سبحان من لا يخلو منه مكان ولا يكون إلى مكان أقرب من مكان، فقال اليهودي: أشهد أنّ هذا هو الحقّ المبين، وإنّك أحقّ بمقام نبيّك ممّن استولى عليه[1].

٤ ـ وفي مسائل اليهودي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال له: فربّك يَحمل أو يُحمل؟ قال: إنّ ربّي عزّ وجلّ يحمل كلّ شيء بقدرته ولا يحمله شيء، قال: فكيف قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَة ﴾؟ قال: يا يهودي، ألم تعلم أنّ لله ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى، فكلّ شيء على الثرى، والثرى على القدرة، والقدرة تحمل كلّ شيء.

٥ ـ عن الهروي قال: سأل المأمون أبا الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَهُوَ الَّذي خَلَقَ السَّماوات وَالأَرْضَ في سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكانَ عَرْشُهُ عَلَى الماءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَن عَمَلاً ﴾ فقال: إنّ الله تبارك وتعالى خلق العرش والماء والملائكة قبل خلق السماوات والأرض، وكانت الملائكة تستدلّ بأنفسها وبالعرش والماء على الله عزّ وجلّ، ثمّ جعل عرشه على الماء ليظهر بذلك قدرته للملائكة، فتعلم أنّه على كلّ شيء قدير، ثمّ رفع العرش بقدرته ونقله، وجعله فوق

---

(١) البحار ٣: ٣١٠، عن الخصال.

السماوات السبع، ثمّ خلق السماوات والأرض في ستّة أيام وهو مستولٍ على عرشه، وكان قادراً على أن يخلقها في طرفة عين، ولكنّه عزّ وجلّ خلقها في ستّة أيام ليظهر للملائكة ما يخلقه منها شيئاً بعد شيء، فيستدلّ بحدوث ما يحدث على الله تعالى ذكره مرّة بعد مرّة، ولم يخلق الله العرش لحاجة له إليه، لأنّه غنيّ عن العرش وعن جميع ما خلق، لا يوصف بالكون على العرش لأنّه ليس بجسم تعالى عن صفة خلقه علوّاً كبيراً[1].

يظهر من هذا الخبر الشريف أنّ العرش العلمي والرحماني وغير ذلك من العروش الإلهيّة، يخلقها الله ويمثّلها في عالم المجرّدات كالعقول المجرّدة، وفي عالم الأنوار والأرواح فيكون العرش مخلوقاً لله وهو غنيّ عنه، أمّا العرش بمعنى العلم، فإنّ العلم عين ذات الله كما هو المعتقد الصحيح الثابت في محلّه، فتدبّر.

٦ ـ وعن هشام بن الحكم في حديث الزنديق الذي أتى أبا عبد الله عليه السلام يسأله مسائل: قال السائل: فتقول: إنّه ينزل إلى السماء الدنيا؟ قال أبو عبد الله عليه السلام: نقول ذلك، لأنّ الروايات قد صحّت به والأخبار. قال السائل: وإذا نزل أليس قد حال عن العرش وحوّله عن العرش انتقال؟ قال أبو عبد الله عليه السلام: ليس ذلك على ما يوجد من المخلوق الذي ينتقل باختلاف الحال عليه والملالة والسأمة وناقل ينقله ويحوّله من حال إلى حال، بل هو تبارك وتعالى لا يحدث عليه الحال، ولا يجري عليه الحدوث فلا يكون نزوله كنزول المخلوق الذي متى تنحّى عن مكان خلا منه المكان الأوّل ولكنّه ينزل إلى سماء الدنيا بغير معاناة ولا حركة فيكون هو كما في السماء السابعة على العرش كذلك هو في سماء الدنيا، إنّما يكشف عن عظمته، ويري

---

(١) البحار ٣ : ٣١٨، عن عيون أخبار الرضا.

أولياءه نفسه حيث شاء، ويكشف ما شاء من قدرته، ومنظره في القرب والبعد سواء.

ثمّ قال: قال مصنّف هذا الكتاب: قوله عليه السلام: إنّه على العرش إنّه ليس بمعنى التمكّن فيه، ولكنّه بمعنى التعالي عليه بالقدرة يقال: فلان على خير واستعانة على عمل كذا وكذا، ليس بمعنى التمكّن فيه والاستقرار عليه، ولكن ذلك بمعنى التمكّن منه والقدرة عليه، وقوله في النزول ليس بمعنى الانتقال وقطع المسافة، ولكنّه على معنى إنزال الأمر منه إلى سماء الدنيا، لأنّ العرش هو المكان الذي ينتهى إليه بأعمال العباد من السدرة المنتهى إليه، وقد يجعل الله عزّ وجلّ السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل، وفي ليالي الجمعة مسافة الأعمال في ارتفاعها أقرب منها في سائر الأوقات إلى العرش. وقوله: يرى أولياءه نفسه، فإنّه يعني بإظهار بدائع فطرته، فقد جرت العادة بأن يقال للسلطان إذا أظهر قوّة وقدرة وخيلاً ورجلاً: قد أظهر نفسه، وعلى ذلك دلّ الكلام ومجاز اللفظ. انتهى كلامه[1].

ولا يخفى أنّ هناك قضايا وحوادث تتعلّق بالعرش ويظهر من الروايات الشريفة أنّ العرش هو العلم الإلهي إلّا أنّ إيجاده للغير إنّما يكون بأنوار وأجسام لطيفة تناسب مع العالم الملكوتي غير الأجسام في العالم الناسوتي، وربما من ضيق التعبير أُعبّر عنها بالأجسام اللطيفة.

٧ ـ فما ورد في هذا المعنى أنّ المؤمن عند موته ينادي روحه منادٍ من قبل ربّ العزّة من بطنان العرش من فوق الأُفق الأعلى ويقول: يا أيّها النفس المطمئنّة إلى محمّد وآله ـ صلوات الله عليهم ـ ارجعي إلى ربّك راضية مرضيّة، فادخلي

(١) البحار ٣: ٣٣٢.

في عبادي وادخلي جنّتي[١].

٨ ـ وعن أبي ولّاد الحنّاط عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك يروون أنّ أرواح المؤمنين في حواصل طيور خضر حول العرش، فقال: لا، المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحه في حوصلة طير[٢].

وهذا يعني أنّ المؤمن بعد رحلته يكون في بدن كبدنه الدنيوي حول العرش وإذا قدم عليه القادم عرفه بتلك الصورة التي كانت في الدنيا.

٩ ـ عن ابن أبي عمير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سأل عليّ عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله عن تفسير قوله: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ ﴾ الآية قال: يا عليّ إنّ الوفد لا يكونون إلّا ركباناً، أُولئك رجال اتّقوا الله فأحبّهم الله واختصّهم ورضي أعمالهم فسمّاهم الله المتّقين، ثمّ قال: يا عليّ أما والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة إنّهم ليخرجون من قبورهم وبياض وجوههم كبياض الثلج، عليهم ثياب بياضها كبياض اللبن، عليهم نعال الذهب شراكها من لؤلؤ يتلألأ. وفي حديث آخر قال: إنّ الملائكة لتستقبلنّهم بنوق من العزّة من أنوق الجنّة، عليها رحائل الذهب مكلّلة بالدرّ والياقوت، وجلالها الاستبرق والسندس وخطامها جدل الأرجوان، وزمامها من زبرجد فتطير بهم إلى المحلس، مع كلّ رجل منهم ألف ملك من قدّامه وعن يمينه وعن شماله يزفّونهم زفّاً حتّى ينتهوا بهم إلى باب الجنّة الأعظم وعلى باب الجنّة شجرة الورقة منها تستظلّ تحتها مائة ألف من الناس، وعن يمين الشجرة عين مطهّرة مزكيّة قال: فيسقون منها شربة فيطهّر الله قلوبهم من الحسد ويسقط من

---

(١) البحار ٦: ١٦٤.

(٢) المصدر: ٢٦٨، الحديث ١١٩ + ١٢٤.

أبشارهم الشعر، وذلك قوله: ﴿ وَسَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهوراً ﴾ من تلك العين المطهّرة، ثمّ يرجعون إلى عين الثرى عن يسار الشجرة فيغتسلون منها، وهي عين الحياة فلا يموتون أبداً، قال: ثمّ يوقف بهم قدّام العرش، وقد سلموا من الآفات والأسقام والحرّ والبرد أبداً، قال: فيقول الجبّار للملائكة الذين معهم: احشروا أوليائي إلى الجنّة فلا توقفوهم مع الخلائق فقد سبق رضاي عنهم ووجبت رحمتي لهم فكيف أُريد أن أُوقفهم مع أصحاب الحسنات والسيّئات. فيسوقهم الملائكة إلى الجنّة. فإذا انتهوا إلى باب الجنّة الأعظم ضربوا الملائكة الحلقة ضربة فتصرّ صريراً فيبلغ صوت صريرها كلّ حوراء خلقها الله وأعدّها لأوليائه فيتباشرون إذ سمعوا صرير الحلقة ويقول بعضهم لبعض (فيتباشرن إذا سمعن صرير الحلقة ويقول بعضهنّ لبعض): قد جاءنا أولياء الله. فيفتح لهم الباب فيدخلون الجنّة ويشرف عليهم أزواجهم من الحور العين والآدميين فيقلن لهم: مرحباً بكم فما كان أشدّ شوقنا إليكم؟ ويقول لهن أولياء الله مثل ذلك. فقال عليّ عليه السلام: من هؤلاء يا رسول الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: هؤلاء شيعتك يا عليّ وأنت إمامهم، وهو قوله: ﴿ وَيومَ نحشر المتّقين إلى الرحمن وفداً ﴾ على الرحائل ﴿ ونسوق المجرمين إلى جهنّم ورداً ﴾[1].

١٠ ـ عن عامر الجهني قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله المسجد ونحن جلوس وفينا أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ عليه السلام في ناحية. فجاء النبيّ صلى الله عليه وآله فجلس إلى جانب علي عليه السلام. فجعل ينظر يميناً وشمالاً، ثمّ قال: إنّ عن يمين العرش وعن يسار العرش لرجالاً على منابر من نور يتلألأ وجوههم نوراً، قال: فقام أبو بكر فقال: بأبي أنت

---

(١) البحار ٧: ١٧٣.

وأُمّي يا رسول الله أنا منهم؟ قال له: إجلس، ثمّ قام إليه عمر فقال له مثل ذلك، فقال له: إجلس، فلمّا رأى ابن مسعود ما قال لهما النبيّ ﷺ استوى قائماً على قدميه ثمّ قال: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله صفهم لنا نعرفهم بصفتهم، قال: فضرب على منكب عليّ عليه السلام ثمّ قال: هذا وشيعته هم الفائزون[1].

١١ ـ عن أبي عبد الله عن أبيه عن جدّه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ لعليّ: يا عليّ لقد مثّلت لي أُمّتي في الطين حتّى رأيت صغيرهم وكبيرهم أرواحاً قبل أن تخلق أجسادهم، وإنّي مررت بك وبشيعتك فاستغفرت لكم، فقال علي: يا نبيّ الله زدني فيهم، قال: نعم يا عليّ تخرج أنت وشيعتك من قبوركم ووجوهكم كالقمر ليلة البدر، وقد فرجت عنكم الشدائد، وذهب عنكم الأحزان، تستظلّون تحت العرش، يخاف الناس ولا تخافون، ويحزن الناس ولا تحزنون وتوضع لكم مائدة والناس في المحاسبة[2].

العرش يوم القيامة هو (العرش المسمّى) الذي يصوّر ويمثّل (العرش الإسمي) لله سبحانه، وكلّما يقال في نعيم الآخرة من المعالم الحيّة فإنّه يقال في عرش الله سبحانه، وشيعة أمير المؤمنين موقفهم الأخير في الجنّة منهم من هو إمامه ومنهم من هو تحت العرش وحوله.

١٢ ـ عن الحسين بن سعيد معنعناً عن عليّ عليه السلام قال: أنا وشيعتي يوم القيامة على منابر من نور فيمرّ علينا الملائكة ويسلّم علينا؟ قال: فيقولون: من هذا الرجل؟ ومن هؤلاء؟ فيقال لهم: هذا عليّ بن أبي طالب ابن عمّ النبيّ فيقال: من

---

(١) البحار ٧: ١٧٩

(٢) المصدر: ١٨٠.

هؤلاء ؟ قال : فيقال لهم : هؤلاء شيعته، قال : فيقولون : أين النبيّ العربي وابن عمّه ؟ فيقولون : هما عند العرش، قال : فينادي منادٍ من السماء عند ربّ العزّة : يا عليّ ادخل أنت وشيعتك لا حساب عليك ولا عليهم. فيدخلون الجنّة ويتنعّمون فيها من فواكهها ويلبسون السندس والاستبرق وما لم ترَ عين. فيقولون : ﴿ الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن إنّ ربّنا لغفورٌ شكور ﴾ الذي منّ علينا بنبيّه محمّد صلى الله عليه وآله وبوصيّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام، والحمد لله الذي منّ علينا بهما من فضله، وأدخلنا الجنّة فنعم أجر العاملين، فينادي منادٍ من السماء : كلوا واشربوا هنيئاً، قد نظر إليكم الرحمن نظرة فلا بؤس عليكم ولا حساب ولا عذاب[1].

١٣ ـ وفي صفات المتّقين وحالهم يوم القيامة يقول أمير المؤمنين عليه السلام : وهاجت لهم ريح من قبل العرش فنثرت عليهم الياسمين والأقحوان[2].

١٤ ـ وعن رسول الله في وصف أمير المؤمنين وما يحدث له يوم القيامة يقول : وعليّ بن أبي طالب على ناقة من نوق الجنّة... فلا يمرّ بملأ من الملائكة إلّا قالوا : نبيّ مرسل، ولا يمرّ بنبيّ إلّا يقول : ملك مقرّب، فينادي منادٍ من بطنان العرش : يا أيّها الناس ليس هذا ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل ولا حامل عرش، هذا عليّ بن أبي طالب، وتجيء شيعته من بعده فينادي منادٍ لشيعته : من أنتم ؟ فيقولون : نحن العلويّون، فيأتيهم النداء : أيّها العلويّون أنتم آمنون ادخلوا الجنّة مع من كنتم توالون[3].

---

(١) المصدر : ١٩٩.

(٢) المصدر : ٢٢٠.

(٣) المصدر : ٢٣١.

١٥ ـ وفي حديث آخر: وأخي عليّ بن أبي طالب على ناقة من نوق الجنّة، وبيده لواء الحمد واقف بين يدي العرش ينادي: لا إله إلّا الله محمّد رسول الله، قال: فيقول الآدميون: ما هذا إلّا ملك مقرّب أو نبيّ مرسل أو حامل عرش ربّ العالمين، قال: فيجيبهم ملك من تحت بطنان العرش: معاشر الآدميين، ما هذا ملكاً مقرّباً، ولا نبيّاً مرسلاً، ولا حامل عرش، هذا الصدّيق الأكبر، هذا عليّ بن أبي طالب[١].

وفي هذا المضمون روايات كثيرة كادت أن تكون متواترة.

١٦ ـ وفي حديث: فينادي منادٍ من تلقاء العرش[٢].

١٧ ـ وفي حديث أحوال يوم القيامة: فيقول الله عزّ وجلّ: ... أيّها الخلائق استعدّوا للحساب ... والجبّار تبارك وتعالى على العرش ـ أي يصدر حكمه من قبل العرش ـ قد نشرت الدواوين ونصبت الموازين. وأُحضر النبيّون والشهداء وهم الأئمة، يشهد كلّ إمام على أهل عالمه بأنّه قد قام فيهم بأمر الله عزّ وجلّ ودعاهم إلى سبيل الله[٣].

يظهر من الأخبار الشريفة أنّ يوم القيامة كلّ شيء يتمثّل ويتصوّر إلّا سبحانه وتعالى، فلا مثل له ولا صورة له، فالعرش يتصوّر كما أنّ الملائكة لهم صورهم، وكذلك القلم واللوح يتصوّران بصورة الآدمي.

١٨ ـ عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿ هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ﴾ قال: إذا كان يوم القيامة وحشر الناس للحساب فيمرّون بأهوال يوم القيامة

---

(١) البحار ٧: ٢٣٤.

(٢) المصدر: ٢٦٩.

(٣) المصدر: ٢٧٠.

فينتهون إلى العرصة، ويشرف الجبّار عليهم حتّى يجهدوا جهداً شديداً، قال: يقفون بفناء العرصة ويشرف الجبّار عليهم وهو على عرشه، فأوّل من يدعى بنداء يسمع الخلائق أجمعين أن يهتف باسم محمّد بن عبد الله النبيّ القرشيّ العربيّ، قال: فيتقدّم حتّى يقف على يمين العرش، قال: ثمّ يدعى بصاحبكم عليّ عليه السلام فيتقدّم حتّى يقف على يسار رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ يدعى بأُمّة محمّد صلى الله عليه وآله فيقفون عن يسار علي، ثمّ يدعى كلّ نبيّ وأُمّته معه من أوّل النبيّين إلى آخرهم وأُمّتهم معهم فيقفون عن يسار العرش، قال: ثمّ أوّل من يدعى للمسألة القلم، قال: فيتقدّم فيقف بين يدى الله في صورة الآدميين ـ إلى آخر الحديث الشريف ـ[1].

١٩ ـ وعن النبيّ في حديث عن فضيلة صوم رجب قال: ومن صام من رجب ثلاثة عشر يوماً وضعت له يوم القيامة مائدة من ياقوت أخضر في ظلّ العرش قوائمها من درّ أوسع من الدنيا سبعين مرّة ...[2].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: يبعث قوم تحت ظلّ العرش وجوههم من نور، رياشهم من نور، جلوس على كراسي من نور، قال: فتشرف لهم الخلائق فيقولون: هؤلاء أنبياء؟ فينادي منادٍ من تحت العرش: أن ليس هؤلاء بأنبياء. قال: فيقولون هؤلاء شهداء؟ فينادي منادٍ من تحت العرش: أن لبس هؤلاء شهداء، ولكن هؤلاء قوم كانوا ييسّرون على المؤمنين (على المعسر) وينظرون المعسر حتّى ييسر[3].

٢٠ ـ وفي حديث طويل في تجسّم القرآن وتصوّره بصورة إنسان يوم

---

(١) المصدر: ٢٨١

(٢) المصدر: ٣٠١.

(٣) المصدر: ٣٠٤

القيامة، وما يجري عليه، وحواره مع الله سبحانه عن أبي جعفر عليه السلام عندما يمرّ القرآن بالناس والشهداء والنبيّين والمرسلين: ثمّ يجاوز حتّى ينتهي إلى ربّ العزّة تبارك وتعالى فيخرّ تحت العرش فيناديه تبارك وتعالى: يا حجّتي في الأرض وكلامي الناطق ارفع رأسك وسل تعطَ، واشفع تشفع، فيرفع رأسه فيقول الله تبارك وتعالى: كيف رأيت عبادي، فيقول: يا ربّ منهم من صانني وحافظ عليّ ولم يضيّع شيئاً، ومنهم من ضيّعني واستخفّ بحقّي وكذّب وأنا حجّتك على جميع خلقك، فيقول الله تبارك وتعالى: وعزّتي وجلالي وارتفاع مكاني لأثيبنّ عليك اليوم أحسن الثواب، ولأعاقبنّ عليك اليوم أليم العقاب...[1].

٢١ ـ عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة دعي محمّد فيكسى حلّة وردية ثمّ يقام عن يمين العرش، ثمّ يدعى بإبراهيم فيكسى حلّة بيضاء فيقام عن يسار العرش، ثمّ يدعى بعليّ أمير المؤمنين فيكسى حلّة وردية فيقام عن يمين العرش... ثمّ ينادي منادٍ من بطنان العرش من قبل ربّ العزّة والأفق الأعلى: نعم الأب أبوك يا محمّد وهو إبراهيم ونعم الأخ أخوك وهو عليّ بن أبي طالب، ونعم السبطان سبطاك وهما الحسن والحسين، ونعم الجنين جنينك وهو محسن، ونعم الأئمة الراشدون ذرّيتك وهم فلان وفلان، ونعم الشيعة شيعتك، ألا إنّ محمّداً ووصيّه وسبطيه والأئمة من ذرّيته هم الفائزون، ثمّ يؤمر بهم إلى الجنّة، وذلك قوله: ﴿ فمن زُحزح عن النار وأُدخل الجنّة فقد فاز ﴾[2].

وفي هذا المعنى روايات مستفيضة

---

(١) البحار ٧. ٣٢٠.

(٢) المصدر ٣٢٩

٢٢ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إذا كان يوم القيامة أمر الله مالكاً أن يسعّر النيران السبع، ويأمر رضوان أن يزخرف الجنان الثمان، ويقول : يا ميكائيل مدّ الصراط على متن جهنّم، ويقول : يا جبرئيل انصب ميزان العدل تحت العرش، ويقول : يا محمّد قرّب اُمّتك للحساب، ثمّ يأمر الله أن يعقد على الصراط سبع قناطر طول كلّ قنطرة سبعة عشر ألف فرسخ، وعلى كلّ قنطرة سبعون ألف ملك يسألون هذه الاُمّة نساؤهم ورجالهم في القنطرة الاُولى عن ولاية أمير المؤمنين وحبّ أهل بيت محمّد عليهم السلام ، فمن أتى به جاز القنطرة الاُولى كالبرق الخاطف، ومن لم يحبّ اهل بيته سقط على اُمّ رأسه في قعر جهنّم، ولو كان معه من أعمال البرّ عمل سبعين صدّيقاً[١].

عن جعفر بن محمّد عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال : إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من بطنان العرش : يا محمّد يا عليّ القيا في جهنّم كلّ كفّار عنيد، فهما الملقيان في النار[٢].

٢٣ ـ وفي هذا المعنى روايات مستفيضة : (ثمّ ينادي منادٍ من بطنان العرش : يا معشر الخلائق غضّوا أبصاركم حتّى تمرّ بنت حبيب الله إلى قصرها، فتمرّ فاطمة بنتي)[٣].

٢٤ ـ عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ ألقيا في جهنّم كلّ كفّار عنيد ﴾ قال : فقال النبيّ صلى الله عليه وآله : إنّ الله تبارك وتعالى إذا جمع الناس يوم القيامة في صعيد واحد كنت أنا وأنت يومئذٍ عن يمين العرش فيقال لي ذلك : قوما فألقيا من

---

(١) المصدر : ٣٣٢.

(٢) المصدر : ٣٣٥.

(٣) المصدر : ٣٣٦.

أبضغكما وخالفكما وكذّبكما في النار[١].

٢٥ ـ عن بريد العجلي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كيف صار الناس يستلمون الحجر والركن اليماني ولا يستلمون الركنين الآخرين؟ فقال: إنّ الحجر الأسود والركن اليماني عن يمين العرش وإنّما أمر الله تعالى أن يستلزم ما عن يمين عرشه، قلت: فكيف صار مقام إبراهيم عليه السلام عن يساره؟ فقال: لأنّ لإبراهيم عليه السلام مقاماً في القيامة، ولمحمّد صلى الله عليه وآله مقاماً، فمقام محمّد صلى الله عليه وآله عن يمين عرش ربّنا عزّ وجلّ، ومقام إبراهيم عليه السلام عن شمال عرشه، فمقام إبراهيم في مقامه يوم القيامة وعرش ربّنا مقبل غير مدبر.

يقول العلّامة المجلسي في توضيح الخبر: قال الوالد العلّامة رحمه الله: حاصله أنّه ينبغي أن يتصوّر أنّ البيت بحذاء العرش وإزائه في الدنيا وفي القيامة، وينبغي أن يتصوّر أنّ البيت بمنزلة رجل وجهه إلى الناس ووجهه طرف الباب، فإذا توجّه الإنسان إلى البيت يكون المقام عن يمين الإنسان والحجر عن يساره، لكنّ الحجر عن يمين البيت والمقام عن يساره، وكذا العرش الآن ويوم القيامة، والحجر بمنزلة مقام نبيّنا صلى الله عليه وآله والركن اليماني بمنزلة مقام أئمتنا صلوات الله عليهم، وكما أنّ مقام النبيّ والأئمة صلوات الله عليهم في الدنيا عن يمين البيت وبإزاء يمين العرش كذلك يكون في الآخرة، لأنّ العرش مقبل وجهه إلينا غير مدبر، لأنّه لو كان مدبراً لكان اليمين لإبراهيم عليه السلام، واليسار للنبيّ والأئمة عليهم السلام، هذا تفسير الخبر بحسب الظاهر، ويمكن أن يكون إشارة إلى علوّ رتبة نبيّنا صلى الله عليه وآله ورفعته وأفضليّته على رتبة إبراهيم الذي هو أفضل الأنبياء بعد النبيّ والأئمة عليهم السلام، وقد ورد في الأخبار استحباب استلام

---

(١) البحار ٧: ٣٣٨.

الركنين الآخرين، فيكون المراد تأكّد فضيلة استلامهما، والمنفيّ تأكّد الفضيلة لا أصلها، انتهى كلامه رفع الله مقامه[١].

٢٦ ـ قال رسول الله: فأقوم عن يمين العرش. فيقومون عن يمين العرش في ظلّه... حتّى تقف بيني وبين إبراهيم في ظلّ العرش... ثمّ ينادي منادٍ من عند العرش: نعم الأب أبوك إبراهيم ونعم الأخ أخوك عليّ...[٢].

وفي حديث: ثمّ بنادي منادٍ من تلقاء العرش: أين النبيّ الأُمّي ؟[٣].

٢٧ ـ لمّا نزل على رسول الله ﴿ إنّا أعطيناك الكوثر ﴾ قال له عليّ بن أبي طالب: ما هو الكوثر يا رسول الله ؟ قال: نهر أكرمني الله به. قال عليّ: إنّ هذا النهر شريف فانعته لنا يا رسول الله. قال: نعم يا علي، الكوثر نهر يجري تحت عرش الله تعالى ماؤه أشدّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد وحصاه الزبرجد والياقوت والمرجان، حشيشه الزعفران ترابه المسك الأذفر، قواعده تحت عرش الله عزّ وجلّ ثمّ ضرب رسول الله صلى الله عليه وآله يده في جنب عليّ أمير المؤمنين عليه السلام وقال: يا عليّ إنّ هذا النهر لي ولك ولمحبّيك من بعدي[٤]. وفي حديث قال أبو عبد الله عليه السلام: والكوثر مخرجه من ساق العرش...[٥].

وهذا النهر مصداق من مصاديق الكوثر الذي هو بمعنى الخير الكثير في الدارين.

---

(١) المصدر: ٣٤٠.

(٢) البحار ٨: ١ ـ ٢.

(٣) المصدر: ١٧.

(٤) البحار ٨: ١٨.

(٥) المصدر: ١٦٢.

٢٨ ـ عن النبيّ: يا عليّ أنت وشيعتك على الحوض تسقون ما أحببتم وتمنعون من كرهتم وأنتم الآمنون يوم الفزع الأكبر في ظلّ العرش، يفزع الناس ولا تفزعون ويحزن الناس ولا تحزنون...[١].

٢٩ ـ عن عليّ عليه السلام في حديث: فلا أزال واقفاً على الصراط أدعو وأقول: ربّ سلّم شيعتي ومحبّي وأنصاري ومن توالاني في دار الدنيا، فإذا النداء من بطنان العرش: قد أُجيبت دعوتك[٢].

وعن جعفر بن محمّد عليهما السلام في حديث: فيقول آدم: لست بصاحبكم خلقني ربّي بيده وحملني على عرشه وأسجد لي ملائكته ثمّ أمرني فعصيته... قال النبيّ... ثمّ آتي المقام المحمود حتّى أقضي عليه وهو تلّ من مسك أذفر بحيال العرش... ثمّ يؤتى بنا فيجلس على العرش ربّنا ويؤتى بالكتب فنرجع فنشهد على عدوّنا، ونشفع لمن كان من شيعتنا مرهقاً، قال: قلت: جعلت فداك فما المرهق؟ قال: المذنب فأمّا الذين اتّقوا من شيعتنا فقد نجاهم الله بمفازتهم لا يمسّهم السوء ولا هم يحزنون...

قال الجزري: قوله: فإذا نظرت إلى ربّي أي إلى عرشه أو كرامته أو إلى نور من أنوار عظمته، والجلوس على العرش كناية عن ظهور الحكم والأمر من عند العرش وخلق الكلام هناك[٣].

٣٠ ـ قال أمير المؤمنين عليه السلام في نهجه: واعلموا أنّ من يتّق الله يجعل له مخرجاً من الفتن ونوراً من الظلم ويخلّده فيما اشتهت نفسه وينزله منزل الكرامة

---

(١) المصدر: ٢٨.

(٢) المصدر: ٣٩.

(٣) المصدر: ٤٧.

عنده، في دار اصطنعها لنفسه، ظلّها عرشه، ونورها بهجته، وزوّارها ملائكته، ورفقاؤها رسله، ثمّ قال صلى الله عليه وآله: فبادروا بأعمالكم تكونوا مع جيران الله، رافق بهم رسله وأزارهم ملائكته وأكرم أسماعهم عن أن تسمع حسيس نار أبداً، وصان أجسادهم أن تلق لغوباً ونصباً. ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم[1].

٣١ ـ وفي وصف حال المتّقين في الجنان في حديث: فبينا هم كذلك إذ يسمعون صوتاً من تحت العرش: يا أهل الجنّة كيف ترون منقلبكم؟ فيقولون: خير المنقلب منقلبنا[2].

٣٢ ـ وفي حديث في وصف من هو أشق من الشيطان فيقول عليه اللعنة: فرأيت رجلين في أعناقهما سلاسل النيران معلّقين بها إلى فوق. وعلى رؤوسهما قوم معهم مقامع النيران يقمعونهما بها. فقلت: يا ملك، من هذان؟ فقال: أو ما قرأت على ساق العرش وكنت قبل قرأته قبل أن يخلق الله الدنيا بألفي عام ـ لا إله إلّا الله محمّد رسول الله أيّدته ونصرته بعليّ، فقال: هذان عدوّا أُولئك وظالماهم.

بيان: لعلّه تعالى خلق صورتيهما في جهنّم لتعيين مكانهما وتصوير شقاوتهما للملأ الأعلى ولمن سمع الخبر من غيرهم[3].

٣٣ ـ وفي حديث احتجاج النبيّ مع اليهود قالت اليهود: موسى خير منك؟ قال النبيّ صلى الله عليه وآله: ولِمَ ذلك؟ قالوا: لأنّ الله عزّ وجلّ كلّمه بأربعة آلاف كلمة ولم

---

(١) المصدر: ١٦٣.

(٢) المصدر: ٢١٥.

(٣) البحار ٨: ٣١٦.

يكلّمك بشيء. فقال النبيّ ﷺ: لقد أُعطيت أنا أفضل من ذلك. فقالوا: وما ذاك؟ قال: قوله تعالى: ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ﴾ وحمّلت على جناح جبرئيل حتّى انتهيت إلى السماء السابعة، فجاوزت سدرة المنتهى عندها جنّة المأوى حتّى تعلّقت بساق العرش، فنوديت من ساق العرش: إنّي أنا الله لا إله إلاّ أنا السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبّار المتكبّر الرؤوف الرحيم، فرأيته بقلبي وما رأيته بعيني، فهذا أفضل من ذلك. فقالت اليهود: صدقت يا محمّد وهو مكتوب في التوراة. قال رسول الله ﷺ: هذا اثنان...[١].

٣٤ ـ وفي حديث: إذا قال العبد (سبحان) الله سبّح معه ما دون العرش فيعطى قائلها عشر أمثالها[٢].

٣٥ ـ وفي حديث القوم الذين سألوا أمير المؤمنين وفيما سألوا: أين كان الله قبل أن يخلق عرشه؟ فقال عليه السلام: سبحان من لا تدرك كنه صفته حملة العرش على قرب ربواتهم من كرسيّ كرامته، ولا الملائكة المقرّبون من أنوار سبحات جلاله، ويحك لا يقال: الله أين، ولا فيمَ؟ ولا أيّ، ولا كيف[٣].

٣٦ ـ وفي احتجاجات الإمام الصادق مع الزنادقة قال: فالكرسي أكبر أم العرش؟ قال: كلّ شيء خلقه الله تعالى في جوف الكرسي خلا عرشه فإنّه أعظم من أن يحيط به الكرسي... فخلق الكرسي فحشاه السماوات والأرض، والكرسي أكبر

---

(١) البحار ٩: ٢٩٠.

(٢) المصدر: ٢٩٥.

(٣) المصدر: ١٢٧.

من كلّ شيء خلق، ثمّ خلق العرش أكبر من الكرسي[(١)].

٣٧ـ قال السائل : وإذا نزل أليس قد حال عن العرش، وحؤوله عن العرش انتقال ؟ قال أبي عبد الله عليه السلام : ليس ذلك على ما هو يوجد من المخلوق الذي ينتقل باختلاف الحال عليه والملالة والسأمة، وناقل ينقله ويحوّله من حال إلى حال، بل هو تبارك وتعالى لا يحدث عليه الحال، ولا يجري عليه الحدوث، فلا يكون نزوله كنزول المخلوق الذي متى تنحّى عن مكان خلا منه المكان الأوّل، ولكنّه ينزل إلى سماء الدنيا بغير معاناة ولا حركة فيكون هو كما في السماء السابعة على العرش كذلك هو في سماء الدنيا إنّما يكشف عن عظمته ويري أولياءه نفسه حيث شاء ويكشف ما شاء من قدرته، ومنظره في القرب والبعد سواء.

قال العلّامة المجلسي في بيان الخبر : وفي تلك النسخة التي فيها تلك الزيادة زيادة أُخرى بعد تمام الخبر وهي هذه : قال مصنّف هذا الكتاب : قوله عليه السلام : (إنّه على العرش ليس بمعنى التمكّن فيه، ولكنّه بمعنى التعالي عليه بالقدرة يقال : فلان على خير، واستعانةً على عمل كذا أو كذا، ليس بمعنى التمكّن فيه والاستقرار عليه، ولكن ذلك بمعنى التمكّن منه والقدرة عليه.

وقوله : (في النزول) ليس بمعنى الانتقال وقطع المسافات، ولكنّه على معنى إنزال الأمر منه إلى السماء الدنيا، لأنّ العرش هو المكان الذي ينتهي إليه بأعمال العباد من سدرة المنتهى إليه، وقد يجعل الله عزّ وجلّ السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل وفي ليالي الجمعة مسافة الأعمال في ارتفاعها أقرب منها في سائر الأوقات إلى العرش.

---

(١) المصدر : ١٨٨.

وقوله: (يري أولياءه نفسه) فإنّه يعني بإظهار بدائع فطرنه، فقد جرت العادة بأن يقال للسلطان إذا أظهر قوّةً وخيلاً ورجلاً: قد أظهر نفسه، وعلى ذلك دلّ الكلام ومجاز اللفظ[1].

٣٨ ـ وفي حديث طويل في خلق آدم عن أبي جعفر الباقر عن آبائه عن عليّ عليه‌السلام: فقالت الملائكة: يا ربّنا افعل ما شئت ﴿ **لا علمَ لنا إلّا ما علّمتنا إنّك أنت العليم الحكيم** ﴾ قال: فباعدهم الله من العرش مسيرة خمسمائة عام قال: فلاذوا بالعرش فأشاروا بالأصابع، فنظر الربّ جلّ جلاله إليهم ونزلت الرحمة فوضع لهم البيت المعمور فقال: طوفوا به، ودعوا العرش فإنّه لي رضا، فطافوا به وهو البيت الذي يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه أبداً، فوضع الله البيت المعمور توبة لأهل السماء، ووضع الكعبة توبة لأهل الأرض[2].

٣٩ ـ عن أحدهما عليهما‌السلام أنّه سئل عن ابتداء الطواف فقال: إنّ الله تبارك وتعالى لمّا خلق آدم عليه‌السلام قال للملائكة: ﴿ **إنّي جاعلٌ في الأرض خليفة** ﴾ فقال ملكان من الملائكة ﴿ **أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء** ﴾ فوقعت الحجب فيما بينهما وبين الله عزّ وجلّ، وكان تبارك وتعالى نوره ظاهراً للملائكة، فلمّا وقعت الحجب بينه وبينهما، علما أنّه سخط قولهما، فقالا للملائكة: ما حيلتنا؟ وما وجه توبتنا؟ فقالوا: ما نعرف لكما من التوبة إلّا أن تلوذوا بالعرش، قال: فلاذوا بالعرش حتّى أنزل الله عزّ وجلّ توبتهما ورفعت الحجب فيما بينه وبينهم، وأحبّ الله تبارك وتعالى أن يعبد بتلك العبادة، فخلق الله البيت في الأرض، وجعل

---

(١) البحار ١٠ : ٢٠٠

(٢) البحار ١١ : ١٠٤.

على العباد الطواف حوله، وخلق البيت المعمور في السماء يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه إلى يوم القيامة.

بيان: المراد بنوره تعالى إمّا الأنوار المخلوقة في عرشه، أو أنوار الأئمة صلوات الله عليهم، أو أنوار معرفته وفيضه وفضله، فالمراد بالحجب على الأخير الحجب المعنويّة[١].

٤٠ ـ عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: قلت لأبي: لِمَ صار الطواف سبعة أشواط؟ قال: لأنّ الله تبارك وتعالى قال للملائكة: ﴿ إنّي جاعلٌ في الأرض خليفة ﴾ فردّوا على الله تبارك وتعالى ﴿ وقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ قال الله ﴿ إنّي أعلم ما لا تعلمون ﴾ وكان لا يحجبهم عن نوره، فحجبهم عن نوره سبعة آلاف عام، فلاذوا بالعرش سبعة آلاف سنة، فرحمهم وتاب عليهم وجعل لهم البيت المعمور الذي في السماء الرابعة، فجعله مثابةً وأمناً ووضع البيت الحرام تحت البيت المعمور فجعله مثابة للناس وأمناً، فصار الطواف سبعة أشواط واجباً على العباد لكلّ ألف سنة شوطاً واحداً[٢].

٤١ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمّا خلق الله تعالى آدم وقفه بين يديه فعطس فألهمه الله أن حمده، فقال: يا آدم أحمدتني، فوعزّتي وجلالي لولا عبدان أُريد أن أخلقهما في آخر الزمان ما خلقتك، قال آدم: يا ربّ بقدرهم عندك ما اسمهم؟ فقال تعالى: يا آدم انظر نحو العرش، فإذا بسطرين من نور أوّل السطر: (لا إله إلّا الله محمّد نبيّ الرحمة وعليّ مفتاح الجنّة) والسطر الثاني: (آليت على نفسي أن أرحم من

---

(١) البحار ١١: ١١٠.

(٢) المصدر: ١١١.

والاهما وأُعذّب من عاداهما)[١].

٤٢ ـ في حديث قال آدم عليه السلام: يا بني وقفت بين يدي الله جلّ جلاله، فنظرت إلى سطر على وجه العرش مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم محمّد وآل محمّد خير من برأ الله[٢].

٤٣ ـ عن أبي سعيد الخدري قال: كنّا جلوساً مع رسول الله صلى الله عليه وآله إذ أقبل إليه رجل فقال: يا رسول الله أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ لإبليس: ﴿ أستكبرت أم كنت من العالين ﴾ فمن هما يا رسول الله الذين هم أعلى من الملائكة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا وعليّ وفاطمة والحسن والحسين، كنّا في سرادق العرش نسبّح الله وتسبّح الملائكة بتسبيحنا قبل أن خلق الله عزّ وجلّ آدم بألفي عام، فلمّا خلق الله عزّ وجلّ آدم أمر الملائكة أن يسجدوا له ولم يأمرنا بالسجود، فسجدت الملائكة كلّهم أجمعون إلّا إبليس فإنّه أبى أن يسجد، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿ أستبكرت أم كنت من العالين ﴾ أي من هؤلاء الخمس المكتوب أسماؤهم في سرادق العرش[٣].

٤٤ ـ وفي قوله عزّ وجلّ: ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلّا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ﴾ قال الإمام عليه السلام: قال الله تعالى: كان خلق الله لكم ما في الأرض جميعاً إذ قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم في ذلك الوقت خلق لكم، قال عليه السلام: ولمّا امتحن الحسين عليه السلام ومن معه بالعسكر الذي قتلوه

---

(١) المصدر: ١١٤.

(٢) المصدر: ١١٥.

(٣) المصدر: ١٤٢.

وحملوا رأسه قال لعسكره: أنتم في حلّ من بيعتي فالحقوا بعشائركم ومواليكم، وقال لأهل بيته: قد جعلتكم في حلّ من مفارقتي، فإنّكم لا تطيقونهم لتضاعف أعدادهم وقواهم، وما المقصود غيري فدعوني والقوم. فإنّ الله عزّ وجلّ يعينني ولا يخلّيني من حسن نظره كعادته في أسلافنا الطيّبين. فأمّا عسكره ففارقوه، وأمّا أهله الأدنون من أقربائه فأبوا وقالوا: لا نفارقك ويحزننا ما يحزنك، ويصيبنا ما يصيبك، وإنّا أقرب ما نكون إلى الله إذا كنّا معك، فقال لهم: فإن كنتم قد وطّنتم أنفسكم على ما وطّنت نفسي عليه فاعلموا أنّ الله إنّما يهب المنازل الشريفة لعباده باحتمال المكاره، وأنّ الله وإن كان خصّني مع من مضى من أهلي الذين أنا آخرهم بقاء في الدنيا من الكرامات بما يسهّل عليّ معها احتمال المكروهات فإنّ لكم شطر ذلك من كرامات الله تعالى، واعلموا أنّ الدنيا حلوها ومرّها حلم، والانتباه في الآخرة، والفائز من فاز فيها، والشقيّ من شقي فيها، أوَلا أُحدّثكم بأوّل أمرنا وأمركم معاشر أوليائنا ومحبّينا والمتعصّبين لنا، ليسهّل عليكم احتمال ما أنتم له مقرّون؟ قالوا: بلى يا بن رسول الله. قال: إنّ الله تعالى لمّا خلق آدم وسوّاه وعلّمه أسماء كلّ شيء وعرضهم على الملائكة جعل محمّداً وعلياً وفاطمة والحسن والحسين أشباحاً خمسة في ظهر آدم، وكانت أنوارهم تضيء في الآفاق من السماوات والحجب والجنان والكرسي والعرش، فأمر الله الملائكة بالسجدة لآدم تعظيماً له إنّه قد فضّله بأن جعله وعاء لتلك الأشباح التي قد عمّ أنوارها في الآفاق، فسجدوا إلّا إبليس أبى أن يتواضع لجلال عظمة الله، وأن يتواضع لأنوارنا أهل البيت، وقد تواضعت لها الملائكة كلّها فاستكبر وترفّع وكان بإبائه ذلك وتكبّره من الكافرين.

٤٥ ـ قال عليّ بن الحسين صلوات الله عليهما: حدّثني أبي عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: قال: يا عباد الله، إنّ آدم لمّا رأى النور ساطعاً من صلبه

إذ كان الله قد نقل أشباحنا من ذروة العرش إلى ظهره رأى النور ولم يتبيّن الأشباح، فقال: يا ربّ ما هذه الأنوار؟ قال الله عزّ وجلّ: أنوار أشباح نقلتهم من أشرف بقاع عرشي إلى ظهرك، ولذلك أمرت الملائكة بالسجود لك إذ كنت وعاءً لتلك الأشباح، فقال آدم: يا ربّ لو بيّنتها لي، فقال الله تعالى: أُنظر يا آدم إلى ذروة العرش، فنظر آدم ـ ووقع نور أشباحنا من ظهر آدم ـ على ذروة العرش فانطبع فيه صور أنوار أشباحنا كما ينطبع وجه الإنسان في المرآة الصافية، فرأى أشباحنا فقال: ما هذه الأشباح يا ربّ؟ فقال الله: يا آدم هذه الأشباح أفضل خلائقي وبريّاتي، هذا محمّد وأنا الحميد والمحمود في أفعالي شققت له إسماً من اسمي، وهذا عليّ وأنا العليّ العظيم شققت له اسماً من اسمي، وهذه فاطمة وأنا فاطر السماوات والأرض فاطم أعدائي عن رحمتي يوم فصل قضائي، فاطم أوليائي عمّا يعتريهم ويشينهم ـ وهذا من مظاهر الولاية والبراءة ـ فشققت لها اسماً من اسمي، وهذا الحسن وهذا الحسين وأنا المحسن المجمل شققت لهما اسماً من اسمي، هؤلاء خيار خلقتي وكرام بريّتي، بهم آخذ وبهم أُعطي وبهم أُعاقب وبهم أُثيب، فتوسّل إليّ بهم يا آدم، وإذا دهتك داهية فاجعلهم إليّ شفعاءك، فإنّي آليت على نفسي قسماً حقّاً لا أُخيّب بهم آملاً، ولا أردّ بهم سائلاً فلذلك حين نزلت منه الخطيئة، دعا الله عزّ وجلّ بهم فتاب عليه وغفر له[1].

٤٦ ـ عن أبي عبد الله عليه‌السلام قال: إنّ آدم عليه‌السلام لمّا هبط هبط بالهند ثمّ رمي إليه بالحجر الأسود، وكان ياقوتة حمراء بفناء العرش، فلمّا رأى عرفه فأكبّ عليه وقبّله، ثمّ أقبل به فحمله إلى مكّة، فربما أعيا من ثقله فحمله جبرئيل عنه، وكان إذا

---

(١) البحار ١١: ١٥٠.

لم يأته جبرئيل عليه السلام اغتمّ وحزن، فشكا ذلك إلى جبرئيل فقال: إذا وجدت شيئاً من الحزن فقل: لا حول ولا قوّة إلّا بالله[١].

٤٧ ـ عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ ملكاً من الملائكة كانت له منزلة فأهبطه الله من السماء إلى الأرض فأتى إدريس النبيّ عليه السلام فقال له: اشفع لي عند ربّك، فصلّى ثلاث ليالٍ لا يفتر وصام أيّامها لا يفطر ثمّ طلب إلى الله في السحر للملك فأذن له في الصعود إلى السماء فقال له الملك: أُحبّ أن أُكافيك فاطلب إليّ حاجة، فقال: تريني ملك الموت لعلّي آنس به فإنّه ليس يهنؤني مع ذكره شيء، فبسط جناحيه ثمّ قال: اركب. فصعد به فطلب ملك الموت في سماء الدنيا فقيل: إنّه قد صعد، فاستقبله بين السماء الرابعة والخامسة فقال الملك لملك الموت: ما لي أراك قاطباً؟ قال: أتعجب إنّي كنت تحت ظلّ العرش حتّى أُمرت أن أقبض روح إدريس بين السماء الرابعة والخامسة، فسمع إدريس ذلك فانتفض من جناح الملك وقبض ملك الموت روحه مكانه، وذلك قوله تعالى: ﴿ واذكر في الكتاب إدريس إنّه كان صدّيقاً نبيّاً ورفعناه مكاناً عليّاً ﴾[٢].

عن الإمام الصادق عليه السلام في قصّة إبراهيم الخليل عليه السلام: فلمّا أصبح وطلعت الشمس ورأى ضوءها وقد أضاءت الشمس الدنيا لطلوعها قال: ﴿ هذا ربّي هذا أكبر ﴾ وأحسن فلمّا تحرّكت وزالت كشط الله عن السماوات حتّى رأى العرش ومن عليه وأراه الله ملكوت السماوات والأرض فعند ذلك قال: ﴿ يا قوم إنّي بريء ممّا تشركون إنّي وجّهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض

---

(١) المصدر: ٢١٠، عن علل الشرائع: ١٦٣.

(٢) المصدر: ٢٧٨

حنيفاً وما أنا من المشركين ﴾[1].

٤٨ ـ قال أبو جعفر عليه السلام : كشط الله له عن الأرضين حتّى رآهن وما تحتهن، وعن السماوات حتّى رآهن وما فيهن من الملائكة وحملة العرش ﴿ وليكون من المؤمنين ﴾[2].

٤٩ ـ عن أبي جعفر عليه السلام في هذه الآية ﴿ وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين ﴾ قال : كشط له عن الأرض حتّى رآها ومن فيها، وعن السماء حتّى رآها ومن فيها والملك الذي يحملها والعرش ومن عليه وكذلك أرى صاحبكم[3].

٥٠ ـ قال أبو عبد الله عليه السلام : وكذلك نري إبراهيم... قال : كشط لإبراهيم عليه السلام السماوات السبع حتّى نظر إلى ما فوق العرش، وكشط له الأرض حتّى رأى ما في الهواء، وفعل محمّد صلى الله عليه وآله مثل ذلك، وإنّي لأرى صاحبكم والأئمة من بعده قد فعل بهم مثل ذلك[4].

٥١ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لمّا عمل قوم لوط ما عملوا بكت الأرض إلى ربّها حتّى بلغت دموعها السماء، وبكت السماء حتّى بلغت دموعها العرش، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى السماء، أن احصبيهم ـ أي ارميهم بالحصباء ـ وأوحى إلى الأرض أن اخسفي بهم[5].

---

(١) البحار ١٢ : ٣٠.

(٢) المصدر : ١٨.

(٣) المصدر : ٧٢.

(٤) المصدر : ٧٢.

(٥) المصدر : ١٦٧.

٥٢ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث قال: سألته عن بليّة أيّوب عليه السلام التي ابتلي بها في الدنيا لأيّ علّة كانت؟ قال: لنعمة انعم الله عليه بها في الدنيا وأدّى شكرها، وكان في ذلك الزمان لا يحجب إبليس عن دون العرش، فلمّا صعد ورأى شكر نعمة أيّوب حسده إبليس فقال: يا ربّ إنّ أيّوب لم يؤدّ إليك شكر هذه النعمة إلّا بما أعطيته من الدنيا، ولو حرمته دنياه ما أدّى إليك شكر نعمة أبداً فسلّطني على دنياه حتّى تعلم أنّه لا يؤدّي إليك شكر نعمة أبداً فقيل له: قد سلّطتك على ماله وولده... إلى آخر القصّة فراجع[1].

٥٣ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث في دعاء عيسى بن مريم عليه السلام قال: ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا بني عبد المطّلب سلوا ربّكم بهؤلاء الكلمات، فوالذي نفسي بيده ما دعا بهن عبد بإخلاص دينه إلّا اهتزّ له العرش، وإلّا قال الله لملائكته: اشهدوا أنّي قد استجبت له بهن وأعطيته سؤله في عاجل دنياه وآجل آخرته، ثمّ قال لأصحابه: سلوا بها، ولا تستبطئوا الإجابة[2].

٥٤ ـ وفي حديث طويل عن أمير المؤمنين عليه السلام في خلق النوري لرسول الله صلى الله عليه وآله: ثمّ خلق من نور محمّد صلى الله عليه وآله جوهرة، وقسّمها قسمين، فنظر إلى القسم الأوّل بعين الهيبة فصار ماءً عذباً، ونظر إلى القسم الثاني بعين الشفقة فخلق منها العرش فاستوى على وجه الماء فخلق الكرسي من نور العرش وخلق من نور الكرسي اللوح، وخلق من نور اللوح القلم وقال له: اكتب توحيدي[3].

---

(١) المصدر: ٣٤٦.

(٢) البحار ١٤: ٣٢٨.

(٣) البحار ١٥: ٢٩.

٥٥ ـ قال الله تعالى في وصف ملائكته : ... طعامهم وشرابهم التقديس والتسبيح، وعيشهم من نسيم العرش، وتلذّذهم بأنواع العلوم، خلقهم الله بقدرته أنواراً وأرواحاً كما شاء وأراد[1].

٥٦ ـ روي أنّ في العرش تمثالاً لكلّ عبد فإذا اشتغل العبد بالعبادة، رأت الملائكة تمثالاً له، وإذا اشتغل العبد بالمعصية أمر الله بعض الملائكة حتّى يحجبوه بأجنحتهم لئلّا تراه الملائكة، فذلك معنى قوله ﷺ : يا من أظهر الجميل وستر القبيح[2].

٥٧ ـ عن النبيّ ﷺ قال : ينادي منادٍ يوم القيامة تحت العرش : يا أُمّة محمّد، ما كان لي قِبلكم فقد وهبته لكم، وقد بقيت التبعات بينكم، فتواهبوا وادخلوا الجنّة برحمتي[3].

---

(١) البحار ٢٦ : ٣٤٨، عن اعتقادات الصدوق.

(٢) البحار ٦ : ٧، عن دعوات الراوندي.

(٣) المصدر، عن عدّة الداعي.

مجمل روايات العرش

١ ـ محمّد مكتوباً بالنور على ساق العرش	٣٦	٣٣٧	٣
٢ ـ أثبت الله اسم محمّد في ساق العرش	٣٦	٣٤١	١٠
٣ ـ وجدت أساميهم مكتوبة على ساق العرش	٣٦	٣٣٧	٣
٤ ـ نظرت فإذا مكتوب على ساق العرش	٣٦	٣٤٨	١١
٥ ـ فزيّنه ـ ركنين ـ من أركان العرش	٣٧	٤٤	١٠
٦ ـ لعنه الله من فوق العرش	٣٧	٥٦	١٣
٧ ـ جعلهم في الميثاق عن يمين العرش	٣٧	٦٣	٢
٨ ـ نظر إليهم عن يمين العرش	٣٧	٦٣	٥
٩ ـ تحشر فتتعلّق بقائمة من قوائم العرش	٣٧	٧٠	١٠
١٠ ـ خلقتك وعلياً من طينة العرش	٣٧	٧٩	٦
١١ ـ خلقت ذرّيته ـ من طينة العرش	٣٧	٧٩	٦
١٢ ـ فتق نوري فخلق منه العرش	٣٧	٨٣	١٥
١٣ ـ نوري أفضل من العرش	٣٧	٨٣	١٥
١٤ ـ فأخرج قناديل فعلّقها في بطنان العرش	٣٧	٨٤	٤
١٥ ـ طلاع ما بين الثرى إلى العرش	٣٧	١٤٣	١١
١٦ ـ لقد خلقنا الله نوراً تحت العرش	٣٧	١٧٤	٢٠
١٧ ـ خلقني الله نوراً تحت العرش	٣٧	١٧٥	١
١٨ ـ فينادي منادٍ من بطنان العرش	٣٧	٣٠١	٢٠

ورد كثيراً

أسألك يا إلهي يا ربّ العالمين أن تجعلنا من أهل عرشك الكريم وحملته الأبرار في الدنيا والآخرة، وتوفّقنا لحمل العلوم العرشيّة والنفحات القدسيّة، وتحشرنا مع محمّد وعترته الطاهرة.

---

(١) هذه جملة من مجمل الروايات الشريفة الواردة في العرش وما فيه من العوالم والمعالم، وهناك روايات أُخرى كثيرة إذا أردت التفصيل والتحقيق فعليك بمراجعة بحار الأنوار ومعجمه المفهرس بإشراف علي رضا برازش، المجلّد ١٩، الصفحة ١٣٥٩٠ إلى الصفحة ١٣٦١٠، وفي كلّ صفحة ما يقارب ١٥٠ قطعة من الروايات وفيها كلمة العرش ومشتقّاتها.

الفصل العاشر

إنّ الحسين عليه السلام مصباح الهدى وسفينة النجاة

١ ـ عن الحسين بن عليّ عليهما السلام، قال:

« دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وعنده أُبيّ بن كعب فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: مرحباً بك يا أبا عبد الله، يا زين السماوات والأرضين.

فقال له أُبيّ: وكيف يكون يا رسول الله زين السماوات والأرض أحد غيرك؟

فقال: يا أُبيّ، والذي بعثني بالحقّ نبيّاً إنّ الحسين بن عليّ في السماء أكبر منه في الأرض، فإنّه لمكتوب عن يمين عرش الله: مصباح هدى وسفينة نجاة وإمام خيرٍ ويمن (غير وهن)، وعزّ وفخر وبحر علم وذخر، وإنّ الله عزّ وجلّ ركّب في صلبه نطفة طيّبة مباركة زكيّة، ولقد لقّن دعوات ما يدعو بهنّ مخلوق إلّا حشره الله عزّ وجلّ معه، وكان شفيعه في آخرته، وفرّج الله عنه كربه، وقضى بها دينه ويسّر أمره وأوضح سبيله، وقوّاه على عدوّه، ولم يهتك ستره.

فقال له أُبيّ بن كعب: ما هذه الدعوات يا رسول الله؟

قال: تقول إذا فرغت من صلاتك وأنت قاعد: «اللهمّ إنّي أسألك بكلماتك ومعاقد عرشك وسكّان سماواتك وأنبيائك ورسلك أن تستجيب لي فقد رهقني من

أمري عسر، فأسألك أن تصلّي على محمّد وآل محمّد وأن تجعل لي من عسري يسراً»، فإنّ الله عزّ وجلّ يسهّل أمرك ويشرح لك صدرك ويلقّنك شهادة أن لا إله إلّا الله عند خروج نفسك»[١].

والحديث المبارك طويل فيه أسماء الأئمة من ولد الإمام الحسين وأدعيتهم الشريفة، فراجع.

٢ ـ الخصائص الحسينيّة لآية الله المحقّق الشيخ جعفر التستري[٢]: وقد كتب مدحه عن يمين العرش: (إنّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة).

وقال[٣]: فيما أعطاه الله من أعظم المخلوقات أعني العرش. ولهذا الإعطاء كيفيّات:

الأُولى: في خصوصيّات من العرش له، فنقول: إنّه قد أعطاه من العرش ظلّه، لجعله له مجلساً يجلس فيه يوم القيامة، ومعه زوّاره والباكون عليه فيرسل إليهم أزواجهم من الجنّة فيأتون ويختارون مجلسه وحديثه، وقد أعطاه يمين العرش

---

(١) البحار ٤٢: ٢٦٢، و ٣٦: ٢٠٥، عن كمال الدين: ١٥٤، وعيون الأخبار ١: ٦٢، وإعلام الورى: ٣٧٨، والمنتخب للطريحي: ٢٠٣، وأيضاً في البحار ٩١: ١٨٤ عن عيون الأخبار للشيخ الصدوق بسنده عن أحمد بن ثابت الدواليبي عن محمّد بن عليّ بن عبد الصمد عن عليّ ابن عاصم عن أبي جعفر الثاني ﷺ عن آبائه ﷺ عن الحسين بن عليّ ﷺ، وأمالي الصدوق المجلس ٨٧ الصفحة ٤٧٨.

(٢) الصفحة ٤٧ و ٤٨.

(٣) في الصفحة ١٠٥.

فجعله مقرّاً له في برزخه، فإنّه عن يمين العرش دائماً ينظر إلى مصرعه ومن حلّ فيه، وينظر إلى زوّاره والباكين عليه، ويستغفر لهم ويخاطبهم، ويسأل جدّه وأباه أن يستغفرا لهم (بالله عليك ما كان النبيّ وآله الأطهار والإمام الحسين عليهم السلام، يستغفر له فهل يبقى له ذنب يعاقب عليه يوم القيامة؟!) وقد أعطاه فوق العرش محلّ حديث لزائره، وأيّ حديث فقد ورد في بعض أقسام زياراته أنّه يكون من محدّثي الله فوق عرشه[1]، فالعرش مجلس حديث لزوّاره ظلّه لمن يحدّثه، وفوقه لمن يحدّثه الله، وقد أعطاه أظلّة العرش التي اقشعرّت لدمه وبكت عليه[2]، وقد أعطاه نظير العرش من أصناف الملائكة المحدقين والطائفين[3].

الثانية: كيفيّة أعلى من ذلك وأبلغ بأن نقول: إنّه قد أعطاه العرش فكأنّه كلّه له، لأنّه إذا كان مع أخيه زينة له وقرطاً وشنفاً، فكلّ شيء بزينته، فلو تكلّم العرش لقال: أنا من حسين ـ فهو حسيني الوجود والهوى وكفى...

وقال[4]: خصوصيّة محلّه في برزخه: في الحديث: إنّه في يمين العرش ينظر إلى مصرعه ومن حلّ فيه، وينظر إلى معسكره، وينظر إلى زوّاره وهو أعرف بهم وبأسمائهم وأسماء آبائهم وبدرجاتهم ومنزلتهم عند الله من أحدكم.

وإنّه ليرى من يبكيه فيستغفر له، ويسأل آباءه أن يستغفروا له ويقول: أيّها الباكي لو تعلم ما أعدّ الله لك، لكان فرحك أكثر من جزعك.

---

(١) كامل الزيارات: ١٤١.

(٢) كامل الزيارات: ١٩٩.

(٣) الارشاد للشيخ المفيد: ٢٤٩.

(٤) في الصفحة ٣٨.

وقال في خصوصيّة محلّه في المحشر: في الروايات: إنّ له مجلساً تحت ظلّ العرش خاصّاً به له خصوصيّة، هي أنّ أهل مجلسه من الباكين عليه والزائرين له مستأنسين بحديثه، وهم آمنون، وعند جلوسهم عنده، يرسل إليهم أزواجهم من الجنّة، أنا قد اشتقنا لكم، فيأبون الذهاب إلى الجنّة، ويختارون حديث الحسين عليه السلام ومجلسه هناك على الجنّة[1].

ثمّ إنّه عليه السلام له موقف في المحشر، خاصّ به يوجب اضطراب كلّ أهل المحشر، وتشهق فاطمة عليها السلام إذا نظرت إلى موقفه ذلك وهو حين يحشر قائماً ليس عليه رأس، وأوداجه تشخب دماً، وله تفصيل يذكر في محلّه[2].

---

(١) كامل الزيارات: ٨١ ـ ٨٢، ونقله العلّامة المجلسي في البحار ٣٥: ٢٠٧.

(٢) الخصائص الحسينيّة: ٣٩.

الفصل الحادي عشر

في رحاب آية السفينة وحديثها
نبذة من وجوه الشبه بين الآية والرواية

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم مخاطباً نوح عليه السلام في صنع السفينة:

﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾(١).

ومن الأحاديث النبويّة المتواترة لفظاً ومعنىً، تفصيلاً وإجمالاً، عند الفريقين ـ السنّة والشيعة ـ حديث السفينة.

قال رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله: «مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق وهوى»(٢).

وقيل: لمّا سئل مولانا لسان الله الناطق جعفر بن محمّد الإمام الصادق عليه السلام عن حديث «إنّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة»: ألستم أنتم سفن النجاة؟ فقال عليه السلام: كلّنا سفن النجاة إلّا أنّ سفينة الحسين أوسع وأسرع.

كما أنّ للجنّة أبواباً، منها باب يسمّى باب الحسين عليه السلام وهو أوسع الأبواب.

---

(١) هود: ٣٧.

(٢) لقد ذكرت مصادر الحديث بالتفصيل عند الفريقين في كتاب (أهل البيت عليهم السلام سفينة النجاة)، وهو مطبوع، فراجع.

فالسفينة الحسينيّة سعتها بسعة الخلائق، وتضمّ جميع العباد من آدم عليه السلام إلى يوم القيامة.

كما أنّها أسرع للوصول إلى شاطئ السلام وساحل النجاة، والوصول إلى بحر فيض الله ورحمته الواسعة، والفناء في الله سبحانه وتعالى.

وبنظري إنّ المصباح الحسيني للمتّقين، فإنّه عدل القرآن الكريم، بل هو القرآن الناطق، وإذا كان القرآن التدويني العلمي هدىً للمتّقين:

﴿ ذٰلِكَ الكِتابُ لا رَيْبَ فيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1].

فكذلك القرآن التكويني العملي، فهو مصباح الهدى للمتّقين.

كما أنّ السفينة الحسينيّة للمذنبين، لها تجلّيات وأشعّات والألواح نورانيّة في السماوات والأرضين، وعلى مرّ التأريخ والعصور، فإنّ لقتله وشهادته تبكي السماء دماً، كما أنّ الأنبياء والأولياء والأوصياء يبكونه، ويقيمون له المآتم والعزاء، إنّما هو من تجلّيات تلك السفينة المباركة، وأشعّة ذلك المصباح الميمون.

ومن بعد شهادته وواقعة الطفّ الحزينة، نشاهد الثورات القائمة، والمآتم المنصوبة، ومواكب العزاء قبل ألف عام، وبناء الحسينيات قبل قرون، وإلى يومنا هذا وغداً تزداد وتزداد، كالقرآن الكريم غضّ جديد لا يبلى، إنّما ذلك كلّه من بركات تلك السفينة وذلك المصباح، فإنّ الشعائر الحسينيّة التي هي مظاهر من الشعائر الإلهيّة، التي من يقيمها فإنّ ذلك من تقوى القلوب، تلك القلوب التي فيها حرارة قتل سيّد الشهداء الحسين عليه السلام، وإنّها لن تبرد إلى يوم القيامة، وإنّها شعلة وهّاجة تنير دروب الأحرار على مدى العصور والأحقاب ولكلّ الأجيال، فإنّ

---

(١) البقره: ٢

الشعائر الحسينيّة بكلّ مظاهرها ومحتوياتها الشرعيّة إنّما هي من تجلّيات وظهور وبروز تلك السفينة وذلك المصباح. هكذا شاء ربّك الحكيم أن يبق دينه القويم الإسلام العظيم، بدم الحسين وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام أبد الآبدين.

فأهل البيت وعترة النبيّ المختار هم سفن النجاة، من تركهم فإنّه لا محالة يغرق ويهوى، كما دلّت على ذلك النصوص القرآنيّة والأحاديث الشريفة وبحكم العقل السليم والفطرة السليمة.

١ ـ النصّ الإلهي
صنع السفينة بأمر ونصّ من الله جلّ جلاله

ثمّ ـ كما في علم البلاغة ـ إنّ التشبيه لا بدّ فيه من وجه الشبه، فإنّه يتمّ بالمشبّه والمشبّه به وأداة التشبيه ووجه الشبه، فحينما يقال: زيد كالأسد، لا بدّ من وجه الشبه بين زيد والأسد وهي الشجاعة، وإذا قيل: كالثعلب، فالوجه: المراوغة، وإذا قيل: كالحمار، فالوجه البلادة، وهكذا الأمثلة الأُخرى.

ثمّ الرسول الأعظم لمّـا شبّه أهل بيته الأئمة الهداة الأطهار عليهم السلام بسفينة نوح لا بدّ أن يكون هناك وجه شبه بينهما حتّى يتمّ المثال ويصحّ.

وإليكم بعض الوجوه التي يمكن أن تكون مرادة في مقام التشبيه، وما هي إلّا رشحات فكريّة جديدة، والله الموفّق والمسدّد للصواب.

يقول الله سبحانه وتعالى في قصّة نوح وسفينته:

﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾[1].

وهذا يعني أنّ صنع السفينة إنّما كان بوحي من الله وبنصّ منه، لا أنّه مفوّض إلى الناس، بل كان بعين الله وحفظه، وهذه تسلية من الله لنبيّه أوّلاً، فكأنّه يطيّب خاطره المتألّم من قومه، بأنّه نراك ونرى صنع سفينتك، فلا تحزن فنحن نحفظك فـ﴿ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾، ثمّ إنّما يكون ذلك بوحي منّا، فإنّ

---

(١) هود: ٣٧.

إرادة الله تعلّقت بذلك.

وكذلك مقام أهل البيت عليهم‌السلام الشامخ فإنّه كان بصنع الله:

﴿ في بُيوتٍ أذِنَ اللهُ أنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرُ فيها اسْمُهُ ﴾[١].

وكان بوحيه:

﴿ يا أيُّها الرَّسولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ فَإنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَه ﴾[٢].

فنصب أمير المؤمنين عليّ عليه‌السلام في حجّة الوداع في غدير خم للوصاية والإمارة والخلافة إنّما كان بوحي ونصّ من الله سبحانه وتعالى، وما أكثر النصوص القرآنيّة والأحاديث النبويّة الثابتة عند الفريقين تدلّ على ذلك.

كما نصّ النبيّ الأكرم على الأئمة الاثني عشر وأنّهم من قريش في نصوص كثيرة، ينقلها أبناء العامّة في صحاحهم الستّة، كما هو متواتر عند أصحابنا الكرام.

عن الرضا عن آبائه عليهم‌السلام قال: قال النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله: الأئمة من قريش[٣].

عن معاني الأخبار: سمّي الإمام إماماً لأنّه قدوة للناس منصوب من قبل الله تعالى ذكره، مفترض الطاعة على العباد.

عن أبي عبد الله عليه‌السلام في قوله تعالى: ﴿ إنّي جاعلك للناس إماماً ﴾ قال: فقال: لو علم الله أنّ اسماً أفضل منه لسمّانا به[٤].

---

(١) النور: ٣٦

(٢) المائدة: ٦٧.

(٣) البحار ٢٥: ١٠٤، عن عيون الأخبار: ٢٢٣

(٤) المصدر، عن تفسير العياشي ١: ٥٨.

وعن صاحب الأمر الإمام المهدي عليه السلام في حديث لمّا سأله سعد بن عبد الله القمّي عن العلّة التي تمنع القوم من اختيار الإمام لأنفسهم ؟ مصلح أو مفسد ؟ قلت : مصلح . قال : فهل يجوز أن تقع خيرتهم على المفسد بعد أن لا يعلم أحد ما يخطر ببال غيره من صلاح أو فساد ؟ قلت : بلى ، قال : فهي العلّة وأوردها لك ببرهان ينقاد لك عقلك ، ثمّ قال : أخبرني عن الرسل الذين اصطفاهم الله عزّ وجلّ وأنزل عليهم الكتب وأيّدهم بالوحي والعصمة ، وهم أعلام الأُمم أهدى إلى الاختيار منهم ، ثمّ موسى وعيسى هل يجوز مع وفور عقلهما وكمال علمهما إذ هما بالاختيار أن تقع خيرتهما على المنافق وهما يظنّان أنّه مؤمن ؟ قلت : لا ، قال : هذا موسى كليم الله مع وفور عقله وكمال علمه ونزول الوحي عليه اختيار من أعيان قومه ووجوه عسكره لميقات ربّه عزّ وجلّ سبعين رجلاً ممّن لا يشكّ في إيمانهم وإخلاصهم فوقع خيرته على المنافقين قال الله عزّ وجلّ : ﴿ واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا ﴾ فلمّا وجدنا اختيار من قد اصطفاه الله عزّ وجلّ للنبوّة واقعاً على الأفسد دون الأصلح وهو يظنّ أنّه الأصلح دون الأفسد ، علمنا أنّ الاختيار لا يجوز إلّا لمن يعلم ما تخفي الصدور[1].

عن رسول الله في حديث متواتر عند الفريقين : إنّي قد تركت فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي وأحدهما أكبر من الآخر : كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، ألا وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض .

---

(١) ميزان الحكمة ١ : ١٣٠ ، الطبعة الجديدة .

٢ ـ العصمة

في قصّة نوح عليه السلام قال الله تعالى عن لسان نوح عليه السلام في مخاطبة ولده لمّا دعاه إلى ركوب السفينة ليعصم من الطوفان، فأجاب الولد: إنّي سآوي إلى جبل يعصمني، فقال له نوح عليه السلام:

﴿ لا عاصِمَ اليَوْمَ مِنْ أمْرِ اللهِ ﴾(١).

وهذا يعني أنّ العصمة من الطوفان والغرق انحصرت بالسفينة، من هذا المنطلق قال نوح عليه السلام:

﴿ ارْكَبْ مَعَنا ﴾(٢).

فكذلك أهل البيت من المعصومين عليهم السلام، فالحديث النبويّ الشريف الذي يشبّه أهل البيت عليهم السلام بسفينة نوح يدلّ على عصمتهم، وأنّه كلّ من تخلّف عنهم غرق وهوى لا محالة.

فلا عاصم اليوم من أمر الله إلّا من ركب سفينة أهل البيت عليهم السلام، ومن تخلّف حتّى ولو كان من أولادهم فإنّه من الهالكين.

فالعصمة التي تعني اللطف والعناية الإلهيّة والقوّة القدسيّة في المعصوم ـ النبيّ والإمام عليهما السلام ـ تمنعه من الشين والزلل والخطأ والذنب والسهو، لا على حدّ الإلجاء والقهر، هذه العصمة أودعها الله في صفوة عباده من الأنبياء والأوصياء عليهم السلام لحفظ

---

(١) هود: ٤٣.

(٢) هود: ٤٢.

دينه وشرائعه ومناهجه، فلولا العصمة[1] لما تمّ اللطف الإلهي في حفظ الدين:

---

(١) من مظاهر كمال الأنبياء والأوصياء والتي اتّصف بها أئمّة أهل البيت عليهم السلام وسيّدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام، هي العصمة من الآثام والمعاصي والذنوب، والتنزّه عن كلّ القبائح وكلّ ما يشين المرء، ولولا ذلك لما تمكّنت الأمّة من معرفة الحقّ من الباطل والخطأ من الصواب، وقد عرّف متكلّموا الشيعة العصمة بتعاريف عديدة مرجعها إلى ما ذكرناه، وأساسه بنظري هو العلم النوري الذي يقذفه الله في قلب من يشاء، فإنّ العلم بمنشأ الذنوب ونتائجها وآثارها الوضعيّة والتكليفيّة في الدارين، يمنع الإنسان عن المعصية، فيعصمه بعصمة ذاتيّة كلّية، كما في الأنبياء والأوصياء والتي تسمّى بالعصمة الكبرى، وأُخرى بعصمة أفعاليّة جزئيّة، كما في الأولياء والصلحاء، وهذا العلم هو من الله سبحانه بلطف خاصّ، وهو العلم الذي علّم آدم، فهو من العلم الآدمي، وهناك علم ناري شيطاني خالٍ عن التقوى عارٍ عن التزكية.

لو كان للعلم غير التقى شرفاً   لكان إبليس أشرف خلق الله

فهذا العلم يحرق ويبيد ويهلك النفوس والحرث والنسل. وذلك العلم يعمر به الديار والقلوب ويسعد به الإنسان في الدارين. فالعلم الإلهي النوري الآدمي يوجب العصمة لا محالة، وإنّما يغفر الله للذين يعملون السوء بجهالة.

وأمّا العصمة اصطلاحاً:

فقال الشيخ المفيد عليه الرحمة: بأنّها الامتناع بالاختيار عن فعل الذنوب والقبائح عند اللطف الذي يحصل من الله تعالى في حقّه، وهو لطف يمتنع من يختصّ به من فعل المعصية وترك الطاعة مع القدرة عليهما.

ويقول العلّامة الحلّي رحمه الله: بأنّها لطف من الله تعالى يفيضه على المكلّف، لا يكون به مع ذلك داعٍ إلى ترك الطاعة وارتكاب المعصية، مع قدرته على ذلك.

وقال الشيخ الطوسي رحمه الله: بأنّها ما يمتنع المكلّف من المعصية في حال تمكّنها منها.

فالعصمة بمعنى الكمال التامّ لنفس المعصوم، والامتناع من اقتراف أيّ ذنب ومعصية

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[1].

فالعصمة صمّام وضمان لسلامة الدين من الضياع والانحراف والمحو، ولا يعلمها إلّا الله سبحانه.

ـ عن عليّ بن الحسين عليهما السلام، قال: الإمام منّا لا يكون إلّا معصوماً، وليست العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها، فلذلك لا يكون إلّا منصوصاً، فقيل له:

واشتباه وخطأ وسهو، وهذا لا يكون إلّا لمن اختاره الله واصطفاه بحكمته البالغة لأداء رسالته السمحاء وحفظها من الضياع والانحراف.

واستدلّوا على العصمة بأدلّة عقليّة ونقليّة منها:

١ ـ إنّ الإمام لو لم يكن معصوماً للزم التسلسل أو الدور وكلاهما باطلان فثبت المطلوب عصمة الإمام.

٢ ـ إنّ الإمام عليه السلام حافظ للشرع المقدّس فيجب أن يكون معصوماً.

٣ ـ لو وقع منه الخطأ لوجب الإنكار عليه وذلك يتنافى مع الأمر الإلهي بطاعته بقوله تعالى: ﴿ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾.

٤ ـ لو وقع منه المعصية لزم نقض الغرض من نصب الإمام.

٥ ـ أنّه لو وقع منه المعصية للزم أن يكون أقلّ درجة من العوامّ، لأنّ عقله أكمل ومعرفته بالله أتمّ، فلو وقع منه المعصية لكان أقلّ حالاً من رعيّته.

ومن الآيات القرآنية يكفينا شاهداً قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾، وإنّما أداة حصر، والرجس مطلق المعصية وما يشين الإنسان، وأهل البيت عليهم السلام كما في روايات الفريقين السنّة والشيعة متواتراً هم محمّد رسول الله وعليّ المرتضى وفاطمة الزهراء والحسن المجتبى والحسين سيّد الشهداء عليهم أفضل صلوات الله، كما ورد ذلك في حديث الكساء عن أمّ سلمة.

(١) الحجر: ٩.

يا بن رسول الله، فما معنى المعصوم؟ فقال: هو المعتصم بحبل الله، وحبل الله هو القرآن لا يفترقان إلى يوم القيامة، والإمام يهدي إلى القرآن، والقرآن يهدي إلى الإمام، وذلك قول الله عزّ وجلّ:

﴿ إنَّ هٰذا القُرْآنَ يَهْدي لِلَّتي هِيَ أَقْوَمُ ﴾[1].

ـ عن الحسين الأشقر، قال: قلت لهشام بن الحكم: ما معنى قولكم: إنّ الإمام لا يكون إلّا معصوماً؟ قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن ذلك فقال: المعصوم هو الممتنع بالله عن جميع محارم الله، وقد قال الله تبارك وتعالى:

﴿ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إلىٰ صِراطٍ مُسْتَقيمٍ ﴾. بيان: الممتنع بالله أي بتوفيق من الله[2].

في الخصال: قوله تعالى: ﴿ لا يَنالُ عَهْدي الظّالِمينَ ﴾، عن الإمام الصادق عليه السلام: عنى به أنّ الإمامة لا تصلح لمن قد عبد صنماً أو وثناً أو أشرك بالله طرفة عين وإن أسلم بعد ذلك، والظلم: وضع الشيء في غير موضعه، وأعظم الظلم الشرك، قال الله عزّ وجلّ: ﴿ إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظيمٌ ﴾، وكذلك لا تصلح الإمامة لمن قد ارتكب من المحارم شيئاً صغيراً كان أو كبيراً وإن تاب منه بعد ذلك، وكذلك لا يقيم الحدّ من في جنبه حدّ، فإذاً لا يكون الإمام إلّا معصوماً ولا تعلم عصمته إلّا بنصّ من الله عزّ وجلّ عليه على لسان نبيّه صلى الله عليه وآله، لأنّ العصمة ليست في ظاهر الخلقة

---

(١) البحار ٢٥: ١٩٤، باب ٥ عصمتهم عليهم السلام ولزوم عصمة الإمام عليه السلام، وفي الباب ٢٤ رواية، والآية في سورة الإسراء: ٩.

(٢) المصدر، عن معاني الأخبار: ٤٤، والآية من آل عمران: ١٠١، وللشيخ الصدوق كلام مفصّل في العصمة ولزومها، فراجع.

فتُرى كالسواد والبياض وما أشبه ذلك، وهي مغيّبة لا تعرف إلّا بتعريف علّام الغيوب عزّ وجلّ[١].

فالإمام المستحقّ للإمامة له شرائط وعلامات، فنها: العصمة، قال أمير المؤمنين عليه السلام: بأن يعلم أنّه معصوم من الذنوب كلّها صغيرها وكبيرها لا يزلّ في الفتيا، ولا يخطئ في الجواب، ولا يسهو ولا ينسى، ولا يلهو بشيء من أمر الدنيا... العصمة من جميع الذنوب وبذلك يتميّز عن المأمومين الذين هم غير المعصومين لأنّه لو لم يكن معصوماً لم يؤمن عليه أن يدخل فيما يدخل الناس فيه من موبقات الذنوب المهلكات والشهوات واللذات[٢].

قال الإمام الصادق عليه السلام: إنّ ممّا استحقّت به الإمامة التطهير والطهارة من الذنوب والمعاصي الموبقة التي توجب النار، ثمّ العلم المنوّر بجميع ما يحتاج إليه الأُمّة، من حلالها وحرامها والعلم بكتابها خاصّه وعامّه والمحكم والمتشابه ودقائق علمه وغرائب تأويله وناسخه ومنسوخه[٣].

فالإمام لا بدّ أن يكون معصوماً، ولا يعرف عصمته الذاتيّة إلّا الله سبحانه، فهو الذي ينصبه إماماً على الناس بنصّ منه ومن رسوله ويخبر عن عصمتهم.

ـ عن ابن عباس، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أنا وعليّ والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهّرون معصومون[٤].

---

(١) المصدر، عن الخصال ١ : ١٤٩.

(٢) البحار ٢٥ : ١٦٤.

(٣) البحار ٢٥ : ١٤٩.

(٤) المصدر، عن إكمال الدين : ١٦٣.

وبهذا فالله هو الذي يختار ويصطفي من عباده الأنبياء ثمّ خلفاءهم الأوصياء، فمن كان معهم فهو في سفينة النجاة، فمن ركب سفينة نوح فإنّه يسلم من الغرق ومن الهلاك، ومن يركب سفينة الحسين عليه السلام فإنّه يأمن على نفسه من الغرق والهلاك، فلا عصمة إلّا بركوب السفينتين، سفينة الآية لقوم نوح وسفينة الرواية لأُمّة محمّد صلى الله عليه وآله.

٣ ـ الإيمان

لا بدّ لمن يركب سفينة نوح من الإيمان به؛ لقوله تعالى: ﴿ أَرْكَبْ مَعَنا ﴾، فالمعيّة يستلزمها الإيمان، فالمؤمن هو الذي يبادر بركوب السفينة، فكذلك أهل البيت، فإنّ من يركب سفينتهم لا بدّ أن يؤمن بهم أوّلاً، ولا إيمان إلّا بالمعرفة، إلّا أنّ المعرفة ـ كما مرّ ـ لها مراتب ومراحل كذلك الإيمان له درجات ـ كما في الروايات من القول بعشر درجات إلى أربعمئة درجة، ولعلّ العشرة أُمّهات وأُصول الدرجات فلا تنافي بين الأخبار فتدبّر ـ.

فقوله تعالى: ﴿ أَرْكَبْ مَعَنا ﴾ أمر والأمر بظاهره يدلّ على الوجوب، فكان من الفرض الواجب على ابن نوح أن يركب مع أبيه، إلّا أنّه عصى وخالف، فدخل في زمرة المخالفين العصاة الطغاة، فغرق وخسر الدنيا والآخرة، ولم ينفعه نسبه واتّصاله المادّي والجسدي ببيت النبوّة والوحي، بل من كان مع نوح فهو منه، ومن أولاده:

﴿ مَنْ تَبِعَني فَهُوَ مِنّي ﴾[1].

وكذلك من كان مع الإمام الحسين عليه السلام ويركب سفينته، فإنّه من أهل النجاة، ومن الأُمّة الحسينيّة، ويكون والده الإمام عليه السلام، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا وعليّ أبوا هذه الأُمّة ـ متّفق عليه عند الفريقين ـ.

فمن كان مع الحسنين سبط رسول الله، يعني أنّه يؤمن به أوّلاً، ومن ثمّ يركب

---

(١) إبراهيم: ٣٦

سفينته ويستضيء بمصباحه من سيرته وثورته وكلماته وحياته القدسيّة.

فالايمان كلّ الايمان في معرفة الله ورسوله وعترته وإطاعتهم.

قال الإمام الباقر عليه السلام: إنّما يعرف الله عزّ وجلّ ويعبده من عرف الله وعرف إمامه منّا أهل البيت[١].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: من عرفنا كان مؤمناً، ومن أنكرنا كان كافراً. إلاّ ما علم بين الله عزّ وجلّ وبين خلقه، فمن عرفه كان مؤمناً، ومن أنكره كان كافراً[٢].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات وهو لا يعرف إمامه مات ميتة الجاهليّة[٣].

وقال الصادق عليه السلام: من لم يعرفنا ولم ينكرنا كان ضالاً حتّى يرجع إلى الهدى الذي افترض الله عليه من طاعتنا الواجبة، فإن يمت على ضلالته يفعل الله به ما يشاء[٤].

---

(١) الكافي ١١ : ١٨١.

(٢) البحار ٢٣ : ٨٨.

(٣) المصدر : ٧٧.

(٤) الكافي ١ : ١٨٧.

٤ ـ الطهارة

قال الله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنا نوحاً وَإِبْراهيمَ وَجَعَلْنا في ذُرِّيَّتِهِما النُّبُوَّةَ وَالكِتابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثيرٌ مِنْهُمْ فاسِقونَ ﴾[1].

في حديث طويل في مجلس المأمون مع الإمام الرضا عليه السلام وعلماء ذلك الزمان، قالت العلماء : أخبرنا يا أبا الحسن عن العترة، أهم الآل أم غير الآل ؟ فقال الرضا عليه السلام : هم الآل. فقالت العلماء : فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله يؤثر عنه ـ أي ينقل عنه ـ أنّه قال : «أُمّتي آلي»، وهؤلاء أصحابه يقولون بالخبر المستفاض عن الذي لا يمكن دفعه : «آل محمّد أُمّته»، فقال أبو الحسن عليه السلام : أخبروني هل تحرم الصدقة على الآل ؟ قالوا : نعم، قال : فتحرم على الأُمّة ؟ قالوا : لا، قال : هذا فرق ما بين الآل والأُمّة، ويحكم أين يذهب بكم ؟ أضربتم عن الذكر صفحاً أم أنتم قوم مسرفون ؟ أما علمتم أنّه وقعت الوراثة والطهارة على المصطفين المهتدين دون سائرهم ؟ قالوا : ومن أين يا أبا الحسن ؟ قال : من قول الله عزّ وجلّ :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنا نوحاً وَإِبْراهيمَ وَجَعَلْنا في ذُرِّيَّتِهِما النُّبُوَّةَ وَالكِتابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثيرٌ مِنْهُمْ فاسِقونَ ﴾.

فصارت وراثة النبوّة والكتاب للمهتدين دون الفاسقين، أما علمتم أنّ نوحاً عليه السلام حين سأل ربّه :

---

(١) الحديد : ٢٦.

﴿ فَقالَ رَبِّ إِنَّ ابْني مِنْ أَهْلي وَإِنَّ وَعْدَكَ الحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الحاكِمينَ ﴾.

وذلك أنّ الله عزّ وجلّ وعده أن ينجّيه وأهله فقال له ربّه عزّ وجلّ:

﴿ يا نوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكونَ مِنَ الجاهِلينَ ﴾.

فقال المأمون: هل فضّل الله العترة على سائر الناس؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: إنّ الله عزّ وجلّ أبان فضل العترة على سائر الناس في محكم كتابه. فقال له المأمون: أين ذلك من كتاب الله؟ قال له الرضا عليه السلام: في قوله عزّ وجلّ:

﴿ إِنَّ اللهَ اصْطَفىٰ آدَمَ وَنوحاً وَآلَ إِبْراهيمَ وَآلَ عِمْرانَ عَلى العالَمينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ ﴾.

وقال عزّ وجلّ في موضع آخر:

﴿ أَمْ يَحْسُدونَ النَّاسَ عَلىٰ ما آتاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهيمَ الكِتابَ وَالحِكْمَةَ وَآتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظيماً ﴾.

ثمّ ردّ المخاطبة في أثر هذا إلى سائر المؤمنين فقال:

﴿ يا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا أَطيعوا اللهَ وَأَطيعوا الرَّسولَ وَأُولي الأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾.

يعني الذين قرنهم بالكتاب والحكمة وحسدوا عليهما فقوله عزّ وجلّ:

﴿ أَمْ يَحْسُدونَ النَّاسَ عَلىٰ ما آتاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهيمَ الكِتابَ وَالحِكْمَةَ وَآتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظيماً ﴾.

يعني الطاعة للمصطفين الطاهرين، فالملك ها هنا هو الطاعة لهم، ـ الحديث[1] ـ.

---

(١) البحار ٢٥: ٢٢٢.

هذه الرواية الشريفة تفسّر وتبيّن لنا مفهوم الآية الكريمة، وأنّ ربّان السفينة لا بدّ أن يكون من المطهّرين بما لكلمة الطهارة من معاني، كطهارة المولد وطهارة النفس وطهارة المعتقد وغير ذلك من معاني الطهارة باعتبار متعلّقاتها ومواردها.

فالكتاب وعلمه والنبوّة ومعالمها إنّما هي في ذرّية نوح وإبراهيم، إلّا أنّه لا ينال هذا العهد العظيم عهد الإمامة والخلافة كلّ واحد من الذرّية بل:

﴿ لا يَنالُ عَهْدي الظّالِمينَ ﴾.

فمن كان ظالماً في حياته بارتكاب الذنوب والمعاصي وإنّ الشرك لظلمٌ قبيح، فمن كان مشركاً في قسط من حياته هيهات أن ينال عهد الله وهو عهد الإمامة ـ كما في صريح الآية الشريفة ـ ولا يخفى أنّ كثير من ذرّيتهما كانوا من الفاسقين، فلا ينالون حكم الكتاب الكريم، ولا حقّ النبوّة وديمومتها وحفظها، حتّى ولو كان ابن نوح، فكيف لو كان من صحابة النبيّ، فإنّه ليس من أهله ولا صحابته، فسحقاً لهم سحقاً، لا تدري ما أحدثوا وما بدّلوا من بعدك يا رسول الله ـ كما في صحيح البخاري، قسم الفتن، فراجع ـ.

فلا يركب سفينة نوح ولا سفينة الحسين عليه‌السلام إلّا من كان طاهراً، ويموت على الطهارة والاهتداء من التوبة النصوحة المقارنة مع الولاية الكبرى ـ كما في الخبر الشريف[1] ـ.

---

(١) ذكرت تفصيل ذلك في كتاب (هذه هي الولاية)، فراجع.

٥ ـ الاهتداء

قال الله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنا نوحاً وَإِبْراهيمَ وَجَعَلْنا في ذُرِّيَّتِهِما النُّبُوَّةَ وَالكِتابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثيرٌ مِنْهُمْ فاسِقونَ ﴾[١].

من أراد أن يعرف الطريق في ظلمات الليل في الصحراء القاحلة، فإنّه يهتدي بالنجوم السماويّة، وهناك في الحياة الدنيويّة لمن أراد أن يعرف طريقها ويستنير في ظلماتها بنجوم وكواكب درّيّة، فإنّه يهتدي بأئمّة الحقّ، فلا تتمّ الهداية إلّا بمعرفة أئمّة الهدى ومصابيحها، ثمّ اتّباعهم وإطاعتهم والاقتداء بهداهم، والسير على منهاجهم وسلوكهم وقبول ولايتهم.

قال الله تعالى :

﴿ وَإِنّي لَغَفّارٌ لِمَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدىٰ ﴾[٢].

قال العلّامة المجلسي : وفسّر الاهتداء في الآية في كثير من الأخبار بالاهتداء إلى الولاية.

ـ عن أبي جعفر عليه السلام في قوله الله : ﴿ وَإِنّي لَغَفّارٌ لِمَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدىٰ ﴾ قال : ألا ترى كيف اشترط ولم تنفعه التوبة أو الايمان والعمل الصالح حتّى اهتدى، والله لو جهد أن يعمل ما قبل منه حتّى يهتدي، قال : قلت : إلى من،

---

(١) الحديد : ٢٦.

(٢) طه : ٨٤.

جعلني الله فداك؟ قال: إلينا[١].

ـ عن يعقوب بن شعيب قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدىٰ ﴾، قال: ومن تاب من ظلم وآمن من كفر وعمل صالحاً، ثمّ اهتدى إلى ولايتنا، وأومأ بيده إلى صدره[٢].

ـ عن سعد بن طريف، قال: كنت جالساً عند أبي جعفر عليه السلام فجاءه عمرو ابن عبيد فقال: أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿ وَلا تَطْغَوْا فيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبي فَقَدْ هَوىٰ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدىٰ ﴾، قال له أبو جعفر عليه السلام: قد أخبرك أنّ التوبة والإيمان والعمل الصالح لا يقبلها إلّا بالاهتداء، أمّا التوبة فمن الشرك بالله، وأمّا الإيمان فهو التوحيد لله، وأمّا العمل الصالح فهو أداء الفرائض، وأمّا الاهتداء فبولاة الأمر، ونحن هم، فإنّما على الناس أن يقرأوا القرآن كما أُنزل، فإذا احتاجوا إلى تفسيره، فالاهتداء بنا وإلينا يا عمرو[٣].

ـ عن أبي جعفر محمّد بن عليّ عليهما السلام قال: قال الله تعالى في كتابه:

﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدىٰ ﴾، قال: والله لو أنّه تاب وآمن وعمل صالحاً ولم يهتدِ إلى ولايتنا ومودّتنا ويعرف فضلنا ما أغنى عنه ذلك شيئاً[٤].

---

(١) البحار ٢٧: ١٦٩، عن تفسير القمّي: ٤٢٠.

(٢) المصدر، عن بصائر الدرجات: ٢٣.

(٣) المصدر، عن تفسير الفرات: ٩١.

(٤) المصدر والمرجع.

ـ عن داود الرقّي قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له: جعلت فداك، قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدىٰ ﴾، فما هذا الهدى بعد التوبة والإيمان والعمل الصالح؟ قال: فقال: معرفة الأئمة والله إمام بعد إمام[1].

ـ عن أبي ذرّ الغفاري رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدىٰ ﴾، قال: آمن بما جاء به محمّد صلى الله عليه وآله، وعمل صالحاً. قال: أداء الفرائض، ثمّ اهتدى إلى حبّ آل محمّد. وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: والذي بعثني بالحقّ نبيّاً لا ينفع أحدكم الثلاثة حتّى يأتي بالرابعة، فمن شاء حقّقها ومن شاء كفر بها، فإنّا منازل الهدى وأئمّة التقى، وبنا يستجاب الدعاء ويدفع البلاء، وبنا ينزل الغيث من السماء، ودون علمنا تكلّ ألسن العلماء، ونحن باب حطّة وسفينة نوح، ونحن جنب الله الذي ينادي من فرّط فينا يوم القيامة بالحسرة والندامة، ونحن حبل الله المتين الذي من اعتصم به هدي إلى صراط مستقيم، ولا يزال محبّنا منفيّاً مؤذياً منفرداً مضروباً مطروداً مكذوباً محزوناً، باكي العين حزين القلب حتّى يموت، وذلك في الله قليل[2].

أقول: سبحان الله، لقد كان أمير المؤمنين عليّ عليه السلام سيّد المظلومين، وإنّ المظلوميّة هذه جرت على أهل بيته الأئمة الأطهار عليهم السلام فما منهم إلّا مقتول أو مسموم، بل سرت المظلوميّة على طول التأريخ وإلى يومنا هذا، حتّى على شيعتهم وأنصارهم، فهذه زنزانات الظالمين يملؤها المؤمنون والمؤمنات من موالي وشيعة أهل البيت عليهم السلام وأتباع مذهب عترة المصطفى عليهم السلام، فلا يزال الشيعي المخلص

---

(١) البحار ٢٧: ١٩٨.

(٢) المصدر.

مطارد من قبل أعداء الدين، ومن قبل حكّام الجور والفسوق والفساد، ولا يزال الموالي لأهل البيت والمحبّ لهم منفيّاً من بلده، منفرداً يؤذيه أعداء الله مضروباً، لا يصدّق قوله، حزين القلب باكي العين، يعيش الآلام والأسقام والسجون، سجون الطغاة والجبابرة حتّى يموت، وكلّ هذا يهون، فإنّه بعين الله، وإنّه في الله قليل. وإنّه يبق دين الله بالدماء الزكيّة وسفك المهج الطاهرة، نسأل الله الشهادة ومقامها من أجل الولاية وأنوارها.

نسأله تعالى أن يحشرنا مع ربّان سفينة النجاة سيّد الشهداء والأحرار مولانا الإمام الحسين عليه السلام.

عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مثلي فيكم مثل الشمس، ومثل عليّ مثل القمر، فإذا غابت الشمس فاهتدوا بالقمر[1].

عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وعلاماتٍ وبالنجم هم يهتدون ﴾ فالنجم رسول الله صلى الله عليه وآله والعلامات الأوصياء بهم يهتدون.

عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: مثل أهل بيتي مثل النجوم، كلّما أفل نجم طلع نجم.

عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى ﴿ وعلاماتٍ وبالنجم هم يهتدون ﴾ قال: نحن النجم.

---

(١) البحار ٢٤: ٧٦، الباب ٣٠ باب أنّهم عليهم السلام النجوم والعلامات، الحديث ١٣، وفي الباب ٣٢ رواية، فراجع.

٦ ـ النجاة

يوم الطوفان كان النجاة بسفينة نوح لا غير، فلم يكن هناك أمرٌ آخر يوجب السلامة والنجاة من أمر الله، حتّى الجبل الشامخ، فإنّه مقهور لقدرة الله وإرادته.

كذلك سفينة أهل البيت عليهم السلام، فإنّ النجاة بعد رحلة رسول الله صلى الله عليه وآله والطوفان الشديد الذي أنتج ارتداد الناس بعد الرسول إلّا القلائل، لا تكون النجاة إلّا بأهل البيت عليهم السلام:

﴿ يا أيُّها الّذينَ آمَنوا اتَّقوا اللهَ وَكونوا مَعَ الصّادِقينَ ﴾[1].

وعن سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام في قوله تعالى ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُناسٍ بِإمامِهِمْ ﴾ إمام دعى إلى هدىً فأجابوه إليه، وإمام دعى إلى ضلالة فأجابوه إليها، هؤلاء في الجنّة وهؤلاء في النار، وهو قوله عزّ وجلّ ﴿ فَريقٌ في الجَنَّةِ وَفَريقٌ في السَّعيرِ ﴾.

قال الإمام الصادق عليه السلام: إنّه ليس من قوم ائتمّوا بإمامهم في الدنيا إلّا جاء يوم القيامة يعلنهم ويلعنونه، إلّا أنتم ومن على مثل حالكم[2].

---

(١) التوبة: ١١٩.

(٢) ميزان الحكمة ١: ١٦٩، عن البحار ١٨: ١١.

٧ ـ الطوفان

حديث السفينة مع آية السفينة يدلّان على أنّ هناك طوفان، وحوادث طوفانيّة، وهذا الطوفان والانقلاب على الأعقاب بعد موت النبيّ مستمرّ إلى اليوم الموعود، والدنيا دار امتحان وابتلاء وفتنة: ﴿ أَفَحَسِبَ النَّاسُ ... ﴾.

فالتأريخ البشري منذ البداية كان محفوفاً بالطوفان واحداً تلو الآخر، ابتداءً بطوفان آدم والشيطان، ثمّ هابيل وقابيل، وهكذا الأنبياء مع فراعنة زمانهم، ثمّ بعد الأنبياء العلماء ورثتهم، والناس كلّ يوم في طوفان في العقائد والثقافة والأفكار الفاسدة والمفاسد الاجتماعية، وغيرها الكثير من الطوفانات المتنوّعة والمستمرّة، وفي كلّ الأحوال الطوفانيّة، ليس النجاة إلّا بركوب سفينة أهل البيت عليهم السلام، سفينة الإمام الحسين عليه السلام.

فإنّه إنّما تؤخذ عقائدنا الصحيحة وأحكامنا الشرعيّة ومنهاج حياتنا وسلوكنا وأخلاقنا وكلّ شيء من أهل البيت عليهم السلام، فهم سفن النجاة في أيام الطوفان وعقباته.

٨ ـ الانحصار

من الواضح أنّ الوسائل النقليّة كالسيّارة والدرّاجة والقطار والطائرة في يومنا هذا، ومن قبل الإبل والحمير والبغال وما شابه ذلك، من يتخلّف عنها في ترحاله وأسفاره، لا يلزمه الهلاك والإبادة والانعدام والخسران، بخلاف السفينة، فإنّ التخلّف عنها، لا سيّما في أيام الطوفان كما في قصّة نوح عليه السلام يوجب الهلاك والموت.

فتشبيه أهل البيت عليهم السلام بالسفينة ـ سفينة نوح بالخصوص ـ إنّما يدلّ على أنّه لا وسيلة هناك غيرهم للنجاة.

ولهذا حتّى عند أبناء العامّة ثبت كذب هذا الحديث المروي عن النبيّ: «أصحابي كالنجوم بأيّهم أخذتم اهتديتم».

فإذا كان الصحابة على طرفي نقيض كيف لو أخذنا بأحدهما اهتدينا، فإنّ الحقّ مع واحد منهما، فإنّ الحقّ إمّا مع يزيد شارب الخمور سفّاك الدماء، أو مع الإمام الحسين الشهيد بكربلاء سبط رسول الله عليه السلام، وكذلك قبلهما، فمن المستحيل أن يكونا ـ وهما على طرفي نقيض ـ على حقٍّ معاً.

فإذا كان أهل البيت عليهم السلام سفينة النجاة، فلا نجاة مع غيرهم، بل يوجب الضلال والهلاك والغرق والهوى، لنصّ وصراحة حديث السفينة الثابت بالتواتر عند الفريقين.

الكافي بسنده عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جاهَدوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذوا مِنْ دونِ اللهِ وَلا رَسولِهِ وَلا المُؤْمِنِينَ

وَلِيجَةً ﴾ يعني بالمؤمنين الأئمة عليهم‌السلام لم يتّخذوا الولايج من دونهم[1].

وعنه عليه‌السلام : يعني بالمؤمنين آل محمّد، والوليجة البطانة.

عن أبان قال: سمعت أبا عبد الله عليه‌السلام يقول: يا معشر الأحداث، اتّقوا الله ولا تأتوا الرؤساء، دعوهم حتّى يصيروا أذناباً، لا تتّخذوا الرجال ولائج من دون الله، أنا والله أنا والله خيرٌ لكم منهم، ثمّ ضرب بيده إلى صدره.

---

(١) البحار ٢٤ : ٢٤٤، الباب ٦١ ما نزل في النهي عن اتّخاذ كلّ بطانة ووليجة ووليّ من دون الله وحججه عليهم‌السلام ، وفي الباب ١٢ رواية.

٩ ـ حقيقة المودّة

هناك من يدّعي مودّة أهل البيت عليهم السلام ومحبّتهم، على أنّ المطلوب منّا ذلك أجراً للرسالة المحمّديّة كما في قوله تعالى:

﴿ قُلْ لا أسْألُكُمْ أجْراً إلّا المَوَدَّةَ في القُرْبى ﴾[1].

فيكتفون بالمحبّة الظاهريّة، والمودّة السطحيّة، من دون عمق في الوجود الذي يتجلّى في الجوارح، في اتّباعهم في الأحكام الصادرة من معدنهم، معدن الوحي والرسالة.

فيحبّون أهل البيت عليهم السلام، إلّا أنّهم لا يأخذون أحكامهم منهم، بل يطرقون أبواب غيرهم، ويأخذون العلم من غيرهم، وطلب الهداية من غيرهم مساوغ لإنكارهم، وكيف يكون الحبّ من دون الاتّباع:

﴿ قُلْ إنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعوني يُحْبِبْكُمُ اللهُ ﴾[2].

ومقايسة آية السفينة مع حديثها الشريف يدلّ على ذلك، فإنّه كان بين نوح وولده المحبّة والقرابة والمودّة، ومن حبّ نوح لولده دعاه ليركب سفينته، كما أنّ الولد يحبّ الوالد، ولكن هذا الحبّ لا يكفي في النجاة من الطوفان، بل لا بدّ من العمل ومن ركوب السفينة، فلا بدّ من الاتّباع العملي والقولي، كما لا بدّ من المحبّة القلبيّة.

فحبّ بلا اتّباع عملي وعقيدتي دين غير كامل، إنّما كمل الدين بولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام يوم الغدير، وبأهل البيت الأئمة الهداة المهديّين عليهم السلام.

---

(١) الشورى: ٢٣.

(٢) آل عمران: ٣١.

١٠ ـ استمرار الإمامة

لا بدّ من استمرار الإمامة، والأدلّة القاطعة والبراهين الساطعة تدلّ على ذلك، كما هو ثابت في محلّه، فإنّ الحديث النبويّ المتواتر عند الفريقين السنّة والشيعة «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة الجاهلية» يدلّ على ذلك بوضوح[1].

كما يدلّ عليه حديث الثقلين المتواتر لفظاً ومعنىً، إجمالاً وتفصيلاً عند الفريقين ـ السنّة والشيعة ـ في قول رسول الله ﷺ: «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل البيت ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي ابداً وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»[2].

فلمّا كان القرآن الكريم خالداً وأبداً إلى يوم القيامة، فكذلك أهل البيت عليهم السلام لعدم الافتراق بينهما في كلّ شيء في البداية والنهاية، ولمّا كان الطوفان مستمرّاً إلى يوم الظهور والحوادث والبدع والضلالات مستمرّة إلى اليوم الموعود، فلا بدّ من وجود سفينة النجاة، وإنّها مستمرّة ودائمة بدوام الحياة، لا تنحصر بعصر دون عصر، ولا تختصّ بجيل دون جيل، بل هي في كلّ العصور وعلى مدى الأحقاب والأجيال.

وسفينة أهل البيت عليهم السلام وسفينة الإمام الحسين عليه السلام إنّما يمثّلها ويسوقها

---

(١) ذكرت ذلك بالتفصيل في (الإمام المهدي عليه السلام وطول العمر في نظرة جديدة)، فراجع.

(٢) ذكرت الحديث وأسانيده وشرحه بالتفصيل في (السرّ في آية الاعتصام)، و (في رحاب حديث الثقلين)، فراجع.

ويقودها بوجوده المقدّس صاحب الزمان عليه السلام الذي لولاه لساخت الأرض بأهلها، فبوجوده ثبتت الأرض والسماء وبيمنه رزق الورى، فهو قطب عالم الإمكان، شريك القرآن، إمام الإنس والجانّ، صاحب العصر والزمان، الحجّة الثاني عشر، الإمام المنتظر عجّل فرجه الشريف وجلعنا من خلّص شيعته وأنصاره والمهتدين بمصباحه وراكبي سفينته.

١١ ـ خلائف في الأرض

قال الله تعالى:

﴿ وَاتْلُ نَبَأَ نوحٍ إذْ قالَ لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ إنْ كانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مقامي وَتَذْكيري بِآياتِ اللهِ فَعَلى اللهِ تَوَكَّلْتُ فَاجْمَعوا أمْرَكُمْ وَشُرَكاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضوا إلَيَّ وَلا تُنْظِرون * فَإنْ تَوَلَّيْتُمْ فَما سَألْتُكُمْ مِنْ أجْرٍ إنْ أجْرِيَ إلاّ عَلى اللهِ وَاُمِرْتُ أنْ أكونَ مِنَ المُسْلِمينَ * فَكَذَّبوهُ فَنَجَّيْناهُ وَمَنْ مَعَهُ في الفُلْكِ وَجَعَلْناهُمْ خَلائِفَ وَأغْرَقْنا الَّذينَ كَذَّبوا بِآياتِنا فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ المُنْذَرينَ ﴾[١].

في تفسير مجمع البيان في قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْناهُمْ خَلائِفَ ﴾ أي جعلنا الذين نجوا مع نوح خلفاء لمن هلك بالغرق، وقيل: إنّهم كانوا ثمانين نفساً. وقال البلخي: يجوز أن يكون أراد جعلناهم رؤساء في الأرض ﴿ وَأغْرَقْنا الَّذينَ كَذَّبوا بِآياتِنا ﴾ أي أهلكنا باقي أهل الأرض أجمع لتذكيبهم لنوح عليه السلام ﴿ فَانْظُرْ ﴾ أيّها السامع ﴿ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ المُنْذَرينَ ﴾ أي المخوّفين بالله وعذابه، أي كيف أهلكهم الله[٢].

وفي تفسير الميزان: الخلائف جمع خليفة أي جعلنا هؤلاء الناجين خلائف في الأرض والباقين من بعدهم يخلفون سلفهم ويقومون مقامهم[٣].

الخليفة هو الذي يخلف نفساً في أمر، واُطلق أوّلاً على آدم عليه السلام فهو خليفة الله

---

(١) يونس: ٧١ ـ ٧٣.

(٢) مجمع البيان ١١ : ٢١٢.

(٣) تفسير الميزان ١١ : ٩٨.

جلّ جلاله، وإنّما خلافة كلّ شيء بحسبه، فخلافة الله في أسمائه وصفاته، في علمه وقدرته وحياته.

توضيح ذلك: قال سيّدنا العلّامة الطباطبائي في تفسيره القيّم في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قالوا أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قالَ إِنِّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمونَ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْماءَ كُلَّها ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلائِكَةِ فَقالَ أَنْبِئوني بِأَسْماءِ هٰؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ قالوا سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنا إِلّا ما عَلَّمْتَنا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ قالَ يا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمائِهِمْ قالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ وَأَعْلَمُ ما تُبْدونَ وَما كُنْتُمْ تَكْتُمونَ ﴾[1].

الآيات الكريمة تنبئ عن غرض إنزال الإنسان إلى الدنيا، وحقيقة جعل الخلافة في الأرض وما هو آثارها وخواصّها، وهي على خلاف سائر قصصه لم يقع في القرآن إلّا في محلّ واحد وهو هذا المحلّ.

قوله تعالى: ﴿ قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ إلى قوله: ﴿ ونقدّس لك ﴾ مشعر بأنّهم إنّما فهموا وقوع الإفساد وسفك الدماء من قوله سبحانه ﴿ إنّي جاعل في الأرض خليفة ﴾ حيث إنّ الموجود الأرضي بما أنّه مادّي مركّب من القوى الغضبيّة والشهويّة، والدار دار التزاحم، محدودة الجهات، وافرة المزاحمات، مركّباتها في معرض الانحلال، وانتظاماتها وإصلاحاتها في مظنّة الفساد ومصبّ البطلان لا تتمّ الحياة فيها إلّا بالحياة النوعيّة، ولا يكمل البقاء فيها إلّا بالاجتماع والتعاون، فلا تخلو من الفساد وسفك الدماء، ففهموا من هناك أنّ الخلافة

---

(١) البقرة: ٣٠ ـ ٣٣.

المرادة لا تقع في الأرض إلّا بكثرة من الأفراد ونظام اجتماعي بينهم يفضي بالاخرة إلى الفساد والسفك، والخلافة وهي قيام شيء مقام آخر لا تتمّ إلّا بكون الخليفة حاكياً للمستخلف في جميع شؤونه الوجوديّة وآثاره وأحكامه وتدابيره بما هو مستخلف، والله سبحانه في وجوده مسمّى بالأسماء الحسنى متّصف بالصفات العليا، من أوصاف الجمال والجلال، منزّه في نفسه عن النقص ومقدّس في فعله عن الشرّ والفساد جلّت عظمته، والخليفة الأرضي بما هو كذلك لا يليق بالاستخلاف ولا يحكي بوجوده المشوب بكلّ نقص وشين الوجود الإلهي المقدّس المنزّه عن جميع النقائص وكلّ الأعدام، فأين التراب وربّ الأرباب، وهذا الكلام من الملائكة في مقام تعرف ما جهلوه، واستيضاح ما أشكل عليهم من أمر هذا الخليفة، وليس من الاعتراض والخصومة في شيء، والدليل على ذلك قولهم فيما حكاه الله تعالى عنهم ﴿ إنّك أنت العليم الحكيم ﴾ حيث صدّر الجملة بإنّ التعليليّة المشعرة بتسليم مدخولها، فافهم.

فملخّص قولهم يعود إلى أنّ جعل الخلافة إنّما هو لأجل أن يحكي الخليفة مستخلفه بتسبيحه بحمده وتقديسه له بوجوده، والأرضيّة لا تدعه يفعل ذلك بل تجرّه إلى الفساد والشرّ، والغايه من هذا الجعل وهي التسبيح والتقديس بالمعنى الذي مرّ من الحكاية حاصلة بتسبيحنا بحمدك وتقديسنا لك، فنحن خلفاؤك أو فاجعلنا خلفاء لك، فما فائدة جعل هذه الخلافة الأرضيّة لك ؟ فردّ الله سبحانه ذلك عليهم بقوله : ﴿ إنّي أعلم ما لا تعلمون وعلّم آدم الأسماء كلّها ﴾، وهذا السياق يشعر أوّلاً : بأنّ الخلافة المذكورة إنّما كانت خلافة الله تعالى، لا خلافة نوع من الموجود الأرضي كانوا في الأرض قبل الإنسان وانقرضوا، ثمّ أراد الله تعالى أن يخلفهم بالإنسان، كما احتمله بعض المفسّرين، وذلك لأنّ الجواب الذي أجاب

سبحانه به عنهم وهو تعليم آدم الأسماء لا يناسب ذلك، وعلى هذا فالخلافة غير مقصورة على شخص آدم عليه السلام، بل بنوه يشاركونه فيها من غير اختصاص ـ فالخلافة مستمرّة إلى يوم القيامة، ولا تخلو الأرض من خليفة الله وهو الإنسان الكامل جامع الجمع له ما لرسول الله محمّد خاتم النبيّين صلى الله عليه وآله من شؤون الولاية العظمى سوى النبوّة ـ ويكون معنى تعليم الأسماء إيداع هذا العلم في الإنسان بحيث يظهر منه آثاره تدريجاً دائماً ولو اهتدى إلى السبيل أمكنه أن يخرجه من القوّة إلى الفعل، ويؤيّد عموم الخلافة قوله تعالى ﴿ إذ جعلكم خلفاء في الأرض ﴾[1]، وقوله تعالى ﴿ ثمّ جعلناكم خلائف في الأرض ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ ويجعلكم خلفاء الأرض ﴾[3].

أقول: كما يدلّ عليه نفس الآية الشريفة ﴿ إنّي جاعل في الأرض خليفة ﴾ فإنّها جملة إسميّة تفيد الاستمرار، فلا يصحّ القول بأنّ الخلافة منحصرة بآدم عليه السلام لا غير.

ثمّ قال العلّامة قدس سره: وثانياً: إنّه سبحانه لم ينفِ عن خليفة الأرض الفساد وسفك الدماء، ولا كذّب الملائكة في دعواهم التسبيح والتقديس، وقرّرهم على ما ادّعوا، بل إنّما أبدى شيئاً آخر وهو أنّ هناك أمراً لا يقدر الملائكة على حمله ولا تحمّله، ويتحمّله هذا الخليفة الأرضي، فإنّه يحكي عن الله سبحانه أمراً، ويتحمّل منه سرّاً ليس في وسع الملائكة، ولا محالة يتدارك بذلك أمر الفساد وسفك

---

(١) الأعراف: ٦٩.

(٢) يونس: ١٤.

(٣) النمل: ٦٢.

الدماء، وقد بدّل سبحانه قوله ﴿ قال إنّي أعلم ما لا تعلمون ﴾ ثانياً بقوله: ﴿ ألم أقل لكم إنّي أعلم غيب السماوات والأرض ﴾ والمراد بهذا الغيب هؤلاء الأسماء لا علم آدم بها، فإنّها الملائكة ما كانت تعلم أنّ هناك أسماء لا يعلمونها، لا أنّهم كانوا يعلمون وجود الأسماء كذلك ويجهلون من آدم أنّه يعلمها، وإلّا لما كان لسؤاله تعالى إيّاهم عن الأسماء وجه وهو ظاهر، بل كان حقّ المقام أن يقتصر بقوله: ﴿ قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم ﴾ حتّى يبتيّن لهم أنّ آدم يعلمها لا أن يسأل الملائكة عن ذلك، فإنّ هذا السياق يعطي أنّهم ادّعوا الخلافة وأذعنوا بانتفائها عن آدم، وكان اللازم أن يعلم الخليفة بالأسماء، فسألهم عن الأسماء فجهلوها وعلمها آدم، فثبت بذلك لياقته لها وانتفائها عنهم، وقد ذيّل سبحانه السؤال بقوله: ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ وهو مشعر بأنّه كانوا ادّعوا شيئاً كان لازمه العلم بالأسماء.

أقول: ولا يخفى كما جاء في روايات آل محمّد في عرش الله ـكما مرّ ـ أنّ الأسماء التي كانت في الغيب ليست مجرّد حروف وألفاظ بل المراد المسمّيات، وأنّها موجودات أحياء عقلاء هم أشرف خلق الله، وإنّهم نور واحد، صدر من الواحد، وهو الصادر الأوّل، فالعلم به وبولايته العظمى لا يتحمّله إلّا ملك مقرّب أو نبيّ مرسل كآدم عليه السلام أو مؤمن امتحن الله قلبه بالايمان، فتلك الأسماء هي أسماء آل محمّد عليهم السلام وما صدر عنهم في العوالم الغيبيّة والشهوديّة بأمر الله وخلقه سبحانه وتعالى.

قال العلّامة قدس سره: وقوله تعالى ﴿ وعلّم آدم الأسماء كلّها ثمّ عرضهم ﴾ مشعر بأنّ هذه الأسماء أو مسمّياتها كانوا أحياء عقلاء محجوبين تحت حجاب الغيب، وأنّ العلم بأسمائهم كان غير نحو العلم الذي عندنا بأسماء الأشياء، وإلّا كانت الملائكة بإنباء آدم إيّاهم بها عالمين وصائرين مثل آدم مساوين معه، ولم يكن في ذلك إكرام

لآدم ولا كرامة حيث علّمه الله سبحانه أسماء ولم يعلّمهم، ولو علّمهم إيّاها كانوا مثل آدم أو أشرف منه، ولم يكن في ذلك ما يقنعهم أو يبطل حجّتهم، وأيّ حجّة تتمّ في أن يعلم الله تعالى رجلاً علم اللغة ثمّ يباهي به ويتمّ الحجّة على ملائكة مكرمين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعلمون بأنّ هذا خليفتي وقابل لكرامتي دونكم؟ ويقول تعالى أنبئوني باللغات التي سوف يضعها الآدميون بينهم للإفهام والتفهيم إن كنتم صادقين في دعواكم أو مسألتكم خلافتي، على أنّ كمال اللغة هو المعرفة بمقاصد القلوب والملائكة لا تحتاج فيها إلى التكلّم، وإنّما تتلقّى المقاصد من غير واسطة، فلهم كمال فوق كمال التكلّم.

وبالجملة فما حصل للملائكة من العلم بواسطة إنباء آدم لهم بالأسماء هو غير ما حصل لآدم من حقيقة العلم بالأسماء بتعليم الله تعالى فأحد الأمرين كان ممكناً في حقّ الملائكة وفي مقدرتهم دون الآخر، وآدم إنّما استحقّ الخلافة الإلهيّة بالعلم بالأسماء دون إنبائها، إذ الملائكة إنّما قالوا في مقام الجواب ﴿ سبحانك لا علم لنا إلّا ما علّمتنا ﴾ فنفوا العلم.

فقد ظهر ممّا مرّ أنّ العلم بأسماء هؤلاء المسمّيات يجب أن يكون بحيث يكشف عن حقائقهم وأعيان وجوداتهم، دون مجرّد ما يتكفّله الوضع اللغوي من إعطاء المفهوم فهؤلاء المسمّيات المعلومة حقائق خارجيّة، ووجودات عينيّة وهي مع ذلك مستورة تحت ستر الغيب، غيب السماوات والأرض، والعلم بها على ما هي عليها كان أوّلاً ميسوراً ممكناً لموجود أرضي لا ملك سماوي، وثانياً: دخيلاً في الخلافة الإلهيّة.

ثمّ يقول: وإذا تأمّلت هذه الجهات أعني عموم الأسماء وكون مسمّياتها أُولي حياة وعلم وكونها غيب السماوات والأرض قضيت بانطباقها بالضرورة على

ما أُشير إليه في قوله تعالى ﴿ وإن من شيءٍ إلّا عندنا خزائنه وما ننزله إلّا بقدرٍ معلوم ﴾[1] حيث أخبر سبحانه بأنّه كلّ ما يقع عليه اسم شيء فله عنده تعالى خزائن مخزونة باقية عنده غير نافذة، ولا مقدّرة بقدر، ولا محدودة بحدّ، وإنّ القدر والحدّ في مرتبة الإنزال والخلق، وإنّ الكثرة التي هي في هذه الخزائن ليست من جنس الكثرة العدديّة الملازمة للتقدير والتحديد بل تعدّد المراتب والدرجات.

فتحصّل أنّ هؤلاء الذين عرضهم الله تعالى على الملائكة موجودات عالية محفوظة عند الله تعالى، محجوبة بحجب الغيب، أنزل الله سبحانه كلّ اسم في العالم بخيرها وبركتها، واشتقّ كلّ ما في السماوات والأرض من نورها وبهائها، وأنّهم على كثرتهم وتعدّدهم لا يتعدّدون تعدّد الأفراد ولا يتفاوتون تفاوت الأشخاص، وإنّما يدور الأمر هناك مدار المراتب والدرجات ونزول الاسم من عند هؤلاء إنّما هو بهذا القسم من النزول.

وقوله تعالى ﴿ وأعلم ما تبدون وماكنتم تكتمون ﴾ وكأنّ هذان القسمان من الغيب النسبي الذي هو بعض السماوات والأرض، ولذلك قوبل به قوله: ﴿ أعلم غيب السماوات والأرض ﴾ ليشمل قسمي الغيب أعني الخارج عن العالم الأرضي والسماوي وغير الخارج عنه ـ وللبحث صلة فراجع، انتهى كلامه رفع الله مقامه ـ.

جاء في زيارة الجامعة الكبرى وفي كثير من الروايات الصحيحة أنّ خزائن علم الله هم محمّد وآل محمّد، وإذاكانت الأسماء كلّها ترجع إلى أسماء الله الحسنى ومن اسمه المهيمن، فهو المهيمن على كلّ شيء، وأسمائه الحسنى المهيمنة على كلّ الأسماء، وورد في الصحيح عن الأئمة عليهم السلام: (نحن أسماء الله الحسنى التي يدعى بها) فهم

---

(١) الحجر: ٢١.

مسمّيات تلك الأسماء في تبلورها الجوهري والعرضي التجرّدي والحسّي، فهم مظاهر أسماء الله وهياكل وأركان التوحيد، وكان محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله نبيّاً وآدم بين الماء والتراب، وخلقه الله قبل أن يخلق الخلق فهو الصادر الأوّل، وقد رأى آدم نور أصحاب الكساء على عرش الله سبحانه ـ كما مرّ تفصيل ذلك ـ وقد أمر الله الملائكة بالسجود والتعظيم لآدم لما حمل العلم، والعلم هم آل محمّد عليهم‌السلام فهم العالون ﴿ استكبرت أم كنت من العالين ﴾ وهذا من السرّ المكنون، ومن الغيب المصون، يرجع علمه إلى أهله.

ثمّ القرآن الكريم نزل لتربية الخليفة لله في الأرض، وآدم إنّما هو خليفة الله في شخصيّته لا في شخصه وحسب، ويدلّ على ذلك قوله تعالى ﴿ إنّي جاعل في الأرض خليفة ﴾ بصيغة الجملة الاسمية المفيدة للعموم والاستمرار، وأفضل الأنبياء أُولي العزم وأفضلهم خاتم النبيّين محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله، ثمّ الأئمّة الأطهار نفس النبيّ لا فرق بينهم وبينه إلّا النبوّة، فهم خلائف الله ورسوله في الأرض، والله سبحانه يربّي بلطفه دائماً خليفة في الأرض وهو الحجّة إمّا ظاهراً أو مستوراً، لولاه لساخت الأرض بأهلها، ثمّ الخلافة الإلهيّة تكون للأمثل فالأمثل ممّن يحذو حذو الأنبياء ويرثهم في علومهم وسلوكهم من العلماء الصالحين، والخلق كلّهم جند الله، والمؤمن يحاول أن يكون من جنده المخلصين، تجري على يديه أفعال الله، فيحمل بين جوانحه همم عالية، فلا يكون عيال على غير الله، بل يمدّ مائدته ومؤدبيه باسم الله، فإنّه استخلف ربّه في أسمائه وصفاته لينتفع الناس منه، فالله سبحانه دائم الفيض على البريّة، وخليفته يعلّم الناس الكتاب والحكمة ويزكّيهم ويقيم القسط بينهم، ويرى كلّ هذا من فضل ربّه، فلا وجود له في نفسه، فهو شاهد لله وشهيد.

ثمّ النبيّ بأمر من الله نصّ على خلفائه من بعده فقال صلى‌الله‌عليه‌وآله: إنّ هذا الأمر

لا ينقضي حتّى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة[1].

وقال ﷺ : ما يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً كلّهم من قريش.

وقال : إنّ عدّة الخلفاء بعدي عدّة نقباء موسى.

وقال ﷺ : لا يزال هذا الدين قائماً حتّى يكون عليكم اثنا عشر خليفة.

والأخبار في هذا المعنى كثيرة، راجع صحيح مسلم كتاب الإمارة، وكنز العمّال ١٢ : ٣٣٠٣٢، وغيرهما من كتب العامّة وكذلك الخاصّة.

عن عبد العظيم الحسني قال : دخلت على سيّدي عليّ بن محمّد عليهما السلام فلمّا بصر بي قال لي : مرحباً بك يا أبا القاسم أنت وليّنا حقّاً. فقلت له : يا بن رسول الله إنّي أُريد أن أعرض عليك ديني، إنّي أقول : إنّ الله تبارك وتعالى واحد وإنّ محمّداً عبده ورسوله خاتم النبيّين فلا نبيّ بعده إلى يوم القيامة. وأقول : إنّ الإمام والخليفة ووليّ الأمر بعده أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ثمّ الحسن ثمّ الحسين ثمّ عليّ ابن الحسين ثمّ محمّد بن عليّ ثمّ جعفر بن محمّد ثمّ موسى بن جعفر ثمّ عليّ بن موسى ثمّ محمّد بن عليّ ثمّ أنت يا مولاي. فقال الإمام عليه السلام : ومن بعد الحسن ابني فكيف للناس بالخلف من بعده ! قال : فقلت : وكيف يا مولاي ؟ قال : لأنّه لا يرى شخصه ولا يحلّ ذكره باسمه حتّى يخرج فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً. فقال : يا أبا القاسم هذا والله دين الله الذي ارتضاه لعباده فاثبت عليه، ثبّتك الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة[2].

---

(١) صحيح مسلم : ١٨٢.

(٢) البحار ٦٩ : ٢٠١.

هذا ولا بأس من أن نذكر بعض الروايات التي وردت في الخلافة الخـاصّة وذلك من خلال المعجم المفهرس لألفاظ أحاديث بحار الأنوار ٩: ٦٣٢٦ـ٦٣٩٦.

١ ـ اعلم أنّ رسولك وخلفاءك أحياء عندك	١٠٠	٣٧١	١٣
٢ ـ يا رسول الله من خلفاؤك	٢	٢٥	٦
٣ ـ أتقياءك وشهداؤك وخلفاؤك	٩٥	٣٥٨	٢١
٤ ـ شهداؤهم خلفاؤك في أرضك	١٠٢	٢٠٣	٩
٥ ـ خلفاؤك في عبادك وأعلامك في بلادك	١٠٠	١٨٧	٢٣
٦ ـ إنّ أولياءه خلفاؤك وأوصياؤه أوصياؤك	٨٠	٣١٦	١٧
٧ ـ أوصياؤك وخلفاؤك وخير خلق بعدك	٥٢	٣١٢	١٣
٨ ـ إنّي زرت ـ خليفتك وابن خلفائك	١٠٢	١٦٩	١٥
٩ ـ الأئمّة الهادين ـ خلفاؤك في أرضك	٥٢	٢١	١٥
١٠ ـ خلفاؤك في أرضك الذين اخترتهم لنفسك	٩٠	٣٦٩	١٧
١١ ـ خالفوا الله وخالفوا رسوله وخلفاءه	٦٧	١٠٤	١٠
١٢ ـ أكرم خلفاءه فأوجب لهم الجنّة	٤٤	١٣٢	١٠
١٣ ـ خلفاؤك من بعده هم النجوم الزاهرة	١٧	٣٤١	٦
١٤ ـ خلفاؤه في أرضه بعد انقضاء وحيه	٤٣	٢	١٩
١٥ ـ إنّ هؤلاء عترة نبيّكم وخلفاؤه	٢٦	٢٥٨	١٤
١٦ ـ فنحن ـ خلفاؤه	٤٦	٣٠٦	١٠
١٧ ـ عليّ عليه السلام ـ خليفته حقّاً وخلفاؤه خلفاء الله	٢٤	٣٥٨	١٠
١٨ ـ خلفاؤه خلفاء الله	٧٠	٢١١	٧
١٩ ـ الأنبياء ـ خلفاؤه على عباده	٦	٣٥٣	١٥

١٢ ـ متابعة الإمام وإتيانه

كان النبيّ طبيباً دوّاراً، وقد أمره الله سبحانه أن يقوم بإنذار الناس :
﴿ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾[١].

فكان رسول الله ﷺ يأتي الناس بنفسه ليهديهم ويدعوهم إلى الإسلام، وإلى توحيد الله، ففي علّة حدوث الإسلام أمر الله نبيّه أن يأتي الأُمّة، ولكن في العلّة المبقية للإسلام، فعلى الأُمّة أن تأتي إمامها وخليفة رسولها. فإنّه كما ورد في الروايات : إنّ الإمام كالكعبة يُؤتى ولا يأتي، ويُزار ولا يزور، فالناس من وظيفتهم الدينيّة والشرعيّة بعد أن آمنوا بدين الله ورسوله، أن يأتوا أئمتهم الأطهار خلفاء الرسول المختار عليهم السلام ويطلبوا منهم الهداية والمعرفة ونجاة الدارين وسعادتهما، ويدلّ على ذلك أيضاً حديث السفينة، فإنّها لا تأتي للإنسان لتخلّصه من الغرق والموت، بل على الإنسان والغريق أن يأتيها، لينجو بها ويسعد بركوبها.

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في نهجه البليغ : انظروا أهل بيت نبيّكم فالزموا سمتهم، واتّبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدىً، ولن يعيدوكم في ردىً، فإن لبدوا فالبدوا، وإن نهضوا فانهضوا[٢].

وقال عليه السلام فيمن تركوا أهل البيت عليهم السلام : آثروا عاجلاً وأخّروا آجلاً، وتركوا صافياً وشربوا آجناً، كأنّي أنظر إلى فاسقهم وقد صحب المنكر فألفه.

---

(١) المدثّر : ٢.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٧ : ٧٦.

وقال عليه السلام في ذكر حال الأئمة وصفاتهم: جعلهم الله حياة للأنام ومصابيح للظلام ومفاتيح للكلام ودعائم للإسلام... فإنّهم عيش العلم وموت الجهل، هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم وصمتهم عن منطقهم، وظاهرهم عن باطنهم لا يخالفون الدين ولا يختلفون فيه، فهو بينهم شاهد صادق وصامت ناطق. وإنّهم الأئمة قوّام الله على خلقه وعرفاؤه على عباده، ولا يدخل الجنّة إلّا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلّا من أنكرهم وأنكروه.

(نحن الشعار والأصحاب والخزنة والأبواب، ولا تؤتى البيوت إلّا من أبوابها، فمن أتاها من غير أبوابها سُمّي سارقاً).

(نحن النمرقة الوسطى التي يلحق بها التالي وإليها يرجع الغالي).

(نحن شجرة النبوّة ومحطّ الرسالة ومختلف الملائكة ومعادن العلم وينابيع الحكم).

قال الإمام الصادق عليه السلام: معنا راية الحقّ من تبعها لحق ومن تأخّر عنها غرق، ألا وبنا يدرك ترة كلّ مؤمن وبنا تخلع ربقة الذلّ عن أعناقكم وبنا فتح الله لا بكم وبنا يختم لا بكم)[1].

قال الإمام الباقر عليه السلام: أما إنّه ليس عند أحد من الناس حقّ ولا صواب إلّا شيء أخذوه منّا أهل البيت ولا أحد من الناس يقضي بحقّ ولا عدل إلّا ومفتاح ذلك القضاء وبابه وأوّله وسننه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام[2].

وعنه عليه السلام: فوالله ما كان يلقي في روعي ولا يخطر ببالي أنّ العرب تزعج هذا

---

(١) البحار ٢٣: ١٠٥

(٢) أمالي المفيد: ٩٦

الأمر من بعده ﷺ عن أهل بيته، ولا أنّهم منحوه عنّي من بعده... حتّى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمّد ﷺ فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به عليّ أعظم.

فهذا في بداية الأمر وبعد رحلة الرسول الأعظم مباشرة كان يخاف على ارتداد الناس فسكت الأمير عليه السلام عن حقّه، وإلّا اليوم على كلّ مسلم أن يعرف الحقّ ويعرف أهله، فيلزمهم في كلّ شيء، حتّى يكون معهم، فكونوا مع الصادقين والحقّ يا أُمّة الإسلام.

١٣ ـ الفرقة الناجية

حديث السفينة يفسّر ويبيّن حديث الافتراق، فإنّه ورد عن النبيّ الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله ـ كما عند الفريقين ـ أنّه قال:

«ستفترق أُمّتي ثلاث وسبعين فرقة، واحدة ناجية، والباقي من الهالكين».

ومن لطف النبيّ أن يبيّن الفرقة الناجية، ولا يترك أُمّته سدى من دون دليل وبرهان، فهذا يتنافى مع روح النبوّة التي هي عبارة عن الهداية والسعادة واللطف الإلهي.

وقد أوضح المصطفى صلى الله عليه وآله ذلك في مواضع كثيرة، وبأساليب مختلفة، وعبائر وكلمات متفاوتة تعدّ بالألوف، ومنها حديث السفينة، على أنّ الفرقة الناجية تلك التي تركب سفينة النجاة وهي: «مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن تركها غرق وهوى».

وهذه الفرقة الناجية دائماً تكون في الأقلّية، تعاديها الأكثريّة التي هي من الهالكين في الدنيا والآخرة، فيموتوا كفّاراً بما كذّبوا، وكانوا من الظالمين.

فاثنتنا وسبعون فرقة كلّها من الهالكين يوم القيامة، وإن كان يحكم عليهم في دار الدنيا بأحكام الإسلام من الطهارة والوراثة وحلّية النكاح وما شابه ذلك، إلّا أنّه يوم تبلى السرائر، ويؤخذ بالنواصي، ويكون بصرك اليوم حديد ونافذ، وتظهر حقائق الأشياء وواقع الأُمور، في ذلك اليوم العصيب الذي تذهل كلّ مرضعة عمّا أرضعت، ويشيب فيه الطفل الرضيع من هول المطّلع، في ذلك اليوم تهلك الفرق الباطلة، وتنجو الفرقة الناجية المحقّة، وقليل من عبادي الشكور، وأكثرهم

لا يعلمون ولا يعلّمون، وللحقّ كارهون.

أمالي الشيخ المفيد بسنده عن أبي عقيل قال:

كنّا عند أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه فقال: لتفرقنّ هذه الأمّة على ثلاث وسبعين فرقة، والذي نفسي بيده إنّ الفرق كلّها ضالّة إلّا من اتّبعني وكان من شيعتي[1].

---

(١) أمالي المفيد: ٢٣٥، المجلس ٢٤.

١٤ ـ الصحابة
من لم يركب السفينة فليس من الصحابة

قال الله تعالى :

﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾[١].

إذا كان الولد الذي هو فلذّة من الكبد لا يعدّ من الأهل، عند المخالفة والعصيان، فبطريق أولى لا يكون من أصحابه، حتّى ولو صاحبه وعاشره ليل ونهار، ومجرّد المصاحبة ولو لدقائق أو ساعات لا يدلّ على الفضل والطهارة وصحّة العمل والعدالة، فهذا ابن نوح خير شاهد ودليل، إنّه لم يركب سفينة والده، سفينة النبوّة والنجاة، فإنّه يهلك لا محالة، كما إنّه ليس من أهل نوح عليه السلام حتّى ولو كان في بيته وصاحبه في ليله ونهاره، فلا تنفعه المصاحبة، بل ولا النسب ولا السبب، وكذا الكلام في زوجة لوط، فإنّها من الهالكات ولم تنفعها صحبة النبيّ ومعاشرته، بل والعلقة الزوجيّة والحياة المشتركة، فالملاك هو الحقّ ومتابعته، واعرف الحقّ تعرف أهله، والحقّ مع عليّ عليه السلام وعليّ مع الحقّ، أينما دار عليّ يدور الحقّ معه :

﴿ وَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾[٢].

فالملاك معرفة الحقّ ومتابعته، لا مجرّد النسب أو السبب من الزوجيّة أو الصحبة أو ما شابه ذلك، وهذا ما يقرّبه الوجدان ويدلّ عليه البرهان من الأدلّة

---

(١) هود : ٤٥ ـ ٤٦.

(٢) إبراهيم : ٣٦.

العقليّة والنقليّة، ومن هذا المنطلق نقول: ليس كلّ من صاحب الرسول فهو عادل لا يقدح فيه ويؤخذ منه الدين ويهتدى به، فهذا غير معقول، بل من أطاع النبيّ في حياته وبعد رحلته في وصيّه وخليفته بالحقّ، ولم يرتدّ عمّا أمر به النبيّ ﷺ، فإنّه من الصحابة العدول الذين يُترضّى عليهم ويترحّم، وإلّا فلعنة الله على القوم الظالمين حتّى ولو كان ابن نوح، فإنّه ليس من أهله ولا أصحابه.

والإمام الحسين سيّد الشهداء عليه السلام بتضحياته المقدّسة ودفاعه عن الإسلام وبدمه الطاهر، وإنّه من بيت الوحي والنبوّة، حامل الرسالة السماويّة السمحاء، وعبء الإمامة العظمى، والعصمة الكبرى، جسّد لنا الحقّ، وتجلّى الربّ بأسمائه وصفاته فيه، فكتب على عرشه المقدّس: «إنّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة»، فمن دخل هذه السفينة الحسينيّة فإنّه من أصحاب النبيّ ﷺ، فإنّه قال: «حسين منّي وأنا من حسين»، فسفينة الحسين سفينة الرسول، فمن لم يركبها وترك ولايتها، واختار وليجة دونها، وتبع ولاية فلان وفلان، فإنّه ليس من أهل النبيّ ولا من أصحابه الكرام، بل هو من الهالكين في الدرك الأسفل من الجحيم، كما هلك ابن نوح. ولا عداء شخصيّ لنا مع أحد، إنّما الملاك هو الحقّ، فقل الحقّ ولو على نفسك، أفمن يهدي إلى الحقّ أحقّ أن يتّبع أمّن لا يهدي إلّا أن يهدى؟! ما لكم كيف تحكمون؟!

١٥ ـ الكافرون
المتخلّف من ركوب السفينة كافر

التخلّف من ركوب سفينة نوح كفر، حتّى لأقرب الناس من نوح وهو ولده وفلذّة كبده، فإنّه إذا لم يركب السفينة يكون من الكافرين، لقوله تعالى:

﴿ يا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنا وَلا تَكُنْ مِنَ الكافِرِينَ ﴾.

فمن لم يركب السفينة كان كافراً، وكانت عاقبته الغرق والهلاك والخسران في الدنيا والآخرة.

كذلك من لم يكن مع أهل البيت عليهم السلام ولم يركب سفينتهم من لم يركب سفينة الإمام الحسين عليه السلام، فأُولئك من الكافرين، فإنّ حبّهم إيمان وبغضهم كفر، وما أكثر الروايات الدالّة على ذلك[1].

﴿ وَاللهُ لا يَهْدي القَوْمَ الكافِرِينَ ﴾[2].

الكليني بسنده عن ابن أبي يعفور قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّي أُخالط الناس فيكثر عجبي من أقوام لا يتوالونكم ويتوالون فلاناً وفلاناً، ولهم أمانة وصدق ووفاء، وأقوام يتوالونكم ليس لهم تلك الأمانة ولا الوفاء ولا الصدق! قال: فاستوى أبو عبد الله عليه السلام جالساً، وأقبل عليّ كالمغضب ثمّ قال: لا دين لمن

---

(١) راجع ما كتبناه حول هذا الموضوع في (هذه هي الولاية)، وكتاب (الأصل حبّنا أهل البيت).

(٢) البقرة: ٢٦٤.

دان بولاية إمام جائر ليس من الله، ولا عتب على من دان بولاية إمام عادل من الله، قلت: لا دين لأُولئك ولا عتب على هؤلاء، ثمّ قال: ألا تسمع قول الله عزّ وجلّ: ﴿ الله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ﴾ من ظلمات الذنوب إلى نور التوبة أو المغفرة، لولايتهم كلّ إمام عادل من الله، قال: ﴿ والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات ﴾ فأيّ نور يكون للكافر فيخرج منه؟ إنّما عنى بهذا أنّهم كانوا على نور الإسلام، فلمّا تولوا كلّ إمام جائر ليس من الله خرجوا بولايتهم إيّاهم من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر، فأوجب الله لهم النار مع الكفّار فقال: ﴿ أُولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾[1].

(١) البحار ٢٣ : ٣٢٣، عن غيبة النعماني : ٦٥.

١٦ ـ الظالمون
من لم يركب السفينة إنّه من الظالمين

لمّا كان الأكثر من الغارقين الهالكين، فهذا يعني أنّهم من الظالمين، فإنّهم ظلموا أنفسهم أوّلاً، كما ظلموا أهل الحقّ بمعاداتهم وبغضهم وعدم اتّباعهم وطاعتهم وترك ولايتهم، كأصحاب نوح، كما أخبرنا بذلك ربّ العزّة والجلال في قوله تعالى:

﴿ وَقيلَ يا أرْضُ ابْلَعي ماءَكِ وَيا سَماءُ أقْلعي وَغيضَ الماءُ وَقُضيَ الأمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلى الجوديِّ وَقيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظّالِمينَ ﴾[1].

﴿ وَقَوْمَ نوحٍ لَمّا كَذَّبوا الرُّسُلَ أغْرَقْناهُمْ وَجَعَلْناهُمْ لِلنّاسِ آيَةً وَأعْتَدْنا لِلظّالِمينَ عَذاباً أليماً ﴾[2].

﴿ وَلَقَدْ أرْسَلْنا نوحاً إلىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فيهِمْ ألْفَ سَنَةٍ إلّا خَمْسينَ عاماً فَأخَذَهُمُ الطّوفانُ وَهُمْ ظالِمونَ * فَأنْجَيْناهُ وَأصْحابَ السَّفينَةِ وَجَعَلْناها آيَةً لِلْعالَمينَ ﴾[3].

﴿ فَأوْحَيْنا إلَيْهِ أنِ اصْنَعِ الفُلْكَ بِأعْيُنِنا وَوَحْيِنا فَإذا جاءَ أمْرُنا وَفارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فيها مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأهْلَكَ إلّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ القَوْلُ مِنْهُمْ وَلا تُخاطِبْني

---

(١) هود: ٤٤.

(٢) الفرقان: ٣٧.

(٣) العنكبوت: ١٤ ـ ١٥.

في الَّذينَ ظَلَموا إنَّهُمْ مُغْرَقونَ ﴾[١].

﴿ وَاصْنَعِ الفُلْكَ بِأعْيُنِنا وَوَحْيِنا وَلا تُخاطِبْني في الَّذينَ ظَلَموا إنَّهُمْ مُغْرَقونَ ﴾[٢].

فكلّ من لم يركب سفينة نوح في زمنه، فإنّه من الغارقين والهالكين، وما أكثر أُولئك الذين غرقوا، فإنّ أصحابه عليه‌السلام كانوا جماعة قليلة ربما عشر المعشار، نجوا بركوبهم السفينة، وكذلك في زمن خاتم النبيّين محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله إلى قيام يوم الدين، فإنّه من ركب سفينته التي أخبر عنها بقوله صلى‌الله‌عليه‌وآله: «مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق وهوى» و«إنّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة»، وسفينة الحسين وسفينة أهل البيت عليهم‌السلام هي سفينة النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله بلا شكّ ولا ريب، فمن ركب هذه السفينة فإنّه ينجو من الشقاء والتعاسة والعذاب والغرق، ومن تخلّف عنها وتركها فإنّه من الهالكين المغرقين المعذّبين التعساء الأشقياء، خسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

---

(١) المؤمنون: ٢٧.

(٢) هود: ٣٧.

١٧ ـ الجاهلون
من لم يركب السفينة فهو من الجاهلين

قال الله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنا نوحاً إِلىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذيرٌ مُبينٌ * أَلّا تَعْبُدوا إِلّا اللهَ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ أَليمٍ * فَقالَ المَلأُ الَّذينَ كَفَروا مِنْ قَوْمِهِ ما نَراكَ إِلّا بَشَراً مِثْلَنا وَما نَراكَ اتَّبَعَكَ إِلّا الَّذينَ هُمْ أَراذِلُنا بادِيَ الرَّأْيِ وَما نَرىٰ لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كاذِبينَ * قالَ يا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتاني رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُموها وَأَنْتُمْ لَها كارِهونَ * وَيا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلّا عَلَى اللهِ وَما أَنا بِطارِدِ الَّذينَ آمَنوا إِنَّهُمْ مُلاقو رَبِّهِمْ وَلٰكِنِّي أَراكُمْ قَوْماً تَجْهَلونَ ﴾[١].

خلق الله الجهل من الظلمة، كما خلق العقل والعلم من نوره، فالعاقل العالم من يتّبع الحقّ ويكون معه في كلّ شيء، لا يحيف عنه ولا ينحرف منه، بل يركب سفينته، ويطيع ربّان السفينة، فإنّه يدعوه إلى الحقّ، إلى عبادة الله سبحانه، وإنّه يخاف عليه من عذاب يوم أليم، فإنّه على بيّنة من ربّه، وآتاه الله رحمته من عنده، ولكن أكثر الناس للحقّ كارهون، يفترون على نبيّهم، وكفروا بربّهم، فكانوا من الهالكين.

وكذلك من لم يطع النبيّ في أهل بيته عليهم السلام، ولم يركب سفينة النجاة، فإنّه

---

(١) هود : ٢٥ ـ ٢٩.

بلا شكّ يغرق ويهلك، وإن كان يحسب في دنياه أنّه على الحقّ، وأنّه يحسن صُنعاً، ولكنّ الملاك هو متابعة الحقّ وركوب السفينة، وإلّا فكلّ حزب بما لديهم فرحون، فمن كان إلهيّاً نبويّاً علويّاً حسينيّاً إماميّاً، يعني اهتدى بمصباح الهداية وركب سفينة النجاة، فإنّه بلا ريب ينجو في المعاد، ويسعد بدخوله الجنّات، لمثل هذا فليعمل العاملون.

١٨ ـ الغاوون
من لم يركب السفينة فهو من الغاوين

قال الله تعالى :

﴿ وَلا أقولُ لَكُمْ عِنْدي خَزائِنُ اللهِ وَلا أعْلَمُ الغَيْبِ وَلا أقولُ إنِّي مَلَكٌ وَلا أقولُ لِلَّذينَ تَزْدَري أعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتيَهُمُ اللهُ خَيْراً اللهُ أعْلَمُ بِما في أنْفُسِهِمْ إنِّي إذاً لَمِنَ الظّالِمينَ * قالوا يا نوحُ قَدْ جادَلْتَنا فَأكْثَرْتَ جِدالَنا فَأْتِنا بِما تَعِدُنا إنْ كُنْتَ مِنَ الصّادِقينَ * قالَ إنَّما يَأتيكُمْ بِهِ اللهُ إنْ شاءَ وَما أنْتُمْ بِمُعْجِزينَ * وَلا يَنْفَعُكُمْ نُصْحي إنْ أرَدْتُ أنْ أنْصَحَ لَكُمْ إنْ كانَ اللهُ يُريدُ أنْ يغويكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإلَيْهِ تُرْجَعونَ ﴾[1].

الإغواء بمعنى الضلال والانحراف، فمن غرّته الدنيا ومظاهرها الخلّابة من الأموال والجاه والمقام والنساء والملاذّ، فإنّه يحتقر الضعفاء من المؤمنين فيزدريهم في نظراته، ويجادل بالباطل، ويأمن مكر الله، ولا ينفعه نصح الناصحين، فيرتكب الذنوب والمعاصي حتّى يسودّ قلبه ويستولي عليه ظلمة الجهل، فيضلّه الله عن علم ويغويه عن الصراط المستقيم، فإنّه هداه النجدين، طريق الخير والجنّة، وطريق الشرّ والنار، إلّا أنّه اختار نجد النار وطريق الشرّ بارتكاب الآثام والفواحش، فأضلّه الله وأغواه، فإنّه بنفسه اتّبع خطوات الشيطان وغوايته :

﴿ قالَ بِعِزَّتِكَ لأغْوِيَنَّهُمْ أجْمَعينَ إلّا عِبادَكَ مِنْهُمُ الُمخْلَصينَ ﴾[2].

---

(١) هود : ٣١ ـ ٣٤.

(٢) ص : ٨٢.

وقليل أُولئك المخلصون الشاكرون، وأكثرهم من الغاوين، فتركوا سفينة نوح، كما تركوا سفينة محمّد ﷺ، وانقلبوا على أعقابهم وارتدوّا عن الولاية والخلافة الحقّة، وهذا الأمر سارٍ إلى اليوم الموعود، الذي وعد الله الشيطان بإمهاله إلى ذلك اليوم.

في كلّ زمان يكون الصراع بين الحقّ والباطل، بين يزيد السفّاك شارب الخمور وبين سبط الرسول سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، وفي كلّ زمان ومكان يكون الصراع بين المعسكر اليزيدي والمعسكر الحسيني، فكلّ يوم عاشوراء، وكلّ أرض كربلاء.

وإنّما ينجو في الحياة الدنيا والآخرة من ركب سفينة الحسين عليه السلام، فإنّه كتب على عرش الله : «الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة».

١٩ ـ المجرمون
من لم يركب السفينة فهو من المجرمين

قال الله تعالى:

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ ﴾[1].

من وحي قصّة نوح الكبرى، أنّ قومه كانوا يؤذونه في صنع سفينته، ويكذّبون عليه، ويرتكبون الجنايات والإجرام بحقّ نبيّهم، والنبيّ نوح عليه السلام تبرّأ منهم ومن إجرامهم، فإنّهم من القوم المجرمين.

وكذلك الأمر في خاتم النبيّين، فما أُوذي نبيّ بمثل ما أُوذي عليه الصلاة والسلام، كما أخبر بذلك، حتّى في آخر أنفاسه القدسيّة بين الموت والحياة افتروا عليه واتّهموه بالجنون كما فعل كفّار قريش من قبل، حتّى قالوا: «إنّ الرجل ليهجر»، والله سبحانه قد نزّهه بقوله تعالى:

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾[2].

فأكثر قوم نوح كذّبوه في سفينته ونبوّته ودعوته، وكذلك قوم محمّد صلى الله عليه وآله طابق النعل بالنعل، وكلّ ما كان في الأمم السالفة تكون في هذه الأُمّة ـ كما ورد في أخبار الفريقين السنّة والشيعة ـ فأكثرهم كرهوا الحقّ أمير المؤمنين علي عليه السلام وخالفوه

---

(١) هود: ٣٥.

(٢) النجم: ٣.

وحاربوه وغصبوا حقوقه وضربوا زوجه فاطمة الزهراء عليها السلام وقتلوا أولاده أسباط النبيّ صلى الله عليه وآله، فأكثرهم من القوم المجرمين، ولا ينجو إلّا من ركب سفينة أهل البيت عليهم السلام، والتي تتلخّص بسفينة الحسين عليه السلام، فتتّسع وتكون أسرع في الوصول إلى الله سبحانه، فإنّها جمعت بين النبوّة والإمامة، فـ«حسين منّي وأنا من حسين»، و«الأئمة التسع من ولد الحسين»، فهو الجامع بين نور النبوّة ونور الإمامة، كأُمّه فاطمة الزهراء سيّدة النساء عليها السلام ـ فهي مجمع النورين بنت رسول الله وزوجة وليّ الله الأعظم عليهما السلام ـ، فسفينته أوسع وأسرع، ومصباحه أجلى وألمع.

٢٠ ـ العاصون
الأكثريّة في منطق القرآن من العُصاة الفاسقين

لو رجعنا إلى القرآن الكريم لرأينا حقيقة ناصعة لا يمكن إنكارها، كما يدلّ عليها الشاهد العيان، وهي أنّ الناس بالنسبة إلى القضايا الدينيّة والمعتقدات السماويّة على صنفين: فمنهم من يؤمن ومنهم من ينكر ويكفر، ولا عجب أنّ أكثرهم من الصنف الثاني، كما في قوله تعالى:

﴿ إنَّ اللهَ لَذو فَضْلٍ على النَّاسِ وَلـكِنَّ النَّاسَ لا يَشْكُرونَ ﴾[1].

﴿ وَإنْ تُطِعْ أكْثَرَ مَنْ في الأرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبيلِ اللهِ ﴾[2].

﴿ قُلْ إنَّما عِلْمُها عِنْدَ اللهِ وَلـكِنَّ أكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمونَ ﴾[3].

﴿ إنَّهُ الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلـكِنَّ أكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنونَ ﴾[4].

﴿ وَما أكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنينَ ﴾[5].

﴿ فَأبىٰ أكْثَرُ النَّاسِ إلّا كُفوراً ﴾[6].

---

(١) البقرة: ٢٤٣، يوسف: ٣٨، غافر: ٦١.

(٢) الأنعام: ١١٦.

(٣) الأعراف: ١٨٧، يوسف: ٢١ و ٤٠ و ٦٨، النحل: ٣٨، الروم: ٣٦، سبأ: ٢٨ و ٣٦، غافر: ٥٧.

(٤) هود: ١٧، الرعد: ١.

(٥) يوسف: ١٠٣.

(٦) الإسراء: ٨٩.

﴿ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الأَوَّلِينَ ﴾[١].

﴿ وَإِنَّ أَكْثَرَكُمْ فاسِقونَ ﴾[٢].

﴿ لَقَدْ جِئْناكُمْ بِالحَقِّ وَلـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كارِهونَ ﴾[٣].

﴿ مِنْهُمُ المُؤْمِنونَ وَأَكْثَرُهُمُ الفاسِقونَ ﴾[٤].

﴿ يَفْتَرونَ عَلى اللهِ الكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلونَ ﴾[٥].

﴿ ما كانوا لِيُؤْمِنوا إِلّا أَنْ يَشاءَ اللهُ وَلـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلونَ ﴾[٦].

﴿ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شاكِرينَ ﴾[٧].

﴿ وَما وَجَدْنا لأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ ﴾[٨].

﴿ وَما يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلّا ظَنّاً ﴾[٩].

﴿ يَعْرِفونَ نِعْمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرونَها وَأَكْثَرُهُمُ الكافِرونَ ﴾[١٠].

﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمونَ الحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضونَ ﴾[١١].

---

(١) الصافّات : ٧١.

(٢) المائدة : ٥٩، الأعراف : ١٠٢، التوبة : ٨.

(٣) الزخرف : ٧٨.

(٤) آل عمران : ١١٠.

(٥) المائدة : ١٠٢.

(٦) الأنعام : ١١١.

(٧) الأعراف : ١٧.

(٨) الأعراف : ١٠٢.

(٩) يونس : ٣٦.

(١٠) النحل : ٨٣.

(١١) الأنبياء : ٢٤.

﴿ أَمْ يَقولونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جاءَهُمْ بِالحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كارِهونَ ﴾[1].

﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعونَ أَوْ يَعْقِلونَ ﴾[2].

﴿ إِنَّ فِي ذٰلِكَ آيَةً وَما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[3].

﴿ يُلْقونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كاذِبونَ ﴾[4].

﴿ قُلِ الحَمْدُ للهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلونَ ﴾[5].

﴿ إِنَّ الَّذينَ يُنادونَكَ مِنْ وَراءِ الحُجُراتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلونَ ﴾[6].

لو رجعنا إلى الآيات الكريمة مرّة أُخرى لخلص لنا :

أوّلاً : أكثر الناس لا يشكرون، لا يعلمون، لا يؤمنون، لا يعقلون، أعرضوا عن الحقّ وهم له كارهون، ويجرمون، فهم من الكافرين الضالّين الفاسقين الكاذبين.

ثانياً : يتّصف هؤلاء الأكثريّة بمثل هذه الصفات : إنّهم لو أطعناهم لأضلّونا عن سبيل الله، لأنّهم يدعون إلى سبيلهم وأنفسهم، ويفترون على الله الكذب، ولا ذمّة لهم ولا يلتزمون بعهد وميثاق، ويتبعون الظنّ الذي لا يغني من الحقّ شيئاً، ويعرفون نعمة الله ثمّ ينكرونها، ويعترضون على رسول الله ـ كما قال الرجل : إنّ

---

(١) المؤمنون : ٧٠

(٢) الفرقان : ٤٤.

(٣) الشعراء : ٨ و ٦٧ و ١٠٣ و ١٠٢ و ١٣٩ و ١٥٨.

(٤) الشعراء : ٢٢٣.

(٥) العنكبوت : ١٢، لقمان : ٢٥، الزمر : ٢٩، الدخان : ٣٩.

(٦) الحجرات : ٤٠.

الرجل ليهجر ـ فهم غير مؤدّبين في معاشرتهم مع النبيّ، وإذا حدّثهم بما هو الحــقّ كرهوا ذلك.

ثالثاً: نتيجة حديثي الافتراق والسفينة ـ كما مرّ ـ أنّ الذين يكونون في خطّ النبيّ حقّاً وفي منهاجه ونهجه حقيقةً هم من المؤمنين القلّة، وأنّه بعد رسـول الله ستنقلب الاُمّة وترتدّ عن الحقّ وتكره ذلك، وما أكثر الناس إلّا للحقّ كارهون فهم لا يعقلون بالعقل الذي عبد به الرحمن واكتسب به الجنان، فلا يسمعون وإن كان لهم السمع، فهم كالأنعام بل أضلّ سبيلاً، لأنّ الله منحهم ووهبهم العقل، فلم ينتفعوا به، ولم يستعملوه كما هو المطلوب، فانقلبوا على أعقابهم:

﴿ أَفَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلىٰ أَعْقابِكُمْ ﴾[1].

فالله سبحانه إنّما يجزي الشاكرين ـ بعد رحلة النبيّ ـ وهم قلّة من المؤمنين كما في قوله تعالى:

﴿ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ ﴾[2].

وإلّا فإنّ أكثر الناس لا يشكرون، فالأكثريّة لا يدلّ على الحقّانيّة، بل الفرقة الناجية إنّما هي فرقة واحدة من ثلاث وسبعين فرقة، وهذا هو الحقّ من ربّك، ولكنّ أكثر الناس لا يؤمنون، فأبى أكثر الناس إلّا كفوراً، ولا تعجب فقد ضلّ من قبلهم في افتراق الاُمم كاُمّة موسى وعيسى عليهما السلام أكثر الأوّلين، فإنّ أكثرهم الفاسقون.

ولقد جئناهم بالحقّ وأقنا البراهين الساطعة والأدلّة القاطعة من الكـتاب الكريم والسنّة الشريفة على حقّانيّة معتقدات الفرقة الناجية أتباع مذهب أهل بيت

---

(١) آل عمران: ١٤٤.

(٢) سبأ: ١٣.

رسول الله صلى الله عليه وآله ولكنّ أكثرهم للحقّ كارهون، يفترون على الله الكذب ويحرّفون الكلم عن مواضعها جهلاً وعناداً، فإنّهم لا يعقلون، وبسوء اختيارهم نكبوا عن الصراط المستقيم، والنهج القويم والنبأ العظيم، فإنّهم تقليداً لآبائهم واتّباعهم الظنّ ما كانوا ليؤمنوا إلّا أن يشاء الله ولكنّ أكثرهم يجهلون، وإن كانوا قد عرفوا نعمة الله من قبل في آية الإكمال وسبب نزولها:

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً ﴾[1].

ولكن أنكروها وجحدوها واستقنتها قلوبهم، فما نجد أكثرهم إلّا كفوراً، فأعرضوا عن الحقّ وكفروا به وارتدّوا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله عن ولاية أهل البيت عليهم السلام وأحرقوا بيوتهم التي نزل فيها الكتاب، فشرّدوهم وقتلوهم وسبوا ذراري النبيّ المختار صلى الله عليه وآله، فكان أكثر الناس من العصاة الفاسقين الظالمين، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون والعاقبة للمتّقين، وما الله بغافلٍ عمّا يعملون، إنّما يمهلهم رويداً إلى حين، ويمتّعهم قليلاً ويملي لهم ليزدادوا إثماً وعذاباً، وبئس المصير والقرار.

أجل إنّهم بدّلوا نعمة الله كفراً، وليست النعمة إلّا أمير المؤمنين علي عليه السلام، فيقول في قوله تعالى:

﴿ الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴾[2].

نحن والله نعمة الله التي أنعم الله بها على عباده، بنا فاز من فاز[3].

---

(١) المائدة: ٣.

(٢) إبراهيم: ٢٩.

(٣) البحار ٥٥: ٢٢، عن تفسير القمّي: ٧٥.

وسفينة النعم بعد رسول الله إنّما هي سفن أهل بيته الأطهار عليهم السلام، إلّا أنّ سفينة الحسين عليه السلام تمتاز بخصلتين: (سعتها) فينجو كلّ من ركبها ولو أتى بذنوب الثقلين، فإنّه بركوبها المبارك يتوب إلى ربّه، ويكون كيوم ولدته أُمّه، و (سرعتها) فما أسرع الوصول بها إلى رضا الله سبحانه ونيل رحمته الواسعة ودرك فيوضاته القدسيّة والسعادة الأبديّة.

كما أنّ سفينة الحسين عليه السلام سفينة النبوّة (حسينٌ منّي وأنا من حسين)، وإنّها سفينة الإمامة (والأئمة التسع من ولد الحسين عليه السلام)، وإنّها سفينة الهداية (والإمام المهدي من ولد الحسين عليه السلام).

٢١ ـ المستكبرون
الأكثرية من المستكبرين

قال الله تعالى:

﴿ قالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمي لَيْلاً وَنَهاراً * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعائي إِلاّ فِراراً * وَإِنِّي كُلَّما دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلوا أَصابِعَهُمْ في آذانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا ثِيابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَٱسْتَكْبَروا ٱسْتِكْباراً ﴾[1].

الكبرياء رداء الله سبحانه فهو الكبير الأكبر المتكبّر، فمن نازع الله في ردائه أكبّه الله على منخريه في النار، فأراد الله لعباده التواضع والخشوع والخضوع والعبوديّة، فمن فعل ذلك أفاض الله عليه من سعة رحمته، حتّى يفعل ما يفعله، فإنّ العبوديّة جوهرة كنهها الربوبيّة، فلم يرضَ الله للعباد التكبّر وطلب التكبّر الذي يعني الاستكبار على الغير، فإنّه قد ذمّ ذلك وأوعد عليه النار، أمّا التواضع فإنّ الله يحبّ المتواضعين ويرفع في شأنهم ويعزّهم، فمن تواضع لله رفعه، ولا واضع لمن رفعه الله، كما لا رافع لمن وضعه، يعزّ من يشاء ويذلّ من يشاء، وإنّما شاء العزّة له ولرسوله وللمؤمنين الذين يستحقّون العزّة والكرامة والشرف.

فسبحانه قد ذمّ المستكبرين في كتابه الكريم، وأعدّ لهم نار جهنّم، أُولئك الذين يدعونهم الأنبياء للهداية والسعادة وغفران الله ورضوانه، إلّا أنّهم يجعلون أصابعهم في آذانهم ويستغشون ثيابهم، ويصرّون على مواقفهم الاستكباريّة، وهذا

---

(١) نوح: ٥ ـ ٧.

حال أكثر الناس، كما نشاهد اليوم أكثر الناس في العالم استكبروا عن عبادة الله، وغرّتهم الحياة المادّية، فتركوا الدين واتّبعوا الملاذّ والشهوات، فـضلّوا وأضـلّوا، وقليل من عباد الله الشكور الصبور، المطيع لله وللرسول ولأُولي الأمر، سفن النجاة ومصابيح الدجى وأعلام الورى وحجج الله وأركان الهدى وساسة العباد وأُمـناء الوحي.

٢٢ ـ المذنبون
الأكثريّة أهل المعصية

قال الله تعالى:

﴿ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خساراً ﴾(١).

كثير من الناس من يفرح ويفتخر بكثرة ماله وأولاده ﴿ ألهاكُم التكاثر ﴾، ولا يدري أنّه لولا أداء حقوقهما فإنّهما يكونان عليه وبالاً، ولم يزده إلّا خساراً، فإنّ حبّهما يخرج الإنسان من الدين، ومن طاعة ربّ العالمين، فيعصي الله ورسوله، ويتّبع المال والدنيا الدنيّة والطغاة الجبابرة، وأكثر الناس هكذا، كما يحدّثنا ربّ العباد في قصّة نوح عليه السلام عن لسانه المبارك، فإنّه خلال ألف سنة إلّا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله ليسعدوا في الدارين، إلّا أنّهم يعصونه ويتّبعوا أصحاب الدنيا والثروة وكثرة الأولاد الذي لا يزيدهم إلّا خساراً.

وكذلك أُمّة خاتم النبيّين وسيّد المرسلين وحبيب إله العالمين محمّد صلى الله عليه وآله، فقد عصوه في أهل بيته الأطهار عليهم السلام، فما منهم إلّا مقتول أو مسموم، عصوه في قصّة الغدير وواقعة الطفّ وكربلاء الحزينة، وأمثالها، إلّا قليل من الناس بذلوا النفس والنفيس في إحياء أمرهم، وتخليد ذكرهم، ونشر مذهبهم، وذكر فضائلهم ومناقبهم، ومثالب أعداءهم ومنكري حقوقهم، وهكذا شاء الله سبحانه ديمومة

---

(١) نوح: ٢١.

الصراع بين الحقّ والباطل، ولا تستوحشوا في طريق الحقّ من قـلّة أهـله، فـإنّ الشيطان منذ اليوم الأوّل أقسم بعزّة الله سبحانه ﴿ لاغوينّهم أجمـعينَ إلّا عـبادك منهم المخلصين ﴾، والتأريخ يحدّثنا بالصراع تارةً بين آدم والشيطان وأُخرى هابيل وقابيل، وبين إبراهيم ونمرود وموسى وفرعون وعيسى ويهوذا وخاتم الأنبياء محمّد وأبي جهل وكفّار قريش، وهكذا حتّى عصر الحسين ويزيد، ومن بعدهما كلّ واحد إمّا أن يكون في معسكر الحسين عليه‌السلام راكباً سفينته ويستضيء بمصباحه، وإمّـا أن يكون في معسكر يزيد السفّاك، وقفوهم إنّهم مسؤولون، فـيوم القـيامة لا محـالة تسأل : في أيّ المعسكرين أنت ؟

٢٣ ـ الضالّون
الأكثريّة أهل الضلال

قال الله تعالى:

﴿ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً ولا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلالاً ﴾[1].

على المؤمن الرسالي كما علّمنا أمير المؤمنين علي عليه السلام في نهجه القيّم: «لا تستوحشوا في طريق الهدى من قلّة أهله»، أن لا يستوحش من قلّة عددهم، فإنّ الدين مجموعة قوانين إلهيّة تكليفيّة تقيّد الإنسان في ملاذّه وما تشتهيه نفسه الأمّارة بالسوء، وهذا ما يصعب على الإنسان فإنّه يريد أن يتحرّر من القيود، حتّى قيود الشرع المقدّس، وإن كانت هذه القيود في الحقيقة إنّما تحرّره من عبادة غير الله ليعبد الله وحده، وتجعله إنساناً متحرّراً بتمام معنى الحرّية الصادقة المطابقة لفطرته السليمة، ولكن مع هذا يفرّ من التكاليف والقيود ظنّاً منه بوهم شيطاني ووساوس شيطانيّة من الجنّ والإنس أنّه يصل إلى الحرّية، فيريد أن يتحرّر حتّى من الدين ويقول كفراً وظلماً «الدين أفيون الشعوب»، فأكثر الناس في ضلال عن الحقّ والحقيقة، فيتّبعون أهواءهم وأصحاب الدنيا، ليشبعوا غرائزهم الحيوانيّة، فهم كالأنعام بل أضلّ سبيلاً. فيفقد مقام الإنسانية، ويكون حيواناً أو كآلة صمّاء في عجلة دوّارة، لا يفهم من الحياة شيئاً ويعيش على هامش الحياة، وقد كان المفروض منه أن يعيش في متنها وواقعها، لأنّ الله خلق الأشياء كلّها من أجله،

---

(١) نوح: ٢٤.

وخلقه من أجله، كما في الحديث القدسي، قال الله سبحانه في شأن الإنسان: «خلقت الأشياء من أجلك، وخلقتك من أجلي»، فجاء الإنسان ليكون خليفة الله في أرضه في أسمائه الحسنى وصفاته العليا، في أحسن تقويم، إلّا أنّه باختياره طريق الشرّ وسبيل النار صار في أسفل السافلين، فأكثر الناس في ضلال مبين، فلا تستوحش في طريق الحقّ من قلّة أهله.

عليك أن تكون في الفرقة الناجية، وإنّما تسئل يوم القيامة: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾ عن ذلك، ولا يعذر المرء بتقليد الآباء ووعّاظ السلاطين.

عليك أن تركب سفينة النجاة المتمثّلة بمذهب الإمام الحسين عليه السلام، بمذهب أهل البيت عليهم السلام:

﴿ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلّا ضَلالاً ﴾.

٢٤ ـ أهل السوء
الأكثريّة قوم سوء

قال الله تعالى :

﴿ وَنَصَرْناهُ مِنَ القَوْمِ الَّذينَ كَذَّبوا بِآياتِنا إِنَّهُمْ كانوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْـرَقْناهُمْ أَجْمَعينَ ﴾[1].

عندما نرجع إلى قصّة نوح عليه السلام نرى مجموعة قـليلة جـدّاً ركـبت سـفينته المباركة، وأمّا أكثر الناس فقد أغرقهم الله سبحانه، لأنّهم كانوا يكذّبون بآيات الله وينكرونها ويعادونها، إنّهم عملوا السوء والفحشاء حتّى اسودّت قلوبهم وقُفلت أبوابها، فلا تدخل الرحمة الإلهيّة فيها، ولم ينفعهم نصح الناصحين ووعظ الواعظين، فكلّما يدعوهم صلحاؤهم كالأنبياء والأوصياء والعلماء الصلحاء الذين هم ورثة الأنبياء، إلى الهداية والتقوى فإنّهم يكذّبونه ويحاربونه ويفترون عليه بـافتراءات يهتزّ منها عرش الله جلّ جلاله، إلّا أنّ الله وعد رسله بالغلبة ﴿ كَتَبَ اللهُ لأَغْلِبَنَّ أَنا وَرُسُـلي ﴾[2] وينصر المؤمنين ويؤازرهم بتأييداته وألطافه الخفيّة والجليّة، ويجعل اللعنة على القوم الظالمين قوم سوء، فيغرقهم أجمعين.

فإذا أردت أن تكون من أهل الحقّ والهداية والعمل الصـالح، وتـنجو مـن السوء ومن تبعاته، ومن الغرق والعذاب الإلهي، فعليك أن تركب سفينة النجاة التي

---

(١) الأنبياء : ٧٧

(٢) المجادلة : ٢١

أيّدها الله على طول التأريخ وعلى مدى العصور، ألا وهي سفينة الحسين عليه السلام، فما أكثر الطغاة والجبابرة من بعد ثورته الخالدة أرادوا أن يطفؤوا نور الله، فحاربوا قضيّة سيّد الشهداء وقصّة كربلاء وواقعة الطفّ الأليمة، إلّا أنّ الله متمّ نوره ولو كره الكافرون، ففي كلّ عام تزدهر سفينة الحسين عليه السلام المتمثّلة بالشعائر الحسينيّة بأروع وأجمل وأعمق ازدهار، وينتشر مذهب أهل البيت عليهم السلام من خلال إحياء الشعائر والمآتم الحسينيّة بكلّ مظاهرها القديمة والجديدة، فمن أراد النجاة والاستضواء بالمصباح والسراج، فإنّ الحسين عليه السلام مصباح الهداية وسفينة النجاة.

٢٥ ـ الفارّون من الحقّ

قال الله تعالى:

﴿ قالَ رَبِّ إنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهاراً * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعائي إلاّ فِراراً ﴾[1].

مسؤوليّة المبلّغ الرسالي الذي يرث الأنبياء عليهم السلام «العلماء ورثة الأنبياء» في مقاماتهم ومسؤولياتهم التوجيهيّة والدينيّة أن يبلّغ رسالات الله ليل نهار ولألف عام كما فعل نوح عليه السلام، فيدعو إلى الله ولا يتنفّر ولا يتهاون ولا يتكاسل، وإن كان أكثر الناس لا يستجيبون له، ويفرّون من دعوته، فإنّ ذلك بعين الله عزّ وجلّ، وإنّما يعمل بوظيفته الشرعيّة، من الهداية والتبليغ، ويجعل في حسبانه أنّ أكثر الناس لم يزدهم دعوته إلّا فراراً، وهذا يعني عظم مسؤوليّة الدعاة إلى الله، وإنّهم يدعون أقوامهم وشعوبهم ليلاً ونهاراً، ولا يكتفون بالمحاضرات والمنابر وساعات خاصّة، فهذا لا يكفي في إصلاح الأمّة وسوق المجتمع الإسلامي إلى شاطئ السلام والسعادة وخلاصهم من طوفان العقائد المنحرفة والثقافات المزيّفة، والعلوم المهلكة، يركبونهم سفينة النجاة المتجسّدة بسيّد الشهداء عليه السلام وثورته الجبّارة الخالدة بخلود الزمان والمكان، ومعطياتها الإسلاميّة، وتؤتي أُكلها كلّ حين، بثورات إصلاحيّة ضدّ الظلم والجور والجبابرة والطغاة، وضدّ مظاهر الفسق والفجور ومعالم الفواحش والمنكرات.

---

(١) نوح: ٥ ـ ٦.

٢٦ ـ المجادلون بالباطل

قال الله تعالى:

﴿ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسولِهِمْ لِيَأْخُذوهُ وَجادَلوا بِالباطِلِ لِيَدْحَضوا بِهِ الحَقَّ ﴾[1].

من مواصفات الأكثريّة من أهل الضلال أنّهم يجادلون بالباطل من غير علم ليدحضوا به الحقّ، فيحاربون أئمة الهدى والإصلاح من الأنبياء والأوصياء والعلماء الصلحاء من ورثتهم، فهؤلاء الأكثريّة بعد الرسول المختار انقلبوا على أعقابهم، وتركوا الحقّ المتمثّل بأمير المؤمنين عليّ عليه السلام بما ثبت عند الفريقين بسند صحيح في الحديث النبويّ الشريف «عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ»، ولا محالة كما يتمثّل الحقّ بأهله كأمير المؤمنين والأئمة من بعده، كذلك يتمثّل الباطل ويتجسّد بأشخاص، ويكونوا مصاديق بارزة للباطل، فالأكثريّة يلوذون بهم ويتبعونهم للسنخيّة بينهم ـ والجنس مع الجنس يميل، والسنخيّة علّة الانضمام ـ ويحاولوا أن يجعلوا هؤلاء أهل الباطل أمام الحقّ وأهله ليدحضونهم ويغلبونهم، ولو إلى حين، فيهمّوا برسولهم ليأخذوه، ويقولوا: «إنّ الرجل ليهجر»، ويجادلوا بالباطل وأهله ليدحضوا به الحقّ.

وعلينا أن نعرف ذلك بوضوح، ونركب سفينة النجاة في مثل هذا الطوفان الغاشي، ولا نكون مع الأكثريّة، بأنّه كيف يكونوا على الباطل، فإنّ الله أخبر عن حالهم في الأُمم السالفة ويجري علينا ما جرى عليهم، ويضرب الله في كتابه الكريم الأمثالَ للناس لعلّهم يعقلون، ويحذّرهم من نفسه ومن عقابه: ﴿ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كانَ عِقابِ ﴾ عقاب الله في غرقهم وفنائهم وتعذيبهم في الدنيا والآخرة.

---

(١) غافر: ٥.

٢٧ ـ الهالكون المعتدون
هلاك الأكثريّة واعتدائهم على الأقلّية

قال الله تعالى :

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نوحٍ المُرْسَلينَ * إذْ قالَ لَهُمْ أخوهُمْ نوحٌ ألا تَتَّقونَ * إنّي لَكُمْ رَسولٌ أمينٌ * فَاتَّقوا اللهَ وَأطيعونِ * وَما أسْألُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أجْرٍ إنْ أجْرِيَ إلّا عَلىٰ رَبِّ العالَمينَ * فَاتَّقوا اللهَ وَأطيعونِ * قالوا أنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأرْذَلونَ * قالَ وَما عِلْمي بِما كانوا يَعْمَلونَ * إنْ حِسابُهُمْ إلّا عَلىٰ رَبّي لَوْ تَشْعُرونَ * وَما أنا بِطارِدِ المُؤْمِنينَ * إنْ أنا إلّا نَذيرٌ مُبينٌ * قالوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يا نوحُ لَتَكونَنَّ مِنَ المَرْجومينَ * قالَ رَبِّ إنَّ قَوْمي كَذَّبونِ * فَافْتَحْ بَيْني وَبَيْنَهُمْ فَتْحاً وَنَجِّني وَمَنْ مَعيَ مِنَ المُؤْمِنينَ * فَأنْجَيْناهُ وَمَنْ مَعَهُ في الفُلْكِ المَشْحونِ * ثُمَّ أغْرَقْنا بَعْدُ الباقينَ * إنَّ في ذٰلِكَ لآيَةً وَما كانَ أكْثَرُهُمْ مُؤْمِنينَ ﴾[١].

لا تعجب إذا قيل : إنّ أكثر الناس يوم القيامة من الهالكين، فربما يتبادر إلى الذهن إذاً لماذا خلقهم الله ؟ هل للهلاك والعذاب وهو الرحمن الرحيم الذي سبقت رحمته غضبه، ولا يؤاخذ العباد بما كسبوا رأساً، بل يمهلهم عسى أن يتوبوا، وإنّه يغفر الذنوب جميعاً إلّا ما أُشرك به، فهل مثل هذا الربّ الودود الرحيم الشفيق يهلك أكثر خلقه ؟ !

أقول : اقتضت حكمة الباري جلّ جلاله أن يخلق الإنسان، ويعلّمه البيان،

---

(١) الشعراء : ١٠٥ ـ ١٢١.

ويهديه النجدين، نجد الخير ونجد الشرّ، وجعل فيه الاختيار تكويناً وتشريعاً، ثمّ أرسل الرسل، وأنزل الكتب، لطفاً بالعباد، كما خلق فيهم النفس الأمّارة بالسوء التي تحبّ الملاذّ والشهوات، وألهمها فجورها وتقواها، ويعدّ هذا الإلهام هو المعجون الأوّل للأخلاق، وهو من اللطف الإلهي، بمعنى ما يقرب العبد إلى الطاعة ويبعّده عن المعصية، والإنسان هو الذي يختار، فقد أفلح من زكّاها وقد خاب من دسّاها، وكأنّي بهذه الدنيا كالبستان وبربّ العالمين صاحبه وفلّاحه:

﴿ أَأَنتُمْ تَزْرَعونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعونَ ﴾[1].

والفلّاح يسقي كلّ البستان، إلّا أنّه هناك حشائش في الأرض، تشرب الماء وتنبت في الأرض، إلّا أنّها لا فائدة فيها، وربما تؤذي الأشجار والأوراد والزهور، فيقطعها الفلّاح، كما أنّ هناك أشجار لا تثمر، إنّما ينتفع من خشبها حطباً، وهناك أشجار مثمرة، إلّا أنّها مختلفة الثمار والعطاء، فالكلّ تسقى من الماء، إلّا أنّ مقصود الفلّاح هو الأشجار المثمرة والنخيل الباسقة والورود الزاهية، وكذلك ربّ العالمين برحمته الرحمانيّة يرزق العباد، ويسقيهم من فضله وكرمه، فيهديهم بإرسال رسله وكتبه، إلّا أنّ أكثر الناس باختيارهم يكونوا حشيش الحياة، والخضار الذي يُقطع ويُداس، ويكون حشائش للدوابّ والأنعام.

وأمّا قوم نوح عليه السلام، فأكثرهم استحوذ عليهم الشيطان، واتّبعوا خطواته، طلباً للراحة ولإشباع الغرائز، واستجابةً لأنفسهم الأمّارة بالسوء، فكذّبوا نوح والمرسلين، وكان يدعوهم إلى التقوى والصراط المستقيم، وإنّه من الناصحين، لا يخونهم في دعوتهم، فهو الرسول الأمين، إلّا أنّ قومه كذّبوه، وحجّتهم أنّه اتّبعك

---

(١) الواقعة: ٦٤.

الضعفاء والأرذلون منّا، يعني الفقراء والذي لا يحسب لهم حساب في نظر الأغنياء ومنطق أصحاب الثروة ومتملّقيهم، وعاقبة الأمر ـ وهذا من سنن الله في الماضين والباقين ـ ابتلاهم بالطوفان الجبّار، فنجّى الله نوحاً عليه السلام ومن ركب سفينته من المؤمنين القلائل، الذين كان يعتدى عليهم من قبل الأكثريّة، ثمّ أغرق الباقين، وهذه آية من آيات الله، فما كان أكثرهم بمؤمنين.

فلا بدّ أن نأخذ الدروس والعبر من هذه القصص الإلهيّة، إنّ في ذلك لعبرةً للموقنين، فنحذر الأكثريّة، ولا ننجرف مع التيّار، ويستولي علينا الطوفان، بل نركب سفينة النجاة، فنتّبع مذهب الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته الأئمة الأطهار عليهم السلام، ولمثل هذا يضرب الله في كتابه الأمثال، ويحكي لنا القصص والآثار.

٢٨ ـ المعذّبون
من لم يركب السفينة فإنّه يُعذّب يوم القيامة

قال الله تعالى:

﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِروا مِنْهُ قالَ إنْ تَسْخَروا مِنَّا فَإنَّا نَسْخَرُ مِنْكُم كَمَا تَسْخَرونَ * فَسَوْفَ تَعْلَمونَ مَنْ يَأتيهِ عَذابٌ يُخْزيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذابٌ مُقيمٌ ﴾[1].

من علامة شقاء الإنسان دخوله النار ـ والعياذ بالله ـ لقوله تعالى:

﴿ وَأَمَّا الَّذينَ شُقوا فَفي النَّارِ لَهُمْ فيها زَفيرٌ وَشَهيقٌ ﴾[2].

فأكثر قوم نوح عليه السلام غلبت عليهم شقوتهم فكذّبوا نبيّهم، وكان عند صنع سفينته، يمرّ عليه زرافات وملأ من قومه، فيسخرون من فعله، ويستهزؤون به، وكان نبيّ الله عليه السلام يجيبهم بالمثل، وأنّه سيأتي يوم يسخر منهم، وذلك عند الطوفان، وفي يوم القيامة، وكان يحذّرهم بعذاب الله الدائم المقيم.

وهذا الأمر يجري أيضاً في أُمّة النبيّ الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله، فكم حذّر أُمّته وأنذرهم من عذاب الله الأليم، لمن ترك ركوب سفينة النجاة من آله الأطهار عليهم السلام.

فمن لم يركب سفينة آل محمّد عليهم السلام، فله خزي في الدنيا وفي الآخرة عذاب مقيم، وبئس المصير، فإنّه أتته نذر الله ومواعظه وآياته وبراهينه، إلّا أنّه تعصّباً

---

(١) هود: ٣٨ ـ ٣٩.

(٢) هود: ١٠٦.

وتقليداً للآباء وجهلاً وعدواناً تعّدوا حدود الله، وتركوا سفن النجاة وتشبّثوا بفلان وفلان، ومن يترك ولاية الرحمن، فإنّه لا محالة يدخل في ولاية الشيطان، وأذنابه وإخوانه من الإنس والجان، وهذا ما يدلّ عليه الوجدان والبرهان.

٢٩ ـ المؤمنون
قلّة المؤمنين

قال الله تعالى :

﴿ حَتَّىٰ إِذا جاءَ أَمْرُنا وَفارَ التَّنُّورُ قُلْنا احْمِلْ فيها مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَما آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَليلٌ ﴾[١].

لا تعجب لو قلنا : إنّ من زوجات الأنبياء من كانت من الغابرين المغضوب عليهم، فمن الأنبياء الماضين قبل خاتم النبيّين عليه وعليهم السلام، كان من الزوجات ممّن استحقّت العذاب الإلهي، فهذه امرأة نوح وتلك امرأة لوط سبق عليها القول بالعذاب والهلاك وكانتا مع الأكثريّة في الغرق واللعن، وأمّا نوح وكذلك الأنبياء وحتّى خاتم النبيّين محمّد ﷺ فما آمن معه حقّاً وصدقاً وكاملاً، إلّا القليل ممّن وفى لرعاية الحقّ فيهم، فقد افترقت أُمّته ـ كما أخبر بذلك ـ إلى ثلاث وسبعين فرقة، واحدة ناجية يوم القيامة، والباقي من الهالكين، وهذا لا يتنافى مع الوحدة الإسلاميّة، فإنّا كلّنا في هذه الدنيا وبساتينها بحكم الأشجار وما فيها، والماء إنّما يسقي الجميع، إلّا أنّ النجاة لمن ركب سفينتها، وعلى كلّ واحد أن يعرف ذلك ويبحث عن نجاته، وعمّا يُسئل عنه يوم القيامة : ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئولونَ ﴾، فإنّ الله يسألنا عن شيء، فلا بدّ أن نبحث عن ذلك، ونعدّ له الجواب، حتّى لا يخسر الإنسان دنياه وآخرته.

---

(١) هود : ٤٠.

٣٠ ـ القلب السليم

قال الله تعالى :

﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[(١)].

في ظاهر تفسير الآية الشريفة، إنّ من شيعة نوح عليه السلام إبراهيم الخليل عليه السلام الذي امتاز بالقلب السليم، ذلك القلب الذي ليس فيه سوى الله سبحانه، فمن كان من شيعة نوح عليه السلام، ومن ركب سفينته، فإنّه يحمل مثل هذا القلب السليم، وهذا يعني أنّ من يركب سفينة النجاة، فإنّه يمتاز بالقلب السليم، إلّا أنّه من الشيعة من كان يحمل هذا القلب في الدنيا، ومنهم من يحمله في الآخرة بعد تطهيره في الاحتضار أو القبر وعالم البرزخ، ومنهم من يكتب على أكفانه :

وفدت على الكريم بغير زادٍ ... من الحسنات والقلب السليمِ

فحمل الزاد أقبح كلّ شيءٍ ... إذا كان الوفود على الكريمِ

فالعمدة سلامة القلب من الشكوك والجهل، والذنوب والمعاصي، وحبّ الدنيا، وكلّ ما لا يرضاه الله سبحانه، وهذا يعني تخلية القلب من الأغيار، ثمّ تحليته بالحبّ الإلهي والعبادات والذكر الجلي والخفي، وبالفضائل ومحاسن الأخلاق ومكارمها، ثمّ تجليتها بالانقطاع إلى الله سبحانه والفناء في أسمائه الحسنى وصفاته العليا، وهذا إنّما يتمّ لو استضاء بمصابيح الهداية بمحمّد المصطفى صلى الله عليه وآله وبآله المعصومين، ومن أكثر هذه المصابيح النبويّة والعلويّة نوراً وتجلّياً وسعةً الإمام

---

(١) الصافّات : ٨٣ ـ ٨٤.

الحسين عليه‌السلام ، فإنّه من النبيّ والنبيّ منه، فهو مصباح الهدى للمؤمنين المتّقين، وأمّا العصاة المذنبين فعليهم بركوب سفن النجاة آل محمّد عليهم‌السلام ، إلّا أنّ سفينة الحسين عليه‌السلام أوسع شمولاً وحيطة، وأسرع سيراً ووصلاً، فينجو بها حتّى شارب الخمور وتارك الصلاة، فإنّه في العاقبة يتوب إلى الله، ويحسن حاله وتصلح سريرته، ويتصبّغ بصبغة الله جلّ جلاله، ويمرّ عليه نسيم القلب السليم، فيتعافى ويفوز بالسعادة، بدخول الجنّة بسلام آمنين وبقلبٍ سليم.

٣١ ـ الصبر والتقوى

قال الله تعالى :

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْباءِ الغَيْبِ نوحيها إِلَيْكَ ما كُنْتَ تَعْلَمُها أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هٰذا فَاصْبِرْ إِنَّ العاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1].

بعد أن حكى الله سبحانه قصّة نبيّه نوح عليه السلام لخاتم الأنبياء وأشرف خلق الله محمّد صلى الله عليه وآله ، يشير عليه أنّ هذا الوحي إنّما هو من عنده، وأنّ النبيّ كان أُمّيّاً لا يعلمها هو ولا قومه من قبل هذا، ثمّ نتيجة القصّة والعبرة فيها : أنّ نوح صبر في مقام تبليغ الرسالة وإن كان يدعوهم ليلاً ونهاراً ولم يستجيبوا له إلّا القليل، فإنّ أكثرهم كانوا من الكاذبين الفاسقين، لأنّهم لا تقوى لهم، إلّا أنّ عاقبة الأمر أنّ الغلبة تكون مع المرسلين ﴿ لأَغْلِبَنَّ أنا وَرُسُلي ﴾ وتكون حسن العاقبة للمتّقين كما كان لأصحاب نوح المؤمنين، فاصبر يا رسول الله فإنّ العاقبة لأهل بيتك وأصحابك المتّقين، وهم قلّة من المسلمين، وشعارهم في الحياة الدنيا الصبر والتقوى وانتظار الفرج وحسن العاقبة، فيتواصون بالحقّ بأمير المؤمنين علي عليه السلام ويتواصون بالصبر على الولاية وتحمّل الأذى من أجلها.

---

(١) هود : ٤٩.

٣٢ ـ السلامة والبركة

قال الله تعالى:

﴿ قيلَ يا نوحُ اْهبِطْ بِسلامٍ مِنّا وَبَرَكاتٍ عَلَيْكَ وَعَلىٰ أُمِمٍ مِمَّنْ مَعَكَ ﴾[1].

﴿ سلامٌ عَلىٰ نوحٍ في العالَمينَ * إنَّا كَذٰلِكَ نَجْزي المُحْسِنينَ * إنَّهُ مِنْ عِبادِنا المُؤْمِنينَ * ثُمَّ أغْرَقْنا الآخَرينَ ﴾[2].

من أسماء الله الحسنى السلام، فهو السلام ومنه السلام وإليه السلام، ومن سلامه التسليم بسلامه على رسله وأنبيائه، فسلام الله على آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد وكلّ الأنبياء والمرسلين أبداً بعدد علم الله سبحانه.

كما إنّ من أسماء الله المبارك، والبركة تعني الخير المستقرّ والمستمرّ، فينادي الله عبده نوح بعد أن نجّاه وقومه القليل وأهلك الكثير أن ﴿ يا نوحُ اْهْبِطْ بِسلامٍ مِنّا وَبَرَكاتٍ عَلَيْكَ وَعَلىٰ أُمِمٍ مِمَّنْ مَعَكَ ﴾، فهؤلاء تشملهم الرحمة الرحيميّة، فإنّهم من المحسنين، فعليهم سلام الله وبركاته في العالمين، جيلاً بعد جيل، وهذا جزاء الله لمن كان محسناً ومؤمناً، وأمّا غيره فأغرقنا الآخرين.

وهذا جارٍ في أُمّة خاتم النبيّين وسيّد المرسلين محمّد ﷺ، ممّن ركب سفينته سفينة أمير المؤمنين وأهل بيته الطاهرين، لا سيّما سفينة الحسين عليه السلام، فإنّه من المحسنين والمؤمنين، فعليه سلام الله وبركاته أبد الآبدين، وأمّا أعداؤهم، وغاصبي حقوقهم، ومنكري فضائلهم فهم من الهالكين وأغرقنا الآخرين.

---

(١) هود: ٤٨.

(٢) الصافّات: ٧٩ ـ ٨٢.

٣٣ ـ النجاة من الكروب

قال الله تعالى:

﴿ وَنوحاً إذْ نادىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنا لَهُ فَنَجَّيْناهُ وَأهْلَهُ مِنَ الكَرْبِ العَظيمِ ﴾[1].

﴿ وَلَقَدْ نادانا نوحٌ فَلَنِعْمَ المُجيبونَ * وَنَجَّيْناهُ وَأهْلَهُ مِنَ الكَرْبِ العَظيمِ ﴾[2].

من نِعَمِ الله على عبده المؤمن أن يستجيب دعاءه، ويتقبّل أعماله، ويكشف السوء عنه، وينجّيه وأهله من الكرب العظيم.

وقد فعل ذلك بالأنبياء عليهم السلام كما في قصّة نوح عليه السلام، وهذا من لوازم ركوب سفينة النجاة.

وما كان في الأُمم الماضية فكذلك في أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله، فمن يركب سفينته المباركة، فإنّه يُزال عنه الكروب، وتُقضى له الحاجات.

والذي يلاحظ في نوح ومن قبله أنّه كان ينادي الله ويناجيه ويدعوه، ونعم المجيب ربّ العالمين، فكذلك من يركب سفينة النجاة الحسينيّة، فإنّه من أخلاقه ومواصفاته أنّه دعّاء، وأنّه كثير المناجاة، فإنّه يعلم لا يعبأ به لولا دعاءه، وأنّ إمامه عليه السلام وربّان سفينته سيّد الشهداء في آخر لحظة من حياته على الرمضاء، مضرّج بالدماء يناجي ربّه (رضاً بقضائك وتسليماً لأمرك) وإنّه طلب من قوم

---

(١) الأنبياء: ٧٦.

(٢) الصافّات: ٧٥ ـ ٧٦.

يزيد بني أُميّة وأتباعهم ليلة عاشوراء أن يمهلوهم هذه الليلة ليعبدوا ربّهم، فكان له ولأصحابه دويّ كدويّ النحل بين قائمٍ مصلٍّ وتالٍ للقرآن وباكٍ يدعو ربّه.

وهكذا شيعة الإمام عليه السلام، فإنّهم صفر الوجوه من الدعاء، عمش العيون من البكاء، خمص البطون من الجوع، رهبان في الليل وأُسدٌ في النهار، لا تأخذهم في الله لومة لائم.

٣٤ ـ البقاء والخلود

قال الله تعالى:

﴿ وَجَعَلْنا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الباقينَ ﴾[١].

لقد أودع الله في الإنسان أحاسيس وعواطف وغرائز، وقد عدّها علماء النفس إلى أربعة عشر غريزة[٢].

منها: غريزة حبّ البقاء، فكلّ واحد من الناس بطبيعته وفطرته يحبّ البقاء والخلود، ولكن شاء الله سبحانه حفظاً للنظام أن يجعل الفناء والموت في خلقه، ولكن جعل طرقاً لإشباع هذه الغريزة وتعديلها وتحسينها.

فورد في الحديث الشريف: إذا مات المرء انقطع عمله إلّا من ثلاث: ولدٌ صالح يستغفر له، وصدقةٌ جارية، وعلمٌ ينتفع به الناس.

وبهذا ينصلح الفرد والمجتمع، فيفكّر دائماً لحسن ذكره وبقائه بأُحدوثة جميلة ولسان صدقٍ في الآخرين، أن يربّي ولداً صالحاً، كما يؤسّس مشاريع خيرية وصدقات جارية، كما يخلّف علماً نافعاً من مدارس ومؤلفات ومكتبات وطلّاب وما شابه ذلك، ليبقى اسمه يذكر بجميل وطيبٍ ولسان صدق، ويبقى في القلوب وفي ضمير الأُمّة حيّاً، كالشهداء في سبيل الله فإنّهم أحياء عند ربّهم يرزقون، كما هم أحياء في وعي الأُمّة، لما قدّموا من تضحيات ومن دمائهم الطاهرة من أجل حياتها

---

(١) الصافّات: ٧٧.

(٢) لقد تحدّثت عن هذا الموضوع بالتفصيل في (الإسلام وعلم النفس)، فراجع.

وسعادتها وسلامتها.

فالإنسان يحبّ البقاء وأن يخلّد في الحياة، والله سبحانه أعطى هذه الأُمنية لنبيّه نوح، فجعل ذرّيته هم الباقين.

وكذلك الرسول الأعظم ﷺ، فإنّه بإرادة الله وحفظه بقي مخلّداً، بقي بدينه ومبدئه وأخلاقه وذرّيته من الأئمة الأطهار عليهم السلام أبديّاً، بقي بولده وسبطه الحسين بن عليّ عليه السلام، وبقي الإسلام العظيم بثورة الإمام الحسين الخالدة، ترفرف راياته عالية خفّاقة في ربوع الأرض، فإنّ الإسلام محمّدي الحدوث وحسيني البقاء.

يقول الآية العظمى الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء عليه الرحمة:

«لولا شهادة أبي عبد الله صلوات الله عليه لكانت الشريعة أُمويّة، ولعادت الملّة الحنيفيّة يزيديّة، فحقّاً أقول: إنّ الإسلام علويّ والتشيّع حسينيّ»[1].

والعجيب من قصّة عاشوراء وقضيّة سيّد الشهداء عليه السلام والشعائر الحسينيّة، أنّه كلّ من أقامها وذاب فيها وأحياها بليله ونهاره، فإنّه يخلّد في التأريخ، وتبقى صورته في القلوب وعلى جدران الحسينيات، ويذكر دوماً بالذكر الجميل والأُحدوثة الطيّبة، كلّ ذلك ببركة سيّد الشهداء عليه السلام، كما نشاهد هذا الخلود لكلّ من كان في خدمة الإمام الحسين عليه السلام في المواكب والهيئات الحسينيّة، وهذا من بركات سفينة الحسين عليه السلام، وأعتقد أنّ هذه الشعائر بمظاهرها القديمة التي وصلتنا من السلف الصالح، وكذلك الجديدة التي تحمل لغة العصر، كلّها تعدّ ألواحاً لتلك السفينة الحسينيّة، فمن أقامها فكأنّما يجدّد تلك الألواح ويحكم مساميرها.

---

(١) الآيات البيّنات: ٢٠.

فسلام الله عليك يا مولاي وسيّدي يا أبا عبد الله، يا زينة عرش الله، ومهوى أفئدة الأنبياء، وحبيب رسول الله، وعبرة كلّ مؤمن ومؤمنة، أنت ابن أمير الأوصياء وعزيز الزهراء، وقلب الأئمة الأطهار عليهم السلام، أنت المخلّد في الوجود وفي التأريخ والقلوب، وكلّ من لاذ بك وهتف باسمك وخدم عاشوراءك، فإنّه يخلّد بخلودك.

٣٥ ـ بداية الركوب والحركة والسير باسم الله

قال الله تعالى:

﴿ وَقالَ ٱرْكَبوا فيها بِسْمِ اللهَ مَجْراها وَمَرْساها إنَّ رَبِّي لَغَفورٌ رَحيمٌ ﴾[1].

لقد أدّبنا الله في كتابه الكريم بآدابه السامية، فأحسن تأديبنا، فعلّمنا من خلال قصص الأنبياء ووقائعهم وما جرى عليهم مع أُممهم، كيف نعيش بأخلاق حميدة وآداب حسنة، فمن الأدب الإلهي والإسلامي أن يكون بدء العمل وختمه باسم الله وحمده، فإنّه من الراجح أن يبدأ الإنسان قبل أيّ عمل بالبسملة، وأنّ الفعل الذي لم يبدأ به بالبسملة، فإنّه أبتر مقطوع البركة من الخير المستمرّ والمستقرّ، وهذا نوح عليه السلام يركب أصحابه الفلك ـ أي السفينة ـ مخاطباً ﴿ ٱرْكَبوا فيها بِسْمِ اللهَ مَجْراها وَمَرْساها ﴾، ففي كلّ حال لا بدّ أن يكون العمل باسم الله في الحركة والسكون، في الصعود والهبوط، في الضرّاء والرخاء، في الليل والنهار، في الحضر والسفر، فرداً أو في المجتمع، في السرّ والعلن.

وما كان عليه اسم الله فإنّه يحلّ ويحيى، ولا يكون من الميتة التي لا روح فيها، بل يعيش روحانيّة العمل وحياته الخالدة.

وما كان اسم الله عليه فإنّه يخلّد بخلود أسماء الله وصفاته.

وما كان عليه اسم الله فإنّه يبارك فيه من الخيرات الدائمة والثابتة.

وما كان اسم الله عليه فإنّه يخلص من الشوائب ومن الجهل فيصعد إلى الله،

---

(١) هود: ٤١.

فإنّه يصعد إليه الكلم الطيّب أي الخالص.

وما كان اسم الله عليه، يعني كان عليه صبغة الله ورسوله وأُولي الأمر الأئمّة الهداة.

وما كان كذلك فهو من الحلال الطيّب المبارك، ومن ثمّ فلا يصدر من الطيّب إلّا الطيّب، وأمّا ما خبث فيخرج منه نكداً.

ولمثل هذا لا بدّ أن نركب سفينة الإمام الحسين عليه السلام باسم الله مجراها ومرساها، وإنّ الله لغفورٌ رحيم.

٣٦ ـ العمى لمن تخلّف وكذّب

﴿ لَقَدْ أرْسَلْنا نوحاً إلىٰ قَوْمِهِ فَقالَ يا قَوْمِ اَعْبُدوا اللهَ ما لَكُمْ مِنْ إلـٰهٍ غَيْره إنِّي أخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ عَظيمٍ * قالَ المَلأُ مِنْ قَوْمِهِ إنّا لَنَراكَ في ضَلالٍ مُبينٍ * قالَ يا قَوْمِ لَيْسَ بي ضَلالَةٌ وَلـٰكِنّي رَسولٌ مِنْ رَبِّ العالَمينَ * ... فَكَذَّبوهُ فَأنْجَيْناهُ وَالَّذينَ مَعَهُ في الفُلْكِ وَأغْرَقْنا الَّذينَ كَذَّبوا بِآياتِنا إنَّهُمْ كانوا قَوْماً عَمينَ ﴾[1].

حقّاً ما نتلوه في كتاب الله الكريم في محكم آياته ومبرم خطابه، وما أروع الدروس القرآنيّة لا سيّما في قصص الأنبياء والمرسلين وفي الأمثال والحِكم، فإنّها تحكي ما جرى على الأُمم السالفة، ببلاغة لا مثيل لها، وفصاحة لا نظير لها، إلّا أنّها تعطيك الحياة من جديد، وتنير الدرب لمن أراد أن يعيش بنور، ويموت بنور، ويفوز بسعادة الدارين.

فهذه قصّة النبيّ نوح عليه السلام، فما أكثر الدروس والعبر فيها، وما أكثر ما فيها من المعالم النورانيّة التي يشعّ منها أنوار الهداية والمعرفة والعيش الرغيد. فإنّ الله يحكي رسالته وما جرى عليه من دعوة قومه وعدم استجابتهم، فإنّه أرسله بلطف منه إلى قومه، ليدعوهم إلى الحقّ، إلى الحياة الطيّبة، يدعوهم إلى عبادة الله سبحانه الذي لا شريك له ولا إله غيره، والقائد الناصح من مواصفاته أنّه يحزن لأُمّته ويحبّ هدايتهم، ويخاف عليهم عذاب يوم عظيم، إلّا أنّ أصحاب الثروة والجاه، ومن غرّته الدنيا الدنيّة وزخرفها وزبرجها، واستحوذ عليه الشيطان، يحارب الدعاة

---

(١) الأعراف: ٥٩ ـ ٦٤.

المصلحين، والعجيب يرى أنّه على هداية وحقّ واضح، أمّا النبيّ والرسول ومن يحذو حذوهم من ورثتهم العلماء الصلحاء في ضلال مبين، إلّا أنّ الرسل يقولون لأقوامهم: ما بنا ضلالة، لكنّا رسول من ربّ العالمين، أمّا أكثر الناس يكذّبونهم كما كان ذلك بين نوح وقومه، وما على الله سبحانه إلّا أن ينجّي عبده والذين معه وإن كانوا قلائل، فنوح عليه السلام نجّاه الله بالسفينة، وأغرق الذين كذّبوا بآياته، إنّهم كانوا قوماً عمين لا يرون الحقّ، ومن كان في هذه الدنيا أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً.

وهذا المعنى جارٍ في كلّ الأمم ـ كلّها فإنّه من سنن الله التي لا تجد لسنّة الله تبديلاً ـ وحتّى أُمّة خاتم الأنبياء والمرسلين محمّد صلى الله عليه وآله، فمن يكذّبه فيما جاء به من الأحكام والولاية والوصاية والخلافة، وأنّه خلّف من بعده الكتاب والعترة الطاهرة والأئمة المعصومين عليهم السلام ولم يركب سفنهم والسفينة الحسينيّة، فإنّه أعمى القلب، ولا تعمى الأبصار، إنّما تعمى القلوب التي في الصدور، فإنّ الله يغرقهم ويعذّبهم بعذابٍ شديد، ومأواهم جهنّم وبئس المأوى والمصير.

﴿ وَمن كانَ في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً ﴾[1].

(١) الإسراء: ٧٢.

٣٧ ـ تعدّد الأحزاب

قال الله تعالى:

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نوحٍ وَالأحْزابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسولِهِمْ لِيَأخُذوهُ وَجادَلوا بِالباطِلِ لِيَدْحَضوا بِهِ الحَقَّ فَأخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كانَ عِقابِ ﴾[1].

حزب الله حزب واحد، فإنّ الله الواحد الأحد الذي لا ثاني له ولا تركيب فيه، فكلّ من يؤمن به وبما أمر ونهى فإنّه من جماعته، أي من حزب الله، وأمّا غيره سبحانه فأسماء سمّيتموها وأحزاب ابتدعتموها، تأثّراً بمفاتن الغرب وثقافتها المقيتة التي باطنها العذاب والنقمة وظاهرها المكر والخديعة، فهذه الجماعات والفئويات والأحزاب المتعدّدة، ليس بالشيء الجديد، وإن كان إطروحتها بالشكل الهرمي والخيطي والاخطبوطي من الأفكار الدخيلة التي ما أنزل الله بها من سلطان، وإنّها تمزّق الأُمّة وتفرّق بينها ممّا يوجب تسلّط الاستعمار وسيادته (فرّق تسد)، وإنّ الاستكبار العالمي كلّ يوم بأسماء جديدة، ومظاهر جديدة، ومخطّطات جديدة، يفرّق بين الناس، ليستولي على منابعها الحيّة وثرواتها الطبيعيّة وغيرها، وأياديها العاملة وما شابه ذلك، فالأحزاب في عصرنا الراهن مطايا تركبها الشياطين، فهذه الأحزاب بأُطروحتها الجديدة، لها تأريخ قديم يرجع إلى نوح عليه السلام، وإنّهم كذّبوا برسالات الله وأنبيائه الكرام وأوصيائهم عليهم السلام.

وهذا من معالم الأكثريّة، فإنّها يتعدّد عندها التحزّب والصنميّة والفئويّة،

---

(١) غافر: ٥.

ولكنّ الأقلّية إنّما هي يد واحدة، وهي جماعة الله وحزبه، وهم الغالبون حتّى وإن طال الزمان في اضطهادهم ومظلوميّتهم، فإنّ الأرض يرثها عباد الله الصالحون، والعاقبة للمتّقين.

وحزب الله هم الحسينيون الذين ركبوا سفينة النجاة، وتأثّروا بثورة الحسين عليه السلام ومعالمها الإسلاميّة وعياً وعقيدة وسلوكاً وعملاً.

٣٨ ـ راكب السفينة مع الأنبياء عليهم السلام

قال الله تعالى:

﴿ وَنادىٰ نوحٌ ٱبْنَهُ وَكانَ في مَعْزِلٍ يا بُنَيَّ ٱرْكَبْ مَعَنا ﴾[١].

لا إله إلّا الله حصن الله، ومن دخل حصن التوحيد فقد أمن من عذاب الله، وكذلك حصن النبوّة والإمامة، فإنّهما امتداد وخلاصة التوحيد ومظاهره، فولاية النبيّ والوصيّ من ولاية الله جلّ جلاله، وولاية أمير المؤمنين عليّ عليه السلام حصن الله، ومن دخل هذا الحصن وهذه القلعة المباركة، فإنّه داخل في أمان الله وحصنه، وهذا المعنى يجري في مثال السفينة أيضاً، فسفينة التوحيد التي ربّانها النبوّة والإمامة، إنّما هي سفينة النبيّ صلى الله عليه وآله، ومن ثمّ الوصيّ عليه السلام أيضاً، فمن يركب سفينة نوح فهو معه في المكان والزمان، وكذلك معه في المبدأ والعقيدة والسلوك والعمل، فلازم المعيّة هذه الحقائق والأُمور أيضاً، ولهذا من شفقة النبيّ على أهله، وأنّه ينذر أهله وعشيرته، ثمّ أصحابه، أن يدعو وينادي ولده ليركب معه، فينجو بنجاته، إلّا أنّ الولد خالف الوالد، وتابع الأكثريّة التي ضلّت وأضلّت وتاهت في متاهات الجهل والغرور وحبّ الدنيا، وتأسّرت لملاذّها وشهوتها، فغرق مع من غرق، وهلك مع الهالكين.

وقد ورد في الخبر الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «أنا وعليّ أبوا هذه الأُمّة»، فعلى الأُمّة أن تؤدّي حقوق الأبوّة ولا تكون عاقّة للوالدين، بترك إطاعتهما وإيذائهما، وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «فاطمة بضعةٌ منّي من آذاها فقد آذاني»

---

(١) هود: ٤٢.

ـ متّفق عليه عند الفريقين السنّة والشيعة ـ، فمن آذى النبيّ في بنته الزهراء بحرق بيتها، ولطم خدّها، وضرب عضدها، وكسر ضلعها، وإسقاط جنينها، وغصب فدكها، وخلافة بعلها، فمثل هذا وأتباعه والراضين بفعله كيف لم يؤذوا النبيّ ولم يعقّوه، وكيف يكون راكباً سفينة النجاة ؟ وكيف يكون مع النبيّ ومنه ؟ وكيف لا يكون من المغرقين الهالكين ؟ !

ما لكم كيف تحكمون ؟

وهل بعد الحقّ إلّا الضلال ؟

الفصل الثاني عشر

زيارة الإمام الحسين عليه السلام زيارة الله في العرش

لقد وردت نصوص كثيرة عن أهمّية زيارة الرسول الأكرم وأهل بيته الطاهرين وذرّيته الكرام.

وإنّ الزيارة تعني حضور الزائر عند المزور لإعلان الولاء والمحبّة، وكسب الفيض والبركة، وديمومية الإطاعة والاتّباع، والتحلّي بسيرتهم وأخلاقهم، وتحصيل الأجر والثواب، وغير ذلك ممّا يذكر في فلسفة الزيارة وثوابها وفضائلها.

وفي زيارة سيّدنا ومولانا الإمام الحسين سيّد الشهداء عليه السلام وردت روايات كثيرة جدّاً تدلّ على عظمة زيارته المقدّسة وفضلها وبركاتها وآثارها في الدنيا والآخرة[1]، وقد امتاز بعضها بأمر قلّ ما نجده في باقي الزيارات الواردة في حقّ الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، وذلك أنّه من زاره زار الله في عرشه، وهذا من الأمر العظيم، والصعب المستصعب الذي لا يتحمّله إلّا ملك مقرّب أو نبيّ مرسل، أو مؤمن امتحن الله قلبه بالإيمان.

---

(١) راجع بحار الأنوار، المجلّد ٩٨.

فإنّ زيارة الله في العرش يعني تجلّي الله في أسمائه وصفاته، وهذا يعني لمن زار الحسين عليه السلام بشرط أن يكون عارفاً بحقّه ومقامه العظيم، فإنّه يرى تجلّي الله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا في وجود الإمام الحسين عليه السلام وحياته الكريمة، وسيرته المباركة، وحينئذٍ من يرى الحسين فيرى الله سبحانه، فإنّه بوجوده المقدّس عليه السلام أعظم آية تدلّنا على الله سبحانه، واجب الوجود لذاته، المستجمع لجميع صفات الجمال والكمال والجلال.

وقد ورد هذا المعنى في أحاديث أئمّة الحقّ عليهم السلام :

فعن الإمام الصادق عليه السلام أنّ الحواريين سألوا عيسى بن مريم : يا روح الله، من نُعاشر ؟ فقال : من يذكّركم الله رؤيته، ويزيدكم في علمكم منطقه، ويرغّبكم في الآخرة عمله.

والإمام الحسين المصداق الأتمّ لمن يراه يتذكّر ربّه، أي لو كان غافلاً ساهياً فإنّه بحضوره عند الحسين عليه السلام يرى الله سبحانه، وإنّه بحضرته جلّ جلاله، فالحضور بحضرته وحرمه عليه السلام حضور بحضرة الله وعرشه وعلمه عزّ وجلّ، ومن زاره في حرمه وغيره، عارفاً بحقّه ومقامه، كمن زار الله في عرشه، متعزّزاً بقدسه وكرامته.

١ ـ عن الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام قال :

كنّا مع أمير المؤمنين عليه السلام أنا وحارث الأعور قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : يأتي قوم في آخر الزمان يزورون قبر ابني الحسين، فمن زاره فكأنّما زارني، ومن زارني فكأنّما زار الله سبحانه، ألا ومن زار الحسين فكأنّما زار الله في عرشه.

٢ ـ عن بشير الدهّان عن أبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام في حديث له، قال: يا بشير، من زار قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقّه، كان كمن زار الله في عرشه.

٣ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام: من زار قبر الحسين بن عليّ عليه السلام يوم عاشوراء عارفاً بحقّه، كان كمن زار الله في عرشه.

٤ ـ زيد الشحّام قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما لِمن زار قبر الحسين عليه السلام؟ قال: كان كمن زار الله في عرشه.

٥ ـ عن الإمام الرضا عليه السلام، قال: من زار قبر أبي عبد الله عليه السلام بشطّ فرات كان كمن زار الله فوق عرشه[1].

٦ ـ وعنه عليه السلام: من زار قبر أبي ببغداد كان كمن زار رسول الله وأمير المؤمنين عليهما السلام، ألا إنّ لرسول الله وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما وآلهما فضلهما، قال: ثمّ قال لي: من زار قبر أبي عبد الله عليه السلام بشطّ فرات، كان كمن زار الله فوق كرسيّه.

الظاهر أنّ المراد من زيارة الله في العرش وفوق الكرسي كناية عن شدّة القرب ونهايته إلى الله سبحانه.

---

(١) التهذيب ٦: ٤٦، وكامل الزيارات: ١٤٧.

وقيل : إنّه قد تحقّق عند أهل المعرفة أنّ للإنسان في سيره وسلوكه إلى الله سبحانه منازل، تنتهي من طاعة الله إلى حالة رفيعة، ومرتبة راقية، وقربٍ خاصّ، يعبّرون عنه بالفناء في الله تعالى، وهو نهاية مقام كمال العبد في عبوديّته، وغاية مقام قربه، فيصل إلى جوهر العبوديّة التي كنهها الربوبيّة، وهو عبارة عن كون علم العبد مستهلكاً في علمه تعالى، وقدرته مضمحلّة في قدرته عزّ سلطانه، وإرادته ذائبة في إرادته علا شأنه وجلّ جلاله، بحيث لا يكون له رأي أو حكم إلّا ما رآه وحكم به المولى عزّ وجلّ، ولا يرى لنفسه قدرة على شيء إلّا بحوله وقوّته، ولا يريد شيئاً غير ما أراد الله تعالى، فإذا دام العبد على هذه الحالة العرفانيّة، واستمرّ عليه بحيث صارت ملكة راسخة في كلّ وجوده، وصار العبد متجوهراً بها، ومتجسّداً فيها، وقد فنا في ربّه عن نفسه، ولا حكم له إلّا حكمه سبحانه، فيكون مظهراً لربّه في أسمائه الحسنى وصفاته العليا، ويكون إكرامه إكرام الله، وزيارته زيارة الله، ومن أهانه أهان الله.

كما ورد في الخبر الشريف عن أمير المؤمنين علي عليه السلام : «من وقّر عالماً وقّر ربّه»[1].

فإنّ العالم حقّاً يكون مظهراً لعلم الله سبحانه، وتوقيره توقير الله.

كما ورد أنّه تعالى قال مخاطباً لبعض أنبيائه : مرضت فلم تزرني، فلمّا استفسر النبيّ واستوضح عن الأمر، أخبره الله سبحانه أنّه كان عندي فلان مريضاً فلم تعده وتزوره.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من زار أخاه في بيته قال الله عزّ وجلّ له : أنت ضيفي

---

(١) غرر الحكم : ٢٨٥.

وزائري، عليّ قراك، وقد أوجبت لك الجنّة بحبّك إيّاه.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من زار أخاه المؤمن إلى منزله لا حاجة منه إليه، كتب من زوّار الله، وكان حقيقاً على الله أن يكرم زائره.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: من زار أخاه في الله قال الله عزّ وجلّ: إيّاي زرت وثوابك عليّ، ولست أرضى لك ثواباً دون الجنّة[1].

وقال عليه السلام: «من أتاه أخوه المؤمن فأكرمه فإنّما أكرم الله عزّ وجلّ»[2].

وقال في الذين يبايعون رسول الله تحت الشجرة أنّهم يبايعون الله، كما نسب رمي النبيّ في غزوة إلى نفسه جلّ جلاله في قوله تعالى:

﴿ وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلٰكِنَّ اللهَ رَمىٰ ﴾[3].

فسيّد الشهداء سبط رسول الله قدّم القرابين يوم الطفّ لله سبحانه، وبذل مهجته ومهجة أهل بيته وأصحابه، من أجل دين الله سبحانه، وبهذا وبغيره من العصمة والمقامات الولويّة، وصل إلى قاب قوسين أو أدنى، حتّى صار مظهراً لله سبحانه، فانياً في أسمائه وصفاته، فمن زاره كمن زار الله في عرشه وفوق كرسيّه.

«وقد ورد في فضل زيارته أمر عظيم وحثّ أكيد ومقام رفيع حتّى عدّ زائره ـ كما مرّ ـ بمنزلة من زار الله في عرشه، فالزائر لا بدّ أن يعتبر في هذه العبادة اعتبارات فاخرة، فجعل زيارته في مرقده بعد قتله، كمن زار الله في عرشه، أمر عظيم لا يطيقه عقول العامّة.

---

(١) الروايات من ميزان الحكمة ٤ : ٢٩٦.

(٢) ميزان الحكمة ١ : ٦١.

(٣) الأنفال : ١٧.

ومن عظمته، حكي أنّ السيّد الجليل والعالم النبيل السيّد مهدي المعروف ببحر العلوم جاء إلى الشيخ الكبير العارف الشيخ حسين المعروف بنجف وسأله عن مشكلاته، وكان منها أن سأله عن عظم ما ورد في الأخبار من مثوبات ما يتعلّق بالحسين عليه السلام لزائره وللباكي عليه ونحوهما كيف يستقيم عند العقل هذه الأُمور العظام بهذه الأعمال الجزئيّة الحقيرة؟! فأجابه الشيخ بأنّ الإمام الحسين عليه السلام مع جميع ما فيه من الشؤون إنّما كان مخلوقاً ممكناً عبداً لله، وهو مع كونه ممكناً عبداً أعطى في محبّة الله ورضاه كلّه من المال والجاه والعرض والإخوة والأولاد الصغير والكبير والروح، حتّى بدنه بعد القتل، وكيف تستكثر أن يعطيه الكريم الجواد أيضاً كلّه للحسين عليه السلام، فرضي عليه الرحمة بالجواب واستحسنه»[1].

---

(١) المراقبات: ١٤٨.

الخاتمة

زيارة عاشوراء سنداً ودلالة

من الزيارات التي أكّد عليها الأئمّة الأطهار عليهم السلام، وأوصى بها صاحب الزمان عليه السلام في مواطن كثيرة، هي زيارة عاشوراء. فهي من أعظم الزيارات سنداً ودلالة، وإنّها نشيد الله على لسان الملك العظيم جبرئيل الأمين عليه السلام، فإنّه بأمر من الله سبحانه بشّر به النبيّ الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله وكلّ من في السماوات والأرض.

وإنّها رويت بطريقين وسندين:

السند الأوّل:

كامل الزيارات للمحدّث الجليل ابن قولويه القمّي (الصفحة ٣٣٣)[1]، بسنده الصحيح عن علقمة بن محمّد الحضرمي ومحمّد بن إسماعيل عن صالح بن عقبة

---

(١) البحار ٩٨ : ٢٩٠، طبعة بيروت، وطبعة إيران ١٠١ : ٢٩٠، وكذلك المستدرك ١٠ : ٢٩٣ و ٣١٥، عنه صدره الوسائل ١٤ : ٤٩٤، رواه الشيخ في مصباحه : ٧٧٢ بإسناده عن محمّد بن إسماعيل بن بزيع عن صالح بن عقبة عن أبيه عن الباقر عليه السلام، أورده السيّد ابن طاووس في مصباح الزائر : ١٤٧، والكفعمي في مصباحه : ٤٨٣، والبلد الأمين : ٢٦٩.

عن مالك الجهني عن أبي جعفر الإمام الباقر عليه السلام قال :

من زار الحسين عليه السلام يوم عاشوراء من المحرّم حتّى يظلّ عنده باكياً لقي الله تعالى يوم القيامة بثواب ألفي ألف حجّة، وألفي ألف عمرة، وألفي ألف غزوة، وثواب كلّ حجّة وعمرة وغزوة كثواب من حجّ واعتمر وغزا مع رسول الله صلى الله عليه وآله ومع الأئمة الراشدين صلوات الله عليهم أجمعين.

قال : قلت : جعلت فداك، فما لمن كان في بُعد البلاد وأقاصيها ولم يمكنه المصير إليه في ذلك اليوم ؟

قال : إذا كان ذلك اليوم برز إلى الصحراء أو صعد سطحاً مرتفعاً في داره، وأومأ إليه بالسلام، واجتهد على قاتله بالدعاء، وصلّى بعده ركعتين يفعل ذلك في صدر النهار قبل الزوال، ثمّ ليندب الحسين عليه السلام ويبكيه ويأمر من في داره بالبكاء عليه، ويقيم في داره مصيبته بإظهار الجزع عليه، ويتلاقون بالبكاء بعضهم بعضاً في البيوت، وليعزّ بعضهم بعضاً بمصاب الحسين عليه السلام، فأنا ضامن لهم إذا فعلوا ذلك على الله عزّ وجلّ جميع هذا الثواب.

فقلت : جعلت فداك، وأنت الضامن لهم إذا فعلوا ذلك والزعيم به ؟

قال : أنا الضامن لهم والزعيم لمن فعل ذلك.

قال : قلت : فكيف يعزّي بعضهم بعضاً ؟

قال : يقولون : عظّم الله أُجورنا بمصابنا بالحسين عليه السلام وجعلنا وإيّاكم من الطالبين بثأره مع وليّه الإمام المهدي من آل محمّد صلى الله عليه وآله، فإن استطعت أن لا تنتشر يومك في حاجة فافعل، فإنّه يوم نحس لا تنقضي فيه حاجة، وإن قُضيت لم يبارك له فيها ولم يرَ رُشداً، ولا تدّخرن لمنزلك شيئاً، فإنّه من ادّخر لمنزله شيئاً في ذلك اليوم لم يبارك له في ما يدّخره، ولا يبارك له في أهله، فمن فعل ذلك كتب له ثواب

ألف ألف حجّة وألف ألف عمرة، وألف ألف غزوة كلّها مع رسول الله، وكان له ثواب مصيبة كلّ نبيّ ورسول وصدّيق وشهيد مات أو قُتل منذ خلق الله الدنيا إلى أن تقوم الساعة.

قال صالح بن عقبة الجهني وسيف بن عميرة: قال علقمة بن محمّد الحضرمي: فقلت لأبي جعفر عليه السلام: علّمني دعاءً أدعو به في ذلك اليوم إذا أنا زرته من قريب، ودعاءً أدعو به إذا لم أزره من قريب، أومأت إليه من بُعد البلاد ومن سطح داري بالسلام.

قال: فقال: يا علقمة، إذا أنت صلّيت ركعتين بعد أن تومئ إليه بالسلام فقلت عند الإيماء إليه ومن بعد الركعتين هذا القول، فإنّك إذا قلت ذلك، فقد دعوت بما يدعو به من زاره من الملائكة، وكتب الله لك بها ألف ألف حسنة ومحى عنك ألف ألف سيّئة ورفع لك مائة ألف ألف درجة، وكنت ممّن استشهد مع الحسين بن علي عليهما السلام حتّى تشاركهم في درجاتهم، ولا تُعرف إلّا في الشهداء الذين استشهدوا معه، وكتب لك ثواب كلّ نبيّ ورسول وزيارة من زار الحسين بن علي عليهما السلام منذ يوم قتل: «السلام عليك يا أبا عبد الله...» إلى آخر زيارة عاشوراء كما في مفاتيح الجنان.

قال علقمة: قال أبو جعفر الباقر عليه السلام: يا علقمة، إن استطعت أن تزوره في كلّ يوم بهذه الزيارة من دهرك فافعل، فلك ثواب جميع ذلك إن شاء الله تعالى.

السند الثاني:

عن سيف بن عميرة، قال: خرجت مع صفوان بن مهران الجمّال وجماعة من أصحابنا إلى الغري بعد أن خرج أبو عبد الله عليه السلام فسرنا من الحيرة إلى المدينة.

فلمّا فرغنا من الزيارة صرف صفوان وجهه إلى ناحية أبي عبد الله عليه السلام فقال لنا: تزورون الحسين عليه السلام من هذا المكان من عند رأس أمير المؤمنين صلوات الله عليه من ها هنا، وأومأ إليه أبو عبد الله عليه السلام وأنا معه. قال: فدعا صفوان بالزيارة التي رواها علقمة بن محمّد الحضرمي عن أبي جعفر عليه السلام في يوم عاشوراء ثمّ صلّى ركعتين عند رأس أمير المؤمنين عليه السلام وودّع في دبرهما أمير المؤمنين عليه السلام وأومأ إلى الحسين بالسلام منصرفاً بوجهه نحوه، وودّع، وكان فيما دعاه في دبرها: «يا الله يا الله يا الله، يا مجيب دعوة المضطرّين ـ إلى آخر الدعاء في المفاتيح بعد زيارة عاشوراء ونسبها إلى علقمة سهواً وهي دعاء صفوان ـ».

قال سيف: فسألت صفوان فقلت له: إنّ علقمة بن محمّد لم يأتِنا بهذا عن أبي جعفر عليه السلام، إنّما أتانا بدعاء الزيارة، فقال صفوان: وردت مع سيّدي أبي عبد الله عليه السلام إلى هذا المكان ففعل مثل الذي فعلناه في زيارتنا، ودعا بهذا الدعاء عند الوداع بعد أن صلّى كما صلّينا، وودّع كما ودّعناه.

ثمّ قال لي صفوان: قال أبو عبد الله عليه السلام: تعاهد هذه الزيارة ـ أي عليك بهذه الزيارة دائماً كما كان سلفنا الصالح من يقرأها كلّ يوم ـ وادعُ بهذا الدعاء وزُر به، فإنّي ضامن على الله تعالى لكلّ من زار بهذه الزيارة ودعا بهذا الدعاء من قرب أو بُعد، أنّ زيارته مقبولة، وسعيه مشكور، وسلامه واصل غير محجوب، وحاجته مقضيّة من الله تعالى، بالغاً ما بلغت، ولا يخيّبه.

يا صفوان، وجدت هذه الزيارة مضمونة بهذا الضمان عن أبي وأبي عن علي ابن الحسين عليه السلام مضموناً بهذا الضمان عن الحسين، والحسين عن أخيه الحسن مضموناً بهذا الضمان، والحسن عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام مضموناً بهذا الضمان، وأمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله مضموناً بهذا الضمان، ورسول الله عن جبرئيل

مضموناً بهذا الضمان، وجبرئيل عن الله عزّ وجلّ مضموناً بهذا الضمان.

وقد آلى الله على نفسه عزّ وجلّ أنّ من زار الحسين عليه السلام بهذه الزيارة من قرب أو بُعد ودعا بهذا الدعاء قبلت منه زيارته وشفعته في مسألته بالغاً ما بلغت، وأعطيته سؤله، ثمّ لا ينقلب عنّي خائباً، وأقلبه مسروراً قريراً عينه بقضاء حاجته، والفوز بالجنّة والعتق من النار، وشفعته في كلّ من شفع خلا ناصب لنا أهل البيت، آلى الله تعالى بذلك على نفسه، وأشهدنا به ملائكة ملكوته على ذلك.

ثمّ قال جبرئيل: يا رسول الله، إنّ الله أرسلني إليك سروراً وبشرى لك، وسروراً وبشرى لعليّ بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين وإلى الأئمّة من ولدك إلى يوم القيامة، فدام يا محمّد سرورك وسرور عليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة وشيعتكم إلى يوم البعث.

ثمّ قال لي صفوان: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا صفوان، إذا حدث لك حاجة فزر بهذه الزيارة من حيث كنت، وادعُ بهذا الدعاء، وسل ربّك حاجتك، تأتِك من الله، والله غير مخلف وعده رسوله صلى الله عليه وآله بمنّه، والحمد لله[1].

دلالة الزيارة:

لهذه الزيارة العظيمة دلالات ومفاهيم عديدة، يشعّ منها أنوار الهداية، ويطفح منها بركات الحياة الطيّبة، تسودها السعادة والقرب من الله سبحانه. ومن أهمّ ما فيها هو التصريح بأمر عظيم وخطير جدّاً في حياة المؤمن، ألا وهو أمر الولاية، المتبلورة بالتولّي لله ولرسوله والأئمّة الأطهار عليهم السلام، والتبرّي من أعدائهم،

---

(١) البحار ٩٨: ٣٠٠، عن مصباح الطوسي: ٥٤٢.

وأنّ السلام والصلاة مظهر التولّي، كما أنّ اللعن مظهر التبرّي، والعجيب أنّ اللعن مقدّم على السلام، فإنّ التخلية مقدّمة على التحلية ـ كما في علم الأخلاق ـ ثمّ المهمّ في اللعن هو بيان المصاديق ومن استوجب اللعن الإلهي، حتّى لا يلتبس الأمر على الناس، والحديث في هذا الوادي طويل وعريض جدّاً، وشرح الزيارة وبيان مفرداتها يحتاج إلى مجلّدات قطورة، إلّا أنّه يكفيني أن أشير إجمالاً إلى قول (السلام عليك يا أبا عبد الله) وأُبيّن بعض معالمه، لتكون الزيارة على معرفة إن شاء الله تعالى.

ولا يخفى أنّ هذه الزيارة من الله سبحانه وهذا يعني أنّ أوّل زائر للحسين عليه السلام في عالم الأنوار والأشباح هو الله سبحانه وتعالى، فهو الذي كنّى الحسين عليه السلام بأبي عبد الله قبل ولادته، فما معنى ذلك؟ وهذا يستلزم أن نتعرّض إلى الكلمات الثلاثة في المقطع الأوّل من الزيارة الشريفة، وهي: السلام، العبادة، الأُبوّة.

السلام في الإسلام

من أسماء الله الحسنى: السلام.

﴿ هُوَ اللهُ الَّذي لا إلـهَ إلّا هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلامُ ﴾[١].

وقد جعل سبحانه تحيّة المسلمين والإسلام هو السلام، فلكلّ قوم تحيّة، وتحيّة المسلمين السلام، الذي يعني السلامة من السلام جلّ جلاله، فهو السلام وإليه يعود السلام، وأحبّ أن تكون تحيّة أهل الجنّة السلام.

وأوجب ردّه لمن تنفّل به، حتّى لو كان في حديث مع ربّه كالصلاة، وهذا إن دلّ على شيء، فإنّه يدلّ على عظمة السلام، وأنّ من بدأ به يثاب بـ(٦٩) حسنة، ومن ردّ السلام، فإنّه يثاب بحسنة واحدة، ولم يسبق أحدٌ النبيّ الأعظم محمّد ﷺ بالسلام، وما أكثر النصوص الدينيّة من الآيات القرآنيّة والأحاديث الشريفة في فضل السلام ومقامه العظيم في الإسلام.

﴿ وَإِذا جاءَكَ الَّذينَ يُؤْمِنونَ بِآياتِنا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ ﴾[٢].

﴿ وَنادَوا أَصْحابَ الجَنَّةِ أَنْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ ﴾[٣].

﴿ دَعْواهُمْ فيها سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فيها سَلامٌ ﴾[٤].

---

(١) الحشر: ٢٣.

(٢) الأنعام: ٥٤.

(٣) الأعراف: ٤٦.

(٤) يونس: ١٠.

﴿ سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبى الدَّارِ ﴾[1].

﴿ يَقولونَ سَلامٌ عَلَيْكُمْ اُدْخُلوا الجَنَّةَ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلونَ ﴾[2].

﴿ قَدْ جِئْناكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلامُ عَلىٰ مَنِ اتَّبَعَ الهُدىٰ ﴾[3].

﴿ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغي الجاهِلِينَ ﴾[4].

﴿ قالَ لَهُمْ خَزَنَتُها سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلوها خالِدينَ ﴾[5].

﴿ وَإِذا خاطَبَهُمُ الجاهِلونَ قالوا سَلاماً ﴾[6].

---

(١) الرعد : ٢٤.

(٢) النحل : ٣٢.

(٣) طه : ٤٧.

(٤) القصص : ٥٥.

(٥) الزمر : ٧٣.

(٦) الفرقان : ٦٣.

عبادة الخلق

إنّ الله سبحانه ربّ السماوات والأرض وما بينهما، ومن لوازم مقام الأُلوهيّة والربوبيّة، أنّ ما سواه يكون عبداً له، كما يستخلفه في أسمائه الحسنى وصفاته العليا، بمقدار فنائه في العبوديّة، فإنّها جوهرة كنهها الربوبيّة، وكما ورد في الخبر الشريف: عبدي أطعني أجعلك مثلي أقول للشيء: كن فيكون، وتقول للشيء: كن فيكون، وإنّ العبد يتقرّب إليّ بالنوافل حتّى أُحبّه، فإذا أحببته أكون سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، وهذا من حقيقة العبوديّة لله سبحانه في الإنسان، وإنّها سارية في كلّ المخلوقات:

﴿ إنْ كُلُّ مَنْ في السَّماواتِ وَالأرْضِ إلّا أتى الرَّحْمنَ عَبْداً ﴾[١].

ومن علائم العبادة وحقيقتها التسبيح وتنزيه الله سبحانه عن القبائح، وإنّه الكمال المطلق ومطلق الكمال، وجميع ما سواه في حركة جوهريّة وذاتية إليه جلّ جلاله، فكلّ شيء عاشق لله ويسبّح بحمده وجلاله:

﴿ وَهُوَ الظّاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ وَهُوَ الحكيمُ الخَبيرُ ﴾[٢].

﴿ سَبَّحَ للهِ ما في السَّماواتِ وَالأرْضِ وَهُوَ العَزيزُ الحكيمُ ﴾[٣].

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّماواتُ السَّبْعُ وَالأرْضُ وَمَنْ فيهِنَّ ﴾[٤].

---

(١) مريم: ٩٣.

(٢) الأنعام: ١٨.

(٣) الحديد: ١

(٤) الإسراء: ٤٤

﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ﴾[١].

﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلٰكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾[٢].

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالأَرْضِ والطَّيْرُ صافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللهُ عَلِيمٌ بِما يَفْعَلُونَ ﴾[٣].

﴿ يُسَبِّحُ للهِ ما فِي السَّماواتِ وَالأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ﴾[٤].

﴿ وَسَخَّرْنا مَعَ داوُدَ الْجِبالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ﴾[٥].

فكلّ الخلق في تسبيح وعبادة لله سبحانه، وهذا ممّا لا يمكن إنكاره، كما دلّت عليه الآيات الكريمة، وعليه الروايات الشريفة والأدلّة العقليّة كما في الحكمة المتعالية. فكلّ الخلائق تسير نحو معبودها ومعشوقها الأوّل في حركة جوهريّة فإنّها عاشقة وعابدة لله سبحانه[٦].

ثمّ ورد في إرشاد القلوب بسنده والمفيد مثله عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: يا سلمان، الويل كلّ الويل لمن لا يعرف لنا حقّ معرفتنا وأنكر فضلنا، يا سلمان، أيّما أفضل محمّد صلى الله عليه وآله أو سليمان بن داود عليه السلام؟ قال سلمان:

---

(١) الرعد: ١٣.

(٢) الإسراء: ٤٤

(٣) النور: ٤١

(٤) التغابن: ١.

(٥) الأنبياء: ٧٩

(٦) راجع في ذلك (الأسفار الأربعة) الجزء ٧، للمحقّق صدر الدين الشيرازي.

بل محمّد أفضل. فقال: يا سلمان، فهذا آصف بن برخيا، قدر أن يحمل عرش بلقيس من فارس إلى سبأ في طرفة عين، وعنده علم من الكتاب، ولا أفعل أنا أضعاف ذلك وعندي ألف كتاب؟

أنزل الله على شيث بن آدم خمسين صحيفة، وعلى إدريس عليه السلام ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم الخليل عشرين صحيفة، والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان. فقلت: صدقت يا سيّدي، قال الإمام عليه السلام: يا سلمان، إنّ الشاكّ في أُمورنا وعلومنا كالمستهزئ في معرفتنا وحقوقنا، وقد فرض الله ولايتنا في كتابه في غير موضع وبيّن ما أوجب العمل به وهو مكشوف[1].

ـ عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: أتى الحسين عليه السلام أُناس فقالوا له: يا أبا عبد الله، حدّثنا بفضلكم الذي جعل الله لكم، فقال: إنّكم لا تحتملونه ولا تطيقونه، قالوا: بلى نحتمل، قال: إن كنتم صادقين فليتنحّ اثنان وأُحدّث واحداً فإن احتمله حدّثتكم، فتنحّى اثنان وحدّث واحداً، فقام طائر العقل ومرّ على وجهه وذهب، فكلّمه صاحباه فلم يردّ عليهما شيئاً وانصرفوا.

ـ عن عبد العزيز بن كثير: إنّ قوماً أتوا إلى الحسين وقالوا: حدّثنا بفضائلكم، قال عليه السلام: لا تطيقون وانحازوا عنّي لأُسرّ إلى بعضكم، فإن أطاق سأُحدّثكم، فتباعدوا عنه، فكان يتكلّم مع أحدهم حتّى دهش ووله وجعل يهيم ولا يجيب أحداً وانصرفوا عنه[2].

---

(١) البحار ٢٦: ٢٢٢، عن إرشاد القلوب ٢: ٢٢٨.

(٢) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ٥٨، عن الخرائج والجرائح ٢: ٧٩٥.

وعندنا الكثير مثل هذه الأحاديث الشريفة الدالّة على صعوبة تحمّل أسرار النبوّة والإمامة وأسرار النبيّ والإمام وولايتها، فإنّه من الصعب المستصعب، حتّى على الأنبياء والملائكة.

وربما ما أقوله في بيان (السلام عليك يا أبا عبد الله) يكون هذا الأمر الصعب، الذي لا يهضم بسهولة، إلّا بعد الابتلاء والاختبار والامتحان، فلا يتحمّله إلّا مؤمن قد امتحن الله قلبه بالإيمان.

جعلنا الله وإيّاكم من المؤمنين الكمّلين الفائزين بالمعرفة التامّة وبالمعرفة الجماليّة، بل والكماليّة. فنعرف قادتنا عليهم السلام حقّ المعرفة حسب الطاقة البشريّة، ومن الله التوفيق والسداد والهداية والرشاد.

الأُبوّة والبنوّة

الابن لغة واصطلاحاً:

من بني أو بنو ـ بالياء أو الواو ـ فإن كان الأوّل فهو بمعنى البناء، وربما يكون من أبِن بمعنى القطع والإبانة.

يطلق على الذكور من الأولاد، فهو قطعة من أبيه كما ورد (أولادنا أكبادنا)، أو فلذّة من أكبادنا، أو أنّ الولد يبتني في وجوده على والده، كما يقال: الولد على سرّ أبيه.

والأب لغة واصطلاحاً:

أصلة أبَو بالتحريك، لأنّ جمعه آباء مثل قَفا وأقفاء ورحى وأرحاء، فالذاهب منه واو لأنّك تقول في التثنية أبوان، والأب الوالد والأبوان الأب والأُمّ. والأب والوالد يعني من كان سبباً في إيجاد شيء أو إصلاحه، ولمّا كان الوالد هو المتكفّل الأوّل لتربية ولده وإصلاح شؤونه، فإنّه يطلق عليه الأب.

ويطلق الأب على مصاديق مختلفة، كما ورد في الأخبار الشريفة، ومن المشهور والمعروف أنّ الآباء ثلاثة: أب ولّدك، وأب زوّجك، وأب علّمك وهو أفضلهم.

فيعدّ المعلّم من الآباء، بل هو أفضلهم، لأنّه يربّي ويزكّي روح الولد الباقية إلى يوم القيامة، بخلاف الأب المولّد وأب الزوجة فإنّهما باعتبار الأجساد الفانية، وربما يكون الوالد أباً روحيّاً وجسديّاً لولده، فيجمع بين الفضيلتين.

ثمّ ورد في أحاديث كثيرة وصحيحة عند الفريقين ـ السنّة والشيعة ـ أنّ النبيّ

الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله والد هذه الأُمّة المرحومة.

قال صلى الله عليه وآله: أنا وعليّ أبوا هذه الأمّة.

والإمام الحسين عليه السلام لمّا كان نفس رسول الله لقوله صلى الله عليه وآله (حسين منّي وأنا من حسين) فهو كجدّه عليهما السلام له مقام الأبوّة، كما علّم الخلق كلّه منذ عالم الأنوار، فسبّح الله وسبّحت الملائكة بتسبيحه، وبه وبجدّه وأبيه وأُمّه وأخيه وبنيه المعصومين عُرف الله وعُبد ـ كما ورد في الأخبار الصحيحة ـ وأنّهم كلّهم من نور واحد (أوّلنا محمّد وأوسطنا محمّد وآخرنا محمّد عليهم السلام)، فلهم مقام الأبوّة والتعليم لكلّ الخلائق، فهم آباء كلّ من كان عبداً لله جلّ جلاله، ولكلّ من أتى الرحمن عبداً، فالكون كلّه عبداً لله سبحانه وتعالى.

أقسام الكنى:

هذا والكنية عند العرب تكون بأب وأُمّ وابن، كما يقال (أبو علي) وهي على نحوين: إمّا حقيقيّة أو تشريفيّة:

والأُولى: تطلق على من يلد له مولود فيسمّيه ثمّ يكنّى به، كما كنّي أمير المؤمنين علي عليه السلام بولده الحسن المجتبى عليه السلام.

والثانية: تطلق على من سمّي باسم صاحب هذه الكنية لجلالته وعلوّ مقامه تشريفاً، فيكنّى بكنيته أيضاً، حتّى لو لم يكن له ولد مسمّى بذلك، كما يقال لكلّ من اسمه علي: أبو الحسن، كما كُني بذلك الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين عليه السلام والإمام الرضا عليّ بن موسى عليه السلام، فيقال: أبو الحسن الثاني وأبو الحسن الثالث.

وأمّا كنية سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام بأبي عبد الله، فلم يكن من

الأوّل، إذ ولده الأكبر علي عليه السلام، ولم يكن من الثاني، إذ لم يكن له من قبل سميّاً فهو يشترك مع يحيى النبيّ في ذلك، كما يشترك في موارد أُخرى تبلغ العشرين.

زبدة المخاض:

فنقول: هناك قسم ثالث في الكنى أُسمّيه (الكنية التكوينيّة)، وهي منحصرة بالحسين عليه السلام وتعدّ من خصائصه وخصاله. فإنّه لمّا كان الخلق في وجودهم من بركات وجوده، باعتبار أنّه نفس النبيّ صلى الله عليه وآله وهو الصادر الأوّل، والواسطة في الفيض الإلهي، فهو صنع الله والخلق صنايعه، كما إنّه هو المعلّم للخلائق ومعلّم البشريّة، والمعلّم أب، والخلق عبد الله، فالحسين أبو عبد الله.

ولمثل هذا يكنّى الإمام الحسين عليه السلام في زيارة عاشوراء منذ بدء الخلق ومن الأزل على لسان الله بأبي عبد الله.

فالصلاة والسلام عليك يا مولاي يا أبا عبد الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار بعدد ما في علم الله، ورزقنا الله في الدنيا زيارتك وفي الآخرة شفاعتك، وحشرنا في زمرتك، ورزقنا الشهادة في سبيلك، سبيل الله.

«يا ربّ الحسين بحقّ الحسين اشفِ صدر الحسين بظهور الحجّة عليه السلام».

في كشف الغمّة: قال كمال الدين بن طلحة: كنية الحسين عليه السلام أبو عبد الله لا غير، وأمّا ألقابه فكثيرة

الرشيد والطيّب والوفيّ والزكيّ والمبارك والتابع لمرضاة الله والسبط والسيّد[1].

---

(١) العوالم ١٧ : ٢٨، وفي البحار ٤٣ : ٢٣٧، الحديث ٢.

قال المحقّق الشيخ جعفر التستري رحمه الله في مدح الله الإمام الحسين عليه السلام :

إنّه مدحه بمدائح منها : أنّه من أعلى أفراد الوالد الذي قضى ربّك بالإحسان إليه، فهل أحسنت إلى هذا الوالد يوماً[1].

---

(١) الخصائص الحسينية : ٤٦.

خلاصة الكلام في العرش الإلهي[1]

العرش ما يجلس عليه الملك، وربما كنّي به عن مقام السلطنة، قال الراغب في المفردات: العرش في الأصل شيء مسقّف، وجمعه عروش. قال: ﴿ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾، ومنه قيل: عرشت الكرم وعرشتها إذا جعلت له كهيئة سقف. قال: والعرش شبه هودج المرأة تشبيهاً في الهيئة بعرش الكرم...

قال: وعرش الله ما لا يعلمه البشر على الحقيقة إلّا بالاسم، وليس كما يذهب إليه أوهام العامة، فإنّه لو كان كذلك لكان حاملاً له ـ تعالى عن ذلك ـ لا محمولاً، والله تعالى يقول:

﴿ إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّماواتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزولا وَلَئِنْ زالَتا إِنْ أَمْسَكَهُما مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ﴾.

وقال قوم: هو الفلك الأعلى والكرسي فلك الكواكب، واستدلّ بما روي عن رسول الله ﷺ: ما السماوات السبع والأرضون السبع في جنب الكرسي إلّا كحلقة

---

(١) اقتبسناه من الكتاب القيّم (الميزان في تفسير القرآن) للعلّامة المحقّق السيّد محمّد حسين الطباطبائي قدّس سرّه الشريف. من سورة الأعراف.

ملقاة في أرض فلاة والكرسي عند العرش كذلك.

وقد استقرّت العادة منذ القديم أن يختصّ العظماء من ولاة الناس وحكّامهم ومصادر أُمورهم من المجلس بما يختصّ بهم ويتميّزون به عن غيرهم، فاتّخذوا للملك ما يسمّى عرشاً وهو أعظم وأرفع وأخصّ بالملك والكرسي يعمّه وغيره. واستدعى التداول والتلازم أن يعرف الملك بالعرش كما كان العرش يعرف بالملك في أوّل الأمر، فصار العرش حاملاً لمعنى الملك، فمثلاً لمقام السلطنة إليه يرجع وينتهي، وفيه تتوحّد أزمّة المملكة في تدبيرها أُمورها وإدارة شؤونها.

ثمّ قوله تعالى: ﴿ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ كناية عن استيلائه على ملكه وقيامه بتدبير الأمر قياماً ينبسط على كلّ ما دقّ وجلّ، ويترشّح منه تفاصيل النظام الكوني ينال به كلّ ذي بغية بغيته، ونقضي لكلّ ذي حاجة حاجته.

ثمّ اختلف الناس في معنى العرش، كما وقع الاختلاف عند العلماء في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ والآيات التي فيها كلمة العرش الإلهي، فأكثر أبناء العامّة والسلف على أنّها وما يشاكلها من الآيات المتشابهات التي يجب أن يرجع علمها إلى الله سبحانه، وهؤلاء يرون البحث عن الحقائق الدينية والتطلّع إلى ما وراء ظواهر الكتاب والسنّة بدعة.

والعقل السليم يخطّئهم في ذلك كما أنّ الكتاب الكريم والسنّة الشريفة لا يصدّقانهم فآيات الكتاب تحرّض كلّ التحريض على التدبّر في آيات الله وبذل الجهد في تكميل معرفة الله ومعرفة آياته بالتذكّر والتفكّر والنظر فيها والاحتجاج بالحجج العقليّة. ومتفرّقات السنّة المتواترة معنى توافقها، ولا معنى للأمر بالمقدّمة والنهي عن النتيجة. وهؤلاء هم الذين كانوا يحرمون البحث عن حقائق الكتاب والسنّة ويعدونها بدعة فلنتركهم وشأنهم.

وأمّا طبقات الباحثين فقد اختلفوا في معنى العرش على أقوال :

١ ـ حمل الكلمة على ظاهر معناه، فالعرش عندهم مخلوق كهيئة السرير له قوائم وهو موضوع على السماء السابعة، والله ـ تعالى عمّا يقول الظالمون ـ مستوٍ عليه كاستواء الملوك منّا على عروشهم. وأكثر هؤلاء على أنّ العرش والكرسي شيء واحد، وهو الذي وصفناه. وهؤلاء هم المشبّهة من المسلمين، والكتاب والسنّة والعقل تخاصمهم في ذلك، وتنزّه ربّ العالمين أن يماثل شيئاً من خلقه ويشبهه في ذات أو صفة أو فعل تعالى وتقدّس.

٢ ـ أنّ العرش هو الفلك التاسع المحيط بالعالم الجسماني والمحدّد للجهات والأطلس الخالي من الكواكب، والراسم بحركته اليومية للزمان وفي جوفه مماساً به الكرسي وهو الفلك الثامن الذي فيه الثوابت، وفي جوفه الأفلاك السبعة الكلّية التي هي أفلاك السيارات السبع : زحل والمشتري والمرّيخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر بالترتيب محيطاً بعضها ببعض، وهذا يتلائم مع الهيئة القديمة باسم بطلبموس. والظواهر من الكتاب والسنّة تثبت أنّ وراء العرش حجباً وسرادقات وأنّ له قوائم، وله حملة، وأنّ الله سيطوي السماء كطيّ السجلّ للكتب، وأنّ في السماء سكنة من الملائكة إلى غير ذلك ممّا ينافي بظاهره ما افترضه علماء الهيئة والطبيعيات سابقاً، وقد ثبت في الهيئة الجديدة والحديثة بالحسّ والتجربة بطلان الفرضيات السابقة، فما يقولونه في العرش لا وجه له.

٣ ـ أن لا مصداق للعرش خارجاً وإنّما قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ و ﴿ الرَّحْمَانُ عَلَى الْعَرْشِ ٱسْتَوَى ﴾ كناية عن استيلائه تعالى على عالم الخلق وكثيراً ما يطلق الاستواء على الشيء على الاستيلاء عليه، كما قيل :

قد استوى بشرٌ على العراق ... من غير سيفٍ ودمٍ مهراق

أو أنّ الاستواء على العرش معناه الشروع في تدبير الأُمور، كما أنّ الملوك إذا أرادوا الشروع في إدارة أُمور مملكتهم استووا على عروشهم وجلسوا عليه فيلزم أن يكون الاستواء على العرش كناية ومجاز.

ولكن يرد عليه أنّه لا ينافي ذلك أن يكون هناك حقيقة موجودة تعتمد عليها هذه العناية اللفظية، فقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ اَسْتَوى عَلَى العَرْش ﴾ في عين أنّه تمثيل يبيّن به أنّ له إحاطة تدبيرية لملكه، يدلّ على أنّ هناك مرحلة حقيقية هي المقام الذي يجتمع فيه جميع أزمّة الأُمور على كثرتها واختلافها، ويدلّ عليه آيات أُخر تذكر العرش وحده، وينسبه إليه تعالى:

كقوله: ﴿ وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيم ﴾.

وقوله: ﴿ الَّذينَ يَحْمِلُونَ العَرْشَ مِنْ حَوْلِهِ ﴾.

وقوله: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّك فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَة ﴾.

وقوله: ﴿ حافِّينَ حَوْلَ العَرْش ﴾.

فالآيات كما نرى تدلّ بظاهرها على أنّ العرش حقيقة من الحقائق العينية وأمر من الأُمور الخارجيّة، ولذلك نقول: إنّ للعرش في قوله: ﴿ ثُمَّ اَسْتَوى عَلى العَرْش ﴾ مصداقاً خارجياً، فنقول في الوجود عرشاً إلهياً يجتمع فيه أزمّة الحوادث والأُمور كما يجتمع أزمّة المملكة في عرش الملك.

فالعرش مقاماً تنشأ فيه التدابير العامة الإلهيّة وتصدر عنه الأوامر التكوينية:

﴿ ذو العَرْشِ المَجيدِ فَعّالٌ لِما يُريد ﴾.

﴿ وَتَرى المَلائِكَةَ حافِّينَ مِنْ حَوْلِ العَرْشِ يُسَبِّحونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقَضى بَيْنَهُمْ بِالحَقِّ ﴾.

﴿ الَّذينَ يَحْمِلونَ العَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرونَ لِلَّذينَ آمَنوا ﴾.

فحملة العرش أشخاص يقوم بهم هذا المقام الرفيع والخلق العظيم الذي هو مركز التدابير الإلهية ومصدرها، ففيه صور جميع الوقائع بنحو الإجمال حاضرة عند الله معلومة له كما يشير إلى ذلك قوله:

• ﴿ ثُمَّ اسْتَوى عَلى العَرْشِ يَعْلَمُ ما يَلِجُ في الأرْضِ وَما يَخْرُجُ مِنْها وَما يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ وَما يَعْرُجُ فيها وَهُوَ مَعَكُمْ أيْنَما كُنْتُمْ وَاللهُ بِما تَعْمَلونَ بَصير ﴾.

ثمّ لم ينقل عن طبقة الصحابة بحث حقيقي عن مثل العرش والكرسي وسائر الحقائق القرآنية وحتّى أُصول المعارف كمسائل التوحيد وما يلحق بها، بل كانوا لا يتعدّون الظواهر الدينية ويقفون عليها. وعلى ذلك جرى التابعون وقدماء المفسّرين حتّى نقل عن سفيان بن عيينة أنّه قال: كلّما وصف الله من نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عليه.

وعن مالك بن أنس إمام المالكية أنّ رجلاً قال له: يا أبا عبد الله، استوى على العرش، كيف استوى؟ قال الراوي: فما رأيت مالكاً وجد من شيء كموجدته من مقالته، وعلاه الرحضاء يعني العرق وأطرق القوم، قال: فسرّي عن مالك، فقال: الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وإنّي أخاف أن تكون ضالاً، وأمر به فأُخرج.

وكان قوله: الكيف غير معقول إلى آخره، مأخوذ عمّا روي عن أُمّ سلمة أُمّ المؤمنين في قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمانُ عَلى العَرْشِ اسْتَوى ﴾ قالت: الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والإقرار به إيمان، والجحود به كفر.

فهكذا كان مسلكهم، لم يورث ولم يحصل منهم شيء إلّا ما ورد في كلام

أمير المؤمنين علي عليه السلام وفي كلام الأئمة من ولده عليهم السلام، كما مرّت كثير من هذه الروايات الشريفة.

وخلاصة الكلام:

إنّ العرش ليس كهيئة السرير ولكنّه شيء محدود مخلوق مدبّر وربّك مالكه، لا أنّه عليه ككون الشيء على الشيء، وهو حامل العرش والسماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، وخلقه من أنوار أربعة: نور أحمر منه احمرّت الحمرة، ونور أخضر منه اخضرّت الخضرة وهو نور المعرفة، ونور أصفر منه اصفرّت الصفرة، ونور أبيض منه ابيضّ البياض وهو العلم الذي حمله الله الحملة، وذلك نور من نور عظمته، فبعظمته ونوره أبصر قلوب المؤمنين، وبنوره وعظمته ابتغى من في السماوات والأرض وجميع خلائقه إليه الوسيلة بالأعمال المختلفة والأديان المتشتّتة، فكلّ شيء محمول يحمله الله بنوره وعظمته وقدرته لا يستطيع لنفسه ضرّاً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، فكلّ شيء محمول والله تبارك وتعالى الممسك لهما أن تزولا، والمحيط بهما من شيء وهو حياة كلّ شيء ونور كلّ شيء سبحانه وتعالى عمّا يقولون علوّاً كبيراً.

والذين يحملون العرش هم العلماء الذين حملهم الله علمه، وليس يخرج من هذه الأربعة شيء خلقه الله في ملكوته، وهو الملكوت الذي أراه الله أصفياءه وأراه خليله... فنور العظمة الإلهية وقدرته الذي ظهر به جميع الأشياء هو العرش الذي يحيط بما دونه وهو ملكه تعالى لكلّ شيء دون العرش وهو تعالى الحامل لهذا النور، ثمّ الذين كشف الله لهم عن هذا النور يحملونه بإذن الله، والله سبحانه هو الحامل للحامل والمحمول جميعاً. فالعرش في قوله: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ وإن شئت قلت: الاستواء على العرش هو الملك، وفي قوله: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ ﴾ هو

العلم، وهما جميعاً واحد وهو المقام الذي يظهر به جميع الأشياء، ويتمركز فيه إجمال جميع التدابير، ومقام العلم الذي يظهر به الأشياء. فالعرش هو الملكوت الأعلى، والعرش والكرسي بابان من أكبر أبواب الغيوب وهما جميعاً غيبان، وهما في الغيب مقرونان لأنّ الكرسي هو الباب الظاهر من الغيب الذي منه مطلع البدع ومنها الأشياء كلّها والعرش هو الباطن الذي يوجد فيه علم الكيف والكون والقدر والحدّ والأين والمشيّة وصفة الإرادة وعلم الألفاظ والحركات والترك وعلم العود والبدء. فهما في العلم بابان مقرونان لأنّ ملك العرش سوى ملك الكرسي، وعلمه أغيب من علم الكرسي فمن ذلك قال: ﴿ رَبُّ العَرْشِ العَظيمِ ﴾ أي صفته أعظم من صفة الكرسي وهما في ذلك مقرونان[1].

والعرش الإلهي مربّع، فإنّ الكلمات التي بني عليها الإسلام أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلّا الله، والله أكبر. فيرجع تفسيره إلى العلم.

وفي العرش تمثال ما خلق الله في البرّ والبحر، وهذا تأويل قوله تعالى: ﴿ وَإنْ مِنْ شَيْءٍ إلّا عِنْدَنا خَزائِنَهُ وَما نُنَزِّلُهُ إلّا بِقَدَرٍ مَعْلوم ﴾ فوجود صور الأشياء وتماثيلها في العرش هو الحقيقة التي يبتني عليها بيان الآية، والأشياء كلّها في العرش كحلقة في فلاة. وحملة العرش العلمي ثمانية: أربعة من الأوّلين وأربعة من الآخرين: فأمّا الأربعة من الأوّلين فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى، وأمّا الأربعة من الآخرين فمحمّد وعليّ والحسن والحسين عليهم السلام، كما تحمله ثمانية من الملائكة ومن حوله ملائكة يستغفرون للمؤمنين.

---

(١) إذا أردت شرح هذا الكلام الذي هو من الحديث الشريف فراجع تفسير الميزان ٨: ١٧٠ سورة الأعراف.

و ﴿ كانَ عَرْشُهُ عَلَى الماء ﴾ يوم خلق السماوات والأرضين على الماء وهذا كناية عن أنّ ملكه تعالى كان مستقرّاً يومئذٍ على هذا الماء الذي هو مادّة الحياة، فعرش الملك مظهر ملكه، واستقراره على محلّ استقرار ملكه عليه كما أنّ استواؤه على العرش احتواؤه على الملك وأخذه في تدبيره[1].

هذا وقد كتب الله سبحانه على عرشه الاسمى والمسمّى، بلون أخضر أي بلون المعرفة:

(إنّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة).

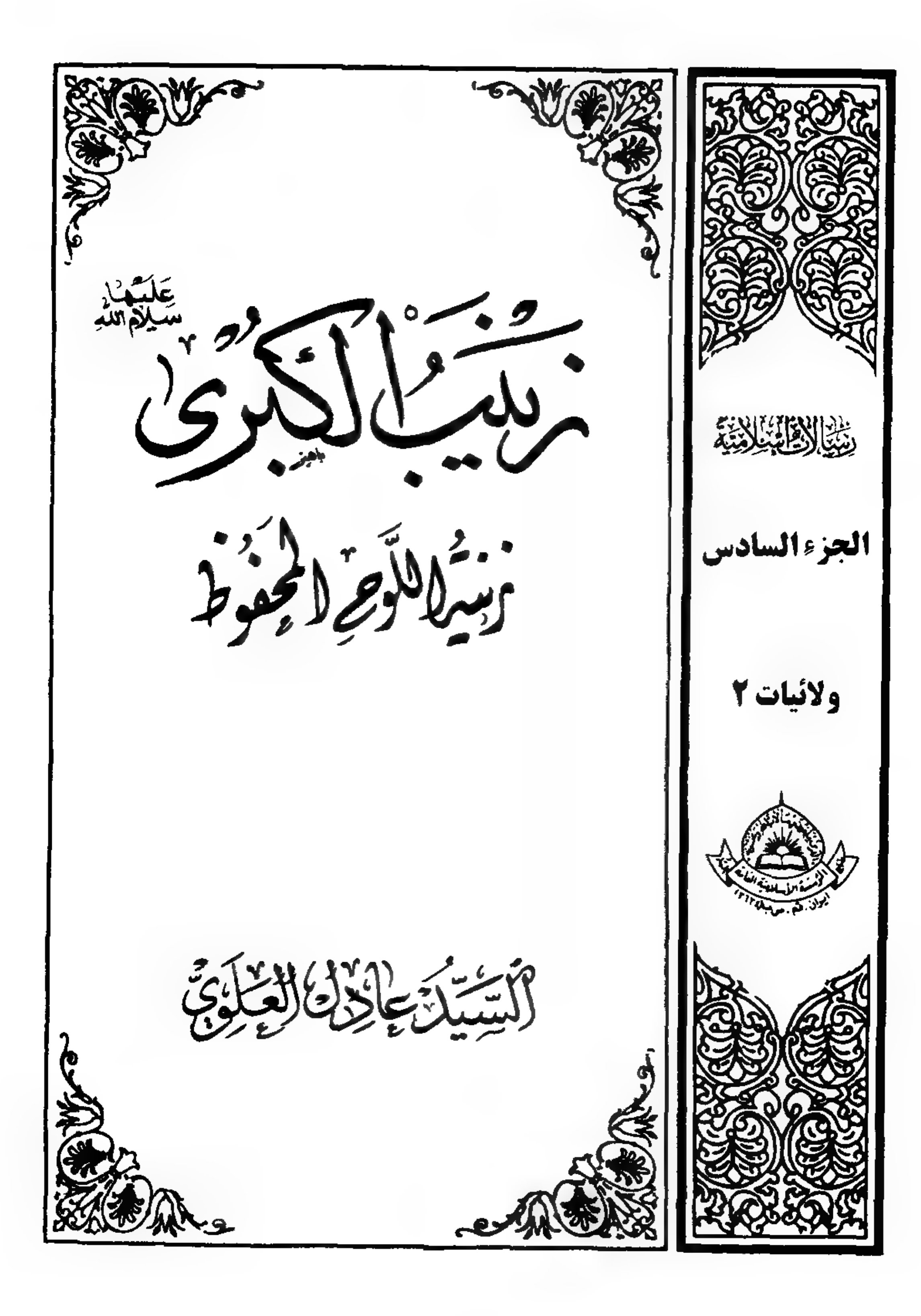
فارجع البصر تكراراً ومراراً إلى ما كتبناه في شرح هذا الحديث الشريف، فهل ترى فيه من... ؟!

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

---

(١) الميزان ١٠ : ١٤٤ سورة هود.

الفهرست



عليها سلام الله
زينب الكبرى
زينة اللوح المحفوظ
السيد عادل العلوي
رسالات إسلامية
الجزء السادس
ولائيات ٢

علوي، عادل، ١٩٥٥ ــ
زينب الكبرى زينة اللوح المحفوظ / تأليف السيّد عادل العلوي. ــ قم: المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد، ١٣٧٨.
١٤ ص. ــ (موسوعة رسالات إسلامية)
ISBN 964 - 5915 - 13 - 9 :٤٠٠ ريال
فهرستنويسى بر اساس اطلاعات فيپا.
عنوان ديگر: رسالة زينب الكبرى زينة اللوح المحفوظ.
عربى.
كتابنامه به صورت زيرنويس.
چاپ دوم.
١. زينب (س)، ٦ ـ ٦٢ ق. ــ سرگذشتنامه. الف. عنوان. ب. عنوان: رسالة زينب الكبرى زينة اللوح المحفوظ.
BP ٥٢ / ٢ / ٩ز ٧٧ع
٢٩٧ / ٩٧٤
كتابخانة ملى ايران
٢١١٨٥ ــ ٧٨ م

موسوعة

رسالات إسلامية

***
***

رسالة

زينب الكبرى زينة اللوح المحفوظ

تأليف ـ السيّد عادل العلوي

نشر ـ المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد
إيران، قم، ص. ب ٣٦٣٤
الطبعة الثانية ـ ١٤١٩ هجري قمري
المطبعة ـ النهضة، قم المقدّسة

شابك ٩ ـ ١٣ ـ ٥٩١٥ ـ ٩٦٤ ISBN 964 - 5915 - 13 - 9
اى. اى. ان. ٩٧٨٩٦٤٥٩١٥١٣٩ EAN 9789645915139
شابك X ـ ١٨ ـ ٥٩١٥ ـ ٩٦٤ (دوره ١٠٠ جلد) 964 - 5915 - 18 - X (100 - Vol. Set)

بسم الله الرحمن الرحيم

زينب الكبرى زينة اللوح المحفوظ[1]

الحمد لله الذي زيّن الإنسان بالعلم، وعلّمه جوامع الكَلِم، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله زين الكائنات وفخر الممكنات محمّد وآله الأطهار نور الأخيار وزينة الأبرار.

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم:

﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[2].

البيّنة في مصطلح الفقهاء بمعنى الشاهدين العدلين على واقعة في مقام الشهادة تحمّلها وأداءها، وهذه تسمّى بيّنة شرعيّة وتشريعية، وفي الكائنات بيّنات تكوينية، ومن كلّ شيء خلق الله زوجين ليشهدا على وحدانية الله سبحانه وتعالى. ففي كلّ شيء له آية وبيّنة يدلّ على أنّه الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.

---

(١) محاضرة إسلامية ألقاها الكاتب في حسينية النجف الأشرف بقم المقدّسة ليلة ميلاد السيّدة زينب الكبرى عليها السلام في احتفال بهيج (٥ جمادى الأولى سنة ١٤١٩ هـ).

(٢) الذاريات: ٤٩.

وقصّة عاشوراء والطف الحزينة، إنّما هي وليدة الزوجين الزكيّين الطاهرين العلويّين الفاطميّين مولانا الإمام الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، وسيّدة بني هاشم، عقيلة الطالبيين سيّدتنا زينب الكبرى سلام الله عليها.

فعاشوراء الإسلام محلّ ولادتها كربلاء الصامدة، أبوها سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام ومربّيتها المجاهدة الثائرة زينب الطاهرة. لولاها لكانت عاشوراء اليتيمة تموت في صغرها. إلّا أنّ السيّدة زينب بنضالها وندائها الثوري عليها السلام ربّت عاشوراء تلك الوليدة التي يجري في عروقها دم الله وثاره. فتربّت عاشوراء الحسين في أحضان زينب عليها السلام وترعرعت في جوارها وحجرها المبارك وجهادها الدؤوب، لتكون عاشوراء أُمّ الثورات التحرّرية بين الأجيال في كلّ عصر ومصر، إلى يوم القيامة، فهي المنطلق الثوري للنهضات الإسلامية إلى اليوم الموعود.

ولا يمكن لأحد سوى الله سبحانه والأنبياء والأوصياء عليهم السلام أن يعرفوا مقام أُمّ عاشوراء ومنزلتها في الدارين، فإنّ المعرفة والعلم بالشيء لازمه الإحاطة به، ولا يمكن للناس أن يحيطوا بعاشوراء وجوهريّتها وفلسفتها، ولا بأبيها وأُمّها.

وزينب الكبرى في أدوار حياتها وسيرتها الذاتيّة[1] تخبرك عن أصالة سماويّة وشجرة نبويّة ودوحة هاشميّة وترجمة قرآنيّة، أصلها ثابت وفرعها في السماء، فهي زينة أبيها أمير المؤمنين أسد الله الغالب عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وإنّه لم يفتخر بكتابه العظيم (نهج البلاغة) الذي هو كتاب الحياة وكتاب السعادة ولا يمكن للبشر أن يعرفوا ما فيه من العظمة والشموخ، إلّا أنّه يفتخر ويتزيّن ببنته السيّدة زينب عليها السلام.

---

(١) لقد ذكرت حياتها ولقطات من سيرتها المباركة في كتاب (عبقات الأنوار)، مطبوع، فراجع.

ولولا الخوف على عقول الناس، لقيل في مدحها وثنائها ومعرفتها ما يبهر العقول، ويحيّر ذوي الألباب، وقليل من عبادي الشكور الفكور الصبور.

ولا زالت زينب النبوّة والإمامة، زينب الولاية العظمى أسيرة الهوى، بالأمس كانت أسيرة الظالمين من بني أُميّة الطغاة وأشياعهم، واليوم أسيرة العقول الضعيفة، حتّى قالوا عنها: إنّها امرأة عاديّة ؟!!

فما نطقت في معرفتها حرفاً، إلّا وتجد نفسك مقيّداً بسلاسل الافتراء والتهمة وأنّ القائل من الغلاة، فزينب العظمة لا زالت أسيرة العقول والأفكار المتخلّفة.

ولا نقول في وصفها وثنائها أنّها الربّ ـ والعياذ بالله ـ ولكن نقول: هكذا خلقها الربّ جلّ جلاله.

إلّا أنّ الناس بين قالٍ وغال، بين إفراط وتفريط، فكما غالوا في أبيها حتّى قالوا بأُلوهيّته ـ والعياذ بالله ـ وقالوا في حقّه حتّى جعلوه كافراً أو كأحد المسلمين، ولا زال عليّ أمير المؤمنين سيّد المظلومين، قد ظلمه التأريخ كولده الحسين، بل وأولاده وذرّيته.

وما زال صوته الحزين يدوّي في ضمير الإنسانية:

«فيا عجباً للدهر إذ صرت يقرن بي من لم يسع قدمي».

«أنزلني الدهر حتّى قالوا عليّ ومعاوية».

وهذه الصرخة الأليمة تسري في كلّ الأزمنة وعلى مدى العصور والأحقاب، حتّى قال ابن أبي الحديد المعتزلي في بيان مقولة أمير المؤمنين عليه السلام أنّه: (أطلق القول إطلاقاً عاماً مستغرقاً لكلّ الناس أجمعين).

ولا يزال عليّ المرتضى مجهولاً، ولا يزال كلامه القيّم يهتف: «سلوني قبل أن تفقدوني»، وإنّه لا يختصّ بالمسلمين بل هو للبشرية كافة كأخيه النبيّ الأعظم رسول الله صلى الله عليه وآله.

﴿ وَما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ ﴾[١].

وعليّ أمير المؤمنين نفس رسول الله بنصّ آية المباهلة، فظلموه وهو يقول: «اللهمّ إنّي أستعيذك على قريش ومن أعانهم، فإنّهم صغّروا عظيم منزلتي وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لي»[٢].

وهكذا ظلموا علياً وظلموا أولاده، وظلموا زينب بجهلهم بمقامهم الشامخ ومنزلتهم العظيمة.

ولا بدّ من حياة جديدة لضمير المجتمع الإسلامي، حتّى يعرف عليّاً وأبناءه الكرام.

حتّى يعرف النبيّ محمّد وقرآنه، وعليّاً ونهجه، وفاطمة ومظلوميّتها، والحسن وسياسته، والحسين وثورته، وزينب وعاشوراءها، والسجّاد وصحيفته، وهكذا حتّى يعرف المهدي الموعود وفلسفة الانتظار ودولته العالمية.

كلّ هذه المعرفة إنّما تتمّ بالإيمان بالله سبحانه والعشق بعظمته، وجماله المتجلّي في الكائنات والتعبّد والتسليم لأمره.

وما نعرفه من زينب اليوم ليس إلّا شبحاً من قدسيّتها وعظمتها، ومن الواضح أنّ الشبح لا يعطي معرفة تمام الشيء وحقيقته.

ثمّ أعداء الإسلام عرفوا أنّ الهجوم العسكري على البلاد الإسلامية لتهديم عقائد المسلمين لا ينفع أو لا يكفي، بل لا بدّ من الهجوم الثقافي من الغرب والشرق، بل لا بدّ باسم الدين ضرب الدين، وباسم المذهب هدم المذهب من أساسه، حتّى

---

(١) الأنبياء: ١٠٧.

(٢) منهاج البراعة؛ للخوئي ١٠: ١٢٨، الخطبة ١٧١.

تفقد الأُمّة أصالتها ومجدها العريق ومعتقداتها الصحيحة، فتركن إلى الغرب أو الشرق، مستجدية متسوّلة متسكّعة.

وهذا ما يريده الاستكبار العالمي، فتسمع بين آونة وأُخرى نغمات ضدّ المعتقدات الدينية والضرورات المذهبية، والعجب أنّه من لسان رجال الدين والمتلبّسين بزيّ أهل العلم!!

وأمّا زينب الإسلام فقدرتها تعني حكومة الأخلاق والفداء والتضحية، وتربيتها يعني الحبّ والعشق الإلهي والذوبان في الله جلّ جلاله، وثقافتها تعني سلامة الفطرة وحكومتها في كلّ مجالات الحياة على الصعيدين الفردي والاجتماعي.

والعشق الإلهي[1] المتجلّي في ثورة عاشوراء إنّما هو شجرة طيّبة أصلها ثابت

---

(١) عظمة الإنسان إنّما هو بنفسه الناطقة ـ القوّة العاقلة ـ القابلة للتحلّي بالصفات الكمالية والملكات الجمالية بالفطرة السليمة المباركة والعقل الدرّاك السليم

ولما يحمل الإنسان من الصفات الحيوانية والسجايا الإنسانية التي تتجلّى فيها الخلافة الإلهيّة في أسماء الله وصفاته، فإنّه بين أن يكون في أعلى علّيين بعبادته وتقرّبه إلى صانعه، وبين أن يكون في أسفل السافلين قلبه كالحجارة أو أشدّ قسوة، وهو كالأنعام بل أضلّ سبيلاً.

والمحاسن والكمالات إمّا أن تكون تكوينية أو تشريعية، وكلّ واحدة إمّا جسمانية أو روحانية، فما تعلّق بالهيئة الصورية أعني الخلقة البشرية جسمانية، وما تعلّق منها بالنفس الناطقة فهي روحانية، كالعلم والعشق والحلم وما شابه ذلك

وبهذه الكمالات الروحية يتشرّف الإنسان بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَني آدَمَ ﴾ ويتزيّن بقوله تعالى: ﴿ فَتَبارَكَ اللهُ أَحْسَنَ الخالِقينَ ﴾ لا بالجمال الظاهري الجسمي

ويا للأسف إنّ أكثر الناس لا يفقهون ولا يعلمون، فقد صرفوا عمرهم وهمّهم في تجميل أجسادهم، وقد نسوا أنفسهم، ونسوا الله عزّ وجلّ ﴿ وَقَليلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكورُ ﴾.

وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كلّ حين بإذن ربّها، ثمرتها العصمة، وورقها الإخلاص، وجذورها الطهارة، ودوحتها الجمال، وبهاؤها الجلال.

والعشق إنّما ينبع من سويداء القلب، والقلب حرم الله وعرش الرحمن، والفطرة إنّما تدعو القلب إلى أن يعرف صاحبه ومالكه وهو الله سبحانه، إلّا أنّ هذا الشيطان الرجيم يسرق بيت الله، وهو قلب المؤمن فإنّه حرم الله وعرشه، فيسرقه ويعشعش فيه ويبيّض ويفرّخ، فيكون عشّ الشيطان وأبنائه وأعوانه وحزبه، فيتنزّل القلب ويعصي الربّ، حتّى ينتكس، فلا يكون وعاء للرحمة الإلهية وعلم الله سبحانه، ثمّ يموت القلب، فيفقد الإنسان إنسانيّته، فيكون كالحجارة أو أشدّ قسوة، وكالأنعام بل أضلّ سبيلاً.

وكربلاء الحسين وزينب عليهما السلام إنّما هي مصارع العشّاق، كما قالها أمير المؤمنين علي عليه السلام حينما جاوز كربلاء: «ها هنا مصارع العشّاق».

وعاشرواء الحسين وزينب عليهما السلام إنّما هو كتاب العاشقين الوالهين في حبّ الله وجماله.

وزينب بطلة كربلاء، معلّمة العشق الإلهي جيلاً بعد جيل، ترفع إلى السماء جسد أخيها المضرّج بالدماء، محزوز الرأس، مهشّم الأضلاع، وتقول بكلّ سكينة ووقار: «اللهمّ تقبّل هذا القربان من آل محمّد صلى الله عليه وآله».

ومن يعيش في رحاب زينب العشق يمتلئ قلبه شوقاً للقاء معبوده جلّ جلاله، فيكون لسانه ميزان الحكمة، ويده مائدة الكرم، ويحيى بعشق الله، ويرجع القلب إلى مالكه الأصلي التكويني والتشريعي، كلّ هذا ببركة رسالة زينب الرسالية، رسالة الدم والدموع، رسالة المقاومة والفداء.

زينب الكبرى عقيلة بني هاشم أُمّ المصائب وقرينة النوائب، العصمة

الصغرى والناموس الأكبر، محبوبة المصطفى وزينة المرتضى وشقيقة المجتبى وشريكة الحسين سيّد الشهداء.

زينب الإنسية الحوراء بنت سيّدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام، نتيجة النبوّة المحمّدية وحصيلة الولاية العلوية، وآية العصمة الفاطمية، ومرآة المحاسن الحسنيّة، وانعكاس المصائب الحسينيّة، لقد بلغت في المجد غاية حدّها.

والعصفور بقدر همّته يصفق جناحيه ليحلّق في السماء، فما نقول في زينب الحرّة إلّا ما نفهمه بعقولنا القاصرة.

فزينب الدين رضيعة ثدي الرسالة، ربيبة العلم والبسالة، من أنوار المحشر بنت ساقي الكوثر، سيّدة البطحاء خلاصة الخمسة النجباء، ملكية العرب.

فلو كان النساء بمثل هذي ... لفضّلت النساء على الرجالِ

فما التأنيث عيب للشموس ... ولا التذكير فخر للهلالِ

ومن ألقابها العلياء وخصائصها السمحاء[1]:

الصدّيقة، العصمة الصغرى، وليّة الله العظمى، ناموس الكبرى، الراضية بالقدر والقضاء، أمينة الله، عالمة غير معلّمة، فهيمة غير مفهّمة، محبوبة المصطفى صلى الله عليه وآله، قرّة عين المرتضى عليه السلام، نائبة الزهراء عليها السلام، شقيقة الحسن المجتبى عليه السلام، شريكة

---

(١) جاء شرح وبيان هذه الخصائص في كتاب (الخصائص الزينبيّة) للآية العظمى السيّد نور الدين الجزائري الحائري المتوفّى سنة ١٣٨٤ هـ ق، وقد ترجم إلى اللغة العربيّة، كما صحّحه أوّلاً: م ق تاج الدين وطبع من قبل مكتبة الإمام المهدي عليه السلام، وصحّحه وعلّق عليه أيضاً الفاضل المعاصر الشيخ ناصر الباقري البيدهندي وطبع بطباعة جيّدة من قبل مسجد جمكران بقم المقدّسة.

الحسين سيّد الشهداء عليه السلام، الزاهدة، الفاضلة، العاقلة، الكاملة، العاملة، العابدة، المحدّثة، المخبرة، الموثّقة، كعبة الرزايا، المظلومة، الوحيدة، عقيلة قريش، الباكية، الفصيحة، البليغة، الشجاعة، عقيلة خدر الرسالة، رضيعة ثدي الولاية، روحي وأرواح العالمين لها الفداء.

يكفيها شرفاً وفخراً شهادة إمام زمانها سيّد الساجدين وزين العابدين الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام، حيث قال: «بحمد الله إنّكِ عالمةٌ غير معلّمة، وفهِمة غير مفهّمة». وهذا ممّا يدلّ على عصمتها، فإنّ العصمة عن الذنوب والمعاصي وكلّ ما يشين ويزري بالإنسان إنّما يكون بالعلم، بأن يعلم منشأ الذنوب، وأنّها تصدر من الجهل والظلمة، كما يعلم نتائجها وآثارها، من الآثار الوضعيّة في الدنيا والعقاب الأُخروي، وهذا العلم يكون بلطفٍ خاصّ من الله سبحانه في الأنبياء والأوصياء وفاطمة الزهراء عليها السلام، فهم معصومون بعصمة ذاتيّة كلّيّة، تمنعهم عن المحارم اختياراً لا على نحو القهر والجبر، وفي غيرهم ممّن يحذو حذوهم وينهج منهجهم ويرثهم في علومهم ومعارفهم وأخلاقهم، يعصمون أنفسهم بعصمة أفعاليّة كسبية جزئيّة. فمثل الشهيد عليّ الأكبر عليه السلام والسيّدة زينب الكبرى وفاطمة المعصومة بنت الإمام موسى بن جعفر بقم المقدّسة يحملون هذه العصمة.

فسيّدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام هي العصمة الكبرى، والسيّدة زينب عليها السلام هي العصمة الصغرى، لأنّها عالمة غير معلّمة، فعلمها من الله سبحانه، يعصمها من الآثام والقبائح، فهي تنوب أُمّها الزهراء عليها السلام في فضائلها وفواضلها وخصالها وخصائصها وعصمتها وعفّتها ونورها وشرفها وبهائها، فكانت تنطق بالحكمة والعلم والأدب والمعرفة والعصمة من محاسن خلالها، فلم يُرَ أكرم منها أخلاقاً ولا أنبل فطرةً ولا أطيب عنصراً ولا أخلص جوهراً في النساء بعد أُمّها سيّدة نساء العالمين.

فهي مجمع الفضائل ومنبع المكارم، حازت من الصفات الكريمة والسجايا الحميدة ما لم يحزها بعد اُمّها أحد حتّى حقّ أن يقال: هي الصدّيقة الصغرى، فهي من الصبر والثبات وقوّة الإيمان والتقوى يضرب بها المثل الأعلى. وخير شاهد حياتها الطيّبة وسيرتها الذاتيّة المباركة ورباطة جأشها في قصّة كربلاء ويوم عاشوراء.

إنّ المقامات العرفانيّة الخاصّة بزينب عليها السلام تقرب من مقامات الإمامة، فإنّها لمّا رأت حالة زين العابدين عليه السلام حين رأى أجساد أبيه وإخوته وعشيرته وأهل بيته على الثرى صرعى مجزّرين كالأضاحي وقد اضطرب قلبه واصفرّ وجهه، أخذت عليها السلام في تسليته تصبّره قائلةً: «ما لي أراك تجود بنفسك يا بقيّة جدّي وأبي وإخوتي، فوالله إنّ هذا لعهد من الله إلى جدّك وأبيك، ولقد أخذ الله ميثاق اُناس لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض وهم معروفون في أهل السماوات أنّهم يجمعون هذه الأعضاء المقطّعة والجسوم المضرّجة، فيوارونها وينصبون بهذا الطفّ علماً لقبر أبيك سيّد الشهداء لا يدرس أثره ولا يمحى رسمه على كرور الليالي والأيّام، وليجتهدنّ أئمّة الكفر وأتباع الضلال في محوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلّا علوّاً»[١].

وقد ائتمنها الإمام على أسرار الإمامة، وهذا يدلّ على عصمتها، كما لم يذكر التأريخ رغم كثرة أعداء أهل البيت عليهم السلام ما يشين بها وينقص من شأنها ويبطل عصمتها، فهي بنت الوحي وربيبة الرسالة، تربّت في مدرسة الرسول الأعظم وأمير المؤمنين وسيّدة نساء العالمين وسيّدي شباب أهل الجنّة عليهم السلام، ومن تعلّمت في مثل هذه المدرسة الإلهيّة كيف لا تكون معصومة في أفعالها وحياتها؟ فسلام الله عليها

---

(١) كامل الزيارات: ٢٦١.

أبد الآبدين، من بدو الخلق إلى يوم الدين.

ومن خصائصها: حملتها أُمّها كرهاً ووضعتها كرهاً، كإخوتها عليهم السلام، فالزهراء من حين حملها إلى يوم ولادتها كانت مهمومة، وقد أُخبرت من قبل بمصائبها، وما يجري عليها من الآلام والمحن.

روي أنّ زينب بنت عليّ بن أبي طالب عليه السلام لمّا ولدت أُخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فجاء إلى منزل فاطمة عليها السلام وقال: يا بنتاه، ايتيني ببنتك المولودة، فلمّا أحضرتها أخذها رسول الله صلى الله عليه وآله وضمّها إلى صدره الشريف، ووضع خدّه المنيف على خدّها، فبكى بكاءً عالياً، وسال الدمع على محاسنه الشريف جارياً، فقالت فاطمة: لماذا بكاؤك، لا أبكى الله عينيك يا أبتاه؟ فقال صلى الله عليه وآله: يا بنيّة فاطمة، اعلمي أنّ هذه البنت بعدك وبعدي تبتلي بالبلايا، وترد عليها المصائب شتّى ورزايا، فبكت فاطمة عليها السلام عند ذلك، ثمّ قالت: يا أبَ، فما ثواب من يبكي عليها وعلى مصائبها؟ فقال: يا بضعتي وقرّة عيني، إنّ من بكى عليها وعلى مصائبها كان ثواب بكائه كثواب من بكى على أخويها، ثمّ سمّاها زينب[1].

---

(١) الخصائص الزينبيّة: ١٥٥، وعندنا روايات كثيرة في فضل البكاء على سيّد الشهداء عليه السلام، فقد ورد في الصحيح: من بكى أو تباكى على الحسين فقد وجبت له الجنّة. وقال أبوعبدالله عليه السلام في حديث طويل له: ومن ذكر الحسين عليه السلام عنده فخرج من عينيه من الدموع مقدار جناح ذباب كان ثوابه على الله عزّ وجلّ، ولم يرضَ له بدون الجنّة. وورد أنّ الحسين عليه السلام على يمين العرش ينظر إلى زوّاره، وإنّه ينظر إلى من يبكيه فيستغفر له ويسأله أباه الاستغفار له ويقول: أيّها الباكي لو علمت ما أعدّ الله لك لفرحت أكثر ممّا حزنت، وإنّه ليستغفر له من كلّ ذنب وخطيئة. وقال أبو عبد الله عليه السلام: من ذكرنا عنده ففاضت عيناه ولو مثل جناح الذباب غفر له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر (كامل الزيارات: ٢٠١، الباب ٣٢).

وزينب اشتقّ من زَنَبَ ـ كفَرِح ـ بمعنى السمن، وسمن كلّ شيء بنسبته، فسمن الحيوان بمعنى كثرة لحمه، وسمن النبات بمعنى نظارتها وكثرة ثمراتها، وسمن الإنسان بمعنى حمله صفات الكمال والجمال.

أو زينب بمعنى الشجرة الطيّبة الحسنة الصورة، أو بمعنى زين أب، ولكثرة الاستعمال أُسقط الألف، وعند بعض أهل المعرفة إنّما أُسقط الألف لعدم الفصل بينها وبين أبيها. فزينب زينة أبيها أمير المؤمنين بكمالاتها وخصائصها وخصائلها.

وأبوها أسد الله الغالب عليّ بن أبي طالب عليه السلام إنّما هو زينة الكون، وزينة الوجود وما خلقه المعبود، فزينب زينة الزينة لهذا العالم الرحب، وكانت كأُمّها الزهراء (أُمّ أبيها) فصارت (زينة أبيها) ورثت أُمّها في عصمتها وعلومها ومصائبها.

والأسماء تنزل من السماء، إلّا أنّ الله قد شرّف بعض أوليائه وأنبيائه أن سمّاهم بنفسه، كآدم ويحيى ﴿ يا زَكَرِيَّا إنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ ٱسْمُهُ يَحْيىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيّاً ﴾[1]، وعيسى المسيح ﴿ إنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ ٱسْمُهُ المَسيحُ عيسىٰ ﴾[2]، والنبيّ الأكرم ﴿ وَمُبَشِّراً بِرَسولٍ يَأْتي مِنْ بَعْدي ٱسْمُهُ أَحْمَد ﴾[3] وعليّ اشتقّ من العليّ والحسن والحسين وزينب الكبرى.

كما ورد في الخبر الشريف عندما قدّمت فاطمة بنتها إلى زوجها أمير المؤمنين ليسمّيها فقال: لا أسبق رسول الله صلى الله عليه وآله، ولمّا كانت بين يدي الرسول لم يسمّها

---

(١) مريم: ٧.

(٢) آل عمران: ٤٥.

(٣) الصفّ: ٦.

لكي لا يسبق الله سبحانه، فنزل جبرئيل الأمين وقال: إنّ الله يقرئك السلام ويقول: سمّها زينب، كما سمّيت في اللوح المحفوظ.

فزينب زينة اللوح المحفوظ، كما أنّ أباها أمير المؤمنين عليّ عليه السلام زينة عرش الله.

يا ربّ جوهر علمٍ لو أبوح به ... لقيل لي: أنت ممّن يعبد الوثنا

رضينا بقسمة الجبّار فينا ... لنا علمٌ وللأعداء مال

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

موسوعة رسالات إسلامية

مائة وأربعون كتاباً ورسالة في مائة مجلد

طبع من الموسوعة الكبرى:

المجلد الأول ـ عقائد ١: دروس اليقين في معرفة أُصول الدين.

المجلد الثاني ـ فقه استدلالي ١: ١ ـ زبدة الأفكار في طهارة أو نجاسة الكفار. ٢ ـ التقية في رحاب العلمين. ٣ ـ التقية بين الأعلام.

المجلد الثالث ـ أخلاق ١: ١ ـ طالب العلم والسيرة الأخلاقية. ٢ ـ خصائص القائد الإسلامي في القرآن الكريم. ٣ ـ أخلاق الطبيب في الإسلام. ٤ ـ دور الأخلاق المحمدية في تحكيم مباني الوحدة الإسلامية. ٥ ـ رسالتنا.

المجلد الرابع ـ أخلاق ٢: التوبة والتائبون على ضوء القرآن والعترة.

المجلد الخامس ـ ولائيات ١: ١ ـ هذه هي الولاية. ٢ ـ جلوة من ولاية أهل البيت عليهم السلام.

المجلد السادس ـ ولائيات ٢: ١ ـ وميض من قبسات الحق. ٢ ـ الدر الثمين. ٣ ـ علي المرتضى نقطة باء البسملة. ٤ ـ فاطمة الزهراء ليلة القدر. ٥ ـ الدرة البهية في الأسرار الفاطمية. ٦ ـ الإمام الحسين في عرش الله. ٧ ـ زينب الكبرى زينة اللوح المحفوظ.

المجلد السابع ـ ولائيات ٣: ١ ـ السيرة النبوية في السطور العلوية. ٢ ـ الأنوار القدسية. ٣ ـ أهل البيت سفينة النجاة. ٤ ـ آثار الصلوات في رحاب الروايات. ٥ ـ الإمام المهدي عليه السلام وطول العمر في نظرة جديدة. ٦ ـ الأنفاس القدسية في أسرار الزيارة الرضوية. ٧ ـ السر في آية الاعتصام.

المجلد الثامن ـ فقه استدلالي ٢: القصاص على ضوء القرآن والسنة / المجلد الأوّل.

المجلد التاسع ـ فقه استدلالي ٣: القصاص على ضوء القرآن والسنة / المجلد الثاني.

المجلد العاشر ـ فقه استدلالي ٤: القصاص على ضوء القرآن والسنة / المجلد الثالث.

المجلد الحادي عشر ـ عرفان ـ أخلاق ٣: ١ ـ من وحي التربية والتعليم. ٢ ـ حب الله نماذج وصور. ٣ ـ الذكر الإلهي في المفهوم الإسلامي. ٤ ـ السؤال والذكر في رحاب القرآن والعترة. ٥ ـ شهر رمضان ربيع القرآن. ٦ ـ النبوغ وسر النجاح في الحياة. ٧ ـ كيف أكون موفقاً في الحياة. ٨ ـ معالم الصديق والصداقة في رحاب الروايات.

المجلد الثاني عشر ـ تراجم ١: ١ ـ النفحات القدسية في تراجم أعلام الكاظمية. ٢ ـ بيوتات الكاظمية المقدسة.